بسم الله الرحمن الرحيم

الجامعـــــة الإســــلامية بغـــزة
الدراســـــــات العليـــــــا
كليـــــة أصــــول الــــــدين
قسم العقيدة والمذاهب المعاصرة

دور العقيدة في بناء الشخصية المسلمة
في ضوء سورة يوسف "عليه السلام"

إعداد الطالبة
عطاف محمود محمد حتحت

إشراف الدكتور
محمد حسن بخيت

قدم هذا البحث استكمالاً لمتطلبات الحصول على درجة الماجستير في قسم العقيدة والمذاهب المعاصرة

1430هـ-2009م

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

بسم الله الرحمن الرحيم

قال تعالى :

﴿ أَفَمَنْ أَسَّسَ بُنْيَانَهُ عَلَى تَقْوَى مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانٍ خَيْرٌ أَم مَّنْ أَسَّسَ بُنْيَانَهُ عَلَى شَفَا جُرُفٍ هَارٍ فَانْهَارَ بِهِ فِي نَارِ جَهَنَّمَ وَاللَّهُ لاَ يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴾ (التوبة : 109)

وقال تعالى :

﴿ لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لأُوْلِي الأَلْبَابِ مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَى وَلَكِن تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ كُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴾ (يوسف 111)

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

Abstract

The researcher carries out the study and analysis of the topic "The role of religion in building a Muslim personality in the light of Surat-Yousuf, peace be upon him, has shown through this study over the impact of the Islamic faith if wearing the right recognized in the deep, and the excellence of his personality, if people from the rest are committed and applied its roles in his life, and that by highlighting the figure of Joseph and Jacob peace be upon them.

The researcher divided the research to a preface and three chapters, each chapter contains detectives and demands.

The preface: the researcher has shown the definition of Surat-Yousuf, peace be upon him, going through the statement of Surat-Yousuf and suitability for the post, and why call it this name, these charismatic and its contents in terms of meanings and through sermons, as the preface included the definition of belief and faith in the convention, language, the definition of construction and demolition. The goal of each and means, and personal definition of Muslim and most important landmarks and attributes.

The first chapter was devoted to talk about the role of the Islamic faith in the figure of Jacob peace be upon him through a beautiful patience, when employing Almighty God lost his son Joseph, peace be upon him, and then the rest of his children, as well as a great confidence in God, entrusted by the Almighty so already ended of his misery in the end.

Chapter II: the role of the Islamic faith in building the personality of Yousef, peace be upon him, where the first topic: talk about the role of religion in establishing the creation of patience with Yousuf peace be upon him.

The first requirement addressed: patience, peace b upon him to abuse his brothers, especially when they threw him in the well.

And the second requirement: patience, peace be upon him when he was imprisoned unfairly and unjustly by the wife of Aziz who wanted to seduced him.

The third requirement: patience, peace be upon him for the blessing of empowerment in the ground.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

The second topic: touched on the role of faith in the show of piety with Yousuf peace be upon him.
The first requirement was entitled: piety and righteous character and ways to strengthen access, and then the second requirement, which was the patience of Yousuf, peace be upon him-when he was rifts by Aziz's wife, and the extent and persistence of his remaining chaste and believe peace be upon him, to those great sedition, and scourge.
The third requirement: talk about wages at the righteous God has prepared for them and the presentation of the heavens.
The third topic is titled: the role of religion in achieving the charity in the personality of Yousuf. To the first requirement entitled: charity and truth and the good qualities and areas of charity.
The second demand was addressed to talk about: the goodness of Yousuf, peace be upon him deal with all of them, especially his brothers and his parents.
The third and final request: to demonstrate the penalty was good at the God in this world and hereafter.

Chapter III was based on the role of faith in victory and the empowerment of the Islamic people in the light of Surat Yousuf peace be upon him, and contains two parts: **First topic**: touched on the role of faith in the victory of the Muslims, and the four demands, the first requirement: the victory of God alone the second requirement: descriptions of the faithful supporters showed victory, and third requirement: the broad factors of victory and the fourth requirement: the broad factors of defeat.
The second topic: it has highlighted the role of faith in the empowerment of the Islamic nation has included four demands:
The first requirement: the empowerment and its components, and the second requirement: speaking on: obstacles empowerment, and the third requirement: the statement of divine traditions on the road to empowerment have spoken searching for a fifth divine traditions, for example. He concluded then that the fourth requirement for the topic is entitled evangelists victory and empowerment, a lot has been said by researcher as part of it.
Then this is the most important conclusion of the study results and recommendation.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

الإهـــــــداء

إلى روح والديّ الطيبين رحمهما الله رحمة واسعة وأدخلهما فسيح جناته.

إلى الأسود الرابضة خلف قضبان الظلم والعذاب، إلى جميع الأسرى وأخص منهم من قضى جل حياته في الجهاد في سبيل الله، وما زال يدفع من عمره المزيد دفاعاً عن كرامة الأمة وعزتها ... إلى زوجي الأسير المجاهد : حسن المقادمة، والذي كان لي نعم السند والمعين بعد الله عز وجل في دراستي وبحثي؛ فك الله أسره، وأدامه ذخراً للإسلام والمسلمين.

إلى الأخ الحبيب والأب الحنون أبو محمد، رمز الأخوة والعطـــاء، وبـــاقي الأخـــوة والأخوات الأعزاء.

إلى أبنائي الأحبة؛ مريم وزوجِها، وعلي وزوجتِه.

إلى قرة عيني ومهجة قلبي أحفادي .. سلمى وليث والمثنى.

إلى الصابرين على ألم البعد والفراق أهالي الأسرى والشهداء الكرام.

إلى أخواتي في درب الدعوة أم أسامة، أم محمد، أم فارس وإلى جميع أخواتي فـــي الله.

إليهم جميعاً أهدي هذا العمل المتواضع .

عطاف حتحت

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

شكر وتقدير

أحمد الله –تعالى– حمداً كثيراً على نعمه العظيمة وآلائه الجسيمة، بأن منّ عليّ بتيسير وكتابة هذا البحث المتواضع، فهو القائل سبحانه: "**وَإِن تَعُدُّواْ نِعْمَتَ اللّهِ لاَ تُحْصُوهَا**" (النحل : 18)، وهو الذي جعل الشكر له على نعمائه من تمام العبودية له عز وجل، قال تعالى : "**وَاشْكُرُواْ نِعْمَتَ اللّهِ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ**" (النحل : 114).

وعملاً بقول الرسول صلى الله عليه وسلم : [لا يشكر الله من لا يشكر الناس][1]؛ فإنني أتقدم بالشكر الجزيل للجامعة الإسلامية أساتذة وعاملين لقبولها لي طالبة في قسم العقيدة والمذاهب المعاصرة، وأخص بالشكر والتقدير أستاذي الكريم المشرف على هذا البحث الدكتور/ محمد حسن بخيت، لما أسداه لي من توجيه وإرشاد، ولما خصني به من جهد ووقت وسعة صدر، مما كان له الأثر الطيب على إنجاز هذا العمل، أدعو الله تعالى أن يكون ذلك في ميزان حسناته، وأن يبارك له في عمره ووقته وصحته.

كذلك أشكر الدكتور/ رياض قاسم، والدكتور/ جابر السميري، على تشجيعهما لي للكتابة في هذا العنوان وذلك عندما استشرتهما فيه، وعلى ما أمداني به من معلومات، فبارك الله فيهما، وجزاهما كل خير.

كما أتوجه بالشكر الجزيل للأساتذة الكرام أعضاء لجنة المناقشة :

الدكتور/محمود الشوبكي، **والدكتور**/ عماد الشنطي.

وذلك حتى يثريا هذا البحث بتوجيهاتهم السديدة بإذن الله تعالى.

وأشكر الأخت الغالية/ أم البراء على ما بذلته من جهد كبير في التدقيق اللُغوي للبحث فجزاها الله عني كل خير وبارك لها في حسناتها.

ولا يفوتني أن أتقدم بالشكر الجزيل للأخ الفاضل/ رامز نسمان الذي قام بطباعة هذه الرسالة، وإخراجها بهذا الشكل فجزاه الله كُل خير، وباعد عنه كل شر.

كما أتوجه بالشكر لكل من ساعدني، أو أسدى إليّ بنصيحة ولم أذْكُرَهُ باسمهِ ويكفيه أن اللهَ يذكره.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

---

(1) سنن الترمذي، ص 445، حكم على أحاديثه العلامة المحدث : محمد ناصر الدين الألباني، وقال عنه : (هذا حديث صحيح)، كتاب البر والصلة، باب ما جاء في الشكر لمن أحسن إليك ، حديث رقم (1954)، مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، الرياض، الطبعة الأولى.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف الخلق والمرسلين سيدنا محمد وعلى آله وصحبه ومن سار على سنته إلى يوم الدين، أما بعد :

إن هذه العقيدة التي يحملها الإنسان المسلم بين جوانحه، وهذا الإيمان الراسخ الذي يسيطر على كيانه، لهو السبب الأساس، والعنصر الفعال الذي يتحكم في تصرفاته ويوجهها الوجهة الصحيحة التي ترضي الله عز وجل، وتجعله مطمئن الفؤاد، ساكن النفس، مرتاح الضمير، يعمل العمل رجاء الثواب والأجر من الله سبحانه وتعالى، قال تعالى : ﴿ **وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّن دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحًا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ الْمُسْلِمِينَ**﴾ (فصلت : 33)، أيضاً يعامل الناس من حوله وهو يشعر بأن هناك من يراقبه ويحاسبه على ذلك العمل، وإن غفل الناس عن محاسبته، فهو يدرك بأن الله الرحيم الكريم اللطيف بعباده معه في كل لحظة وسكنة، وهذا الشعور يمده بالقوة، والثقة والعزيمة والإرادة على تحمل الصعاب والآلام واستشعار المؤمن هذه الآية ﴿**قُلْ إِنَّ صَلاَتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ**﴾(الأنعام :162) وتطبيقها على نفسه يجعله يحيا في سعادة غامرة في الدنيا، وهذه السعادة تمتد إلى سعادة أكبر في الآخرة إن ثبت على هذا الطريق، وسار على نهج هذا الدين وهذه العقيدة الغراء.

وإنني في هذا البحث وضّحت مدى ارتباط شخصية المسلم وأخلاقه وسلوكه بعقيدة الإسلام العظيم، حيث إن سلوك الإنسان وأفعاله ما هي إلا انعكاس لما يعتقده ويؤمن به. وحياة الأنبياء وما فيها من مواقف كريمة مشرفة، ذُكرت في القرآن لتكون قدوة صالحة لنا، ونبراساً يضيء لنا الطريق كلما ادلهمت بنا الخطوب، فهم الثلة التي اتصفت بأفضل صفات الكمال البشرية، وسورة يوسف تعكس لنا سلوك سيدنا يوسف عليه السلام، ومدى قوة شخصيته في تحديه للصعاب والآلام والمحن التي اعترضته طوال فترات حياته، إلى أن مكّن الله له في الأرض بفضل صبره وتقواه، قال تعالى: ﴿**إِنَّهُ مَن يَتَّقِ وَيِصْبِرْ فَإِنَّ اللّهَ لاَ يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ**﴾(يوسف : من الآية 90)، وبالرغم من تمكينه في الأرض، ولقائه للأحبة من أهل وإخوة إلا أنه فضّل أن يلقى الله ثابتاً قلبه، مطمئناً فؤاده على هذا الدين وهذه العقيدة ويلحقه بالصالحين، مثبتاً لنا بأن العقيدة أغلى ما يملكه الإنسان، وإن الثبات عليها أفضل من كل شيء.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

كذلك تعرضت السورة لقصة سيدنا يعقوب عليه السلام وأظهرت لنا قوة توكله على الله، ومدى ثقته به سبحانه وتعالى، وصبره واحتسابه كل بلاء عند ربه، وما كان ذلك يحدث إلا بفضل التمسك بهذه العقيدة الغراء، فجدير بنا جميعاً أن نقتدي بهؤلاء الأنبياء العظماء، ونتمسك بهذه العقيدة، لنفوز في الدنيا بالعز والتمكين، وفي الآخرة بجنة أعدت للمتقين، وهذا كل ما تنشده الأمة، ونحيا جميعاً لأجله.

أسباب اختيار الموضوع :

1- إنه لم يبحث فيه إلا نادراً حيث لم أجد إلا كتاباً واحداً في لب الموضوع وهو كتاب لعبد الله عزام بعنوان (العقيدة وأثرها في بناء الجيل).

2- أردت سد ثغرة من الثغرات التي قد يصل من خلالها أعداء الإسلام إلى قلب الأمة ونبض حياتها وهي الشخصية المسلمة سواءً كان شاباً أو فتاةً أو امرأة أو رجلاً، بحيث يجدوا في عقيدتهم السند والقوة والأمن والأمان التي ينشدها كل إنسان على وجه الأرض.

3- إن سورة يوسف عليه السلام، قد درست من نواحي أخرى غير النواحي العقائدية، ولكن الباحثة درستها من الناحية العقائدية وسلطت الضوء على شخصية سيدنا يوسف ويعقوب عليهما السلام وبينت أن قوة العقيدة والإيمان بالله هي السبب الرئيس لقوة الشخصية عند كليهما.

4- إن سجن سيدنا يوسف عليه السلام ووضعه خلف القضبان، يمثل حالة من حالات آلاف الأسرى القابعين خلف القضبان، من حيث وضعهم ظلماً وبهتاناً؛ لأنهم يدافعون عن شرف هذه الأمة وكرامتها، ومن جهة بروز قوة الشخصية، والثقة بالله والتي هي ثمرة العقيدة السليمة.

أهمية الموضوع :

- إضافة دراسة جديدة من نوعها تبين أثر العقيدة الإسلامية في بناء شخصية المسلم.
- جعلُ جسرٍ ما بين العقيدة التي يعتقد بها المسلم، وبين سلوكه وتصرفاته، وخاصة عند مواجهة الصعوبات والمحن والآلام، حيث أَبْرَزْتُ من خلال بحثي بأن العقيدة السليمة، والتوحيد الخالص لله، هو السبب الذي يجعل الإنسان المسلم قوياً لا تنال منه الدنيا ما تناله من الآخرين.
- المشاركة في رفع شأن هذه الأمة ببيان أثر العقيدة في تحقيق النصر والتمكين، وأن أصحاب العقائد هم المنتصرون في النهاية، مهما طال الليل واشتد الظلام، فإنه كما يقول الله عزوجل: ﴿**فَإِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا * إِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا**﴾(الشرح : 5-6).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

الدراسات السابقة لموضوع البحث :

بعد سؤال مركز الملك فيصل للبحوث، والبحث على الإنترنت، وفي المكتبات، تبين للباحثة : أنه لا يوجد بحث بهذا العنوان تحديداً، وما وجدته عناوين قريبة، وأقرب هذه العناوين (كتاب العقيدة وأثرها في بناء الجيل) للدكتور عبد الله عزام وهو يتحدث فيه عن التعريف بالعقيدة والتوحيد وشقاء البشرية اليوم بسبب تحريف العقيدة وخصائص العقيدة وصفات الله والمذاهب المختلفة في ذلك، وآثار ترك العقيدة، والربانيون الذين صنعتهم العقيدة.

ومن الأبحاث التي تم العثور عليها عن طريق الإنترنت :

1- (الصلة بالله تعالى وأثرها في تربية النفس)، وهي رسالة ماجستير سنة 1987م، للباحث تيسير العلي، جامعة اليرموك، مدينة إربد.
2- (العقيدة الإسلامية وأثرها في بناء المجتمع)، وهي رسالة ماجستير سنة 1982م، للباحث عزام سلهب، كلية أصول الدين، الجامعة الإسلامية، المدينة المنورة.

وهذه الأبحاث تناولت الحديث عن أثر العقيدة بصفة عامة، ولكن الباحثة تحدثت عن أثر العقيدة في بناء الشخصية المسلمة تحديداً في ضوء سورة يوسف وهذا ما لم يتناوله أحد حسب معلومات الباحثة، وأبرزت دور العقيدة في بناء شخصية سيدنا يوسف ويعقوب (عليهما السلام) من خلال سورة يوسف، ثم أتبعت ذلك بالحديث عن دور العقيدة في تحقيق النصر والتمكين، حيث إن سورة يوسف تتحدث عن النصر والتمكين، وذلك لحاجتنا الماسة في وقتنا الحاضر للحديث عن ذلك.

بالنسبة للدراسات في سورة يوسف :

1- بحث ماجستير بعنوان (الصراع بين الحق والباطل في قصة يوسف)، قسم التفسير للطالب : تميم ضيف الله مزيد ضهير، 1406-1407هـ/1986-1987م.
2- كتاب (دروس وعظات وعبر في سورة يوسف عليه السلام)، لعبد الرحمن المعلمي، دار القمة، دار الإيمان للطبع والنشر والتوزيع، 2003م، جامعة أم درمان، السودان.
3- كتاب (أحسن القصص دروس وعبر)، عبد العظيم الخلفي، دار ابن رجب، الطبعة الأولى، 1415هـ-1995م.
4- كتاب (قصص الرحمن في ظلال القرآن)، أحمد فائز الحمصي، مؤسسة الرسالة، الطبعة الأولى، 1415هـ-1995م.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

منهج البحث :

سارت الباحثة وفق المنهج الوصفي التحليلي.

طريقة البحث :

1- الاستدلال بالآيات القرآنية والأحاديث النبوية الشريفة.
2- عزو الآيات إلى مواضعها.
3- تخريج الأحاديث من مصادرها المعتمدة ونقل الحكم عليها وذلك إن لم تكن في الصحيحين أو أحدهما.
4- عند الاقتباس الحرفي وضعتُ النص بين علامتي تنصيص مع الإشارة إلى المرجع في الهامش.
5- إن كان الاقتباس بالمعنى أشرت بكلمة (انظر) في الهامش، المرجع كذا.
6- إن كان استخدام المرجع لأول مرة قمت بكتابة جميع المعلومات عنه وذلك في الهامش، وإن استخدمته بعد ذلك قمت بكتابة اسم المرجع والمؤلف ورقم الصفحة فقط.
7- التعريف ببعض شخصيات البحث.
8- بيان معنى الكلمات الغريبة وذلك في الهامش.
9- عملت فهرس للمصادر والمراجع بذكر اسم الكتاب أولاً ثم اسم الكاتب، وفهرس آخر للموضوعات الواردة في البحث وذلك في نهاية البحث.

خطة البحث :

يشتمل البحث على مقدمة وتمهيد وثلاثة فصول وخاتمة، وهي كالتالي :

المقدمة: وتضمنت أسباب اختيار الموضوع وأهميته، والدراسات السابقة، ومنهج البحث وخطته.

التمهيد :

وفيه ما يلي :

أولاً : تعريف عام بسورة يوسف عليه السلام.

ثانياً : تعريف (العقيدة والإيمان).

ثالثاً : البناء غاياته ووسائله – الهدم غاياته ووسائله.

رابعاً : الشخصية المسلمة، تعريفها، معالمها، وعلاقتها بغيرها.

الفصل الأول : دور العقيدة في بناء شخصية سيدنا يعقوب عليه السلام :

ويشتمل على ثلاثة مباحث :

المبحث الأول : دور العقيدة في ترسيخ خلق الصبر والاستعانة بالله تعالى عند سيدنا يعقوب عليه السلام.

المبحث الثاني : دور العقيدة في بناء الثقة بالله تعالى عند سيدنا يعقوب عليه السلام.

المبحث الثالث : عقيدة التوكل ودورها في بناء شخصية سيدنا يعقوب عليه السلام.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

الفصل الثاني : دور العقيدة في بناء شخصية سيدنا يوسفعليه السلام :

ويشتمل على ثلاثة مباحث :

المبحث الأول : دور العقيدة في ترسيخ خلق الصبر عند سيدنا يوسف عليه السلام.

المبحث الثاني : دور العقيدة في التحلي بالتقوى عند سيدنا يوسف عليه السلام.

المبحث الثالث : دور العقيدة في تحقيق الإحسان في شخصية سيدنا يوسف عليه السلام.

الفصل الثالث : دور العقيدة في تحقيق النصر والتمكين للأمة في ضوء سورة يوسف :

ويشتمل على مبحثين :

المبحث الأول : دور العقيدة في تحقيق النصر.

المبحث الثاني : دور العقيدة في التمكين للأمة الإسلامية.

الخاتمة : وفيها أهم ما توصلت إليه الباحثة من نتائج وأهم التوصيات.

هذا وبالله التوفيق وعلى الله قصد السبيل، قال تعالى : ﴿**وَمَا تَوْفِيقِي إِلاَّ بِاللّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ**﴾(هود : 88).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

التمهيد

ويشتمل على أربعة مطالب :

المطلب الأول : تعريف عام بسورة يوسف عليه السلام

المطلب الثاني : تعريف (العقيدة والإيمان).

المطلب الثالث : البناء غاياته ووسائله – الهدم غاياته ووسائله.

المطلب الرابع : الشخصية المسلمة – معالمها وعلاقتها بغيرها.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

المطلب الأول : تعريف عام بسورة يوسف عليه السلام :

يتناول هذا المبحث نزول سورة يوسف[1] عليه السلام ومناسبة السورة لما قبلها وتسميتها وما تضمنته .

أولاً : النزول :

سورة يوسف مكية[2] حيث نزلت بمكة باتفاق العلماء، وعدد آياتها مائة وإحدى عشرة آية بلا خلاف، وعدد كلماتها : ألف وسبعمائة وست وسبعون كلمة، وعدد حروفها سبعة آلاف ومائة وستة وستون حرفاً[3].

ذكر الواحدي[4] في أسباب نزول سورة يوسف : أن "مصعب بن سعد، عن أبيه سعد بن أبي وقاص في قوله عز وجل : ﴿**نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ**﴾ (يوسف : 3) قال : أنزل القرآن على رسول الله ﷺ فتلاه عليهم زماناً، فقالوا : يا رسول الله لو قصصت، فأنزل الله تعالى

---

(1) هو يوسف بن يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم الخليل ﷺ، فقد ورد [عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : سئل رسول الله ﷺ أي الناس أكرم ؟ قال : (أكرمهم عند الله أتقاهم)، قالوا : ليس عن هذا نسألك قال : أفأكرم الناس يوسف نبي الله، ابن نبي الله، ابن نبي الله، ابن خليل الله)، قالوا : ليس عن هذا نسألك، قال : (فعن معادن العرب تسألوني؟) قالوا : نعم، قال : (فخياركم في الجاهلية، خياركم في الإسلام إذا فقهوا)]، صحيح البخاري 942/3، كتاب التفسير، باب (لقد كان في يوسف وإخوته آيات للسائلين)، حديث رقم 4689، تحقيق: د. محمد تامر، دار البيان العربي، الطبعة الأولى، 1426هـ-2005م.
قال العلماء : وأصل الكرم كثرة الخير، وقد جمع يوسف عليه السلام مكارم الأخلاق مع شرف النبوة، مع شرف النسب وكونه نبياً ابن ثلاثة أنبياء متناسلين : أحدهم خليل الله عليه السلام، وانضم إليه شرف علم الرؤيا، وتمكنه فيه، ورياسة الدنيا وملكها بالسيرة الجميلة، وحياطته للرعية وإنقاذهم من القحط. (انظر صحيح مسلم بشرح النووي، للإمام محيي الدين بن شرف النووي 111/13، 112، مكتبة الصفا، الطبعة الأولى، 1424هـ-2003م).

(2) تفسير القرآن العظيم : للإمام أبي الفداء إسماعيل بن كثير، 467/2، دار الفكر 1401هـ-1981م.

(3) (انظر التفسير القرآني للقرآن : عبد الكريم الخطيب، 1228/3، دار الفكر العربي.

(4) الواحدي : هو الإمام العلامة الأستاذ أبو الحسن علي بن أحمد بن محمد بن علي بن متويه، النيسابوري، الشافعي صاحب التفسير، وإمام علماء التأويل من أولاد التجار، أصله من ساوة، لزم الأستاذ أبا إسحاق الثعلبي، وأكثر عنه، تعلم العربية عن أبي الحسن القُهَندزي الضرير، وسمع من أبي طاهر محمسن وغيره، حدث عنه أحمد بن عمر الأرغياني وغيره، صنف ثلاثة تفاسير "البسيط والوسيط والوجيز"، وألف عدة كتب، قال عنه أبو أسعد السمعاني : كان الواحدي حقيقاً بكل احترام وإعظام، مات بنيسابور في جمادي الآخرة سنة 468هـ. (انظر سير أعلام النبلاء : للإمام شمس الدين محمد الذهبي 339/18 وما بعدها، مؤسسة الرسالة، الطبعة السادسة، 1409هـ-1989م. وانظر الأعلام: خير الدين الزركلي 147/3، 148، دار العلم للملايين، الطبعة الخامسة، 1980م .

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

﴿**الر تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ الْمُبِينِ**﴾ (يوسف : 1) إلى قوله تعالى : ﴿**نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ**﴾ الآية، فتلاه عليهم زماناً، فقالوا : يا رسول الله لو حدثتنا فأنزل الله تعالى ﴿**اللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَابًا مُتَشَابِهًا**﴾ (الزمر : 23)، قال : كل ذلك ليؤمنوا بالقرآن"[1].

وذكر ابن كثير في تفسيره أن "عون بن عبد الله قال : ملَّ أصحاب رسول الله ﷺ ملة فقالوا: يا رسول حدثنا : فأنزل الله ﴿**اللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ**﴾، ثم ملوا ملة[2] أخرى فقالوا : يا رسول الله حدثنا فوق الحديث ودون القرآن – يعنون القصص – فأنزل الله عز وجل ﴿**الر تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ الْمُبِينِ* إِنَّا أَنزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ * نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ**﴾ الآية فأرادوا الحديث فدلهم على أحسن الحديث وأرادوا القصص فدلهم على أحسن القصص"[3].

ثانياً : مناسبة السورة لما قبلها :

نزلت سورة يوسف عليه السلام بعد سورة هود عليه السلام، وهي سورة تتحدث عن قصص الأنبياء وأقوامهم حيث التسلية للرسول ﷺ وأصحابه، ودعوتهم للصبر مع ما يلاقونه من قومهم.

يقول الألوسي : "ووجه مناسبتها للتي قبلها اشتمالها على شرح ما قاساه بعض الأنبياء عليهم السلام من الأقارب"[4]، ويقول الزحيلي : وقد "نزلت هذه السورة بعد سورة هود، وهي مناسبة لها، لما في كل من قصص الأنبياء، وإثبات الوحي على النبي ﷺ"[5]، قال تعالى: ﴿**وَكُلًّا نَّقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنبَاءِ الرُّسُلِ مَا نُثَبِّتُ بِهِ فُؤَادَكَ وَجَاءَكَ فِي هَـذِهِ الْحَقُّ وَمَوْعِظَةٌ وَذِكْرَى لِلْمُؤْمِنِينَ**﴾ (هود : 120).

---

(1) أسباب النزل : للإمام أبي الحسن علي بن أحمد الواحدي، ص 208، تحقيق أيمن شعبان، دار الحديث، القاهرة، 1424هـ–2003م.

وانظر التفسير الكبير : للإمام الرازي 85/17، الطبعة الثانية، دار الكتب العلمية، لبنان.

والجامع لأحكام القرآن : لأبي عبد الله محمد القرطبي 118/9، تحقيق : أبو إسحاق إبراهيم اطفيش، الطبعة الثانية، شعبان 1376هـ–مارس 1957م، دون ذكر دار الطباعة.

ولباب النقول في أسباب النزول : للإمام السيوطي، ص 195، تحقيق د. محمد تامر، دار العنان، الطبعة الأولى، بدون ذكر تاريخ.

(2) مللته ومللت منه مللاً من باب تعب ومَلالة : سئمت وضجرت، والملة : الحفرة التي تحفر للخبز، والفاعل ملول. (انظر المصباح المنير : للعلامة : أحمد المقرئ، ص 344، كتاب الميم، دار الحديث، القاهرة، الطبعة الأولى، 1421هـ–2000م.

(3) تفسير القرآن العظيم : للإمام إسماعيل بن كثير 468/2.

(4) روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني : العلامة شهاب الدين السيد محمود الألوسي البغداد، 362/6، دار الكتب العلمية، الطبعة الأولى، 1415هـ–1994م.

(5) التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج : وهبة الزحيلي، 516/6، دار الفكر بدمشق، الطبعة الثانية، 1424هـ–2003م.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

ويقول سيد قطب[1] رحمه الله : "هذه السورة مكية، نزلت بعد سورة هود ..... بين عام[2] الحزن بموت أبي طالب وخديجة سندي رسول الله ﷺ وبين بيعة العقبة الأولى ثم الثانية التي جعل الله فيهما لرسول الله ﷺ وللعصبة المسلمة معه وللدعوة الإسلامية، فرجاً ومخرجاً بالهجرة إلى المدينة .. وعلى هذا فالسورة واحدة من السور التي نزلت في تلك الفترة الحرجة في تاريخ الدعوة، وفي حياة الرسول ﷺ، والعصبة المسلمة معه في مكة"[3].

وترى الباحثة أن سورة يوسف عليه السلام من أكثر السور تخفيفاً عن رسول الله ﷺ وذلك لوجود العلاقة المتينة بين حال رسولنا الحبيب – محمد – ﷺ وحال سيدنا يوسف عليه السلام، فالحبيب في مكة يواجه من الآلام والمحن والصعوبات الكثير، لمَ لا؟ وهو من أولي العزم من الرسل، فقص عليه ربنا عز وجل قصة نبي الله يوسف عليه السلام التي تماثلها في الآلام والمحن والأحزان، فهذا مما يجعل له الوقع الكبير، المؤثر، والدواء الشافي لقلب الرسول العظيم محمد ﷺ، وذلك عندما يرى ما آل إليه سيدنا يوسف عليه السلام من التمكين له في الأرض بعد تلك المحن والابتلاءات المتلاحقة، وكأن الله عز وجل يقول لسيدنا محمد ﷺ أنك في حفظه ورعايته كما كان غيرك من الأنبياء، حتى ترتفع راية التوحيد ويُمكن لك في الأرض كما مكَّن الله ليوسف عليه السلام. قال تعالى : **﴿لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِأُولِي الْأَلْبَابِ مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَى وَلَكِن تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ كُلَّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾** (يوسف : 111).

ثالثاً : تسميتها :

سميت سورة يوسف عليه السلام بهذا الاسم لإيراد قصة سيدنا يوسف عليه السلام [4]، كما سماها الله تعالى بأحسن القصص فقال : **﴿نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ﴾** (يوسف : 3).

---

(1) هو سيد بن قطب بن إبراهيم : مفكر إسلامي مصري من مواليد قرية "موشا" في أسيوط، تخرج بكلية دار العلوم بالقاهرة سنة 1353هـ–1934م. وعمل في عدة مجلات، وعُين مدرساً للعربية ثم موظفاً في ديوان وزارة المعارف، ثم مراقباً فنياً للوزارة، أرسل ببعثة إلى أمريكا ولما عاد منها انتقد التعليم في بلده : بأن برامجه من وضع الإنجليز، انضم للإخوان المسلمين وقد ألف كتب عديدة، منها : كتابه المشهور معالم في الطريق، وتفسير الظلال، وقد حكم عليه بالإعدام في 29 أغسطس 1966م رحمه الله رحمة واسعة . (انظر الأعلام : للزركلي، 147/3).

(2) لم أجد دليل من الكتاب أو السنة الشريفة أو كتب السيرة القديمة المعتمدة ما يدل على أن الرسول صلى الله عليه وسلم سمى هذا العام بعام الحزن.

(3) في ظلال القرآن : سيد قطب، 1949/4، دار الشروق، الطبعة الثانية عشرة، 1406هـ–1986م.

(4) انظر التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج : وهبة الزحيلي، 515/6.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

وقد اختلف العلماء في سبب تسميتها بأحسن القصص:

فقيل : لأنه ليست في القرآن قصة تحتوي على العبر والحكم كما احتوت عليه قصة سيدنا يوسف عليه السلام .

وقيل : سميت بذلك لحسن مجاوزة يوسف عليه السلام عن إخوته وعفوه عنهم.

وقيل : لأنه ذُكر فيها الأنبياء والصالحين والأنعام والطير، وسير الملوك والممالك، والرجال والنساء ومكرهن، وذكر فيها الفقه والتوحيد وتعبير الرؤيا والسياسة، وتدبير الأموال والكثير من أمور الدنيا والآخرة.

وقيل : إنها سُميت أحسن القصص لأن كل ما فيها كان مآله إلى السعادة[1].

وقيل : إن هذه القصة وصفت بذلك لأنها تتحدث عن شخصية حسنة وهي يوسف عليه السلام فهو حسن في خَلقه وخُلقه وسائر أعماله، وقد شهد له رب العزة بأنه من المحسنين في قوله تعالى: ﴿**وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ**﴾ (يوسف : 22)، وقال أيضاً على لسان صاحبيه في السجن: ﴿**نَبِّئْنَا بِتَأْوِيلِهِ إِنَّا نَرَاكَ مِنَ الْمُحْسِنِينَ**﴾ (يوسف : 36)، وقال عز من قائل : ﴿**نُصِيبُ بِرَحْمَتِنَا مَن نَّشَاء وَلاَ نُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ**﴾ (يوسف : 56)، وقال تعالى على لسان إخوة يوسف عليه السلام : ﴿**فَخُذْ أَحَدَنَا مَكَانَهُ إِنَّا نَرَاكَ مِنَ الْمُحْسِنِينَ**﴾ (يوسف : 78)، وكذلك اعترف يوسف عليه السلام بإحسان الله إليه في قوله تعالى : ﴿**وَقَدْ أَحْسَنَ بِي إِذْ أَخْرَجَنِي مِنَ السِّجْنِ** ...﴾ (يوسف : 100)[2].

والحقيقة أن هذه السورة "فيها من الجمال والوضوح والمعاني والدروس ما تهتز له القلوب وتنخلع لها الألباب"[3]، فكل هذه الأمور تحتويها هذه القصة الرائعة وأكثر، وأهم هذه الأمور وأعظمها أنها جاءت "مطوعة في سردها وطريقة أدائها وخصائصها كلها للقضية الكبرى التي جاء القرآن ليعالجها ويوضحها ويثبتها في القلوب، وهي قضية العقيدة وما يقوم عليها في حياة الناس من روابط ونظم وصلات ..." [4].

كذلك مما تمتاز به هذه السورة أنها تؤثر تأثيراً عجيباً في النفس عند تلاوتها، حيث إنها تزيل الهم والحزن من القلب، وتجعل بدلاً من ذلك الراحة النفسية والطمأنينة القلبية بما تحويه

---

(1) انظر الجامع لأحكام القرآن، 120/9؛ وانظر فتح القدير : محمد بن علي الشوكاني، 5/3، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع دون ذكر رقم الطبعة أو سنة الطباعة.

(2) انظر دروس وعِظات وعبر في سورة يوسف : عبد الرحمن المعلمي، ص 13، دار الإيمان، دار القمة دون ذكر الطبعة.

(3) المرجع السابق، ص 15.

(4) تفسير القرآن الكريم : د. عبد الله شحاتة، 2286/11، دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع، بدون تاريخ.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

من أمور، تدل على قدرة الخالق العظيم الذي يُسيِّر الأمور إلى ما يكون فيه الخير للإنسان المؤمن في جميع أحواله، سواء أكانت في نظره خيراً أم شراً، فهي كما يقول الله عز وجل ﴿**وَعَسَى أَن تَكْرَهُواْ شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ**﴾ (البقرة : 216)، وكما يبشرنا حبيبنا محمد ﷺ في حديثه [عجباً لأمر المؤمن، إن أمره كله خير، وليس ذاك لأحد إلا للمؤمن، إن أصابته سراء شكر فكان خيراً له، وإن أصابته ضراء صبر، فكان خيراً له][(1)].

فهذه السورة "فيها من أنواع التنقلات من حال إلى حال، من محنة إلى محنة، ومن محنة إلى منحة ومنة، ومن ذل إلى عز، ومن أمن إلى خوف وبالعكس، ومن ملك إلى رق وبالعكس، ومن فرقة وشتات إلى انضمام وائتلاف وبالعكس، ومن سرور إلى حزن وبالعكس، ومن رخاء إلى جدب وبالعكس، ومن ضيق إلى سعة وبالعكس، ومن وصول إلى عواقب حميدة، فتبارك من قصها وجعلها عبرة لأولي الألباب"[(2)].

وقصة يوسف عليه السلام من أكثر القصص احتواءً على الحكم والعبر والعظات مما يحتاجه المسلم في أمور دينه ودنياه، فلا يوجد في القرآن مثلها، ولذا فهي أحسن قصة في القرآن على الإطلاق[(3)]. وقد استحقت من الله تبارك وتعالى أن يسميها بأحسن القصص، باحتوائها على درر ثمينة وكنوز عظيمة تظهر لمن قرأها وتمعن فيها وأخلص النية لله تعالى عند تلاوتها.

رابعاً : ما تضمنته سورة يوسف عليه السلام :

لقد ابتدأ الله عز وجل هذه السورة بالحديث عن معجزة سيدنا محمد ﷺ إلى يوم القيامة، ألا وهي القرآن العظيم الذي بين أيدينا، الذي نتعبد بتلاوته آناء الليل وأطراف النهار. قال تعالى: ﴿**الر تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ الْمُبِينِ * إِنَّا أَنزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ**﴾ (يوسف : 1، 2).

كما اشتملت على معانٍ متعددة متميزة حيث "فيها عبرة وعظة، فيها عفة وتماسك واستعلاء من يوسف، وفيها إغراء وكيد من امرأة العزيز ونسوة المدينة، وفيها تنافس الأبناء

---

(1) صحيح مسلم : للإمام أبي الحسين مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري، ص 1144، كتاب الزهد والرقائق، باب المؤمن أمره كله خير، حديث رقم (2999)، طبعة كاملة لونان، منشورات محمد بيضون، دار الكتب العلمية، الطبعة الأولى، 1421هـ-2001م.

(2) قصص الأنبياء : للشيخ عبد الرحمن السعدي، تحقيق وتعليق أبي محمد أشرف بن عبد المقصود، ص 277، 278، مكتبة أضواء السلف، الطبعة الأولى، 1422هـ-2002م.

(3) انظر يوسف عليه السلام عبرة وعظة : عمرو خالد، ص 41، أريج للنشر والتوزيع، الطبعة الأولى، 1424هـ2003م.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

وتحاسدهم إذا كانت أمهاتهم متعددة، وفيها بيان لطف الله وكرمه، فإذا قدّر لإنسان أمراً فلا بد أن يصل إليه مهما اجتمعت الأمة على غير ذلك، وفيها عاقبة التقوى والعفة والاستقامة، فقد جعل الله يوسف على خزائن الأرض، ثم قال يوسف نهاية السورة حين سجد له إخوته تأويلاً لرؤياه ﴿**رَبِّ قَدْ آتَيْتَنِي مِنَ الْمُلْكِ وَعَلَّمْتَنِي مِن تَأْوِيلِ الأَحَادِيثِ فَاطِرَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ أَنتَ وَلِيِّي فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ تَوَفَّنِي مُسْلِمًا وَأَلْحِقْنِي بِالصَّالِحِينَ**﴾ (يوسف : 101)[1].

وهذه السورة تعرض شخصية سيدنا يوسف عليه السلام –وهي الشخصية الرئيسية في القصة– عرضاً تاماً كاملاً في جميع مجالات الحياة وجوانبها، واستجابات تلك الشخصية لتلك الجوانب والمجالات، وتعرض أيضاً الابتلاءات والمحن التي تعرض لها يوسف عليه السلام سواء ابتلاءات الشدة أو ابتلاءات الرخاء، وابتلاءات الفتنة بالشهوة، والفتنة بالسلطان، ويخرج العبد الصالح التقي من كل تلك المحن نقياً، خالصاً، متجرداً، مقبلاً على الله متمسكاً بعقيدته، يدعو ربه أن يثبته ويتوفاه مسلماً، وأن يلحقه بالصالحين من أمثاله ممن سبقوه على التوحيد والإيمان[2].

كما تصور لنا سورة يوسف شخصية سيدنا يعقوب عليه السلام وهو أب محب لأولاده ، حريص على الخير لهم، وتقديم النصح والإرشاد في الوقت الذي يحتاجون فيه إلى ذلك، ويظهر ذلك في قوله تعالى : ﴿**وَقَالَ يَا بَنِيَّ لاَ تَدْخُلُواْ مِن بَابٍ وَاحِدٍ وَادْخُلُواْ مِنْ أَبْوَابٍ مُّتَفَرِّقَةٍ وَمَا أُغْنِي عَنكُم مِّنَ اللّهِ مِن شَيْءٍ ...**﴾ (يوسف : 67). كذلك من قوله تعالى : ﴿**يَا بَنِيَّ اذْهَبُواْ فَتَحَسَّسُواْ مِن يُوسُفَ وَأَخِيهِ وَلاَ تَيْأَسُواْ مِن رَّوْحِ اللّهِ إِنَّهُ لاَ يَيْأَسُ مِن رَّوْحِ اللّهِ إِلاَّ الْقَوْمُ الْكَافِرُونَ**﴾ (يوسف : 87).

كما أنها تظهر لنا قوة شخصيته وتوكله على الله وحسن صلته به سبحانه وتعالى وصبره الجميل خاصة عند وقوعه في الشدائد والمحن. قال تعالى على لسان يعقوب عليه السلام: ﴿**فَصَبْرٌ جَمِيلٌ وَاللّهُ الْمُسْتَعَانُ عَلَى مَا تَصِفُونَ**﴾ (يوسف : 18). وفي موقف آخر قال تعالى: ﴿**فَصَبْرٌ جَمِيلٌ عَسَى اللّهُ أَن يَأْتِيَنِي بِهِمْ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ**﴾ (يوسف :83).

"فالقدر يسير بأمر الله، لكن البشر يتناسون هذه الحقيقة البدهية، فإذا بقصة يوسف تضرب بمطرقة من حديد على هذه النقطة لتوقظها في النفوس من جديد، فالبشر في هذه القصة يكيدون ويدبرون، ويمكرون، مرة لقتل يوسف، ومرة لسجنه، تتحرك إرادتهم مغترة كأنها تفعل ما تريد، إلا أنهم في النهاية لا يجدون أنفسهم إلا داخل القدرة الإلهية، والتدبير الرباني، فقد فعلوا ما أراده الله دون دراية منهم أو علم، حتى صاروا أدوات داخل مضمار القدرة الإلهية.."[3].

---

(1) تفسير القرآن الكريم : د. عبد الله شحاتة، 2293/11.

(2) انظر في ظلال القرآن : سيد قطب، 1951/4، 1952.

(3) صحيح قصص القرآن : حامد البسيوني، ص 210، دار الحديث، القاهرة، 1426هـ–2005م.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

وهذه السورة تحمل في طياتها بشرى عظيمة، ألا وهي بشارة النصر والتمكين لهذه الأمة المحمدية إن حملت في قلبها الإيمان وتمسكت بعقيدتها والقرآن.

وأخيراً فإن هذه السورة مدرسة كاملة بكل ما تحمل هذه الكلمة من معنى، بحيث لا نستطيع حصر كل ما فيها من خير، حيث إنها "غنية جداً بالدروس التربوية والاجتماعية والروحية والتشريعية والاقتصادية والسياسية والدعوية"[1].

المطلب الثاني : تعريف (العقيدة – الإيمان) :

أولاً : العقيدة :

- العقيدة لغة :

عقدت الحبل عقداً فانعقد فهو معقود وكذلك العهد والعقدة : ما يمسكه ويوثقه، والعقدة : حجم العَقْد، والجمع : عُقَد، وعقدت اليمين وعقّدتها توكيد. وعاقدته عليه : عاهدته، وعقَدَ : بنى عقداً، وعَقَدَ البناء بالجص : ألزقه، وعقدة النكاح : إحكامه، وعقدة اللسان : ما غلظ منه، وجمل عقد : قوي، والعِقد : القلادة، وجمعها : عقود، وعَقَد التاج فوق رأسه وأعْقَده : عصبّه به، وعقد قلبه على الشيء : لزمه، واعتقدت كذا : عَقَدت عليه القلب والضمير حتى قيل : العقيدة : ما يدين الإنسان به، وله عقيدة حسنة : سالمة من الشك[2].

وبذلك يتضح أن العقيدة لغة : هو أخذ الشيء بقوة مع إحكامه وتوثيقه.

ونلاحظ أن لفظة عقيدة لم تأت في القرآن وإنما جاءت :

1- عَقَدَت في قوله تعالى : ﴿**وَالَّذِينَ عَقَدَتْ أَيْمَانُكُمْ فَآتُوهُمْ نَصِيبَهُمْ**﴾ (النساء : 33).

2- عقّدتم في قوله تعالى : ﴿**وَلَـكِن يُؤَاخِذُكُم بِمَا عَقَّدتُّمُ الأَيْمَانَ**﴾ (المائدة : 89).

3- بالعُقود في قوله تعالى : ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ أَوْفُواْ بِالْعُقُودِ**﴾ (المائدة : 1).

4- عُقْدَة في قوله تعالى : ﴿**وَلاَ تَعْزِمُواْ عُقْدَةَ النِّكَاحِ حَتَّىَ يَبْلُغَ الْكِتَابُ أَجَلَهُ**﴾ (البقرة : 235).

5- العُقَد في قوله تعالى : ﴿**وَمِن شَرِّ النَّفَّاثَاتِ فِي الْعُقَدِ**﴾ (الفلق : 4)[3].

وقد جاء معنى (عَقَدت) أي حالفتم وعاهدتم.

---

(1) مدرسة الأنبياء عبر وأضواء : محمد بسام رشدي المزين، ص 121، دار الفكر المعاصر، 1422هـ-2001م.

(2) انظر لسان العرب : لابن منظور، 3030/4، وما بعدها، دار المعارف، دون طبعة أو تاريخ؛ وانظر المصباح المنير : العالم أحمد الفيومي المقرئ، ص 250.

(3) المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم : محمد فؤاد عبد الباقي، ص 574، دار الحديث، القاهرة، الطبعة الأولى، 1417هـ-1996م.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

ومعنى (عقدتم الأيمان) وثقتموها بالقصد والنية.
ومعنى (بالعقود) بالعهود المؤكدة الوثيقة.
ومعنى (عقدة النكاح) عقد الزواج.
و(النفاثات في العقد) معناها النساء السواحر ينفثن (يتفلن) في عقد الخيط حتى يسحرن[1].

بالنظر في تفسير الآيات نجد أن المعنى اللغوي لكلمة (عقيدة) مأخوذ من معنى الآيات.

- **العقيدة اصطلاحاً :**

عرف السفاريني الاعتقاد بأنه "حكم الذهن الجازم، فإن كان موافقاً فهو صحيح وإلا فهو فاسد"[2].

ونلاحظ في تعريف السفاريني أنه يُقسِّم العقيدة إلى قسمين :
العقيدة الصحيحة : وهي عندما يكون حُكم الذهن موافقاً للواقع، وعقيدة فاسدة : وهي تكون عندما يكون حكم الذهن غير موافق للواقع.

أما الزبيدي فقال: "العقيدة : هو ما يدين الإنسان به، واعتقد كذا: عقد عليه قلبه وضميره"[3].

وعرفها الإمام حسن البنا بصيغة الجمع فقال : "العقائد هي الأمور التي يجب أن يصدق بها قلبك وتطمئن إليها نفسك، وتكون يقيناً عندك، لا يمازجه ريب، ولا يخالطه شك"[4].

يتبين مما سبق أن العقيدة : هي الشيء الذي يكمن في أعماق النفس والقلب بحيث يوجه الإنسان للعمل لما يراه حقاً دون ريب أو شك.

وهذه التعريفات تُعرف العقيدة بصفة عامة.

---

(1) قرآن كريم تفسير وبيان مع أسباب النزول للسيوطي : د. محمد حسن الحمصي، ص 83، 122، 106، 38، 604، دار الرشيد، دمشق، بيروت.
(2) لوامع الأنوار البهية : للشيخ محمد بن أحمد السفاريني، 60/1، المكتب الإسلامي، بيروت، الطبعة الثالثة، 1411هـ-1991م.
(3) إتحاف السادة المتقين بشرح إحياء علوم الدين : محمد الحسيني الزبيدي الشهير بمرتضى، 26/2، دار الكتب العربية، بيروت، لبنان 1409هـ-1989م.
(4) العقائد: للإمام الشهيد حسن البنا، ص 5، الاتحاد الإسلامي العالمي للمنظمات الإسلامية 1404هـ-1984م.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

أما العقيدة الإسلامية فهي : "الإيمان الجازم بالله تعالى وما يجب له من التوحيد والطاعة، وبملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر، والقدر وسائر ما ثبت من أمور الغيب والأخبار والقطعيات علمية كانت أو عملية"[1].

وقد عرفها د. نسيم ياسين بأنها "الإيمان الجازم بالله، وما يجب له في ألوهيته وربوبيته، وأسمائه وصفاته، والإيمان بملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر، والقدر خيره وشره، وبكل ما جاءت به النصوص الصحيحة من أصول الدين، وأمور الغيب وأخباره، وما أجمع عليه سلف الأمة، والتسليم لله تعالى في الحكم والأمر والقدر والشرع، ولرسوله ﷺ بالطاعة والتحكيم والاتباع"[2].

وهذا التعريف أكثر شمولاً من التعريف الذي سبقه.

ولفظ العقيدة يتضمن : "التوحيد، والإيمان، والإسلام، والغيبيات، والنبوات، والقدر، والأخبار، وأصول الأحكام القطعية، وسائر أصول الدين، والاعتقاد، ويتبعه الرد على أهل الأهواء والبدع، وسائر الملل والنحل والمذاهب الضالة والموقف منهم"[3].

ولعلم العقيدة أسماء عدة؛ وهي: التوحيد مثل كتاب التوحيد لابن خزيمة، السنة، أصول الدين، الفقه الأكبر مثل كتاب الفقه الأكبر : لأبي حنيفة، الشريعة مثل كتاب الشريعة : للآجري، الإيمان مثل كتاب الإيمان : لابن تيمية[4].

ثانياً : الإيمان :

- الإيمان لغة :

ورد معنى الإيمان أنه "ضد الكفر، والإيمان بمعنى التصديق"[5].

وفي المصباح المنير : "آمنت إيماناً : أسلمت له"[6].

---

(1) مجمل أصول أهل السنة والجماعة في العقيدة : د. ناصر العقل، ص 5، دار الوطن للنشر، الطبعة الأولى، شوال 1411هـ؛ وعلماء العقيدة في الإسلام : أحمد علي حميد، ص 14، دار السلام، الطبعة الأولى، 1424هـ-2003م.

(2) شرح أصول العقيدة الإسلامية : د. نسيم ياسين، ص 4، مكتبة ومطبعة دار المنارة، الطبعة الرابعة، 1425هـ-2005م؛ وانظر وسطية القرآن في العقائد، أركان الإيمان الستة : د. علي محمد الصلابي، ص 18، مكتبة الإيمان بالمنصورة، الطبعة الأولى، 2005م.

(3) صفات رب البرية على العقيدة السلفية : د. علي الصلابي، ص 13، مكتبة الإيمان بالمنصورة، الطبعة الأولى، دون تاريخ.

(4) انظر شرح أصول العقيدة الإسلامية : د. نسيم ياسين، ص 5.

(5) لسان العرب : لابن منظور، 140/1؛ وانظر معجم مقاييس اللغة : لابن فارس، 135/1، دار الجيل، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، 1411هـ-1991م.

(6) المصباح المنير : أحمد الفيومي المقرئ، ص 20.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

وفي القاموس المحيط : "آمن إيماناً : صدقه، والإيمان : الثقة وإظهار الخضوع وقبول الشريعة"[1].

وبذلك يتضح بأن الإيمان لغة : هو التصديق الذي ينتج عنه الاستسلام والخضوع وقبول الشريعة.

- الإيمان اصطلاحاً :

عرفه معظم أهل السنة والجماعة بأنه "تصديق بالجنان، وإقرار باللسان، وعمل بالأركان"[2].

وهذا هو الرأي الصواب الذي يؤيده القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة، وأقوال الصحابة والتابعين.

ومما يؤكد أنه تصديق بالجنان : قوله تعالى : ﴿... **أُوْلَئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الْإِيمَانَ** ...﴾ (المجادلة : 22)، فالله عز وجل جعل القلوب محلاً للإيمان.

ومن السنة النبوية قوله ﷺ : [يا معشر من آمن بلسانه ولم يدخل الإيمان قلبه ...][3].

ويدل على أنه قول باللسان : قوله تعالى : ﴿**قُولُواْ آمَنَّا بِاللّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنزِلَ إِلَى إِبْرَاهِيمَ** ...﴾ (البقرة : 36).

ومن السنة النبوية قوله ﷺ : [أمرت أن أقاتل الناس، حتى يقولوا : لا إله إلا الله، فإذا قالوا لا إله إلا الله عصموا مني دمائهم وأموالهم إلا بحقها][4].

ويؤكد أنه عمل بالأركان : قوله تعالى : ﴿**إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أُوْلَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ**﴾ (الحجرات : 15).

---

(1) القاموس المحيط : مجد الدين الفيروز أبادي، 199/4، دار الجيل، بيروت، دون ذكر الطبعة أو التاريخ.

(2) شرح العقيدة الطحاوية : حققها وراجعها جماعة من العلماء، خرج أحاديثها محمد ناصر الدين الألباني، ص 332، المكتب الإسلامي، الطبعة الثامنة، 1404هـ-1984م.

(3) قال عنه الألباني (حسن صحيح)، سنن أبي داود : لأبي داود السجستاني، ص 731، كتاب الأدب، باب في الغيبة، حديث رقم 4880، حكم على أحاديثه وآثاره وعلق عليه محمد ناصر الدين الألباني، الطبعة الأولى، دون تاريخ.

(4) صحيح مسلم : للإمام مسلم بن الحجاج، ص 34، كتاب الإيمان، باب الأمر بقتال الناس حتى يقولوا : لا إله إلا الله، حديث رقم (21).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

ومن السنة النبوية قوله ﷺ : [الإيمان بضع وسبعون شعبة أو بعض وستون شعبة، فأفضلها قول لا إله إلا الله، وأدناها إماطة الأذى عن الطريق، والحياء شعبة من الإيمان][1].[2]

ومن أقوال الصحابة : قول علي بن أبي طالب وعبد الله بن مسعود رضي الله عنهما : "لا ينفع قول إلا بعمل، ولا عمل إلا بقول، ولا قول وعمل إلا بنية، ولا نية إلا بسنة"[3].

ومن أقوال التابعين : قول ابن القيم رحمه الله عن الإيمان بأنه "حقيقة مركبة من معرفة ما جاء به الرسول ﷺ علماً والتصديق به عقداً، والإقرار به نطقاً، والانقياد له محبة وخضوعاً، والعمل به باطناً وظاهراً ..." [4].

والآيات والأحاديث والأقوال الدالة على صحة تعريف أهل السنة والجماعة للإيمان كثيرة لا يمكن حصرها وهي تدحض التعريفات الأخرى المخالفة.

أما من اختلف مع أهل السنة والجماعة في تعريفهم فنذكر على سبيل المثال :

1- أبو حنيفة : فقد عرف الإيمان "أنه الإقرار باللسان والتصديق بالجنان"[5]. وهذا التعريف للإمام أبي حنيفة اختاره الطحاوي لنفسه وقد وافقهم في التعريف الجرجاني في كتابه التعريفات[6]. إلا

---

(1) صحيح مسلم : للإمام مسلم بن الحجاج، ص 39، كتاب الإيمان، باب بيان عدد شعب الإيمان وأفضلها وأدناها وفضيلة الحياء وكونه من الإيمان، حديث رقم (35).

(2) انظر شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة : للإمام أبي القاسم هبة الله اللالكائي، 535/1، تحقيق الأستاذ سيد عمران، دار الحديث، القاهرة، 1425هـ-2004م؛
وانظر الشريعة : للإمام أبي بكر محمد الآجري، ص 119، 120، تحقيق : محمد الفقي، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، 1403هـ-1983م.
وانظر مختصر لوامع الأنوار البهية وسواطع الأسرار الأثرية : محمد سلوم، حققه وضبطه : محمد النجار، دار الكتب العلمية، بيروت.
وانظر : لمعة الاعتقاد : لابن قدامة المقدسي، ص 27، 28، المكتب الإسلامي، الطبعة الرابعة، 1395هـ.
وانظر أفعال العباد بين الجبر والاختيار دراسة تحليلية في العقيدة الإسلامية، رسالة دكتوراه، د. محمد بخيت، ص 4 وما بعدها، 1417هـ-1996م.

(3) الشريعة : للإمام أبي بكر محمد الآجري، ص 131.

(4) الفوائد : للإمام ابن قيم الجوزية، ص 129، تحقيق : طه سعد، دار إحياء الكتب العلمية، فيصل عيسى الحلبي، دون طبعة أو تاريخ.

(5) شرح العقيدة الطحاوية، ص 333.

(6) انظر التعريفات : للجرجاني، تحقيق : نصر الدين التونسي، ص 75، باب الألف، شركة القدس للتصدير، الطبعة الأولى، 2007م؛ وانظر التبيان شرح أركان الإيمان : د. سعد عاشور، ص 45، مكتبة المنارة، الطبعة الأولى، 1426هـ-2006م.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

أن شارح العقيدة الطحاوية يقول : "إن الاختلاف الذي بين أبي حنيفة والأئمة الباقين من أهل السنة – اختلاف صوري، فإن كون أعمال الجوارح لازمة لإيمان القلب، أو جزءاً من الإيمان مع الاتفاق على أن مرتكب الكبيرة لا يخرج من الإيمان، بل هو في مشيئة الله، إن شاء عذبه، وإن شاء عفا عنه – نزاع لفظي، لا يترتب عليه فساد اعتقاد"[1].

2- أبو منصور الماتريدي : "أن النطق باللسان ركن زائد ليس بأصلي"[2].

3- الكرامية : عرفوا الإيمان بأنه إقرار باللسان وحده دون باقي الأمور الأخرى. وهذا رأي فاسد وذلك لأنه حسب هذا التعريف يكون المنافق مؤمن كامل الإيمان مع قولهم بأنه يستحق الوعيد[3].

4- الجهمية : عرفت الإيمان بأنه معرفة القلب فقط. وهذا القول أيضاً فاسد، لأن المعرفة وحدها لا تكفي بجعل الإنسان مؤمناً حق الإيمان، فقد كان اليهود والنصارى يعرفون صفات الرسول ﷺ ولكنهم لم يؤمنوا به، بل ظلوا على كفرهم. وكذلك فرعون كان يعرف صدق موسى وهارون عليهما السلام ولكنه لم يؤمن، قال تعالى حكاية عن موسى: ﴿**لَقَدْ عَلِمْتَ مَا أَنزَلَ هَـؤُلاء إِلاَّ رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ بَصَآئِرَ**﴾ (الإسراء: 102). وقال تعالى: ﴿**وَجَحَدُوا بِهَا وَاسْتَيْقَنَتْهَا أَنفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُفْسِدِينَ**﴾ (النمل : 14). وحسب قولهم يكون إبليس في نظرهم مؤمن كامل الإيمان لأنه لم يجهل ربه، حيث يقول الله حكاية عنه : ﴿**قَالَ رَبِّ فَأَنظِرْنِي إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ**﴾ (الحجر : 36)، وفي آية أخرى : ﴿**قَالَ فَبِعِزَّتِكَ لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ**﴾ (ص : 82).[4]

وهناك تعريفات أخرى مُخالفة لتعريف أهل السنة والجماعة، لا أريد الخوض فيها حيث المجال لا يكفي لذلك.

---

(1) شرح العقيدة الطحاوية، ص 333؛ وانظر مختصر لوامع الأنوار البهية وسواطع الأسرار الأثرية : محمد سلوم، ص 274.

(2) شرح العقيدة الطحاوية، ص 333.

(3) انظر المصدر السابق، ص 332؛ وانظر الشريعة : للآجري، ص 143.

(4) انظر شرح العقيدة الطحاوية، ص 332؛ وكتاب أصول الدين : للأستاذ أبي منصور عبد القاهر البغدادي، ص 249، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، الطبعة الثالثة، 1401هـ-1981م.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

المطلب الثالث : البناء غاياته ووسائله – الهدم غاياته ووسائله :

أولاً : البناء غاياته ووسائله :

وقبل الحديث عن غايات البناء ووسائله لا بد من بيانه من الناحية اللغوية والاصطلاحية.

1- البناء لغة :

ورد في لسان العرب : البناء المبني والجمع أبنية، وأبنيات جمع الجمع، والبنّاء : مُـدَبّرُ البنيان وصانعه، والبنيان : الحائط، والبَنِّية : الكعبة المشرفة[1].

وفي المصباح المنير : وبنيت البيت وغيره أبنية وابتنيته فابتنى، والبنيان : مـا يُبنـى، والبنية : الهيئة التي بني عليها[2].

وفي مختار الصحاح " وفلان صحيح (البِنْية) أي الفطرة"[3].

2- البناء اصطلاحاً (أقصد في بحثي هذا ببناء الشخصية) :

"هو تربية النفس على القيام بأعمال تقرب إلى الله مع ترك الأعمال التـي يخـاف مـن تأثيرها السلبي على النفس والدين"[4].

أي أن يربي المسلم نفسه بالقيام بالطاعات وترك المنكرات.

والبناء "يعني العمل والعطاء والمثابرة والجد والتطوير والتحـسين والخلـق والإبـداع والنمو والارتقاء والتشييد والعلو، وهو التأسيس والسمو والتعزيز"[5].

وباختصار يمكن تعريف البناء : بأنه اتخاذ جميع الوسائل الممكنة للارتقـاء والنهـوض بالفرد والمجتمع بحيث يصبح في النهاية صالحاً في نفسه، مصلحاً لغيره مرضـياً لربـه. قـال تعالى : ﴿**أَفَمَنْ أَسَّسَ بُنْيَانَهُ عَلَى تَقْوَى مِنَ اللّهِ وَرِضْوَانٍ خَيْرٌ أَم مَّنْ أَسَّسَ بُنْيَانَهُ عَلَـى شَـفَا جُرُفٍ هَارٍ فَانْهَارَ بِهِ فِي نَارِ جَهَنَّمَ وَاللّهُ لاَ يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ**﴾ (التوبة : 109).

---

(1) انظر لسان العرب : لابن منظور، 366/1.

(2) انظر المصباح المنير، ص 43، كتاب الباء.

(3) مختار الصحاح : محمد أبي بكر الرازي، ص 66، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، طبعة حديثة منقحـة 1403هـ-1983م.

(4) تلخيص شريط بناء النفس للشيخ عبد الرحمن العابد تلخيص عبد الله الجوبرة 1428/4/28هـ www.saaid.net.

(5) موقع سبلة العرب www.omania2.net.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

3- غايات البناء :

أولاً : رضا الله سبحانه : فهي غاية شاملة لكل الغايات، لقوله تعالى حكاية عن موسى عليه السلام: ﴿**وَعَجِلْتُ إِلَيْكَ رَبِّ لِتَرْضَى**﴾ (طه: 84)، وقال تعالى حكاية عن سليمان بن داوود عليهما السلام: ﴿**وَقَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَى وَالِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ وَأَدْخِلْنِي بِرَحْمَتِكَ فِي عِبَادِكَ الصَّالِحِينَ**﴾ (النمل: 19)، وقوله تعالى: ﴿**وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُم بِإِحْسَانٍ رَّضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُواْ عَنْهُ**﴾ (التوبة: 100).

فأهل الحق دائماً يرجون من أعمالهم الصالحة، رضا الله تعالى لكي يحل عليهم رضوانه وينالون جنة عرضها السماوات والأرض، ففي الحديث الذي يرويه أبي سعيد الخدري رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال : [إن الله يقول لأهل الجنة : يا أهل الجنة، فيقولون : لبيك ربنا وسعديك والخير في يديك، فيقول : هل رضيتم؟ فيقولون : وما لنا لا نرضى يا رب وقد أعطيتنا ما لم تعط أحداً من خلقك ؟ فيقول : ألا أعطيكم أفضل من ذلك؟ فيقولون : يا رب وأي شيء أفضل من ذلك ؟ فيقول : أحل عليكم رضواني، فلا أسخط عليكم بعده أبداً][1].

وحرص الإنسان المؤمن على رضا الله يجعله مطمئن القلب، هادئ النفس، يشعر بالسعادة والراحة النفسية في حياته الدنيوية[2].

وتتفرع عن هذه الغاية الكبرى عدة غايات أهمها :

1- **تبليغ رسالات الله تعالى إلى الناس** : وهذه هي مهمة الأنبياء والرسل. قال تعالى حكاية عن نوح عليه السلام : ﴿**أُبَلِّغُكُمْ رِسَالَاتِ رَبِّي وَأَنصَحُ لَكُمْ**﴾ (الأعراف : 62)، وقال تعالى : ﴿**فَهَلْ عَلَى الرُّسُلِ إِلاَّ الْبَلاغُ الْمُبِينُ**﴾ (النحل: 35). وإذا كانت هذه المهمة مهمة الرسل فإنها بلا شك هي مهمة أتباعهم وخاصة أتباع سيدنا محمد ﷺ، حيث إنه خاتم الأنبياء والمرسلين، قال تعالى : ﴿**قُلْ هَـذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَاْ وَمَنِ اتَّبَعَنِي...**﴾ (يوسف : 108).

2- **إقامة الحجة على الناس** : وهذه الغاية ملازمة للغاية التي قبلها. قال تعالى: ﴿**رُّسُلاً مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلاَّ يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ وَكَانَ اللّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا**﴾ (النساء: 165). فواجب أهل الحق بيان الحق من الباطل للناس حتى لا يبقى لهم حجة أمام الله يوم القيامة.

3- **إخراج الناس من الظلمات إلى النور** : وهذه هي مهمة الرسل وأتباعهم، حيث يُخرجون الناس من ظلمات الكفر والجهل بخالقهم وما ينبغي عليهم فعله من عبوديتهم لله حتى يسعدوا

---

(1) صحيح مسلم، ص 1088، كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها، باب إحلال الرضوان على أهل الجنة فلا يسخط عليهم أبداً، حديث رقم (2829).

(2) انظر غايات البناء والهدم : الأستاذ الدكتور عبد الله الأهدل، 53/1، دار ابن حزم، الطبعة الأولى، 1425هـ-2005م.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

بالإيمان بالله وعبوديتهم له سبحانه وتعالى. قال تعالى : ﴿**وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالإِنسَ إِلا لِيَعْبُدُونِ**﴾ (الذاريات : 56). وقال تعالى : ﴿**أَوَ مَن كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَاهُ وَجَعَلْنَا لَهُ نُورًا يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ كَمَن مَّثَلُهُ فِي الظُّلُمَاتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِّنْهَا كَذَلِكَ زُيِّنَ لِلْكَافِرِينَ مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ**﴾ (الأنعام : 122).

4- **تحقيق توحيد الله تعالى في الأرض وعدم الإشراك به** : ولا يصل الإنسان إلى رضا الله إلا بتوحيده سبحانه وتعالى في أسمائه وصفاته وربوبيته وألوهيته وبذلك تتحقق الحرية الحقة للإنسان فلا يكون عبداً ذليلاً لأحد من البشر.

5- **غرس الإيمان بالغيب في النفوس** : فالإيمان بالله يجعل الإنسان يراقب الله في كل صغيرة وكبيرة من أعماله، وهي من صفات المتقين. قال تعالى: ﴿**الم* ذَلِكَ الْكِتَابُ لاَ رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ * الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ الصَّلاَةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ**﴾ (البقرة: 1-3).

6- **تحكيم شرع الله في حياة الناس** : فالإسلام كل لا يقبل التجزئة، فالإنسان الذي ارتضى بالله رباً وبالإسلام ديناً وبمحمد رسولاً ونبياً، ينبغي عليه أن يُحكِّم شرع الله في كل جزئية من جزئيات الحياة، وذلك لقوله تعالى : ﴿**فَلاَ وَرَبِّكَ لاَ يُؤْمِنُونَ حَتَّىَ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لاَ يَجِدُواْ فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُواْ تَسْلِيمًا**﴾ (النساء : 65).

7- **تثبيت الولاء لله ولرسوله وللمؤمنين والبراء من الكافرين** : لقوله تعالى : ﴿**إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُواْ الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلاَةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ * وَمَن يَتَوَلَّ اللّهَ وَرَسُولَهُ وَالَّذِينَ آمَنُواْ فَإِنَّ حِزْبَ اللّهِ هُمُ الْغَالِبُونَ**﴾ (المائدة : 55-56).

8- **غرس الأخلاق الفاضلة في النفوس** : وذلك بجعل شخصية الرسول ﷺ هي القدوة، فالله عز وجل يقول : ﴿**لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا**﴾ (الأحزاب : 21)[1].

أيضاً من غايات البناء ما يلي :

ثانياً : تكوين الإنسان الصالح في نفسه المصلح لغيره.

ثالثاً : إيجاد الخليفة على ظهر الأرض. قال تعالى: ﴿**هُوَ الَّذِي جَعَلَكُمْ خَلاَئِفَ الأَرْضِ**﴾ (الأنعام: 165).

رابعاً : تكوين الشخصية الإسلامية المتوازنة (إيمانياً وروحياً وعقلياً ونفسياً وجسمياً).

خامساً : بناء الأمة المجاهدة : وذلك ليتحقق التمكين لدين الله[2].

سادساً : الاعتزاز بالله تعالى واتخاذ وسائل العزة[3].

---

(1) انظر غايات البناء والهدم : عبد الله الأهدل، 59/1 وما بعدها.

(2) انظر الأسلوب التربوي للدعوة إلى الله في العصر الحاضر : خالد الخياط، ص 34 وما بعدها، دار المجتمع للنشر والتوزيع، الطبعة الأولى، 1412هـ-1991م.

(3) انظر غايات البناء والهدم : د. عبد الله الأهدل، 97/2.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

وبذلك نجد أن غايات البناء كثيرة ومتعددة تحتاج للهمم العالية، والجهود المتكاثفة، وذلك لكي تحيا الأمة من جديد وتصحو لكي تحقق النصر الأكيد.

4- وسائل البناء :

لبناء الشخصية المسلمة وسائل لا بد لنا من معرفتها لكي نرقى بذواتنا وتتحقق لنا الخلافة في الأرض والعزة والتمكين، وهذه الوسائل هي :

1- **التربية** : وتكون منذ الصغر على العقيدة الإسلامية الصحيحة، وفي الكبر بالانخلاع من الجاهلية وتحقيق العبودية لقوله تعالى : ﴿**وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولاً أَنِ اعْبُدُواْ اللّهَ وَاجْتَنِبُواْ الطَّاغُوتَ**﴾ (النحل : 36).

كذلك بالالتزام المنضبط والثابت بالإسلام ومقتضياته، قال تعالى : ﴿**هُوَ سَمَّاكُمُ الْمُسْلِمِينَ مِن قَبْلُ**﴾ (الحج : 78)، وجَعْل نمو الشخصية تجاه الله سبحانه وتعالى[1].

2- **العلم** : فينبغي للمسلم أن يسعى للعلم لحاجته الماسة لذلك، وذلك حتى لا تنحرف الشخصية المسلمة ولا تزل زللاً فكرياً أو نظرياً أو عملياً فالله عز وجل يقول : ﴿**وَقُل رَّبِّ زِدْنِي عِلْمًا**﴾ (طه : 114)، وقال تعالى : ﴿**يَرْفَعِ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ**﴾ (المجادلة: 11)، وقوله ﷺ: [من يرد الله به خيراً يفقهه في الدين][2]، ويؤكد الإمام أحمد بن حنبل رحمه الله بأن حاجة الإنسان للعلم أكثر من حاجته للطعام والشراب[3].

3- **المداومة على الأعمال الصالحة والقيام بالطاعات والعبادات** : فكل عبادة لها وظيفتها ودورها في بناء الشخصية المسلمة، ولا تغني عبادة عن أخرى، كذلك فإن العبادات وسيلة للارتقاء بالإنسان وحمايته من غوائل الشيطان وتثبيته على طريق الحق والإيمان، والسبب في ذلك لأن العبادات هي التطبيق العملي للعقيدة، حيث تجعل الإنسان المسلم موصولاً بربه لا ينبعث منه إلا الخير ولا ينبض من قلبه إلا الإيمان[4].

---

(1) انظر الأهداف الرئيسية للدعاة إلى الله : إصدار لجنة البحوث في مكتبة دار الدعوة بإشراف أحمد القطان، جاسم بن مهلهل، ص 100-103، دار الدعوة، الكويت، الطبعة الأولى، 1409هـ-1989م؛ وانظر وسائل البناء : د. عبد الله الأهدل، ص 11، دار ابن حزم، الطبعة الأولى، 1425هـ-2005م.

(2) صحيح مسلم، ص 371، كتاب الزكاة، باب النهي عن المسألة، حديث رقم (1037).

(3) انظر الأهداف الرئيسية للدعاة إلى الله : إشراف أحمد القطان، جاسم بن مهلهل، ص 106.

(4) انظر مقال لعلكم تتقون: عمر عبيد حسنة Compright@2007, www.islamicfinder.org, all rights reserved 1428/4/20هـ؛ وانظر مقال : بدءاً بالطفولة كيف نبني الشخصية المتوازنة للإنسان المسلم : زكية حسين 1428/4/20هـ www.itf.org.ir/arabic/altahirah/.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

4- **التعليم** : وقد حث عليه إسلامنا العظيم، قال ﷺ : [خيركم من تعلم القرآن وعلمه][1]. والتعليم من "أكثر الوسائل تأثيراً وثباتاً في السباق إلى العقول، لأنها تقوم على أسس مدروسة ومناهج هادفة، ومواد مختارة، وكتب معدة، ومعلمين مدربين"[2].

5- **الموعظة** : وهي من الوسائل المؤثرة في قلوب وعقول من تُوجه إليهم، وخاصة إذا كانت بليغة خارجة من القلب، فما خرج من القلب فهو يصل إلى القلب. قال تعالى : ﴿**وَعِظْهُمْ وَقُل لَّهُمْ فِي أَنفُسِهِمْ قَوْلاً بَلِيغًا**﴾ (النساء : 63).

6- **الجدال بالتي هي أحسن** : قد يضطر أهل الحق لجدال أهل الباطل وذلك بالحجج والبراهين لمحاولة جذبهم للحق وإبعادهم عن باطلهم، وكل هذا يكون بالحسنى لقوله تعالى: ﴿**وَجَادِلْهُم بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ**﴾ (النحل : 125)[3].

7- **العمل** : فهو الذي يصقل الشخصية المسلمة، ويجعلها تشارك في عمارة الكون وازدهار الحياة، سواء أكان عملاً دنيوياً أو أخروياً، وقد حثنا الله عز وجل في كتابه العزيز على العمل، فقال تعالى: ﴿**إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ**﴾ (البروج : 11)[4].

والذي يتلو القرآن دائماً يجد الكثير من الآيات التي يقترن فيها الإيمان بالعمل، وهذا إن دل، فإنما يدل على أن ديننا هو قول واعتقاد وعمل.

8- **الجهاد في سبيل الله** : إن ذروة سنام الإسلام الجهاد في سبيل الله، فهو الخط الأصيل الذي يرفع الشخصية المسلمة عن ثقل الأرض وقيود النفس، وينتزع كل ما فيها من كوامن الضعف والفتور والشح والخوف وحب الدنيا والجاه والمنصب واللذة بحيث تسير بكليتها إلى الله، وبذلك يتحصن من ذل التنازل والاستسلام ويزداد إيمانه، وتعلو رايته، وتشرف غايته. قال تعالى : ﴿**إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أُوْلَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ**﴾ (الحجرات : 15)[5].

9- **تلاوة كتاب الله تعالى على الخلق** : وهي من أهم الوسائل التي يسابق بها أهل الحق إلى العقول، وذلك لإفهام الناس مراد الله تعالى منهم في أمره ونهيه، فالله عز وجل يقول حكاية عن سيدنا إبراهيم عليه السلام ﴿**رَبَّنَا وَابْعَثْ فِيهِمْ رَسُولاً مِّنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ**﴾ (البقرة : 129)[6].

---

(1) صحيح البخاري، 1039/3، كتاب فضائل القرآن، باب خيركم من تعلم القرآن وعلمه، حديث رقم (5027).

(2) وسائل البناء : د. عبد الله الأهدل، ص 20.

(3) انظر المرجع السابق : د. عبد الله الأهدل، ص 14، 15.

(4) انظر الأهداف الرئيسية للدعاة إلى الله، ص 106؛ وانظر مقال بدءاً بالطفولة كيف نبني الشخصية المتوازنة للإنسان المسلم ؟ : زكية حسين، ص 2.

(5) انظر الأهداف الرئيسية للدعاة إلى الله : إصدار لجنة البحوث في مكتبة دار الدعوة، ص 110.

(6) انظر وسائل البناء : د. عبد الله الأهدل، ص 12.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

فالقرآن الكريم هو الذي يذكّر المسلم بربه، ويقيه من الوقوع في الفتن، بحيث يظل في حصن حصين ما دام قد تمسك بكتاب ربه العظيم.

10- **المساجد** : فالمسجد له الدور الفعال في حياة الأمة منذ فجر الإسلام العظيم، ولا عجب أن نجد الرسول الحبيب محمد ﷺ يبدأ ببناء المسجد في المدينة المنورة، لأنه بهذا البناء سوف تُبنى أمة بأكملها، فالمسجد هو الأساس المتين لبناء المجد والعزة والكرامة لهذه الأمة في كل زمان ومكان، قال تعالى : ﴿**... لَّمَسْجِدٌ أُسِّسَ عَلَى التَّقْوَى مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ أَحَقُّ أَن تَقُومَ فِيهِ فِيهِ رِجَالٌ يُحِبُّونَ أَن يَتَطَهَّرُواْ وَاللّهُ يُحِبُّ الْمُطَّهِّرِينَ * أَفَمَنْ أَسَّسَ بُنْيَانَهُ عَلَى تَقْوَى مِنَ اللّهِ وَرِضْوَانٍ خَيْرٌ أَم مَّنْ أَسَّسَ بُنْيَانَهُ عَلَىَ شَفَا جُرُفٍ هَارٍ فَانْهَارَ بِهِ فِي نَارِ جَهَنَّمَ وَاللّهُ لاَ يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ**﴾ (التوبة : 108، 109).

11- **الإعلام** : وهو من الوسائل الخطيرة والهامة جداً في وقتنا الحاضر، وقد استغلها أعداء الأمة أكبر استغلال، لذا واجبنا أن نحرص كل الحرص على أن نستغله لصالح الأمة وذلك بوضع مناهج ذات أهداف ووسائل، وهذه المناهج تشمل جميع النواحي العقدية والاجتماعية والسياسية والاقتصادية والعسكرية، كما يجب أن تسخر كل الإمكانات لتحقيق هذا الهدف، حيث إن وسيلة الإعلام من أسرع الوسائل وصولاً إلى عقول الناس وقلوبهم سواء أكان بالحق أو الباطل[1].

إن الوسائل السابقة إن أُحسن استغلالها فإنها سوف تثمر أفضل الثمر في بناء الأمة ونشر أهدافها ودعوتها.

ثانياً : الهدم غاياته ووسائله :

1- الهدم لغة :

ورد في المصباح المنير معنى هدمت البناء هدماً "أي أسقطته فانهدم، والهَدَم: ما تهدّم وسقط"[2].

2- الهدم اصطلاحاً :

هو تربية النفس على النفاق والضلال والسير على غير بصيرة[3]. وذلك لقوله تعالى : ﴿**لاَ يَزَالُ بُنْيَانُهُمُ الَّذِي بَنَوْاْ رِيبَةً فِي قُلُوبِهِمْ إِلاَّ أَن تَقَطَّعَ قُلُوبُهُمْ وَاللّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ**﴾ (التوبة: 110).

إن الهدم : هو السعي بكل الوسائل لإفساد الفرد والمجتمع وجعله مجتمعاً هابطاً في أخلاقه ومعاملاته واقتصاده وكل مجالات حياته، بعيداً عن كل خير، قريباً من كل ذل ومعصية وشر.

---

(1) انظر وسائل البناء : د. عبد الله الأهدل، ص 77 وما بعدها.

(2) المصباح المنير : أحمد المقرئ، ، ص 377، كتاب الهاء.

(3) انظر جامع البيان : للطبري، 41/11-43، ضبط وتوثيق وتخريج صدقي العطار، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، الطبعة الأولى 1421هـ-2001م.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

3- غايات الهدم :

كما أن لأهل الحق غايات، فإن لأهل الباطل غايات، فالصراع بين أهل الحق وأهل الباطل إلى يوم القيامة، فغايات أهل الباطل هي عكس غايات أهل الحق تماماً، وهي :

أ- التمتع المطلق بالحياة الدنيا وكأنها هي الحياة الأبدية : نحن نعلم بأن أهل الحق غايتهم السامية هي رضا الله عز وجل، ولكن أهل الباطل غايتهم إرضاء شهواتهم وأهوائهم، فقد كانت غاية فرعون هو العلو في الأرض بالجاه والمال والمنصب والسلطان، قال تعالى : ﴿**إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلَا فِي الْأَرْضِ وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيَعًا يَسْتَضْعِفُ طَائِفَةً مِّنْهُمْ يُذَبِّحُ أَبْنَاءهُمْ وَيَسْتَحْيِي نِسَاءهُمْ إِنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ**﴾ (القصص : 4).

وكذلك قارون أراد العلو بالمال والترف، قال تعالى : ﴿**إِنَّ قَارُونَ كَانَ مِن قَوْمِ مُوسَى فَبَغَى عَلَيْهِمْ وَآتَيْنَاهُ مِنَ الْكُنُوزِ مَا إِنَّ مَفَاتِحَهُ لَتَنُوءُ بِالْعُصْبَةِ أُولِي الْقُوَّةِ إِذْ قَالَ لَهُ قَوْمُهُ لَا تَفْرَحْ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْفَرِحِينَ* وَابْتَغِ فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الْآخِرَةَ وَلَا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا وَأَحْسِن كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ وَلَا تَبْغِ الْفَسَادَ فِي الْأَرْضِ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ**﴾(القصص:76-77).

فهؤلاء لا يريدون من الدنيا إلا المتعة والتلذذ فقط، ولقد شبههم الله عز وجل بالأنعام، فقال تعالى : ﴿**وَالَّذِينَ كَفَرُوا يَتَمَتَّعُونَ وَيَأْكُلُونَ كَمَا تَأْكُلُ الْأَنْعَامُ وَالنَّارُ مَثْوًى لَّهُمْ**﴾ (محمد : 12)، وهذا لن يغني عنهم شيئاً في الآخرة، قال تعالى : ﴿**لَا يَغُرَّنَّكَ تَقَلُّبُ الَّذِينَ كَفَرُواْ فِي الْبِلَادِ * مَتَاعٌ قَلِيلٌ ثُمَّ مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمِهَادُ**﴾ (آل عمران : 196-197)[1].

ب- الصد عن سبيل الله: وهي الغاية الرئيسية الثانية من غايات الهدم، قال تعالى: ﴿**الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَن سَبِيلِ اللَّهِ أَضَلَّ أَعْمَالَهُمْ**﴾ (محمد : 1).

فأهل الباطل لا يريدون للحق والخير أن ينتشر، ولذلك فهم يحاولون صده ومقاومته بكل الوسائل، ولكن الله عز وجل بقدرته وعظمته يبطل أعمالهم ويُذهبها فلا يحققون ما يريدون من شر وباطل[2].

يقول د. طارق شلبي معلقاً على الآية الأولى من سورة محمد ﴿**الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَن سَبِيلِ اللَّهِ أَضَلَّ أَعْمَالَهُمْ**﴾ : "أما مجيء (أعمال) جمعاً فقد أفاد فداحة العاقبة، فالإضلال قد أصاب الأعمال الكثيرة (صدوا) التي قام بها الكفار"[3].

---

(1) انظر غايات البناء والهدم : د. عبد الله الأهدل، 108/2.

(2) انظر المرجع السابق : د. عبد الله الأهدل، 112/2؛ وانظر مختصر تفسير ابن كثير : للإمام إسماعيل بن كثير، اختصره أحمد بن أحمد، محمد عبد الحليم، 193/3، مكتبة الصفا، الطبعة الأولى، 1424هـ-2003م.

(3) مجلة أفق الثقافية – براعة الاستهلال في سورة محمد : د. طارق سعد شلبي ، التاريخ 1 يوليو 2002؛ الموضوع : أقواس www.ofonq.com/today/modules.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

ت- تكذيب الرسل والكفر بالوحي .

ث- الحول بين الناس وإقامة الحجة عليهم.

ج- إخراج الناس من النور إلى الظلمات.

ح- إحلال الشرك محل التوحيد.

خ- إنكار الإيمان بالغيب.

د- محاربة الحكم بما أنزل الله.

ذ- محاربة الولاء لله ولرسوله وللمؤمنين.

ر- غرس الأخلاق الفاسدة في نفوس الناس.

ز- الإفساد في الأرض. [1]

ومما سبق يتبين أن غاية أهل الباطل هي هدم الشخصية المسلمة التي توحد الله، ولا تسجد إلا له سبحانه وتعالى وذلك بنزع العقيدة الصحيحة من قلبها وروحها بكل ما أوتوا من قوة، ولكنهم خابوا وخسروا فالله عز وجل يقول : ﴿**يُرِيدُونَ لِيُطْفِؤُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَاللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ**﴾ (الصف : 8).

4- وسائل الهدم :

إن وسائل أهل الباطل لإخماد الحق كثيرة جداً، وأخطرها :

أ- **الغزو الفكري** : وهو عبارة عن "تغيير أحوال المسلمين السياسية والثقافية والاجتماعية والاقتصادية عن طريق استعمار القلوب والعقول وتبديل الأفكار والقيم والعقائد فيصبح الغزو فكرياً خاضعاً بشكل تام لقادة الغزو وجنوده"[2].

فالغزو الفكري هو مما تعاني منه معظم البلاد الإسلامية الآن، إن لم تكن جميعها، ومن الأفكار الغربية الوافدة العلمانية والماركسية وغيرها.

ب- **العملاء** : فهم من أكبر وسائل الهدم وأشدها خطورة على الأمة، يقول د. عبد الله ناصح علوان: "أقصد بالعمالة ارتباط فئة من أبناء الوطن في كل بلد إسلامي بالشيوعية الملحدة أو الصليبية الحاقدة أو اليهودية الماكرة، أو المذاهب الاستعمارية المضللة ... وهذه الفئات تنتشر

---

(1) غايات البناء والهدم، 107/2.

(2) واقعنا المعاصر والغزو الفكري : د. صالح الرقب، ص 39، مكتبة الطالب الجامعي، الجامعة الإسلامية، غزة، الطبعة الخامسة، 1423هـ-2003م.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

في العالم الإسلامي هنا وهناك وكل فئة تقوم بدورها في بث مبادئ الكفر والضلال والإلحاد على أرض الإسلام"[1].

فهذه الفئة باعت نفسها للعدو وللشيطان وأصبحت مصالحها مرتبطة ارتباطاً وثيقاً بالعدو، فهي تعيث في الأرض فساداً، ويدعمها العدو لتحقيق مصالحه في تفتيت الأمة ونشر الفتنة والرذيلة وإبعاد المسلمين عن مصدر عزتهم وكرامتهم، وهي تعاليم دينهم وعقيدتهم، وكل ذلك ليتسنى للعدو دوام الاستيلاء على مقدرات الأمة والسيطرة على كل شيء فيه[2]، وهذه الفئة قال عنها ربنا عز وجل : ﴿**إِذَا رَأَيْتَهُمْ تُعْجِبُكَ أَجْسَامُهُمْ وَإِن يَقُولُوا تَسْمَعْ لِقَوْلِهِمْ كَأَنَّهُمْ خُشُبٌ مُّسَنَّدَةٌ يَحْسَبُونَ كُلَّ صَيْحَةٍ عَلَيْهِمْ هُمُ الْعَدُوُّ فَاحْذَرْهُمْ قَاتَلَهُمُ اللَّهُ أَنَّى يُؤْفَكُونَ**﴾ (المنافقون : 4).

ت- **الإعلام** : يقول تعالى في كتابه العزيز : ﴿**أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ اللّهُ مَثَلاً كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي السَّمَاء * تُؤْتِي أُكُلَهَا كُلَّ حِينٍ بِإِذْنِ رَبِّهَا وَيَضْرِبُ اللّهُ الأَمْثَالَ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ * وَمَثَلُ كَلِمَةٍ خَبِيثَةٍ كَشَجَرَةٍ خَبِيثَةٍ اجْتُثَّتْ مِن فَوْقِ الأَرْضِ مَا لَهَا مِن قَرَارٍ**﴾ (إبراهيم : 24-26).

ففي الآيات السابقة ضرب الله مثلاً للكلمة الطيبة بالشجرة الطيبة، وللكلمة الخبيثة بالشجرة الخبيثة، وإننا لو نظرنا إلى الإعلام لوجدناه يعتمد على الكلمة، والتي تكون في أكثر الأحيان موجهة كالخنجر المسموم في صدر الفكر الإسلامي. فالإعلام سلاح ذو حدين، إن استخدم في الحق والبناء آتى ثماره الطيبة التي ترضي الله عز وجل، ولكن إن استخدم في هدم شخصية المسلم، وهدم المجتمعات بصفة عامة، فإنه يكون كالشجرة الخبيثة، وماذا ينتظر من هذه الشجرة الخبيثة إلا السم القاتل للأمة بأكملها، وكما نعلم بأن الصهيونية العالمية هي المسيطرة حالياً على معظم وسائل الإعلام في جميع أنحاء العالم، حيث تستغلها لتحقيق مآرب اليهود حتى يسيطروا على العالم بأسره.

ومن أخطر الوسائل الإعلامية التلفاز ومواقع الإنترنت التي تنشر الرذائل والإباحية والفسوق والعصيان ومساوئ الأخلاق.

كما أن هناك وسائل أخرى كالمجلات النسائية التي تصور المرأة وهي عارية، والمسرح والتمثيل الساقط والغناء الماجن، وكل ذلك يسمى (فن) والفن منه بريء، يقول د. عمارة نجيب عن أجهزة الإعلام بأنها "تبث الغصص في حلوق المؤمنين، وتنتدب لذلك كل جنود الشيطان وأسلحته من إثارة للغرائز وتهييج للشهوات، إلى تمكين للرذائل وأسباب الانحلال حتى أصبح

---

(1) الشباب المسلم في مواجهة التحديات : د. عبد الله علوان، ص 74، دار القلم بدمشق، الطبعة الرابعة، 1423هـ-2002م.

(2) انظر المرجع السابق، ص 75.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

التصفيق للممثلة العارية وللمغنية الفاجرة وللمطرب المخنث، والمتهجم على الدين واللغة العربية، صناعة الأيدي العربية مدعية التحضر، بل صارت الدعوة إلى زرع الموسيقى في قلوب الصغار بديلاً لزرع الدين والإخلاص لله، وصارت بقية أدوات التأثير الأخرى تتبنى منكرات الغرب دون محاسنه"[1].

ث- **التعليم** : وهو من وسائل الهدم التي يستخدمها أهل الباطل لإفساد الأمم في عقائدهم ودينهم، وذلك لسببين[2] :

1- أن عملية التعليم تصحب الإنسان منذ طفولته حتى شيخوخته، فهي مستمرة باستمرار الحياة، فهو الذي يصوغ الطفل الصياغة التي يريدها صاحب قرار التعليم.

2- أن التعليم توضع له مناهج مدروسة لتحقيق أهداف مرادة من تلك المناهج في كل مراحل التعليم، وهذه المناهج عندما يضعها أهل الباطل فهي لا تخدم إلا أهداف أهل الباطل.

يقول د. عبد الله علوان: "وكم سمعنا عن كتب مدرسية وجامعية متداولة عرضت نظرية دارون على أنها حقيقة علمية، ليتخذها أهل الزيغ والضلال ذريعة في التشكيك بالخالق سبحانه علماً بأن العلم قد نقضها وأبطلها وألقاها في سلة المهملات، وكم سمعنا عن كتب الأدب والتاريخ وصمت حجاب المرأة المسلمة على أنه تخلف ورجعية، واتهمت العصور الإسلامية الزاهية عبر التاريخ على أنها عصور إقطاع واستبداد وتسلط"[3].

ويحذر المفكر الإسلامي الكبير أنور الجندي[4] من أخطار ما وُضع في مناهج المسلمين من قِبل أعداء الأمة والتي من نتائجها تخريج أجيال يكمن في أعماق مشاعرها العداء للأديان جميعاً، وطغيان المادية على المشاعر الروحية وإن لم تكن منكرة للعقيدة فإنها مزعزعة في إيمانها بالقيم الربانية[5].

---

(1) مجلة الدعوة صوت الحق والقوة والحرية، ص 41، العدد 22، السنة السابعة والعشرون، غزة ربيع الثاني 1398هـ-1978م.

(2) انظر وسائل الهدم والنتائج : د. عبد الله الأهدل، ص 47 وما بعدها، دار ابن حزم، الطبعة الأولى، 1425هـ-2005م.

(3) الشباب المسلم في مواجهة التحديات : د. عبد الله علوان، ص 165.

(4) أنور الجندي : اسمه الحقيقي "أحمد أنور السيد الجندي"، وأن الاسم الذي يظهر على مؤلفاته هو اسم والده، ولقد ولد هذا المفكر في مدينة "ديروط" محافظة أسيوط بصعيد مصر عام 1335هـ1917م، وسماه والده "أنور" تيمناً بالقائد التركي "أنور باشا" إعجاباً بفروسيته وشجاعته. وقد كانت له كرامات عند موته فرأى الرسول ﷺ قبل خروج روحه بلحظات وكان نائماً على جنبه الأيمن، واضعاً يده اليمنى على اليسرى كهيئة الصلاة وتوفي وهو يصلي. (انظر رسالة ماجستير بعنوان : أنور الجندي وموقفه من الفكر الغربي الوافد، إعداد الطالب : فضل سعيفان، ص 29 وما بعدها، إشراف د. محمد بخيت، 1427هـ-2006م).

(5) انظر الصحوة الإسلامية منطلق الأصالة وإعادة بناء الأمة على طريق الله : أنور الجندي، ص 188، دار الاعتصام، دون طبعة.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

هذه أهم وسائل الهدم كما أعتقد، وهناك وسائل أخرى مهمة أذكرها بإيجاز وهي :

ج- "تزيين الباطل وزخرفته.

ح- الثناء على أهل الباطل وقادته.

خ- تخويف الناس من أهل الحق واستغلال اختلافاتهم.

د- وضع قوانين لنصر الباطل ومحاربة الحق.

ذ- إقامة محاكم ظالمة لحماية الباطل وأهله"[1].

ر- علماء السوء : وهم الذين يُفتون بما يحب الملوك والزعماء لا ما يرضي الله ورسوله، وهم بذلك يكونون من أكبر وسائل الهدم التي تنخر في الأمة كما ينخر السوس في الحب.

ولو تأملنا بما يدور حولنا لوجدنا أن وسائل الهدم قد نالت الكثير من ديننا وعقدتنا، ودخلت في أمور كثيرة غير متوقعة حتى وصلت إلى لباس الأطفال عدا عن النساء، وهذا كله بالتخطيط التام بوسائل مقصودة، بحيث أينما يتجه الإنسان المسلم فإنه إن لم ينتبه يقع فيما يضعه الأعداء ويُحكمون التخطيط له.

المطلب الرابع : الشخصية المسلمة تعريفها – معالمها وعلاقتها بغيرها :

أولاً : تعريف الشخصية :

- الشخصية لغة :

(الشّخص) " سواد الإنسان وغيره تراه من بعيد وجمعه في القلة (أشخص) وفي الكثرة (شخوص) و(أشخاص)"[2]. "وهي مشتقة من الفعل "شخّص" حيث يقال شخّص الشيء أي عينه ظاهرياً وداخلياً، وبالتالي يصبح المقصود من الشخصية : أنها الفرد المعين الذي يشتمل على مميزات خاصة به تميزه عن غيره سواء كانت خارجية أو داخلية"[3].

- الشخصية اصطلاحاً :

وهي "التنظيم الذي يتميز بدرجة من الثبات والاستمرار لخُلق الفرد ومزاجه وعقله وجسمه، والذي يحدد توافقه المميز للبيئة التي يعيش فيها"[4].

---

(1) وسائل الهدم والنتائج : د. عبد الله الأهدل، ص 9، 10 (بتصرف بسيط).

(2) مختار الصحاح: للرازي، ص331، باب الشين؛ وانظر المصباح المنير: أحمد الفيومي ص184، كتاب الشين.

(3) علم النفس بين الشخصية والفكر : كامل عويضة، ص 86، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، 1416هـ-1996م.

(4) علم النفس بين الشخصية والفكر : كامل عويضة، ص 8.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

والشخصية المسلمة : هي الشخصية التي جعلت محمداً ﷺ قدوتها في كل شيء، وهي الشخصية الوحيدة التي توسم بأنها سوية في صفاتها وخصائصها وطبائعها واختيارها وموازينها، بحيث لم تمسخ فطرتها ولم تشوه جبلتها، وهي تسعى لتكون كما أرادها الله عز وجل[1].

ثانياً : معالم الشخصية المسلمة :

وهي أبرز مقوماتها ومفرداتها التي تتحكم في تشكيلها لتتميز عن غيرها كشخصية مسلمة لها مقوماتها المحددة للشكل والمضمون، حيث إن الإسلام وحده هو عصبها ومحور نشاطها، وهو القوة التي تدفعها لتفجير الطاقات وتقويها في مواجهة التحديات.

وأول معالم الشخصية المسلمة :

1- الربانية :

فالله عز وجل خلق النفس البشرية ويعلم ما ينفعها، ويُشرع لها ما يتلائم مع هذه النفس، فكل شيء عنده مُحكم، قال تعالى : ﴿**أَلا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ**﴾ (الملك: 14)، فالشخصية المسلمة تمت صياغتها بهذه العقيدة الربانية، وصبغت بتلك الشريعة الإيمانية التي مصدرها هو الله عز وجل صاحب الأمر والخلق في هذا الكون، ورب كل شيء ومليكه، قال تعالى : ﴿**صِبْغَةَ اللّهِ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللّهِ صِبْغَةً**﴾ (البقرة : 138)[2].

يقول ابن كثير في معنى صبغة أنها "دين الله"[3]. ويقول د. عمر الأشقر : "وصبغة الله هي الإسلام، وذلك أن الإسلام يصبغ الإنسان بصفة خاصة في عقيدته وفكره ومشاعره وتصوراته، وآماله وأهدافه وسلوكه وأعماله"[4].

فالمسلم الحق هو الذي يتبع المنهج الإسلامي في كل أموره، ويجعل محمداً ﷺ قدوته، قال تعالى: ﴿**لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الآخِرَ**﴾ (الأحزاب: 21).

---

(1) انظر محاضرات إسلامية هادفة : د. عمر الأشقر، ص 278، دار النفائس للنشر والتوزيع، الطبعة الأولى، 1418هـ-1997م؛ وانظر زاد المرابطين، ص 73-74، (دون اسم مؤلف أو دار طباعة) الطبعة الأولى، 1425هـ-2004م.

(2) انظر شبكة المشكاة الإسلامية: معالم شخصية المرأة المسلمة وتميزها 1428/5/12هـ www.meshkat.net.

(3) تفسير القرآن العظيم : للإمام الحافظ إسماعيل بن كثير، 188/1، دار المعرفة للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، 1388هـ-1969م.

(4) محاضرات إسلامية هادفة : د. عمر الأشقر، ص 283، دار النفائس للنشر والتوزيع، الطبعة الأولى.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

2- البصيرة :

ويقصد بالبصيرة قوة الإدراك والفطنة والحجة[1]. وهي نور يقذفه الله في قلب الإنسان المؤمن بحيث يفرق به بين الحق والباطل، فالله عز وجل يقول ﴿**اللّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ آمَنُواْ يُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ**﴾ (البقرة : 257). "والنور الذي يعيش فيه المسلم إذا اعتمد على الكتاب والسنة، نور خالص صاف لا يخالطه غبن ولا دخن وقد ضرب الله مثلاً لهذا النور الذي يتلألأ في قلب العبد المؤمن حيث قال تعالى : ﴿**... نُّورٌ عَلَى نُورٍ يَهْدِي اللَّهُ لِنُورِهِ مَن يَشَاء وَيَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ**﴾ (النور : 35)[2].

3- التمسك بالحق والثبات عليه :

فالمسلم دائماً على يقين بأن العقيدة التي يتمسك بها هي حق يجب عليه أن يبقى متمسكاً بها ولا يحيد عنها قيد أنملة، حتى يلقى الله وهو ثابت ثبات الجبال الرواسي، قال تعالى : ﴿**يُثَبِّتُ اللّهُ الَّذِينَ آمَنُواْ بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الآخِرَةِ**﴾ (إبراهيم : 27)، وقدوتنا في ذلك سيدنا محمد ﷺ وباقي الأنبياء الكرام، فقد تحملوا في سبيل الدعوة الكثير ولم يصدهم ذلك عن دين الله شيئاً، ولنا في أصحاب الأخدود، وزوجة فرعون العبرة والعظة، حيث ساروا شهداء في سبيل الله وقدموا أرواحهم رخيصة في سبيل إرضاء الله تعالى[3]، وهكذا سار شهداء فلسطين، يفدون عقيدتهم بالغالي والنفيس لكي تعلو راية التوحيد ويصدح قول الحق.

4- العزة :

فالمسلم يحيا دائماً معتزاً بدينه، مفتخراً به، يدعو إليه ويجاهد في سبيل رفعته، لأنه يعلم علم اليقين بأن دينه هو الدين الحق، الذي لا يقبل الله سواه، قال تعالى : ﴿**وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ الإِسْلاَمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ**﴾ (آل عمران : 85).

يقول الشيخ محمد الغزالي رحمه الله : "فالإسلام عندما أوصى المسلم بالعزة هداه إلى أسبابها، ويسر له وسائلها، وأفهمه أن الكرامة في التقوى، وأن السمو في العبادة، وأن العزة في طاعة الله، والمؤمن الذي يعلم ذلك ويعمل به يجب أن يأخذ نصيبه كاملاً غير منقوص في الحياة الرفيعة المجيدة"[4].

---

(1) انظر مختار الصحاح: للرازي، ص 54، باب الباء؛ والمصباح المنير: أحمد المقرئ، ص 35، كتاب الباء.
(2) محاضرات إسلامية هادفة : د. عمر الأشقر، ص 293، 294.
(3) انظر المرجع السابق، ص 297.
(4) خلق المسلم : محمد الغزالي، ص 198، دار القلم، دمشق، بيروت، طبعة دار القلم الثانية، 1400هـ-1980م.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

وكما أن المؤمن يعتز بانتسابه إلى الله وإلى دينه القويم، فإننا نجد باقي البشر يعتزون بتوافه الأمور وأحقرها عند الله.

وعزة المسلم تجعله قائداً للركب ينير الدرب للسائرين ويهديهم إلى الطريق المستقيم، قال تعالى : ﴿**كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللّهِ**﴾ (آل عمران : 110)[1]. والشعور بالعزة دليل على صدق المؤمن مع ربه ويقينه التام بما يحمله بين جوانحه من عقيدة صحيحة توصله إلى رضا ربه ومن ثم إلى جنته ومبتغاه.

5- المجاهدة :

فالشخصية المسلمة فعالة مؤثرة، لا تذوب في المجتمع، بل تكون هي المؤثرة فيه، المجاهدة من أجل الحق الذي تؤمن به، فهي لا تتأثر بالعادات والتقاليد غير الإسلامية، بل تحاول أن تصحح مسار غيرها وتدله على الخير والرشاد، فهي شخصية تتصف بالإيجابية، بل هي كحامل المسك الذي لا بد من الاستفادة منه عند الاقتراب منه أو مجالسته[2].

ولنا في سيدنا نوح عليه السلام خير مثال لمجاهدة قومه، حيث مكث ألف سنةٍ إلا خمسين عاماً ولم يثنهِ ذلك على أن يكون خير دعاة الأرض للدين القويم والتوحيد.

6- متوازنة وواقعية ومعتدلة :

ينبغي للشخصية المسلمة أن تكون متكاملة ومتوازنة في جميع النواحي، سواء أمور الدنيا أو أمور الآخرة، في العبادة أو في العمل، في العلم أو في السعي للرزق، فقد قال تعالى : ﴿**قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللّهِ الَّتِيَ أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ وَالْطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ**﴾ (الأعراف : 32).

7- الرضا النفسي والاطمئنان القلبي :

من معالم الشخصية المسلمة أنها تعيش دوماً مع ربها تذكره، وتحمده، وتؤدي ما عليها من حقوق، وهي بذلك تسعى لإرضاء الله، وبذلك تطمئن وتسعد، لأنها تكون في حفظ الله ورعايته، فالذكر يحيي القلوب ويطمئنها لقوله تعالى: ﴿**أَلاَ بِذِكْرِ اللّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ**﴾(الرعد: 28). كما أنها تجد سعادتها ولذتها عندما تتقرب إلى الله بالنوافل عملاً بسنة النبي ﷺ، فكل عمل من أعمال الخير له طعم خاص به، كما تتنوع مذاقات الأطعمة والفاكهة اللذيذة، فالمسلم يعيش في سعادة

(1) انظر محاضرات إسلامية هادفة : د. عمر الأشقر، ص 295.

(2) انظر شبكة المشكاة الإسلامية – معالم الشخصية المسلمة وغيرها.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

وصفاء ما دام يسعى دائماً لإرضاء الله، عكس من يعرض عن دين الله وشريعته فإنه يعيش في ضنك لقوله تعالى : ﴿**وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنكًا**﴾ (طه: 124)[1].

8- الأوبة إلى الحق :

والشخصية المسلمة ترجع إلى الحق في الوقت الذي تشعر فيه أنها أذنبت في حق ربها، فهي سريعة الاستغفار والرجوع والإنابة إلى الله، وقد وصف الله المؤمنين في قوله تعالى : ﴿**إِنَّ الَّذِينَ اتَّقَواْ إِذَا مَسَّهُمْ طَائِفٌ مِّنَ الشَّيْطَانِ تَذَكَّرُواْ فَإِذَا هُم مُّبْصِرُونَ**﴾ (الأعراف : 201).

يخبر الله عن المتقين من عباده، الذين يطيعونه فيما يأمر، وينتهون عما ينهى عنه، أنهم إذا أصابهم طيف أو ذنب فإنهم يتذكرون عقاب الله وجزيل ثوابه، ووعده ووعيده، فيتوبوا وينيبوا، ويستعيذوا بالله ويرجعون إلى الله من قريب، وبعد ذلك يستقيموا ويصحوا مما كانوا عليه من الذنب[2].

هذه كانت أهم معالم الشخصية المسلمة، حيث يتبين قوة ارتباطها بمنهج الله تعالى وثباتها على الحق مع عزتها ومكانتها لكونها شخصية مجاهدة في سبيل الله تعالى، وإلى جانب ذلك أنها واقعية ومعتدلة ترضى بالحق وتطمئن إليه.

ثالثاً : علاقة الشخصية المسلمة بغيرها :

إذا نظرنا إلى الإسلام، فإننا نجده كلٌ متكامل، يصلح لكل زمان ومكان، وذلك في جميع نواحي الحياة، وقد ذكر القرآن الكريم صفات الشخصية المسلمة بوضوح وبين علاقتها مع غيرها:

1- علاقة المسلم مع ربه :

فهو مطيع لله في كل شيء أمره به، وينتهي عما نهاه عنه عملاً بقوله تعالى : ﴿**فَلاَ وَرَبِّكَ لاَ يُؤْمِنُونَ حَتَّىَ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لاَ يَجِدُواْ فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُواْ تَسْلِيمًا**﴾ (النساء : 65).

فهو راضٍ بقضاء الله وقدره، مستبشرٌ بحديث حبيبنا محمد ﷺ [عجباً لأمر المؤمن، إن أمره كله خير، وليس ذلك لأحد إلا للمؤمن، إن أصابته سراء شكر فكان خيراً له، وإن أصابته ضراء صبر فكان خيراً له][3].

---

(1) انظر محاضرات إسلامية هادفة : د. عمر الأشقر، ص 303.

(2) انظر تفسير القرآن العظيم : ابن كثير، 422/1.

(3) سبق تخريجه، ص 11.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

ومؤدٍ للفرائض والأركان والنوافل عملاً بقوله تعالى : ﴿**وَأَقِيمُواْ الصَّلاَةَ وَآتُواْ الزَّكَـاةَ**﴾ (البقرة : 43)، ومتذكراً للحديث الذي رواه ابن مسعود رضي الله عنه، قال : سألت رسـول اللهﷺ أي الأعمال أفضل؟ قال : [الصلاة على وقتها، قلت : ثم أي ؟ قال : بر الوالدين، قلت : ثم أي ؟ قال : الجهاد في سبيل الله ..][1].

كما يمتثل معنى العبودية لله لقوله تعالى : ﴿**وَمَا خَلَقْتُ الْجِـنَّ وَالإِنـسَ إِلا لِيَعْبُـدُونِ**﴾ (الذاريات : 56).

وهو كثير التلاوة للقرآن عملاً بقوله تعالى : ﴿**وَرَتِّلِ الْقُرْآنَ تَرْتِيلًا**﴾ (المزمل : 4).

2- علاقة المسلم مع نفسه :

فهو يهتم بجسمه وصحته وعقله وفكره وروحه وإيمانه.

- فمن ناحية جسده وصحته : يزاول الرياضة، ويعتدل في طعامه وشرابه ليبقى جسده قويـاً، ومستهدياً بقوله تعالى : ﴿**وكُلُواْ وَاشْرَبُواْ وَلاَ تُسْرِفُواْ**﴾ (الأعراف : 31).
- ومن ناحية عقله وفكره : فهو يغذيه بالعلم النافع لأمر دينه ودنياه، ولا يسمح للغزو الفكري بأن يغزو عقله، متذكراً قوله تعالى : ﴿**إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاء**﴾ (فاطر : 28).

3- علاقة المسلم مع والديه :

فهو بار بهما في حياتهما وبعد مماتهما لقوله تعالى: ﴿**وَقَضَى رَبُّكَ أَلاَّ تَعْبُدُواْ إِلاَّ إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِندَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلاَهُمَا فَلاَ تَقُل لَّهُمَآ أُفٍّ وَلاَ تَنْهَرْهُمَا وَقُل لَّهُمَا قَوْلاً كَرِيمًا* وَاخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ وَقُل رَّبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا**﴾ (الإسراء : 23-24).

4- علاقة المسلم مع زوجته :

فهو يحسن الاختيار للزوجة ويعاملها معاملة طيبة، وشعاره في ذلك قول الحبيب محمدﷺ : [تنكح المرأة لأربع، لمالها ولحسبها، ولجمالها ولدينها، فاظفر بذات الدين تربت يداك][2]، وقالﷺ : [استوصوا بالنساء خيراً][3].

5- علاقة المسلم مع أولاده :

فهو محب لأبنائه، يربيهم التربية الإسلامية مستشعراً المسئولية أمام ربه من ناحيـة أولاده وزوجته، فالله عز وجل يقول : ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِـيكُمْ نَـارًا وَقُودُهَـا النَّـاسُ وَالْحِجَارَةُ عَلَيْهَا مَلَائِكَةٌ غِلَاظٌ شِدَادٌ لا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ**﴾ (التحريم :6).

---

(1) صحيح البخاري، 564/2، كتاب الجهاد والسير، باب فضل الجهاد والسير، حديث رقم (2782).
(2) صحيح مسلم، ص 553، كتاب الرضاع، باب استحباب نكاح ذات الدين، حديث رقم (715).
(3) صحيح مسلم، ص 556، كتاب الرضاع، باب الوصية بالنساء، (بدون رقم).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

6- علاقة المسلم مع أقربائه وذوي رحمه :

فهو واصل لهم ولو لم يصلوه عملاً بقول الله عز وجل : ﴿**وَاعْبُدُواْ اللّهَ وَلاَ تُشْرِكُواْ بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَبِذِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ وَالْجَارِ ذِي الْقُرْبَى وَالْجَارِ الْجُنُبِ وَالصَّاحِبِ بِالْجَنبِ**﴾ (النساء : 36)، كذلك عملاً بقول الرسول ﷺ : [من سره أن يبسط له عليه رزقه، أو ينسأ له في أثره، فليصل رحمه][1].

7- علاقة المسلم مع جيرانه :

يحسن معاملتهم ويصبر على أذاهم لقوله تعالى : ﴿**وَالْجَارِ ذِي الْقُرْبَى وَالْجَارِ الْجُنُبِ**﴾ (النساء: 36)، وعملاً بقول الرسول ﷺ: [ما زال جبريل يوصيني بالجار حتى ظننت أنه سيورثه][2].

8- علاقة المسلم مع إخوانه وأصدقائه :

فهو يحبهم في الله ولا يهجرهم، ويدعو لهم في ظهر الغيب، مستشعراً قوله تعالى : ﴿**إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ**﴾ (الحجرات : 10).

9- علاقة المسلم مع مجتمعه :

صادق، موفٍ بالعهد، بعيد عن الغيبة، متواضع، لا يسخر من أحد، يحترم الكبير ويعطف على الصغير، يخالط الناس ويصبر على أذاهم، عفيف النفس، لا يظلم، سليم الصدر من الغل والحسد[3].

هذه هي صفات الشخصية المسلمة النابعة من إسلامنا العظيم، ومن أراد التعرف على الشخصية المسلمة الكاملة كمالاً بشرياً، فليرجع إلى سيرة الحبيب محمد ﷺ، فهي أفضل وأعظم شخصية خُلقت على وجه الأرض، فمن أراد أن يكون عظيماً فليقتدي بها، فقد مدحها رب العزة قائلاً : ﴿**وَإِنَّكَ لَعَلى خُلُقٍ عَظِيمٍ**﴾ (القلم : 4).

---

(1) صحيح مسلم، ص 993، كتاب البر والصلة والآداب، باب صلة الرحم وتحريم قطيعتها، حديث رقم (2557).

(2) صحيح مسلم، ص 1013، كتاب البر والصلة، باب الوصية بالجار، حديث رقم (2625).

(3) انظر شخصية المسلم كما يصوغها الإسلام في الكتاب والسنة : د. محمد الهاشمي، ص 13 وما بعدها، الاتحاد الإسلامي العالمي للمنظمات الطلابية، 1413هـ-1993م.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

الفصل الأول

دور العقيدة في بناء شخصية سيدنا يعقوب عليه السلام

ويشتمل على ثلاثة مباحث :

المبحث الأول : دور العقيدة في ترسيخ خلق الصبر والاستعانة بالله تعالى عند سيدنا يعقوب عليه السلام.

المبحث الثاني: دور العقيدة في بناء الثقة بالله تعالى عند سيدنا يعقوب عليه السلام.

المبحث الثالث : عقيدة التوكل ودورها في بناء شخصية سيدنا يعقوب عليه السلام.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

المبحث الأول

دور العقيدة في ترسيخ خلق الصبر والاستعانة بالله تعالى عند سيدنا يعقوب عليه السلام

المطلب الأول : الصبر – حقيقته – أنواعه – آدابه.

المطلب الثاني : صبر سيدنا يعقوب عليه السلام.

المطلب الثالث : الاستعانة بالله عند سيدنا يعقوب عليه السلام.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

المبحث الأول

دور العقيدة في ترسيخ خلق الصبر والاستعانة بالله تعالى عند سيدنا يعقوب عليه السلام

المطلب الأول : الصبر – حقيقته – أنواعه – آدابه :

أولاً : تعريف الصبر :

- الصبر لغة :

ورد في لسان العرب: "صبر، يصبر، صبراً فهو صابر وصبَّار وصبير وصبور وصبرته: حبسته، قال تعالى : ﴿**وَاصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم**﴾ (الكهف : 28)، والتصبر : تكلف الصبر، واصطبر : جعل له صبراً ... وقوله تعالى : ﴿**وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ**﴾ معناه وتواصوا بالصبر على طاعة الله والصبر على الدخول في معاصيه، والصبر : الجراءة، ومنه قوله تعالى : ﴿**فَمَآ أَصْبَرَهُمْ عَلَى النَّارِ**﴾ أي ما أجرأهم على أعمال أهل النار .. وشهر الصبر : شهر الصوم، وأصل الصبر : الحبس وسمي الصوم صبراً لما فيه من حبس النفس عن الطعام والشراب والنكاح"[1].

وفي القاموس المحيط "الصبر : نقيض الجزع، والصبور : الحليم الذي لا يعاجل العصاة بالنقمة بل يعفو أو يؤخر"[2].

وفي مختار الصحاح والمصباح المنير "الصبر : حبس النفس عن الجزع، وصبّرته : حملته على الصبر بوعد الأجر، والصبر : الدواء المر"[3].

فالصبر معناه لغة : حبس النفس وأخذها بالشدة لكي تستقيم على أمر الله.

- الصبر اصطلاحاً :

"هو ترك الشكوى من ألم البلوى لغير الله لا إلى الله"[4].

وعرفه ابن القيم رحمه الله فقال: "الصبر حبس النفس على المكروه وعقل اللسان من الشكوى"[5].

وبذا يتبين أن الصبر : هو التسليم التام لقضاء الله دون تبرم أو شكوى للناس.

---

(1) لسان العرب : لابن منظور، 437/4 وما بعدها، دار صامد، بيروت، دون طبعة أو تاريخ.

(2) القاموس المحيط: مجد الدين الفيروز أبادي، 68/2، فصل الشين والصاد، باب الراء.

(3) مختار الصحاح: للرازي، ص 354، باب الصاد، والمصباح المنير: أحمد الفيومي المقرئ، ص 199، كتاب الصاد.

(4) التعريفات : للجرجاني، تحقيق : نصر الدين تونسي، ص 216، باب الصاد.

(5) مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين : للإمام ابن قيم الجوزية، تحقيق : محمد الفقي، 161/2، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان، الطبعة الثانية، 1393هـ-1973م.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

ثانياً : حقيقة الصبر :

اختلف العلماء في تعريف حقيقة الصبر؛

يقول ابن القيم عن حقيقة الصبر : بأنه "خلق فاضل من أخلاق النفس يُمتنع به من فعل ما لا يَحسُن، ولا يجمُل، وهو قوة من قوى النفس التي بها صلاح شأنها وقوام أمرها"[1].

أما الإمام الغزالي فيقول عن حقيقة الصبر : أنه "عبارة عن ثبات باعث الدين في مقابلة باعث الشهوة فإن ثبت حتى قهره واستمر على مخالفة الشهوة فقد نصر حزب الله، والتحق بالصابرين، وإن تخاذل وضعف حتى غلبته الشهوة ولم يصبر في دفعها التحق بأتباع الشياطين"[2].

وواضح من تعريف الغزالي رحمه الله أنه يتحدث عن دافع الصبر وهو قوة الإيمان بالله، وقوة العقيدة الباعثة على الصبر التي تجعل الإنسان يحتمل كل ما يواجهه وهو يتذكر الأجر العظيم له إن صبر، وأن الله سيعوضه بأفضل مما أُخذ منه إن احتسب ذلك من أجل الله، فهو يؤمن بقوله تعالى : ﴿**إِنَّمَا يُوَفَّى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُم بِغَيْرِ حِسَابٍ**﴾ (الزمر : 10).

ويشرح لنا الإمام الغزالي تعريفه بقوله : "وثبات باعث الدين حال تثمرها المعرفة بعداوة الشهوات ومضاداتها لأسباب السعادات في الدنيا والآخرة، فإذا قوي يقينه، أعني المعرفة التي تسمى إيماناً، وهو اليقين بكون الشهوة عدواً قاطعاً لطريق الله تعالى قوي باعث الدين، وإذا قوي ثباته تمت الأفعال على خلاف ما تتقاضاه الشهوة"[3].

وإنني أتصور أن هناك جيشين؛ جيش بقيادة الإيمان، وجيش بقيادة الشيطان، فإن قوي جيش الإيمان ومن معه من الجنود كالطاعات وما شابه ذلك، انتصر على الشيطان وجنوده من الشهوات المختلفة، عند ذلك يستطيع الإنسان المؤمن قيادة نفسه في طريق مرضاة الله وإبعادها عن كل ما نهي عنه، وفي هذه الحالة نسمي من اتصف بذلك بأنه الإنسان الصابر.

فالصبر "قوة خلقية من قوى الإرادة، تمكن الإنسان من ضبط نفسه لتحمل المتاعب والمشقات والآلام، وضبطها عن الاندفاع بعوامل الضجر والجزع والسأم والملل، والعجلة والرعونة، والغضب والطيش، والخوف والطمع والأهواء والشهوات والغرائز"[4].

---

(1) عدة الصابرين : للإمام ابن قيم الجوزية، تحقيق محمد إسماعيل، ص 12، دار إحياء الكتب العربية، فيصل عيسى البابي الحلبي، دون طبعة أو تاريخ.

(2) إحياء علوم الدين : للإمام أبي حامد الغزالي، 2173/9، دار الشعب، دون رقم طبعة أو تاريخ؛ وانظر مختصر منهاج القاصدين : للإمام أحمد بن قدامة المقدسي، ص 269، مكتبة دار البيان، 1403هـ-1982م.

(3) إحياء علوم الدين : للغزالي، 2173/12.

(4) الأخلاق الإسلامية وأسسها : عبد الرحمن حنبكة الميداني، 305/2، دار القلم، دمشق، الطبعة الثالثة 1413هـ-1992م.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

ونرجع إلى قول الغزالي إلى أن حقيقة الصبر وكماله : "الصبر عن كل حركة مذمومة وحركة الباطن أولى بالصبر عن ذلك، وهذا صبر دائم لا يقطعه إلا الموت"[1].

والمتأمل في قول الإمام الغزالي عن حقيقة الصبر يلمس تلك اللفتة الكريمة التي قد يغفل عنها الكثيرون – وقد نبهنا إليها – وهي أنه من أهم مقتضيات الصبر الإخلاص فيه، فالصبر لابد وأن يترافق مع الإخلاص سواءً كان الصبر سراً في صدورنا لم يطلع عليه إلا من يعلم السر وأخفى، أو كان الصبر علناً اطلع عليه الناس ولمسوه، فالإخلاص في كلتا الحالتين مطلوب.

ومن كل ما سبق يتضح بأن الصبر الحقيقي هو امتلاك زمام النفس وتسييرها في كل ما يرضي الله عز وجل، وكذلك منعها عن كل ما يغضب الله سواءً كان في الظاهر أو الباطن مسترشدين بقوله تعالى: ﴿**أَفَمَن كَانَ عَلَى بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّهِ كَمَن زُيِّنَ لَهُ سُوءُ عَمَلِهِ وَاتَّبَعُوا أَهْوَاءهُمْ**﴾ (محمد: 14).

فالصبر يجعل الإنسان المؤمن يسير على بصيرة ويقين بما أمر الله تعالى وأنزله في كتابه من الهدى والعلم وبما جبله عليه الله من فطرة سليمة[2].

ثالثاً : أنواع الصبر :

الصبر نوعان :

النوع الأول :

الصبر على ما يوافق الهوى من مال وصحة وعيال وكثرة أنصار، وكل ملذات الدنيا الفانية التي يحل للمسلم التلذذ والتمتع بها، فكل هذه الأمور إن لم يقتصد فيها فإنه قد يصل إلى درجة البطر ومجاوزة حد الاعتدال، فالله عز وجل يقول: ﴿**كَلَّا إِنَّ الْإِنسَانَ لَيَطْغَى * أَن رَّآهُ اسْتَغْنَى**﴾ (العلق: 6، 7)[3].

النوع الثاني :

الصبر على ما لا يوافق الهوى والطبع. وهذا النوع ينقسم إلى ثلاثة أقسام :

القسم الأول : الصبر على الطاعات :

وذلك لأن العبد يحتاج للصبر عند تأديته لما أمر الله به من الطاعات، وذلك لأنها قد تثقل على النفس أو البدن، بحيث يصاحب الإنسان شيء من العجز والثقل، وكذلك قد يكون هناك مشقة من الناحية المالية كما في الحج والزكاة[4].

---

(1) إحياء علوم الدين : للغزالي، 2193/12.

(2) انظر تفسير القرآن العظيم : لابن كثير، 186/4.

(3) انظر إحياء علوم الدين : للغزالي، 2183/12.

(4) انظر عدة الصابرين : للإمام ابن قيم الجوزية، ص 24؛ وانظر شرح رياض الصالحين للإمام النووي، شرح الشيخ محمد بن صالح العثيمين، 72/1، باب الصبر، مكتبة الإيمان، المنصورة، دون رقم طبعة أو تاريخ.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

وحتى يتحقق للمؤمن قيادة نفسه ويبحر في بحر الطاعة – بإذن الله – إلى شاطئ السعادة فلا بد له من أن يتحلى بالصبر وليس أي صبر، بل يتحلى بالصبر تمام الصبر، فيكون عابداً مخلصاً لله في عبادته، وصابراً على أداء هذه العبادة وأي طاعة لله تعالى لا بد أن يرافقها الصبر في مراحلها الثلاثة : قبل العبادة وأثناءها وبعدها، وإليكم التفصيل :

1- قبل العبادة : فهو يحتاج إلى صدق النية والإخلاص في العمل لله تعالى، لقوله سبحانه: ﴿**وَمَا أُمِرُوا إِلاَّ لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاء وَيُقِيمُوا الصَّلاَةَ وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ وَذَلِكَ دِينُ الْقَيِّمَةِ**﴾ (البينة : 5).

2- أثناء العبادة : أن يتمثل المسلم أثناء عبادته أن الله عز وجل معه بحيث يكون قلبه متعلقاً به سبحانه وتعالى غير متغافلٍ ولا متكاسل عن تحقيق الآداب والسنن، فيلزم الصبر على ذلك حتى ينتهي من عبادته.

3- بعد العبادة : ينبغي للمسلم الصادق مع ربه ألا يفشي ما فعله من عبادة خالصة لله، وذلك بالحديث عن ذلك أمام الناس إلا أن يكون ذلك الحديث بنية أن يقتدوا به في عمله الصالح، لأن إفشاء العمل قد يجعله صاحب رياء وسمعة، وبالتالي يبطل عمله ويفقد الأجر عليه، والله عز وجل يقول : ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ لاَ تُبْطِلُواْ صَدَقَاتِكُم بِالْمَنِّ وَالأذَى كَالَّذِي يُنفِقُ مَالَهُ رِئَاء النَّاسِ وَلاَ يُؤْمِنُ بِاللّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ صَفْوَانٍ عَلَيْهِ تُرَابٌ فَأَصَابَهُ وَابِلٌ فَتَرَكَهُ صَلْدًا لاَّ يَقْدِرُونَ عَلَى شَيْءٍ مِّمَّا كَسَبُواْ وَاللّهُ لاَ يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ**﴾ (البقرة : 264)[1].

القسم الثاني : الصبر عن المعاصي :

فالمسلم يحتاج إلى الكثير من الصبر لكي يُوفق في البعد عن المعاصي والآثام، ولا يقع في الزلل والعصيان، وذلك لأن الشيطان يقف للإنسان في كل طريق حتى يمنعه من الطاعة، ويزين له طريق المعصية.

وهذا النوع من أكثر الأنواع حاجة للصبر، والإنسان الذي تعود على المعاصي يحتاج أكثر من غيره للصبر، لأن نفسه ألفت المعصية وتعودت عليها، فيتظاهر عليه جندان من جنود الشيطان وهما العادة والشهوة، ومن هذه المعاصي الغيبة والكذب والمراء وغيرها[2] مع أن الله يقول : ﴿**وَلا يَغْتَب بَّعْضُكُم بَعْضًا**﴾ (الحجرات: 12)، ويقول تعالى: ﴿**وَيَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاء وَالْمُنكَرِ وَالْبَغْيِ**﴾ (النحل: 90). فلابد للمسلم من قوة إرادة تحمله على عدم الانجرار للمعصية سواء كانت كبيرة أم صغيرة ولا يتحقق ذلك إلا عندما يشعر بأن الله مطلع عليه في كل حركاته وسكناته.

---

(1) انظر مختصر منهاج القاصدين : للإمام أحمد بن قدامة المقدسي (ص 270-271)؛ وانظر إحياء علوم الدين : للغزالي، 2185/12.

(2) انظر إحياء علوم الدين : للغزالي، 2185/12.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

ويذكر ابن القيم رحمه الله سببين وفائدتين للصبر عن المعصية :

السبب الأول : الخوف من عذاب الله تعالى يوم القيامة. والسبب الثاني: الحياء من الله: أي حياء المؤمن من أن يستعين بنعم الله على معصيته. والفائدتان : الثبات على إيمانه، والحذر من ارتكاب ما حرمه الله[1].

القسم الثالث : الصبر على البلاء :

كالمصائب المتنوعة التي تصيب المسلم مثل موت الأحبة، وقلة المال، والمرض وجميع أنواع البلاء[2].

وهذا النوع من أعظم أنواع الصبر لأنه يحتاج إلى قوة تحمل وإرادة، قال تعالى : **﴿لَتُبْلَوُنَّ فِي أَمْوَالِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ وَلَتَسْمَعُنَّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُواْ الْكِتَابَ مِن قَبْلِكُمْ وَمِنَ الَّذِينَ أَشْرَكُواْ أَذًى كَثِيرًا وَإِن تَصْبِرُواْ وَتَتَّقُواْ فَإِنَّ ذَلِكَ مِنْ عَزْمِ الأُمُورِ﴾** (آل عمران: 186). وقال تعالى : **﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ بِشَيْءٍ مِّنَ الْخَوفْ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ الأَمَوَالِ وَالأنفُسِ وَالثَّمَرَاتِ وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ* الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُم مُّصِيبَةٌ قَالُواْ إِنَّا لِلّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعونَ * أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ﴾** (البقرة : 155-157).

وقد أمر الله تعالى نبيه محمد ﷺ بالصبر قائلاً له : **﴿وَاصْبِرْ وَمَا صَبْرُكَ إِلاَّ بِاللّهِ وَلاَ تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَلاَ تَكُ فِي ضَيْقٍ مِّمَّا يَمْكُرُونَ﴾** (النحل : 127).

والأمر للرسول ﷺ بالصبر حتى يستطيع تبليغ رسالته على أتم وجه، فالتعامل مع الناس يحتاج إلى الصبر الشديد، فهو يريد عليه السلام بهذه الرسالة أن يخرجهم من ظلمات الكفر إلى نور الهداية والرشاد.

والنبي عليه السلام يرغبنا في الأجر والثواب عند أقل القليل من المصائب وذلك في حديثه "ما يصيب المسلم من نصب ولا وصب ولا هم ولا حزن ولا أذى ولا غم، حتى الشوكة يشاكها إلا كفر الله بها من خطاياه"[3].

كذلك يبشر من فقد شخصاً عزيزاً عليه ثم صبر على فراقه واحتسبه عند الله بأن له الجنة وذلك في حديثه ﷺ عن ربه : "يقول الله تعالى : ما لعبدي المؤمن عندي جزاء إذا قبضت صفيّه من أهل الدنيا ثم احتسبه إلا الجنة"[4].

والآيات والأحاديث التي ترغب في الصبر وتحث عليه كثيرة جداً، نسأل الله العفو والعافية في ديننا ودنيانا.

---

(1) انظر مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين : لابن قيم الجوزية، 164/2.

(2) انظر إحياء علوم الدين : للغزالي، 187/12.

(3) صحيح البخاري، 1153/3، كتاب المرضى، باب ما جاء في كفارة المرض، حديث رقم (5640).

(4) صحيح البخاري، 1284/4، كتاب الرقاق، باب (العمل الذي يبغى به وجه الله تعالى)، حديث رقم (6424).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

رابعاً : آداب الصبر :

1) أن يصبر بمجرد وقوع المصيبة أي في أولها[1] :

فلا يسخط ولا يتذمر بل يُسَلِّم الأمر لله سبحانه وتعالى، وهذا من صميم الإيمان بالقضاء والقدر، لقول الرسول ﷺ : [الصبر عند الصدمة الأولى][2].

وفي فتح الباري شرح صحيح البخاري "والمعنى : إذا وقع الثبات أول شيء يهجم على القلب من مقتضيات الجزع، فذلك هو الصبر الكامل الذي يترتب عليه الأجر، وأصل الصدم ضرب الشيء الصلب بمثله، فاستعير للمصيبة الواردة على القلب.

قال الخطابي : المعنى أن الصبر الذي يُحمد عليه صاحبه ما كان عند مفاجأة المصيبة، بخلاف ما بعد ذلك فإنه على الأيام يسلو[3].[4]

فالأجر الكبير يكون لمن يصبر منذ اللحظة الأولى لوقوع المصيبة وذلك لشدة إيلامها للنفس، يقول الشيخ ابن عثيمين : "الصبر الذي يثاب عليه الإنسان هو أن يصبر أول ما تصيبه المصيبة هذا هو الصبر"[5].

2) "الاسترجاع عند حدوث المصيبة"(6) :

وذلك بأن يقول المسلم إذا ابتلي بأي بلاء "إنا لله وإنا إليه راجعون"، وذلك لثناء الله عز وجل في كتابه العزيز على من يسترجع عند نزول البلاء أو المصيبة به، قال تعالى : ﴿**الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُم مُّصِيبَةٌ قَالُواْ إِنَّا لِلّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعونَ * أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ**﴾ (البقرة : 156-157).

يقول ابن كثير رحمه الله في تفسيره لقوله تعالى: ﴿**الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُم مُّصِيبَةٌ قَالُواْ إِنَّا لِلّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعونَ**﴾ أي : "تسلوا بقولهم هذا عما أصابهم، وعلموا أنهم ملك لله يتصرف في عبيده ما يشاء، وعلموا أنه لا يضيع لديه مثقال ذرة يوم القيامة، فأحدث لهم ذلك اعترافهم بأنهم عبيده وأنهم إليه راجعون في الدار الآخرة، ولهذا أخبرهم عما أعطاهم على ذلك فقال :

---

(1) انظر مختصر منهاج القاصدين : لأحمد بن قدامة المقدسي، ص 272.
(2) صحيح مسلم، كتاب الجنائز، باب في عيادة المريض، ص 331، حديث رقم (926).
(3) سلوت : صبرت، المصباح المنير، ص 172.
(4) فتح الباري بشرح صحيح البخاري : للإمام أحمد بن حجر العسقلاني، 184/3، كتاب الجنائز، باب زيارة القبور، مكتبة الصفا، الطبعة الأولى، 1424هـ-2003م.
(5) شرح رياض الصالحين للإمام يحيى بن شرف النووي : محمد بن صالح العثيمين، 100/1.
(6) انظر مختصر منهاج القاصدين : للشيخ أحمد بن قدامة المقدسي، ص 272.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

﴿**أُولَـئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ**﴾ فهذان العدلان ﴿**وَأُولَـئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ**" فهذه العلاوة وهي ما توضع بين العدلين وهي زيادة في الحمل فكذلك هؤلاء أُعطوا ثوابهم وزيدوا أيضاً"[1].

وأيضاً من الخير الذي يعم الإنسان المؤمن الذي يسترجع أن الله يعطيه أفضل مما أُخذ منه ويوضح ذلك ما جاء في الحديث الذي ورد عن أم سلمة أنها قالت : سمعت رسول الله ﷺ يقول: [ما من مسلم تصيبه مصيبة فيقول ما أمره الله : (إنا لله وإنا إليه راجعون) اللهم أجرني في مصيبتي واخلف لي خيراً منها، إلا أخلف الله له خيراً منها قالت : فلما مات أبو سلمة قلت : أي المسلمين خير من أبي سلمة ؟ أول بيت هاجر إلى رسول الله ﷺ ثم إني قلتها، فأخلف الله لي رسول الله ﷺ][2].

والحمد لله أننا – في فلسطين – نرى أمهات الشهداء يصبرن ويحتسبن أبناءهن عند الله ويقلن هذا الدعاء حتى يخلفهن الله خيراً في الدنيا والآخرة.

3) "سكون الجوارح واللسان"[3] :

أي أنه يرتاح قلبه وتهدأ نفسه وبالتالي تسكن جوارحه ولسانه ولا تنطق إلا بما يرضي الله من الحمد والثناء عليه سبحانه وهذا كله يكون نتيجة التسليم المطلق لقدر الله تعالى والإيمان بقوله سبحانه: ﴿**قُل لَّن يُصِيبَنَا إِلاَّ مَا كَتَبَ اللّهُ لَنَا هُوَ مَوْلاَنَا وَعَلَى اللّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ**﴾ (التوبة: 51).

يقول ابن كثير في تفسيره لهذه الآية : ﴿**قُل لَّن يُصِيبَنَا إِلاَّ مَا كَتَبَ اللّهُ لَنَا**﴾ أي نحن تحت مشيئته وقدره ﴿**هُوَ مَوْلاَنَا**" أي سيدنا وملجؤنا ﴿**وَعَلَى اللّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ**﴾ أي ونحن متوكلون عليه وهو حسبنا ونعم الوكيل"[4].

ويقول السعدي[5] في تفسيره : ﴿**قُل لَّن يُصِيبَنَا إِلاَّ مَا كَتَبَ اللّهُ لَنَا**﴾ أي ما قدّره وأجراه في اللوح المحفوظ ﴿**هُوَ مَوْلاَنَا**﴾: أي متولي أمورنا الدينية والدنيوية فعلينا الرضا بأقداره، وليس في أيدينا من الأمر شيء ﴿**وَعَلَى اللّهِ**﴾وحده﴿**فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ**﴾ أي ليعتمدوا عليه في جلب

---

(1) تفسير القرآن العظيم : لابن كثير، 1/197–198.

(2) صحيح مسلم : كتاب الجنائز، باب (ما يقال عند المصيبة)، ص 329، حديث رقم (918).

(3) مختصر منهاج القاصدين : لأحمد بن قدامة المقدسي، ص 272.

(4) تفسير القرآن العظيم : لابن كثير، 2/362.

(5) الشيخ السعدي : هو عبد الرحمن بن ناصر السعدي التميمي، ولد سنة 1307هـ–1890م، وهو مفسر من علماء الحنابلة، ولد في عنيزة (بالقصيم)، وهو من أهل نجد، أول من أنشأ مكتبة بالقصيم سنة 1358هـ، وله نحو ثلاثين كتاباً، منها "تيسير الكريم المنان في تفسير القرآن"، و"القواعد الحسان في تفسير القرآن"، و"طريق الوصول إلى العلم المأمول من الأصول"، توفي 1376هـ–1956م. (انظر الأعلام : للزركلي، 3/340).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

مصالحهم، ودفع المضار عنهم، ويثقوا به في تحصيل مطلوبهم، فلا خاب من توكل عليه، وأما من توكل على غيره فإنه مخذول غير مدرك لما أمل"[1].

والإنسان المؤمن عندما يتذكر الأجر العظيم الذي أعده الله له، فإن ذلك يهون عليه مصابه، فهو يتذكر قوله تعالى: ﴿**إِنَّمَا يُوَفَّى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُم بِغَيْرِ حِسَابٍ**﴾ (الزمر : 10) فهو يدرك بذلك أن أجره لا يستطيع أن يعده أحد، "فالأعمال الصالحة مضاعفة؛ الحسنة بعشرة أمثالها إلى سبعمائة ضعف إلى أضعاف كثيرة، أما الصبر فإن مضاعفته تأتي بغير حساب من عند الله عز وجل وهذا يدلل على أن أجره عظيم وأن الإنسان لا يمكن أن يتصور هذا الأجر لأنه لم يقابل بعدد بل هو أمر معلوم عند الله ولا حساب"[2].

وهو يؤمن بقوله تعالى : ﴿**سَلَامٌ عَلَيْكُم بِمَا صَبَرْتُمْ فَنِعْمَ عُقْبَى الدَّارِ**﴾ (الرعد : 28) فهذا مما يجعله يستبشر فيصبح –بإذن الله– في حصن حصين من التذمر والشكوى لغيره من البشر الذين لا يملكون للإنسان أدنى نفع أو أقل ضرر إلا بمشيئته سبحانه فلله الأمر من قبل ومن بعد.

المطلب الثاني : صبر سيدنا يعقوب[3] عليه السلام :

تبدأ الأحداث الجسيمة في حياة سيدنا يعقوب عليه السلام عندما رأى يوسف عليه السلام رؤياه وهي سجود الشمس والقمر له في منامه، وذلك في قوله تعالى : ﴿**إِذْ قَالَ يُوسُفُ لِأَبِيهِ يَا أَبَتِ إِنِّي رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ رَأَيْتُهُمْ لِي سَاجِدِينَ**﴾ (يوسف : 4).

---

(1) تفسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان : للشيخ عبد الرحمن السعدي، دار الفكر، الطبعة الأولى، 1423هـ–2002م.

(2) شرح رياض الصالحين : للشيخ محمد بن صالح بن عثيمين، 76/1.

(3) لقد تحدث القرآن الكريم عن سيدنا يعقوب عليه السلام في ثلاثة محاور رئيسية :
المحور الأول : وهو بشارة الملائكة بولادته وذلك في قوله تعالى : ﴿**وَامْرَأَتُهُ قَآئِمَةٌ فَضَحِكَتْ فَبَشَّرْنَاهَا بِإِسْحَقَ وَمِن وَرَاء إِسْحَقَ يَعْقُوبَ**" (هود : 71).
المحور الثاني : الأحداث التي عاشها عليه السلام في قصة ابنه يوسف عليه السلام، والتي ورد ذكرها في سورة يوسف.
المحور الثالث : وصيته لأبنائه عند وفاته بالثبات على دين التوحيد وهو الإسلام، وذلك في قوله تعالى : ﴿**وَوَصَّى بِهَا إِبْرَاهِيمُ بَنِيهِ وَيَعْقُوبُ يَا بَنِيَّ إِنَّ اللّهَ اصْطَفَى لَكُمُ الدِّينَ فَلاَ تَمُوتُنَّ إَلاَّ وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ * أَمْ كُنتُمْ شُهَدَاء إِذْ حَضَرَ يَعْقُوبَ الْمَوْتُ إِذْ قَالَ لِبَنِيهِ مَا تَعْبُدُونَ مِن بَعْدِي قَالُواْ نَعْبُدُ إِلَـهَكَ وَإِلَـهَ آبَائِكَ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَقَ إِلَـهًا وَاحِدًا وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ**" (البقرة : 132–133).
وسيدنا يعقوب عليه السلام ذُكر في القرآن باسمين وهما يعقوب وإسرائيل، وهما اسمان أعجميان.
انظر : قصص الأنبياء في القرآن الكريم المختارة من مجمع البيان الحديث، ص 32، دار الكتاب اللبناني.
وانظر كواشف قرآنية للغوامض اليهودية، حقيقة دين إبراهيم ويعقوب عليهما السلام، ص 52، مجلة فلسطين المسلمة، أيلول (سبتمبر) 1994م. ومن وصايا الأنبياء : للمستشار محمد عزت الطهطاوي، ص 331، مجلة الأزهر، ربيع الأول 1417هـ–1996م، السنة التاسعة والستون.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

وتعريف الرؤيا والحلم لغة : هي "ما يراه النائم في نومه من الأشياء ولكن غلبت الرؤيا على ما يراه من الخير والشيء الحسن وغلب الحُلْمُ على ما يراه من الشر والقبيح"[1].

وهذا التعريف صحيح إلى حد ما وذلك لأن هناك من الرؤى ما تكون مُحزِنَة ومنها ما تحمل في طياتها الخير.

والرؤيا اصطلاحاً : اختلف العلماء في تعريفها :

فقيل : "هي إدراك في أجزاء لم تحلها آفة، كالنوم المستغرق وغيره، ولهذا أكثر ما تكون الرؤيا في آخر الليل لقلة غلبة النوم، فيخلق الله للرائي علماً ناشئاً، ويخلق له الذي يراه على ما يراه ليصح الإدراك"[2].

وقيل : "إن لله ملكاً يعرض المرئيات على المحل المدرك من النائم فيمثل له صوراً محسوسة، فتارة تكون الصور أمثلة موافقة لما يقع في الوجود، وتارة تكون لمعاني معقولة غير محسوسة، وفي الحالتين تكون مبشرة أو منذرة .." [3].

وقيل : "إنها أوهام وخواطر واعتقادات"[4].

وقيل : "هي إدراك حقيقة"[5].

وقيل : الرؤيا المضافة إلى الله هي التي يكون تأويلها مطابقاً لما في اللوح المحفوظ، والحلم : هو عبارة عن الأضغاث المضافة إلى الشيطان[6].

وقال ابن العربي : "أنها حالة شريفة جعلها الله للخلق بشرى"[7].

ومن الناس من أنكر الرؤيا بالكلية كالمعتزلة[8]. وهذا الرأي لا يوافق القرآن والسنة. وباقي التعريفات لا نستطيع الحكم عليها إلا من خلال أحاديث الرسول ﷺ، فما كان موافقاً لها فهو صحيح وإلا فلا.

---

(1) لسان العرب : لابن منظور، 45/12.

(2) الجامع لأحكام القرآن : للقرطبي، 125/9.

(3) الجامع لأحكام القرآن : للقرطبي، 125/9.

(4) أحكام القرآن : لأبي بكر محمد بن عبد الله المعروف بابن العربي، 1073/3، تحقيق علي البجاوي، دار الفكر، دون طبعة أو تاريخ.

(3) المصدر السابق، 1073/3.

(6) انظر الجامع لأحكام القرآن : للقرطبي، 125/9.

(7) أحكام القرآن : لابن العربي، 1073/3.

(8) انظر المصدر السابق، 1073/3.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

فالرؤيا الصادقة التي كان يراها الرسول ﷺ في منامه هي أول ما بدئ به من الوحي [فقد ورد عن عائشة رضي الله عنها قالت : أول ما بدئ به رسول الله ﷺ من الوحي الرؤيا الصادقة في النوم فكان لا يرى رؤيا إلا جاءت مثل فلق الصبح ..][1].

وهذا ما يختص به الأنبياء وهو دليل على أن من الغيب ما يجعله الله عن طريق الرؤى ومثال ذلك من القرآن رؤيا سيدنا إبراهيم عليه السلام بأنه يذبح ابنه إسماعيل عليه السلام وذلك في قوله تعالى : ﴿**فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ السَّعْيَ قَالَ يَا بُنَيَّ إِنِّي أَرَى فِي الْمَنَامِ أَنِّي أَذْبَحُكَ فَانظُرْ مَاذَا تَرَى قَالَ يَا أَبَتِ افْعَلْ مَا تُؤْمَرُ سَتَجِدُنِي إِن شَاء اللَّهُ مِنَ الصَّابِرِينَ *فَلَمَّا أَسْلَمَا وَتَلَّهُ لِلْجَبِينِ * وَنَادَيْنَاهُ أَنْ يَا إِبْرَاهِيمُ * قَدْ صَدَّقْتَ الرُّؤْيَا إِنَّا كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ**﴾ (الصافات : 102-105).

أما ما يخص المؤمنين فقد ورد [عن أبي هريرة رضي الله عنه، قال: قال رسول اللهﷺ: إن رؤيا المؤمن جزء من ستة وأربعين جزءاً من النبوة][2].

وفي رواية أخرى فقد ورد [عن ابن عمر رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : الرؤيا الصالحة جزء من سبعين جزءاً من النبوة][3].

وفي رواية أخرى وردت عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ : [ورؤيا المسلم جزء من خمس وأربعين جزءاً من النبوة ..][4].

[وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : "لم يبق من النبوة إلا المبشرات" قالوا : وما المبشرات : قال "الرؤيا الصالحة"][5].

ومن هذه الأحاديث نفهم أن الرؤيا جزء من النبوة وأن من الرؤى ما هو حق يطلع بها الله المؤمن على ما سيكون من خير أو شر.

وعن اختلاف الروايات في نسبة النبوة يقول الإمام القرطبي بأن "الصحيح منها حديث الستة والأربعين ويتلوه في الصحة حديث السبعين"[6].

---

(1) صحيح البخاري، 1384/4، كتاب التعبير، باب أول ما بدئ به رسول الله ﷺ من الوحي الرؤيا الصالحة، حديث رقم (6982).

(2) صحيح مسلم، ص 893، كتاب الرؤيا، دون اسم باب، حديث رقم (2263).

(3) صحيح مسلم، ص 893، كتاب الرؤيا، دون اسم باب، حديث رقم (2265).

(4) صحيح مسلم، ص 893، كتاب الرؤيا، دون اسم باب، حديث رقم (2263).

(5) صحيح البخاري، 1385/4، كتاب التعبير، باب المبشرات، حديث رقم (6990).

(6) الجامع لأحكام القرآن : للقرطبي، 122/9.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

ويوافقه أبو عبد الله المازري في تصحيحه لحديث الستة والأربعين فيقول : "والأكثر والأصح عند أهل الحديث (من ستة وأربعين).

قال الطبري : والصواب أن يقال إن عامة هذه الأحاديث أو أكثرها صحاح، ولكل حديث منها مخرج معقول"[1].

وقول أبي عمر ابن عبد البر يحل لنا الإشكال فهو يقول : إن "الاختلاف في هذا الباب في عدد أجزاء الرؤيا ليس عندي اختلاف متضاد متدافع – والله أعلم – لأنه يحتمل أن تكون الرؤيا الصالحة من بعض من يراها على حسب ما يكون من صدق الحديث، وأداء الأمانة والدين المتين، وحسن اليقين، وعلى قدر اختلاف الناس فيما وصفنا تكون الرؤيا منهم على الأجزاء المختلفة العدد فمن خلصت نيته في عبادة ربه وصدق حديثه، كانت رؤياه أصدق وإلى النبوة أقرب، كما أن الأنبياء يتفاضلون، قال الله تعالى : ﴿**وَلَقَدْ فَضَّلْنَا بَعْضَ النَّبِيِّينَ عَلَى بَعْضٍ**"[2].

إذن قرب الرؤيا من النبوة تتفاوت درجاتها بتفاوت درجة الصدق في طاعة الإنسان المؤمن وحبه لله ورسوله، ومتانة عقيدته.

وعلى ذلك فالناس في رؤياهم على ثلاثة درجات : درجة الأنبياء : فرؤياهم كلها صادقة، ودرجة الصالحين : فالأغلب على رؤياهم الصدق، وما عداهم من الناس يقع في رؤياهم الصدق والأضغاث، والقسم الثالث ينقسم إلى ثلاثة أقسام :

1- المستورون : وغالب حالهم الاستواء ما بين الصدق والأضغاث.

2- الفسقة : وهؤلاء تكون الأضغاث هي غالب رؤياهم وقيل فيها الصدق.

3- الكفار : ويندر في رؤياهم الصدق.

وهذا التقسيم حسب عمل الخير الذي يفعله الإنسان، ولما كان هؤلاء الناس قليلي أعمال الخير، كانت الرؤيا الصادقة في حياتهم قليلة، وربما تكون نادرة أو تنعدم في كثير من الأحيان ويؤيد ذلك حديث الرسول ﷺ : [إذا اقترب الزمان لم تكد رؤيا المسلم تكذب وأصدقكم رؤيا أصدقكم حديثاً، ورؤيا المسلم جزء من خمس وأربعين جزءاً من النبوة، والرؤيا ثلاثة : فرؤيا الصالحة بشرى من الله، ورؤيا تحزين من الشيطان، ورؤيا ممن يُحدِّث المرء نفسه، فإن رأى أحدكم ما يكره، فليقم فليصل، ولا يحدث بها الناس ..][3].[4]

---

(1)الجامع لأحكام القرآن : للقرطبي، 122/9-123.

(2) المصدر السابق، 123/9.

(3) صحيح مسلم، ص 892، كتاب الرؤيا، بدون اسم باب، حديث رقم (2263).

(4) انظر فتح الباري بشرح صحيح البخاري : للإمام أحمد بن حجر العسقلاني، كتاب التعبير، باب رؤيا الصالحين، 441/12.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

وهذه لفتة طيبة من حبيبنا محمد ﷺ فكأنه يرشدنا إلى الصدق في الحديث ويقرن الرؤيا الصالحة، الصادقة، بصدق صاحبها.

وهناك سؤال قد يُطرح، كيف تكون الرؤيا الصادقة من النبوة في حال كون صاحب الرؤيا كافر كرؤيا الملك الذي رأى سبع بقرات، ورؤيا الفتيين في السجن؟

يجيب القرطبي رحمه الله على ذلك بقوله : "الكافر والفاجر والفاسق والكاذب وإن صدقت رؤياهم في بعض الأوقات لا تكون من الوحي ولا من النبوة، إذ ليس كل من صدق في حديث عن غيب يكون خبره ذلك نبوة"[1].

وما أميل إليه وأرجحه وهو وإن صدقت رؤيا الكافر – وهذا ما يندر حدوثه – فإن ذلك يكون لحكمة يعلمها الله ويكون فيه الخير لغيرهم من المؤمنين، فمثلاً رؤيا الملك التي رآها ويوسف عليه السلام في السجن كانت سبباً في خروج يوسف عليه السلام من السجن حيث كان عليه السلام يعلم تأويل الرؤى. قال تعالى : ﴿**وَكَذَلِكَ يَجْتَبِيكَ رَبُّكَ وَيُعَلِّمُكَ مِن تَأْوِيلِ الأَحَادِيثِ**﴾ (يوسف : 6).

ورؤيا الكافر تكون من باب الرحمة من الله لعباده بصفة عامة لقوله تعالى: ﴿**فَإِن كَذَّبُوكَ فَقُل رَّبُّكُمْ ذُو رَحْمَةٍ وَاسِعَةٍ**﴾ (الأنعام 47).

وإن قيل كيف تكون الرؤيا جزءاً من النبوة مع أن النبوة انقطعت بموت النبي ﷺ ؟ قال الخطابي : معناه أن الرؤيا تأتي على موافقة النبوة لا إنها جزء باقٍ من النبوة[2].

وقيل : إن وقعت الرؤيا من النبي فهي جزء من أجزاء النبوة، وإن وقعت من غير النبي تكون جزءاً من النبوة على سبيل المجاز[3].

وقيل : إنها جزء من علم النبوة، لأن النبوة وإن كانت قد انقطعت فإن علمها موجود[4].

قال ابن بطال : كون النبوة تكون بالخبر الصادق من الله، والرؤيا خبر صادق، فقد تشابهتا من حيث الخبر الصادق من الله[5].

---

(1) تفسير الجامع لأحكام القرآن : للقرطبي، 125/9.
(2) فتح الباري بشرح صحيح البخاري : للإمام أحمد بن حجر العسقلاني (بتصرف بسيط)، 442/12.
(3) المصدر السابق، 442/12.
(4) المصدر نفسه، 442/12.
(5) المصدر نفسه، 442/12.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

وهذا ما أميل إليه وأرجحه، وذلك لأن الرسول ﷺ قرن الرؤيا الصالحة بصدق صاحبها وهذه الصفة كانت مما يميز رسولنا محمد ﷺ قبل البعثة وبعدها، وصاحب الرؤيا الصادقة لا تصدق رؤياه إلا بصدقه وبالتالي اشتراكه في صفة أساسية من صفات الأنبياء عليهم السلام ، وسيدنا يوسف عليه السلام سميّ بالصديق، فهو صادق الرؤيا لشدة صدقه مع ربه منذ صغره، فقد تربى في بيت النبوة على كل الخصال الحسنة، وعلى رأس هذه الخصال والسجايا صفة الصدق التي رفعته في الدنيا، فعندما رأى منه والده ذلك أحبه حباً شديداً وتعلق قلبه به، قال تعالى على لسان إخوة يوسف : ﴿**إِذْ قَالُواْ لَيُوسُفُ وَأَخُوهُ أَحَبُّ إِلَى أَبِينَا مِنَّا وَنَحْنُ عُصْبَةٌ إِنَّ أَبَانَا لَفِي ضَلاَلٍ مُّبِينٍ**﴾ (يوسف : 8)، ومن هنا بدأوا يفكرون في قتل يوسف عليه السلام وألحوا على أبيهم بأن يأخذوه معهم، وكان من ضمن حيلهم أن قالوا لوالدهم بأنه سوف يلعب ويرتع معهم، حتى وافق على أن يأخذوه معهم، بالرغم من خوفه عليه، قال تعالى على لسان سيدنا يعقوب عليه السلام : ﴿**قَالَ إِنِّي لَيَحْزُنُنِي أَن تَذْهَبُواْ بِهِ وَأَخَافُ أَن يَأْكُلَهُ الذِّئْبُ وَأَنتُمْ عَنْهُ غَافِلُونَ * قَالُواْ لَئِنْ أَكَلَهُ الذِّئْبُ وَنَحْنُ عُصْبَةٌ إِنَّا إِذًا لَّخَاسِرُونَ**﴾ (يوسف: 13-14).

يقول ابن كثير في تفسيره بأن سيدنا يعقوب عليه السلام قال : "يشق عليّ مفارقته مدة ذهابكم به إلى أن يرجع وذلك لفرط محبته له، لما يتوسم فيه من الخير العظيم وشمائل النبوة والكمال في الخَلق والخُلق – صلوات الله وسلامه عليه –"[1].

وشاء الله عز وجل أن يفعل أخوة يوسف ما فعلوه فيه من إلقائه في البئر، فماذا كان موقف سيدنا يعقوب عليه السلام عندما جاءوا يخبرونه الخبر؟، لقد قال قولته المشهورة على مر الزمن ﴿**بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنفُسُكُمْ أَمْرًا فَصَبْرٌ جَمِيلٌ وَاللّهُ الْمُسْتَعَانُ عَلَى مَا تَصِفُونَ**﴾ (يوسف : 18) "أي زينت وسهلت لكم أنفسكم السيئة أمراً منكراً غير ما تذكرون، فسأصبر صبراً جميلاً على الأمر الذي اتفقتم عليه وأستعين بالله حتى يفرج كربي"[2].

ونفس العبارة رددها عندما افتقد ابنيه الآخرين، ولكن كان يحدوه الأمل في أن يردهم الله عليه جميعاً، قال تعالى حكاية عن سيدنا يعقوب عليه السلام : ﴿**فَصَبْرٌ جَمِيلٌ عَسَى اللّهُ أَن يَأْتِيَنِي بِهِمْ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ**﴾ (يوسف : 83).

إذن سيدنا يعقوب عليه السلام التزم الصبر الجميل عندما افتقد أبناءه، فما هو تعريف الصبر الجميل؟ يقول الرازي رحمه الله: "قوله تعالى : (فصبر جميل) يدل على أن الصبر قسمان : منه ما

---

(1) مختصر تفسير ابن كثير : اختصره أحمد بن أحمد، محمد بن عبد الحليم، 118/2.

(2) التفسير المنير : للزحيلي، 555/12.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

قد يكون جميلاً، وما قد يكون غير جميل، فالصبر الجميل : هو أن يعرف أن منزل ذلك البلاء هو الله تعالى، ثم يعلم أن الله سبحانه مالك الملك ولا اعتراض على المالك في أن يتصرف في مُلك نفسه فيصير استغراق قلبه في هذا المقام مانعاً له من إظهار الشكاية. والوجه الثاني : أنه يعلم أن مُنزل هذا البلاء حكيم لا يجهل، وعالم لا يغفل، عليم لا ينسى، رحيم لا يطغى، وإذا كان كذلك فكل ما صدر عنه حكمة وصواباً، فعند ذلك يسكت ولا يعترض... أما إذا كان الصبر لا لأجل الرضى بقضاء الحق سبحانه بل كان لسائر الأغراض، فذلك الصبر لا يكون جميلاً، والضابط في جميع الأفعال والأقوال والاعتقادات أن كل ما كان لطلب عبودية الله تعالى كان حسناً وإلا فلا.." [1].

فالإمام الرازي يقسم الصبر إلى صبر جميل، وصبر غير جميل، والصبر الجميل الذي فيه اعتقاد العبد بأنه عبد لله راضٍ بقدر الله مهما كان وبالتالي لا يظهر الشكوى للعبيد من مثله، والصبر غير الجميل ما كان صاحبه لديه خلل في عبوديته لله، وبالتالي يكون غير راضٍ بقضاء الله وقدره.

وقد عرّف الإمام ابن تيمية رحمه الله الصبر الجميل بأنه : "صبر بلا شكوى"[2]، وبنفس المعنى عرفه تلميذه ابن القيم فقال : "الصبر الجميل هو الذي لا شكوى معه"[3].

وقد يشكو الإنسان ما به من ضر إلى الله سبحانه وتعالى وهذا لا ينافي أن كون الإنسان صبر صبراً جميلاً فقد ذكر الله عز وجل حكاية عن سيدنا يعقوب عليه السلام ﴿**إِنَّمَا أَشْكُو بَثِّي وَحُزْنِي إِلَى اللّهِ**﴾ (يوسف : 86)، فالله عز وجل هو الذي يبتلي الإنسان وهو القادر على أن يُصبره على بلواه، ويخفف عنه أثر تلك البلوى، بحيث يشعر بالرضى بحكم الله ومشيئته، وتقديره له هذا الأمر، ومما يؤكد ذلك قول سيدنا أيوب عليه السلام عندما أصابه البلاء، قال تعالى : ﴿**وَأَيُّوبَ إِذْ نَادَى رَبَّهُ أَنِّي مَسَّنِيَ الضُّرُّ وَأَنتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ * فَاسْتَجَبْنَا لَهُ فَكَشَفْنَا مَا بِهِ مِن ضُرٍّ وَآتَيْنَاهُ أَهْلَهُ وَمِثْلَهُم مَّعَهُمْ رَحْمَةً مِّنْ عِندِنَا وَذِكْرَى لِلْعَابِدِينَ**﴾ (الأنبياء : 83-84)، فأيوب عليه السلام شكا ما به من ضر إلى الله عز وجل القادر على رفع هذا الضر، وهو يؤمن إيماناً قاطعاً بأن الله عز وجل هو أرحم الراحمين بعباده وهو يختبرهم بهذا البلاء ليرى مدى صبرهم، وهذا الذي فعله سيدنا أيوب عليه السلام لا يتنافى مع الصبر الجميل.

وكذلك نرى سيدنا محمد ﷺ عندما رجع من الطائف وقد أدميت قدماه، فقد توجه إلى الله بهذا الدعاء "اللهم إليك أشكو ضعف قوتي، وقلة حيلتي، وهواني على الناس، يا أرحم الراحمين، أنت رب المستضعفين، وأنت ربي، إلى من تكلني؟ إلى بعيد يتجهمني أم إلى عدو ملكته أمري؟ إن

---

(1) التفسير الكبير : للإمام الفخر الرازي، 104/17، دار الكتب العلمية، طهران.
(2) التفسير الكبير : للإمام ابن تيمية، 136/5، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.
(3) عدة الصابرين : للإمام ابن قيم الجوزية، ص 45.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

لم يكن بك عليّ غضب فلا أبالي، ولكن عافيتك هي أوسع لي، أعوذ بنور وجهك الذي أشرقت لـــه الظلمات، وصلح عليه أمر الدنيا والآخرة من أن تنزل بي غضبك أو يحل عليّ سخطك، لك العتبى حتى ترضى، ولا حول ولا قوة إلا بك"[1].

نلاحظ هنا أن الحبيب المصطفى عليه أفضل الصلاة وأتم التسليم شكا إلى الله ما حل بـــه من بلاء فهل يستطيع أحد أن يقول إن الرسول ﷺ لم يصبر صبراً جميلاً؟ كلا، بل الـــذي فعلـــه نبينا هو الواجب على كل مسلم أن يفعله في كل موقف تشتد به المحنة، أو تنـــزل بـــه كارثـــة، فإيمان المسلم بقدرة الله عز وجل وعظمته وعلى أنه سبحانه وحده هـــو القـــادر علـــى التثبيـــت والتطمين لقلبه هو الذي يجعله يُسَلّم بقدر الله عز وجل وقضائه الذي كتبه له في اللوح المحفـــوظ، فالله تعالى يقول في كتابه العزيز: ﴿**إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُـــونُ**﴾ (يـــس: 82)، ويقسم ابن القيم رحمه الله القضاء والقدر إلى أربع مراتب :

المرتبة الأولى : علم الرب سبحانه بالأشياء قبل كونها :

والدليل على ذلك : قوله تعالى : ﴿**إِنِّي أَعْلَمُ مَا لاَ تَعْلَمُونَ**﴾ (البقرة : 30)، وقوله تعالى : ﴿**وَعَسَى أَن تَكْرَهُواْ شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ وَعَسَى أَن تُحِبُّواْ شَيْئًا وَهُوَ شَرٌّ لَّكُمْ وَاللّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لاَ تَعْلَمُونَ**﴾ (البقرة : 216)[2].

ويفسر هذه الآية بقوله : "يبين سبحانه أن ما أمرهم به يعلم ما فيه من المصلحة والمنفعة لهم التي اقتضت أن يختاره ويأمرهم به، وهم قد يكرهونه إما لعدم العلم وإما لنفور الطبع، فهـــذا علمه بما في عواقب أمره مما لا يعلمونه، وذلك علمه بما في اختياره من خلقه بما لا يعلمونـــه. فهذه الآية تضمنت الحض على التزام أمر الله وإن شق على النفوس، وعلى الرضا بقضائه وإن كرهته النفوس"[3].

المرتبة الثانية : كتابته للأشياء قبل كونها :

والدليل على ذلك : قول الرسول ﷺ : [لما خلق الله الخلق كتب في كتابه وهـــو يكتـــب على نفسه وهو وَضْعٌ عنده على العرش – إن رحمتي تغلب غضبي][4].

---

(1) السيرة النبوية : لابن هشام، 420/1.

(2) انظر شفاء العليل في مسائل القضاء والقدر والحكمة والتعليل : لابن قيم الجوزية، 91/1 وما بعدها، الطبعة الثانية، مكتبة السوادي للتوزيع، 1415هـــ–1995م.

(3) شفاء العليل : لابن القيم، 101/1.

(4) صحيح البخاري، 1461/4، كتاب التوحيد، باب قوله تعالى : ﴿**وَيُحَذِّرُكُمُ اللّهُ نَفْسَهُ**﴾ (آل عمـــران : 28)، حديث رقم (7404).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

المرتبة الثالثة : مشيئته تعالى للأشياء :

والدليل على ذلك : قوله تعالى : ﴿**كَذَلِكَ اللّهُ يَفْعَلُ مَا يَشَاء**﴾ (آل عمران : 40). وقوله تعالى : ﴿**سَتَجِدُنِي إِن شَاء اللَّهُ مِنَ الصَّابِرِينَ**﴾ (الصافات : 102).

المرتبة الرابعة : خلقه للأشياء :

والدليل على ذلك: قوله تعالى: ﴿**اللَّهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ**﴾ (الزمر: 62).

فسيدنا يعقوب عليه السلام يؤمن إيماناً يقيناً بهذه الأمور ولذلك استطاع أن يصبر الصبر الجميل وأن يكون مثالاً حياً للمؤمن الصابر، وقد خلد الله عز وجل موقفه في كتابه العزيز إلى يوم القيامة، وقد كررت هذا الدعاء، وهذا الموقف الرائع أمنا عائشة رضي الله عنها عندما اتهمت في أعز ما تملك وهو عرضها وشرفها، ونترك عائشة رضي الله عنها تحدثنا عن هذا الموقف العصيب، قالت : [فتشهد رسول الله ﷺ حين جلس ثم قال : أما بعد يا عائشة فإنه قد بلغني عنك كذا وكذا فإن كنت بريئة فسيبرئك الله، وإن كنت ألممت بذنب فاستغفري الله وتوبي إليه، فإن العبد إذا اعترف بذنبه ثم تاب، تاب الله عليه" قالت : فلما قضى رسول الله ﷺ مقالته قلص دمعي حتى ما أحس منه قطرة فقلت لأبي : أجب رسول الله ﷺ فيما قال : قال : والله ما أدري ما أقول لرسول الله ﷺ، قالت : فقلت لأمي : أجيبي رسول الله ﷺ، قالت : ما أدري ما أقول لرسول الله ﷺ قالت : فقلت وأنا جارية حديثة السن لا أقرأ كثيراً من القرآن : إني والله لقد علمت لقد سمعتم هذا الحديث حتى استقر في أنفسكم وصدقتم به فلئن قلت لكم : إني بريئة والله يعلم أني بريئة لا تصدقوني بذلك، ولئن اعترفت لكم بأمر، والله يعلم أني منه بريئة لتصدقني، والله ما أجد لكم مثلاً إلا قول أبي يوسف قال : (فصبر جميل والله المستعان على ما تصفون)][1].

فما الذي كان بعد هذا الصبر الجميل الذي لم تشتك به لأحد من البشر ؟؟، لقد نزلت براءتها من الله من فوق سبع سماوات وقد أصبحت براءتها قرءاناً يتلى إلى يوم القيامة، وسيدنا يعقوب عليه السلام كان لقائه بأبنائه جميعاً بعد أن صبر صبراً جميلاً، وكظم حزنه في قلبه من أبنائه وبث حزنه وألمه لله رب العالمين قائلاً لهم: ﴿**إِنَّمَا أَشْكُو بَثِّي وَحُزْنِي إِلَى اللّهِ وَأَعْلَمُ مِنَ اللّهِ مَا لاَ تَعْلَمُونَ**﴾ (يوسف: 86).

فقد فضل سيدنا يعقوب عليه السلام اللجوء إلى الله؛ لعلمه علم اليقين بأن الله لن يضيعه فمن وجد الله ماذا فقد؟!

ولقد أمر الله عز وجل سيدنا محمد ﷺ بالصبر الجميل في تعامله مع كفار مكة وذلك في قوله تعالى : ﴿**فَاصْبِرْ صَبْرًا جَمِيلًا**﴾ (المعارج : 5).

---

(1) صحيح مسلم، ص 1066، كتاب التوبة، باب في حديث الإفك وقبول توبة القاذف، حديث رقم (2770).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

يقول سيد قطب رحمه الله في تفسيره: "والدعوة إلى الصبر والتوجيه إليه صاحبت كل دعوة وتكررت لكل رسول، ولكل مؤمن يتبع الرسول ﷺ، وهي ضرورية لثقل العبء ومشقة الطريق، ولحفظ هذه النفوس متماسكة راضية، موصولة بالهدف البعيد، متطلعة كذلك إلى الأفق البعيد، والصبر الجميل هو الصبر المطمئن، الذي لا يصاحبه السخط ولا القلق ولا الشك في صدق الوعد، صبر الواثق من العاقبة، الراضي بقدر الله، الشاعر بحكمته من وراء الابتلاء، الموصول بالله المحتسب كل شيء عنده مما يقع به، وهذا اللون من الصبر هو الجدير بصاحب الدعوة، فهي دعوة الله، وهي دعوة إلى الله، ليس له فيها شيء وليس وراءها من غاية فكل ما يلقاه فيها، فهو في سبيل الله وكل ما يقع في شأنها هو من أمر الله فالصبر الجميل إذن ينبعث متناسقاً مع هذه الحقيقة، ومع الشعور بها في أعماق الضمير"[1].

هكذا نرى الصبر الجميل يُجَمِّل صاحبه في الدنيا أمام الله ثم أمام البشر، فيكون راضي النفسي مطمئن الفؤاد، وهو كذلك جميل في عاقبته بحيث ينال رضى الله عز وجل وجزاءه العظيم الذي أُعد لأهل الصبر حيث قال تعالى: ﴿**سَلَامٌ عَلَيْكُم بِمَا صَبَرْتُمْ فَنِعْمَ عُقْبَى الدَّارِ**﴾ (الرعد: 24)، وقال تعالى : ﴿**إِنَّمَا يُوَفَّى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُم بِغَيْرِ حِسَابٍ**﴾ (الزمر : 10).

المطلب الثالث : الاستعانة بالله عند سيدنا يعقوب عليه السلام :

قبل الحديث عن الاستعانة بالله تعالى عند سيدنا يعقوب عليه السلام لابد من تعريف الاستعانة بصفة عامة.

الاستعانة لغة :

"طلب العون"[2] والعون معناه : "الظهير على الأمر والجمع أعوان واستعان فأعانه .. وتعاون القوم واعتونوا : أعان بعضهم بعضاً"[3].

أنواع الاستعانة :

والاستعانة أنواع[4]؛ هي :

1- **الاستعانة بالله** : وهي طلب العون من الله وحده مع التذلل التام له، وتفويض الأمر إليه سبحانه واعتقاد كفايته وهذه لا تكون إلا لله عز وجل.

---

(1) في ظلال القرآن : سيد قطب، 3696/6.

(2) المفردات في غرائب القرآن : أبي القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهاني، تحقيق وضبط محمد سيد كيلاني، ص 354، دار المعرفة، بيروت، لبنان، دون طبعة أو تاريخ.

(3) المصباح المنير : أحمد الفيومي المقرئ، ص 260، كتاب العين.

(4) انظر عقيدة المؤمن : أبي بكر الجزائري، ص (73-74)، مكتبة العلوم والحكمة، المدينة المنورة، الطبعة الأولى، 1420هـ-1999م.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

2- **الاستعانة بالمخلوق على أمر يستطيع فعله** : وهذه تكون حسب الطلب المستعان عليه فإن كان تعاوناً على بر وأمر مباح شرعاً فهي جائزة للمعين والمستعين، ويثاب عليها المعين، وتكون في حقه مشروعة.

3- **الاستعانة بمخلوق حي حاضر غير قادر** : فهذه لغو لا فائدة من ورائها مثل أن يستعين بشخص ضعيف على حمل شيء ثقيل.

4- **الاستعانة بالأموات مطلقاً أو بأحياء غير حاضرين لا يقدرون على الفعل** : فهذا شرك بالله لأنه لا يقع إلا من شخص يعتقد أن لهؤلاء تصرفاً خفياً في الكون.

5- **الاستعانة بالأعمال والأحوال المحببة إلى الله** : وهذا أمر مشروع.

يقول ابن القيم : "والاستعانة تجمع أصلين : الثقة بالله والاعتماد عليه فإن العبد قد يثق بالواحد من الناس ولا يعتمد عليه في أموره مع ثقته به لاستغنائه عنه، وقد يعتمد عليه مع عدم ثقته به لحاجته إليه ولعدم من يقوم مقامه فيحتاج إلى اعتماده عليه مع أنه غير واثق به"[1]. فالواجب على المسلم أن يعتمد في أموره كلها على الله عز وجل وأن يستعين به على قضاء حاجاته.

الاستعانة بالله عند سيدنا يعقوب عليه السلام :

والمتأمل لسورة يوسف ملياً يلمس مواقف رائعة لسيدنا يعقوب عليه السلام، فكل موقف من مواقفه عليه السلام يُعلمنا شيئاً وخاصة في العقيدة الإسلامية التي ننتمي إليها، ومن هذه المواقف الرائعة – ومواقفه عليه السلام كلها رائعة وعظيمة – موقفه عندما فقد ابنه حبيب قلبه يوسف عليه السلام فقد قال: ﴿**فَصَبْرٌ جَمِيلٌ وَاللّهُ الْمُسْتَعَانُ عَلَى مَا تَصِفُونَ**﴾ (يوسف : 18)، فسيدنا يعقوب عليه السلام عندما قال ﴿**فَصَبْرٌ جَمِيلٌ**﴾ ذكر بعدها ﴿**وَاللّهُ الْمُسْتَعَانُ**﴾ فماذا نفهم من ذلك؟

نفهم من ذلك أنه لولا استعانته بالله ولجوئه إليه لما استطاع أن يصبر، فبالاستعانة بالله القادر على كل شيء يستطيع المسلم التغلب على الصعوبات والأزمات التي تواجهه في حياته، والله عز وجل عندما أمر رسوله ﷺ قال له : ﴿**وَاصْبِرْ وَمَا صَبْرُكَ إِلاَّ بِاللّهِ وَلاَ تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَلاَ تَكُ فِي ضَيْقٍ مِّمَّا يَمْكُرُونَ**﴾ (النحل : 127). وهذا يعني أنك يا محمد لن تستطيع الصبر إلا بالاستعانة بالله وعدم الاتكال على النفس فهو الذي يعينك ويثبتك[2].

---

(1) مدارج السالكين : لابن قيم الجوزية، 75/1.

(2) انظر تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان : للشيخ عبد الرحمن السعدي، ص 318.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

أيضاً يقول الرازي رحمه الله في تفسيره : "إن إقدامه على الصبر لا يمكن إلا بمعونة الله تعالى لأن الدواعي النفسانية تدعوه إلى إظهار الجزع وهي قوية، والدواعي الروحانية تدعوه إلى الصبر والرضا، فكأنه وقعت المحاربة بين الصنفين، فما لم تحصل إعانة الله تعالى لم تحصل الغلبة، فقوله **(فَصَبْرٌ جَمِيلٌ)** يجري مجرى قوله : **(إِيَّاكَ نَعْبُدُ)** وقوله : **(وَاللَّهُ الْمُسْتَعَانُ عَلَى مَا تَصِفُونَ)** يجري مجرى **(وإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ)**"[1].

هكذا هو حال المؤمن في كل أحواله يستعين بالله في كل شيء، فهو دائماً قوي لأنه يستمد هذه القوة من الله العلي العظيم الذي بيده ملكوت كل شيء، وهو القادر على كل شيء، ويعلم كل شيء، قال تعالى : ﴿**أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاءِ وَالأَرْضِ إِنَّ ذَلِكَ فِي كِتَابٍ إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ**﴾ (الحج : 70).

فالمؤمن يستند في حياته إلى أعظم قوة، وهي قوة الله سبحانه وتعالى ولا يمكن أن تتولد هذه القوة إلا بالاستعانة التامة به سبحانه، ولقد أدرك سيدنا يعقوب عليه السلام ذلك وأكثر، ولذلك كانت استعانته بالله قوية بقدر إيمانه العميق بالله تعالى.

والمسلم يكرر قوله تعالى: ﴿**إِيَّاكَ نَعْبُدُ وإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ**﴾ (الفاتحة: 5) عشرات المرات في كل يوم، ومن هذا التكرار تتولد الطاقة الروحية والقوة الإيمانية التي يشعر بها المسلم عندما يتوجه لله تعالى بالعبادة، ويقول موجهاً نداءه إلى الله الخالق : ﴿**إِيَّاكَ نَعْبُدُ وإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ**﴾ (الفاتحة : 5).

أهمية الاستعانة :

يقول ابن كثير رحمه الله في تفسيره : "قال بعض السلف الفاتحة سر القرآن وسرها هذه الكلمة **(إِيَّاكَ نَعْبُدُ وإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ)** فالأول تبرأ من الشرك، والثاني تبرأ من الحول والقوة والتفويض إلى الله عز وجل"[2].

وقد ورد عن أبي هريرة رضي الله عنه قال، قال رسول الله ﷺ : [قال الله تعالى قسمت الصلاة بيني وبين عبدي نصفين، ولعبدي ما سأل، فإذا قال العبد (الحمد لله رب العالمين) قال الله تعالى : حمدني عبدي، وإذا قال (الرحمن الرحيم) قال الله تعالى : أثنى عليّ عبدي، وإذا قال: (مالك يوم الدين) قال : مجدني عبدي ..، فإذا قال : (إياك نعبد وإياك نستعين) قال : هذا بيني وبين عبدي ولعبدي ما سأل، فإذا قال (إهدنا الصراط المستقيم صراط الذين أنعمت عليهم غير المغضوب عليهم ولا الضالين) قال : هذا لعبدي ولعبدي ما سأل][3].

---

(1) التفسير الكبير : للإمام الفخر الرازي، 105/17.
(2) تفسير القرآن العظيم : لابن كثير، 25/1.
(3) صحيح مسلم، ص 154، كتاب الصلاة، باب وجوب قراءة الفاتحة في كل ركعة .. حديث رقم (395).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

وهناك عدة تفسيرات لقوله تعالى : ﴿**إِيَّاكَ نَعْبُدُ وإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ**﴾ يذكرها ابن كثير في تفسيره ومنها "عن ابن عباس (إياك نعبد) يعني إياك نوحد ونخاف ونرجوك يا ربنا لا غيرك (وإياك نستعين) على طاعتك وعلى أمورنا كلها"[1].

"وقال قتادة : (إياك نعبد وإياك نستعين) يأمركم أن تخلصوا له العبادة وأن تستعينوه على أموركم وإنما قدم (إياك نعبد) على (إياك نستعين)؛ لأن العبادة هي المقصودة والاستعانة وسيلة إليها والاهتمام والحزم تقديم ما هو الأهم فالأهم"[2].

فالمسلم يستعين بالله في كل حوائجه حيث لا يستطيع أن يحقق له ما يريده إلا الله الواحد الأحد فالله وصف نفسه بأنه هو " الصمد " وذلك في قوله تعالى : ﴿**اللَّهُ الصَّمَدُ**﴾ (الإخلاص : 2)، والصمد هو : "المقصود في جميع الحوائج فأهل العالم العلوي والسفلي، مفتقرون إليه غاية الافتقار، يسألونه حوائجهم ويرغبون إليه في مهماتهم، لأنه الكامل في أوصافه، العليم الذي كمل في علمه، الحليم الذي كمل في حلمه، الرحيم الذي وسعت رحمته كل شيء وهكذا سائر أوصافه"[3].

ولقد حث سيدنا موسى عليه السلام قومه في معركته ضد فرعون على طلب العون والمدد من الله سبحانه قال تعالى حكاية عن سيدنا موسى عليه السلام: ﴿**اسْتَعِينُوا بِاللّهِ وَاصْبِرُواْ**﴾(الأعراف: 128)، وقد تشابه مع قول سيدنا يعقوب عليه السلام ﴿**فَصَبْرٌ جَمِيلٌ وَاللّهُ الْمُسْتَعَانُ**﴾ (يوسف : 18) حيث جعل كلٍ منهما الاستعانة بالله طريق للصبر على الأذى ومكر البشر، ونحن نعلم من خلال القرآن الكريم كم صبر سيدنا موسى عليه السلام على قومه حتى يُوصل إليهم دعوة الله تعالى، ويصبحوا أناساً مؤمنين موحدين، فسلام من الله على سيدنا موسى عليه السلام لصبره العظيم وإيمانه القوي المتين.

"وسيدنا يعقوب عليه السلام قد جمع بين الصبر الجميل وبين التعلق بالله القدير، ففر إلى من بيده مفاتيح الفرج، لعلمه بأن من آوى إليه كفاه، فالفزع إلى الله تعالى عند نزول المصائب يربط على القلب ويقرب من الرب، ويخفف من وطأة المصيبة على النفس، وهو دأب الصالحين في كل زمان"[4].

ولنرى ماذا فعل سيدنا يعقوب عليه السلام عندما فقد أبناءه الثلاثة، لابد أنه سيحزن حزناً عظيماً وسيتذكر مصابه الأول، فيثير ذلك في قلبه الحزن والألم من جديد، ويصبح الحزن والألم

---

(1) تفسير القرآن العظيم : لابن كثير، 26/1.

(2) تفسير القرآن العظيم : لابن كثير، 26/1.

(3) تفسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان : للشيخ عبد الرحمن السعدي، ص 685.

(4) الابتلاء وطريق السلامة : أ.د. ناصر العمر، 2007/3/10م. الموقع الرسمي لهيئة علماء المسلمين في العراق.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

مضاعفاً، فماذا كان موقف سيدنا يعقوب عليه السلام عندما لامه أبناؤه؟ قال تعالى حكاية عن سيدنا يعقوب عليه السلام : ﴿**وَتَوَلَّى عَنْهُمْ وَقَالَ يَا أَسَفَى عَلَى يُوسُفَ وَابْيَضَّتْ عَيْنَاهُ مِنَ الْحُزْنِ فَهُوَ كَظِيمٌ**﴾ (يوسف : 84)، يقول ابن الجوزي في تفسير قوله تعالى : (وتولى عنهم) : أي أعرض عن ولده أن يطيل معهم الخطب وانفرد بحزنه، وهيج عليه ذكر يوسف (وقال يا أسفى على يوسف) وهذه لها عدة معاني قال ابن عباس رضي الله عنه : يا طول حزني على يوسف، قال (ابن قتيبة) الأسف : أشد الحسرة، قال (سعيد بن جبير) : لقد أعطيت هذه الأمة عن المصيبة ما لم يعط الأنبياء قبلهم : (إنا لله وإنا إليه راجعون) ولو أعطيها الأنبياء لأعطيها يعقوب عليه السلام، إذ يقول " يا أسفى على يوسف " فإن قيل : هذه لفظة تشكي، فأين الصبر؟ فالجواب من وجهين : أحدهما أنه شكا إلى الله تعالى لا منه، والثاني : أنه أراد به الدعاء، فالمعنى : يا رب ارحم أسفي على يوسف .." [1].

إذن سيدنا يعقوب عليه السلام استعان عند مصيبته بالدعاء إلى الله عز وجل ليخفف عنه بلواه بفقد أحبته من أبنائه وليرجع إليه أبناءه جميعاً ومعهم أحبهم إلى قلبه وهو يوسف عليه السلام، ولقد بكى عليه حتى ابيضت عيناه، قال تعالى : ﴿**وَابْيَضَّتْ عَيْنَاهُ مِنَ الْحُزْنِ فَهُوَ كَظِيمٌ**﴾، والكظيم: بمعنى "الكاظم وهو الممسك على حزنه فلا يظهره"[2].

فسيدنا يعقوب عليه السلام بكى من شدة حزنه، والبكاء هو رحمة من الله يجعله في قلوب عباده الرحماء حيث إن رسول الله ﷺ بكى عندما مات ابنه إبراهيم وقد قال عليه السلام : " إن العين لتدمع، والقلب ليحزن، ولا نقول إلا ما يرضي الرب، وإنا بفراقك يا إبراهيم لمحزونون"[3].

فالحزن والدمع من طبيعة البشر، وما دام الإنسان لا يقول ما يغضب الله، فلا شيء –إن شاء الله– في ذلك وقدوتنا في ذلك سيدنا محمد ﷺ.

وسيدنا يعقوب عليه السلام عندما قال له أبناؤه كما ورد في قوله تعالى : ﴿**قَالُواْ تَاللّهِ تَفْتَأُ تَذْكُرُ يُوسُفَ حَتَّى تَكُونَ حَرَضًا أَوْ تَكُونَ مِنَ الْهَالِكِينَ**﴾ (يوسف : 85) كان رده قوياً فقال : ﴿**قَالَ إِنَّمَا أَشْكُو بَثِّي وَحُزْنِي إِلَى اللّهِ وَأَعْلَمُ مِنَ اللّهِ مَا لاَ تَعْلَمُونَ**﴾ (يوسف : 86) فهو لجأ إلى رب السماء والأرض، وإلى من يستطيع أن يخفف عنه ألمه وحزنه، ويُرجع إليه أبناءه، فهو قد استعان به سبحانه ومن استعان بالله لن يضيعه الله عز وجل.

---

(1) زاد المسير في علم التفسير : للإمام أبي الفرج عبد الرحمن ابن الجوزي، 463/2، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى 1422هـ–2001م.

(2) المصدر السابق، 463/2.

(3) صحيح البخاري، 255/1، كتاب الجنائز، باب قول النبي ﷺ "إنا بك لمحزونون"، حديث رقم (1303).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

يقول سيد قطب رحمه الله معلقاً على كلمات سيدنا يعقوب عليه السلام : "وفي هذه الكلمات يتجلى الشعور بحقيقة الألوهية في هذا القلب الموصول كما تتجلى هذه الحقيقة ذاتها بجلالها الغامر ولألائها الباهر"[1].

ولقد حثنا الله عز وجل بالاستعانة بالصبر والصلاة وذلك في قوله تعالى: ﴿**وَاسْتَعِينُواْ بِالصَّبْرِ وَالصَّلاَةِ وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلاَّ عَلَى الْخَاشِعِينَ**﴾ (البقرة : 45).

يقول الشيخ محمد متولي الشعراوي رحمه الله في تفسير هذه الآية "الله تبارك وتعالى يطلب من المؤمنين أن يستعينوا بالصبر والصلاة في أي أمر في حركة الحياة يفوق طاقة المؤمن وقدرته، ..... إذن لا بد أن تستوعب قدرة الإنسان الفعل فيستطيع إنجازه، ولكن ماذا يفعل الإنسان حين يجيء فعل يفوق قدرته؟ ساعتها يجب عليه أن يستعين بالقادر الذي لا تنفذ قدرته أبداً، إن هذه الآية يستطيع المؤمن أن يسير على هداها في كل حركة في الحياة، فيُقبل على الأشياء مستعيناً بمن خلق الأشياء سبحانه ولا يستعين الإنسان بالخالق جل وعلا إلا إذا كان مؤمناً به"[2].

لقد تيقن سيدنا يعقوب عليه السلام أن النافع والضار هو الله عز وجل وهو الذي بيده كل شيء، فقد ورد عن ابن عباس رضي الله عنهما قال : [كنت خلف النبي ﷺ، فقال لي : يا غلام إني أعلمك كلمات، احفظ الله يحفظك، احفظ الله تجده تجاهك، إذا سألت فاسأل الله، وإذا استعنت فاستعن بالله، واعلم أن الأمة لو اجتمعت على أن ينفعوك بشيء، لم ينفعوك إلا بشيء قد كتبه الله (تعالى) لك، وإن اجتمعوا على أن يضروك بشيء، لم يضروك إلا بشيء قد كتبه الله (تعالى) عليك، رفعت الأقلام وجفت الصحف][3].

فهذا الحديث يحتوي على قواعد مهمة ووصايا عظيمة في أمور العقيدة الإسلامية التي لا بد من التمسك بها وخاصة الإيمان بالقضاء والقدر[4]، كذلك تُعلِّم المؤمن الحرص على تقوى

---

(1) في ظلال القرآن : لسيد قطب، 2026/4.

(2) من كتاباته الإسلامية : الشيخ الشعراوي www.khayma.com/alsharawi/htm/kotob2/14.htm صلاة الخاشعين ... والاستعانة بالصبر والصلاة.

(3) سنن الترمذي، ص 567، حكم على أحاديثه المحدث : محمد ناصر الدين الألباني، كتاب (صفة القيامة والرقائق والورع عن الرسول ﷺ، باب (59)، حديث رقم (2516)، وقال عنه صحيح، مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، الرياض، الطبعة الأولى.

(4) انظر جامع العلوم والحكم : لأبي الفرج الحنبلي البغدادي، ص 186، دار التربية، بغداد، الطبعة الأولى 1421هـ-2001م.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

الله في جميع أعماله حتى يحفظه الله من كل سوء لقوله تعالى: ﴿**وَمَن يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَل لَّهُ مَخْرَجًا* وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ**﴾ (الطلاق : 2-3).

فالله يكفي عبده المؤمن من كل شيء، إذا سار في طريق الله، لا يرجو إلا رضاه، كما يرشدنا رسولنا محمد ﷺ بألا نسأل إلا الله وذلك لأن "سؤال الله دون خلقه هو المُتَعَيَنْ، لأن السؤال فيه إظهار الذل من السائل والمسكنة والحاجة والافتقار وفيه الاعتراف بقدرة المسئول على رفع هذا الضر ونيل المطلوب وجلب المنافع ودرء المضار، ولا يصلح الذل والافتقار إلا لله وحده لأنه حقيقة العبادة"[1].

وكذلك الاستعانة به سبحانه وحده في الأشياء التي لا يملكها إلا هو سبحانه، حيث إن العبد يعجز عن جلب مصالحه، ورفع مضاره بنفسه، ولكن الله هو الذي يعينه ويوفقه إلى كل خير، ويبعده عن كل شر، فالمُعان هو من أعانه الله، والمخذول من خذله الله، وهذا هو تحقيق معنى "لا حول ولا قوة إلا بالله" فلا تحول من حال إلى حال إلا به سبحانه وهذه الكلمة العظيمة كنز من كنوز الجنة، ويحتاجها العبد في كل أمور حياته من فعل المأمورات، وترك المحظورات، والصبر على جميع الابتلاءات سواءً في الدنيا أو الآخرة، ولا يقدر على الإعانة في كل ذلك إلا الله سبحانه وتعالى[2].

(1)جامع العلوم والحكم : لأبي الفرج الحنبلي البغدادي، ص 193.

(2) انظر المصدر السابق، ص 193-194.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

المبحث الثاني

دور العقيدة في بناء الثقة بالله عند سيدنا يعقوب عليه السلام

المطلب الأول : تعريف الثقة بالله – أنواعها – مصادرها – عوامل تقويتها – ثمارها.

المطلب الثاني : الثقة بالله عند سيدنا يعقوب عليه السلام.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

المبحث الثاني

دور العقيدة في بناء الثقة بالله عند سيدنا يعقوب عليه السلام

المطلب الأول: تعريف الثقة بالله– أنواعها– مصادرها – عوامل تقويتها – ثمارها:

إن الثقة تترتب على الإيمان بأسماء الله وصفاته، فهو النافع الضار، الحافظ، صادق الوفاء بالوعد والنصر والتمكين، وحبه لعباده والتوكل يترتب على الثقة به سبحانه :

أولاً : معنى الثقة بالله :

فقد عرفها أبو نعيم الأصفهاني : "أن لا تسعى في طمع ولا تتحكم في طمع ولا ترجو دون الله سواه، ولا تخاف دون الله سواه، ولا تخشى من شيء سواه، ولا يحرك من جوارحه شيئاً دون الله يعني في طاعته، واجتناب معاصيه"[1].

وقال عنها الإمام ابن القيم: بأنها "النقطة التي يدور عليها التفويض كما أنها سويداء قلب التسليم"[2].

وعُرفت بأنها : تعلق القلب بالله مع العمل بالأسباب الشرعية[3].

فالثقة بالله : هي تفويض الأمر لله في كل شيء، والتسليم المطلق لقضائه مع العمل بالأسباب، قال تعالى : ﴿**وَأُفَوِّضُ أَمْرِي إِلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ**﴾ (غافر : 44).

وبالنسبة للعلاقة بين الثقة والتوكل : فإن ابن القيم رحمه الله يشبه الثقة بالروح والتوكل عبارة عن الجسد الحامل لها[4].

والحقيقة أن الثقة والتوكل شيئان مترابطان معاً برباط وثيق، فكلما زادت الثقة بالله في نفس المؤمن كلما ازداد توكله على الله، والعكس صحيح، كلما قلت الثقة كان التوكل على الله ضعيفاً.

ثانياً : أنواع الثقة :

تتنوع الثقة بين الثقة بالنفس، والثقة بثواب الله أو بنصر الله وكلها منبثقة عن الثقة بالله.

1- الثقة بالنفس :

وهي أن يشعر المؤمن بالقوة النابعة من إيمانه بالله عز وجل بحيث لا يعتريه ضعف أو خور[5].

فالله عز وجل يقول: ﴿**وَلاَ تَهِنُوا وَلاَ تَحْزَنُوا وَأَنتُمُ الأَعْلَوْنَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ**﴾ (آل عمران: 139).

---

(1) حلية الأولياء : لأبي نعيم الأصفهاني، 61/8، دار الكتاب العربي، بيروت، الطبعة الرابعة، 1405م.
(2) تهذيب مدارج السالكين : لابن قيم الجوزية، تهذيب عبد المنعم العزي، ص 347، دون دار طبع أو تاريخ.
(3) انظر الثقة : للأستاذ عبد الجليل صكنيصني، www.islamonline.net.
(4) انظر تهذيب مدارج الساليكن لابن قيم الجوزية : هذبه عبد المنعم العزي، ص 347.
(5) انظر (في ظلال الثقة) : أمير المدري said.net/doat/ameer/12htm 1428/4/28هـ.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

يقول ابن كثير في تفسيره لهذه الآية : "لا تضعفوا أيها المؤمنون بسبب ما حدث لكم لأن العاقبة والنصرة لكم بإذن الله تعالى"[1].

ونلاحظ في الآية الكريمة أن الله عز وجل قال : ﴿**إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ**﴾ وكأن شرط العزة وعدم الشعور بالضعف والإهانة هو الإيمان الكامل بالله، فبالإيمان تكون الثقة بالنفس وعلو الهمة والشعور بالكرامة.

2- الثقة بثواب الله :

وهو أن يعتقد المسلم أن أي خطوة يخطوها في سبيل الله فإن الله سيكتب له بها أجر، قال تعالى: ﴿**ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ لاَ يُصِيبُهُمْ ظَمَأٌ وَلاَ نَصَبٌ وَلاَ مَخْمَصَةٌ فِي سَبِيلِ اللّهِ وَلاَ يَطَؤُونَ مَوْطِئًا يَغِيظُ الْكُفَّارَ وَلاَ يَنَالُونَ مِنْ عَدُوٍّ نَّيْلاً إِلاَّ كُتِبَ لَهُم بِهِ عَمَلٌ صَالِحٌ إِنَّ اللّهَ لاَ يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ**﴾ (التوبة : 120).

يقول الشيخ عبد الرحمن السعدي في تفسيره : "ومن ذلك هذه الأعمال، إذا أخلصوا فيها لله، ونصحوا فيها ففي هذه الآيات أشد ترغيب، وتشويق للنفوس إلى الخروج إلى الجهاد في سبيل الله، والاحتساب لما يصيبهم فيه من المشقات، وأن ذلك لهم رفعة درجات، وأن الآثار المترتبة على عمل العبد له فيها أجر كبير"[2].

فالمؤمن يعمل العمل الصالح ويرجو من ذلك ثواب الله، ويتذكر أن الجنة – بإذن الله – هي موطنه الأصلي الذي لا يحيد عنه أبداً، قال تعالى : ﴿**إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ مَفَازًا * حَدَائِقَ وَأَعْنَابًا * وَكَوَاعِبَ أَتْرَابًا * وَكَأْسًا دِهَاقًا * لَّا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا وَلَا كِذَّابًا * جَزَاء مِّن رَّبِّكَ عَطَاء حِسَابًا**﴾ (النبأ : 31-36).

3- الثقة بنصر الله :

المسلم دائماً على يقين بأن نصر الله قادم لهذا الدين، فالله عز وجل وعد المؤمنين الصادقين بالنصر وهو لا يخلف الميعاد، فمهما تعالى الكفر والطغيان، وتجبر أهل النفاق فلا بد من موعد مع النصر الذي أعده الله لأوليائه لقوله تعالى في كتابه العزيز : ﴿**وَإِنَّ جُندَنَا لَهُمُ الْغَالِبُونَ**﴾ (الصافات: 173)، وقوله تعالى: ﴿**إِنَّا لَنَنصُرُ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ**

(1) انظر تفسير القرآن العظيم : لابن كثير، 408/1.

(2) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان : عبد الرحمن السعدي، ص 242.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

يَقُومُ الأَشْهَادُ﴾ (غافر : 51)[1]، وفي هذا سلوان لكل جماعة مؤمنة تجاهد رغم ضعف إمكانياتها وجبروت عدوها، فتكون واثقة بنصر ربها.

ثالثاً : مصادر الثقة بالله :

للثقة بالله مصادر متعددة تتمثل في :

1- التمسك بكتاب الله :

فالمسلم الذي يقرأ ورداً من القرآن الكريم كل يوم، فإنه لابد أن يشعر بأن إيمانه يزداد، وتبعاً لذلك تزداد ثقته في الله، فآيات القرآن التي يتلوها المسلم تعمل عمل المولد للطاقة الإيمانية، فيشعر المؤمن بأنه مع ربه يناجيه، يخفف عنه آلامه، ويستبشر من خلال الآيات التي تذكره بالجنة، والثواب العظيم الذي أعده الله لأهل التقوى والإيمان، مما يجعله قوي الإرادة، صلباً في الحق، لا يتسرب إليه أي شيء من الضعف أو اليأس، ففي قوله تعالى: ﴿**فَلَا تَهِنُوا وَتَدْعُوا إِلَى السَّلْمِ وَأَنتُمُ الْأَعْلَوْنَ وَاللَّهُ مَعَكُمْ وَلَن يَتِرَكُمْ أَعْمَالَكُمْ**﴾ (محمد : 35)، هنا يثبت الله عز وجل الثقة بنصره وتأييده في نفوس المؤمنين معلناً أن النصر بيده سبحانه وأن القلة مع تأييد الله لها لا بد لها من الغلبة على الكثرة الكافرة مهما بلغت قوتها، قال تعالى: ﴿**قَالَ الَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُم مُّلَاقُو اللّهِ كَم مِّن فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةً بِإِذْنِ اللّهِ وَاللّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ**﴾ (البقرة : 249).

وعندما يقرأ المسلم في كتاب ربه قوله تعالى : ﴿**ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ مَوْلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَأَنَّ الْكَافِرِينَ لَا مَوْلَى لَهُمْ**﴾ (محمد: 11) يزداد ثقته بربه، فمن كان الله مولاه فهو يكفيه من كل شيء.

يقول سيد قطب رحمه الله في تفسيره لهذه الآية : "ومن كان الله مولاه وناصره فحسبه، وفيه الكفاية والغناء، وكل ما قد يصيبه إنما هو ابتلاء وراءه الخير، لا تخلياً من الله عن ولايته له، ولا تخلفاً لوعد الله بنصر من يتولاهم من عباده، ومن لم يكن الله مولاه، فلا مولى له، ولو تجمعت له كل أسباب الحماية وكل أسباب القوة التي تجعله يعرفه الناس بها"[2].

2- الرجوع إلى الله وحسن الصلة به عز وجل :

فتجديد العلاقة بين المسلم وربه من خلال الرجوع إليه بالاستغفار والتوبة في كل فترات حياته، هذا مما يجعله في حصن حصين من تراكم الذنوب والمعاصي، فالاستغفار يكون بمثابة الممحاة التي تمحو الذنوب فلا يبقى منها شيء، فيثقل ميزان الحسنات وتنتعش روحه، ويصفو

---

(1) انظر (في ظلال الثقة) : لأمير المدري ، said.net/data/ameer/12.htm.

(2) في ظلال القرآن : سيد قطب، 3290/6.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

قلبه من كدر الذنوب، وتصبح الصلة بالله قوية وبالتالي تزداد ثقته بمولاه، فأينما يتوجه فهو في خير دائم، وبذلك تصبح حياته طيبة، وفي رضىً من الله، فالله عز وجل يقول : ﴿**مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ**﴾ (النحل : 97).

يقول ابن كثير رحمه الله في تفسيره لهذه الآية : "هذا وعد من الله تعالى لمن عمل صالحاً وهو العمل المتابع لكتاب الله وسنة رسوله ﷺ من ذكر أو أنثى من بني آدم وقلبه مؤمن بالله ورسوله وإن هذا العمل المأمور به مشروع من عند الله تعالى بأن يحييه الله حياة طيبة في الدنيا وأن يجزيه بأحسن ما عمله في الدار الآخرة، والحياة الطيبة تشتمل وجوه الراحة من أي جهة كانت"[1].

3- السعي لإرضاء الله في كل الأحوال :

إن المؤمن الذي يسعى دائماً لإرضاء الله في كل أعماله، ويراقب ربه في السر والعلن، فإنه يشعر بتوفيق الله تعالى له وذلك بتسهيله له أموره كلها، ومن هنا تتولد الثقة المطلقة بالله عز وجل والحب الشديد له، فيكون دائماً في حفظ الله تعالى ورعايته ويكون ممن قال الله فيهم : ﴿**أَلا إِنَّ أَوْلِيَاء اللّهِ لاَ خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلاَ هُمْ يَحْزَنُونَ**﴾ (يونس : 62). ويكون ممن ذُكروا في الحديث القدسي الذي ورد [عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ: إن الله تعالى قال: من عادى لي ولياً فقد آذنته بالحرب، وما تقرب إليّ عبدي بشيء أحب إليّ مما افترضته عليه، ولا يزال عبدي يتقرب إليّ بالنوافل حتى أحبه، فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به، وبصره الذي يبصر به، ويده التي يبطش بها، ورجله التي يمشي بها، ولئن سألني لأعطينه، ولئن استعاذني لأعيذنه][2].[3]

4- معرفة الله سبحانه وتعالى عن طريق الإيمان بأسمائه وصفاته :

والإيمان بأسماء الله تعالى وصفاته : "هو إفراد الله سبحانه بما سمى به نفسه ووصف به نفسه في كتابه أو على لسان رسوله ﷺ ونفي ما نفاه عن نفسه، وذلك بإثبات ما أثبته لنفسه من الأسماء والصفات الواردة في الكتاب والسنة من غير تحريف ألفاظها أو معانيها، ولا تعطيلها بنفيها، أو نفي بعضها، ولا تكييفها بتحديد كنهها، وإثبات كيفية معينة لها ولا تشبيهها بصفات المخلوقين، ونفي أي صفة من صفات النقص التي نفاها الله تعالى عن نفسه"[4].

---

(1) تفسير القرآن العظيم : لابن كثير، 585/2.

(2) صحيح البخاري، 1297/4، كتاب الرقاق، باب التواضع، حديث رقم (6502).

(3) انظر الثقة بالله تعالى وأثرها في العمل الإسلامي، 1428/5/3هـ، www.islammemo.cc.

(4) شرح أصول العقيدة الإسلامية : د. نسيم ياسين، ص 51.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

وهذه المعرفة لها تأثير كبير في نفس المسلم، حيث يجعل إيمانه بالله قوياً راسخاً، وذلك لمعرفته لله الخالق حق المعرفة، وقد اتضحت له صفاته من قوة، ورحمة ومغفرة وعقاب وقدرة، وأنه هو الأول فلا شيء قبله، وهو الآخر فليس بعده شيء. قال تعالى : ﴿**هُوَ الْأَوَّلُ وَالْآخِرُ وَالظَّاهِرُ وَالْبَاطِنُ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ**﴾ (الحديد : 3).

ومعرفة المسلم بأن الله خبير، عليم بكل شيء يجعل في النفس طمأنينة وراحة وثقة بالله تعالى قال تعالى:﴿**الَّذِينَ آمَنُواْ وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكْرِ اللّهِ أَلاَ بِذِكْرِ اللّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ**﴾ (الرعد: 28)، وقوله تعالى : ﴿**وَمَن يُؤْمِن بِاللَّهِ يَهْدِ قَلْبَهُ**﴾ (التغابن : 11).

فالإيمان الحقيقي بالله وكذلك بأسمائه وصفاته يمنح المؤمن ثقة تامة بالله وبالتالي لا يتسرب إلى قلبه اليأس أو القنوط فهو في كل الأحوال مع ربه، يفيض قلبه بالحب والطمأنينة والسكينة والثقة[1].

5- الإيمان بالملائكة :

ومعناه : "الاعتقاد الجازم بوجود الملائكة وأنهم خلق لله تعالى، خلقهم من نور، وهم لا يعصون الله ما أمرهم، وأنهم قائمون بوظائفهم التي كلفهم الله بها خير قيام"[2].

ولقد أعطى الله الملائكة قوة كبيرة وسخرها للعمل بما أمر الله تعالى به، فقد أخبر عنهم وعن شدتهم في نار جهنم فقال عز وجل : ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ عَلَيْهَا مَلَائِكَةٌ غِلَاظٌ شِدَادٌ لا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ**﴾ (التحريم : 6). ومعرفة المؤمن للملائكة حق المعرفة تجعله يثق بقدرة الله وعظمته، حيث إن الله تعالى أخبر بمساعدة الملائكة للمؤمنين، وبهذا تقوى ثقة المؤمن بربه[3]، قال تعالى: ﴿ **إِذْ يُوحِي رَبُّكَ إِلَى الْمَلآئِكَةِ أَنِّي مَعَكُمْ فَثَبِّتُواْ الَّذِينَ آمَنُواْ**﴾ (الأنفال : 12).

يقول ابن كثير رحمه الله في تفسيره لهذه الآية: "وهذه نعمة خفية أظهرها الله تعالى لهم ليشكروه عليها وهو أنه تعالى وتقدس وتبارك وتمجد أوحى إلى الملائكة الذين أنزلهم لنصر نبيه ودينه وحزبه المؤمنين يوحي إليهم فيما بينه وبينهم أن يثبتوا الذين آمنوا، قال ابن إسحاق : وآزرهم وقال غيره : قاتلوا معهم، وقيل : كثروا سوادهم، وقيل : كان ذلك بأن الملك كان يأتي

---

(1) انظر الثقة بالله تعالى وأثرها في العمل الإسلامي 1428/5/3هـ www.islammemo.cc.

(2) شرح أصول العقيدة الإسلامية : د. نسيم ياسين، ص 70.

(3) انظر الثقة بالله تعالى وأثرها في العمل الإسلامي www.islammemo.cc.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

الرجل من أصحاب النبي ﷺ فيقول : سمعت هؤلاء القوم يعني المشركين يقولون : والله لئن حملوا علينا لننكشفن فيُحَدِّث المسلمون بعضهم بعضاً بذلك فتقوى أنفسهم"[1].

6- الإيمان باليوم الآخر :

ومعناه : "الإيمان بكل ما أخبر به الله عز وجل عن طريق الوحي، مما يكون بعد الموت من فتنة القبر وعذابه ونعيمه، والبعث والحشر والصحف والحساب والميزان والحوض والشفاعة، والجنة والنار، وما أعد الله تعالى لأهلهما جميعاً"[2].

فالإيمان بكل هذه الأمور تجعل المؤمن واثقاً تمام الثقة بالله، فهو يثق بأن الله سيجزيه خير الجزاء إن هو عمل لإرضائه سبحانه، وبالتالي يحيا حياة كلها حب لله ورسوله وللمؤمنين، لأنه يعلم علم اليقين أن ما أعده الله له من الأجر لا يمكن أن يعادله أي شيء من أمور الدنيا الفانية، فهو يتذكر الجنة ونعيمها الأبدي الذي لا يفنى، لقوله تعالى : ﴿**وَمَن يُطِعِ اللّهَ وَرَسُولَهُ يُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا**﴾ (النساء : 13)[3]. وقوله تعالى : ﴿**مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ**﴾ (النحل : 97).

يقول سيد قطب رحمه الله في تفسيره لهذه الآية : "أن العمل الصالح لابد له من القاعدة الأصيلة التي يرتكز عليها، قاعدة الإيمان بالله "وهو مؤمن" فبغير هذه القاعدة لا يقوم بناء، وبغير هذه الرابطة لا يتجمع شتاته، إنما هو هباء كرماد اشتدت به الريح في يوم عاصف، والعقيدة هي المحور الذي تشتد إليه الخيوط جميعاً، وإلا فهي أنكاث : فالعقيدة هي التي تجعل للعمل الصالح باعثاً وغاية فتجعل الخير أصيلاً ثابتاً يستند إلى أصل كبير، لا عارضاً مُزعزعاً يميل مع الشهوات والأهواء حيث تميل، وأن العمل الصالح مع الإيمان جزاؤه حياة طيبة في هذه الأرض، لا يهم أن تكون ناعمة رغدة ثرية بالمال فقد تكون به، وقد لا يكون معها، وفي الحياة أشياء كثيرة غير المال الكثير تطيب به الحياة في حدود الكفاية : منها الاتصال بالله والثقة به والاطمئنان إلى رعايته وستره ورضاه، وفيها الصحة والهدوء والرضى والبركة، وسكن البيوت ومودات القلوب، وفيها الفرح بالعمل الصالح وآثاره في الضمير وآثاره في الحياة .." [4].

---

(1) تفسير القرآن العظيم : لابن كثير، 292/2.

(2) شرح أصول العقيدة الإسلامية : د. نسيم ياسين، ص 150.

(3) انظر المرجع السابق، ص 204.

(4) في ظلال القرآن : سيد قطب، 2193/4.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

رابعاً : ثمار الثقة بالله :

للثقة بالله ثمار طيبة عظيمة يجنيها كل من وثق بربه وآمن به سبحانه حق الإيمان، وهذه الثمار منها ما يُجنى في الدنيا ومنها ما يُجنى في الآخرة.

أ- الثمار الدنيوية :

1- التسليم لحكم الله الديني الأمري :

وهو تسليم المؤمنين. يقول ابن القيم عن التسليم لحكم الله الديني : بأن هذا التسليم "تسليم المؤمنين العارفين. قال تعالى: ﴿**فَلاَ وَرَبِّكَ لاَ يُؤْمِنُونَ حَتَّىَ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لاَ يَجِدُواْ فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُواْ تَسْلِيمًا**﴾ (النساء : 65). فهذه ثلاث مراتب : التحكيم وسعة الصدر بانتفاء الحرج والتسليم"[1].

2- الرضا بقضاء الله تعالى وقدره :

فالواثق بربه يوقن بأن كل ما يقدره الله عز وجل هو خير له وإن كان في ظاهر الأمر شراً، فإنه يؤمن بقوله تعالى : ﴿**وَعَسَى أَن تَكْرَهُواْ شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ**﴾ (البقرة : 216).

ويؤمن كذلك بحديث الرسول ﷺ : [عجباً لأمر المؤمن، وإن أمره كله خير، وليس ذلك لأحد إلا للمؤمن، إن أصابته سراء شكر فكان خيراً له، وإن أصابته ضراء صبر فكان خيراً له][2].

3- اطمئنان النفس وسكينتها بتعرفها على خالقها وهدايته لها :

فالواثق بربه يعرف أنه خلق لغاية عظيمة وهي عبادة الواحد الأحد، فالله عز وجل يقول: ﴿**وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالإِنسَ إِلا لِيَعْبُدُونِ**﴾ (الذاريات : 56) ولهذا يسير في حياته وفق ما أمره الله حتى يلقى الله وهو عنه راضٍ، وهو مؤمن بقوله تعالى: ﴿**كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ الْمَوْتِ**﴾ (آل عمران: 185)، فيعد العدة لهذا اليوم الذي يلاقي فيه ربه مؤمناً بأنه سيجازيه على كل عمل عمله في حياته، إن كان خيراً فخير، وإن كان شراً فشر، قال تعالى : ﴿**فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ * وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ**﴾ (الزلزلة : 7-8).

4- عدم الندم على ما فات من أمور الدنيا :

حيث إن الواثق بربه يعلم علم اليقين بأن ما عند الله خير وأبقى وأنه مهما عمل من أعمال صالحة فإنه سينال أجره من الله عز وجل يوم القيامة فينام قرير العين، ساكن النفس، ذو قوة نفسية وروحانية عالية[3].

---

(1) تهذيب مدارج السالكين : كتبه الإمام ابن قيم الجوزية، وهذبه عبد المنعم العزّي، ص 348.

(2) صحيح مسلم، ص 1144، كتاب الزهد والرقائق، باب المؤمن أمره كله خير، حديث رقم (2999).

(3) انظر الثقة بالله تعالى وأثرها في العمل الإسلامي www.islammemo.cc.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

ب- الثمار الأخروية :

إن الواثق بربه ينال السعادة الأبدية في جنة عرضها السماوات والأرض أعدت للمتقين، وهو يستشعر دائماً قوله تعالى: ﴿**سَابِقُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا كَعَرْضِ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أُعِدَّتْ لِلَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ**﴾ (الحديد: 21).

كذلك يتذكر الحديث القدسي الذي ورد [عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ، قال الله : أعددت لعبادي الصالحين ما لا عين رأت، ولا أذن سمعت، ولا خطر على قلب بشر، فاقرأوا إن شئتم ﴿**فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّا أُخْفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ**﴾ (السجدة : 17)][1].

وعلى ذلك فالواجب على المسلم ألا يفقد ثقته بربه؛ لأنه سبحانه ذو رحمة واسعة بعباده المؤمنين الموحدين، وهو كريم يكرم عباده المتقين في الدنيا بالراحة النفسية وفي الآخرة بجنة عرضها السماوات والأرض أُعدت لهم إعداداً يليق بكرامتهم عند ربهم.

المطلب الثاني : الثقة بالله عند سيدنا يعقوب عليه السلام :

لقد ضرب سيدنا يعقوب عليه السلام أروع الأمثلة في الصبر والاحتساب والاستعانة بالله والثقة به سبحانه وتعالى، حيث تبين لنا الآيات من سورة يوسف عليه السلام الثقة الكبيرة عند سيدنا يعقوب برد أبنائه جميعاً إليه، وكذلك ثقته برحمة الله، وبصدق وحيه عز وجل إليه.

لقد عاش سيدنا يعقوب عليه السلام في ظلال الثقة بالله وهذه نتيجة طبيعية لإيمانه الشديد بالله وتوكله عليه سبحانه. فعندما افتقد أبناءه الثلاثة قال : ﴿**عَسَى اللّهُ أَن يَأْتِيَنِي بِهِمْ جَمِيعًا**﴾ (يوسف: 83) نجد الثقة العظيمة بالله وقد تأمل رجوع أبنائه الثلاثة إليه، حتى يوسف عليه السلام الذي افتقده منذ سنوات، كان واثقاً تمام الثقة بأنه سيرجع إليه.

يقول الإمام الفخر الرازي رحمه الله : "وإنما حكم بهذا الحكم لوجوه :
الأول : أنه طال حزنه وبلاؤه ومحنته فعلم أنه تعالى سيجعل له فرجاً ومخرجاً عن قريب فقال ذلك على سبيل حسن الظن برحمة الله. **والثاني** : لعله تعالى قد أخبره من بعد محنة يوسف أنه حي أو ظهرت له علامات ذلك وإنما قال ﴿**عَسَى اللّهُ أَن يَأْتِيَنِي بِهِمْ جَمِيعًا**﴾ (يوسف: 83) لأنهم حين ذهبوا بيوسف كانوا اثني عشر فضاع يوسف وبقي أحد عشر. ولما أرسلهم إلى مصر عادوا تسعة لأن بنيامين حبسه يوسف واحتبس ذلك الكبير الذي قال ﴿**فَلَنْ أَبْرَحَ الأَرْضَ حَتَّىَ يَأْذَنَ لِي أَبِي أَوْ يَحْكُمَ اللّهُ لِي**﴾ (يوسف : 80)، فلما كان الغائبون ثلاثة لا جرم قال ﴿**عَسَى اللّهُ أَن يَأْتِيَنِي**

(1) صحيح البخاري، 655/2، كتاب (بدء الخلق)، باب (ما جاء في صفة الجنة وأنها مخلوقة)، حديث رقم (3244).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

بِهِمْ جَمِيعًا﴾ (يوسف : 83)، ثم قال ﴿**إِنَّهُ هُوَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ﴾** (يوسف : 83) يعني هو العالم بحقائق الأمور، الحكيم فيها على الوجه المطابق للفضل والإحسان والرحمة والمصلحة"[1].

الثقة بالله دواء القلوب :

فالمؤمن دائماً يثق تمام الثقة بأن ما يُقدِّره الله يكون خيراً له في جميع الوجوه، فهو يحسن الظن بربه. يقول د. محمد سيد طنطاوي في تفسيره نفس الآية "عسى الله تعالى أن يجمعني بأولادي جميعاً –يوسف وبنيامين وروبيل– الذي تخلف عنهم في مصر، إنه سبحانه هو العليم بحالي، الحكيم في كل ما يفعله ويقضي به، وهذا القول من يعقوب عليه السلام يدل دلالة واضحة على كمال إيمانه، وحسن صلته بالله تعالى وقوة رجائه في كرمه وعطفه ولطفه سبحانه وكأنه بهذا القول يرى بنور الله الذي غرسه في قلبه، ما لا يراه غيره بحواسه وجوارحه"[2].

إن ذلك يعود إلى الإيمان بالله تعالى والاتصال الوثيق الدائم به سبحانه والإحساس بوجوده ورحمته، وهذا الإحساس دائماً يتجلى في قلوب الصفوة المختارة، فيصبح بذلك أصدق وأقرب من الواقع المحسوس الذي تلمسه الأيدي ويراه البصر[3]. فحسن الظن بالله والثقة به سبحانه هي الدواء لكل قلب عليل، وهي البلسم لكل قلب مؤمن مُقبل على الله.

الثقة بالله تُولد الأمل :

وقول سيدنا يعقوب عليه السلام الذي أخبرنا به الله عز وجل في قوله تعالى : ﴿**يَا بَنِيَّ اذْهَبُواْ فَتَحَسَّسُواْ مِن يُوسُفَ وَأَخِيهِ وَلاَ تَيْأَسُواْ مِن رَّوْحِ اللّهِ إِنَّهُ لاَ يَيْأَسُ مِن رَّوْحِ اللّهِ إِلاَّ الْقَوْمُ الْكَافِرُونَ﴾** (يوسف : 87) يدل دلالة واضحة على الثقة الشديدة بالله عز وجل فهو ما يزال عنده الأمل في أن يلتقي بيوسف عليه السلام.

يقول ابن كثير : – في تفسيره – أن سيدنا يعقوب عليه السلام "ندب بنيه على الذهاب في الأرض يستعلمون أخبار يوسف وأخيه بنيامين، والتحسس يكون في الخير، والتجسس يكون في الشر، ونهضهم وبشرهم وأمرهم أن لا ييأسوا من روح الله أي لا يقطعوا رجاءهم وأملهم من الله فيما يرومونه ويقصدونه، فإنه لا يقطع الرجاء ولا ييأس من روح الله إلا القوم الكافرون"[4].

---

(1) التفسير الكبير : للإمام الفخر الرازي، 191/17–192.

(2) القصة في القرآن الكريم : د. محمد سيد طنطاوي، 269/1، نهضة مصر للطباعة والنشر، سنة 2001م.

(3) انظر في ظلال القرآن : سيد قطب، 2025/4.

(4) تفسير القرآن العظيم : لابن كثير، 488/2.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

وهكذا دائماً المؤمن، كلما ادلهمّت الخطوب، كلما ارتبط بحبل الله المتين، وازداد قلبه ثقة ويقين، فيحث من حوله على رجاء رحمة الله وفرجه، فالله يجعل من بعد العسر يسرا، قال تعالى: ﴿**فَإِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا * إِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا**﴾ (الشرح : 5-6)[1].

فهذه بشارة عظيمة لكل من وقع في مصيبة من المصائب، أو أمر عسير وصعب على النفس البشرية فإن اليسر والفرج يصاحب ذلك العسر وذلك في قوله تعالى : ﴿**سَيَجْعَلُ اللَّهُ بَعْدَ عُسْرٍ يُسْرًا**﴾ (الطلاق : 7)[2].

يقول الشيخ عبد الرحمن السعدي: "وتعريف (العسر) في الآيتين يدل على أنه واحد، وتنكير (اليسر) يدل على تكراره، فلن يغلب عسرٌ يسرين. وفي تعريفه بالألف واللام، الدال على الاستغراق والعموم، دلالة على أن كل عسر، وإن بلغ من الصعوبة ما بلغ فإنه في آخره التيسير ملازم له"[3].

ويصور سيد قطب رحمه الله يصور لنا كيفية البحث عن سيدنا يوسف عليه السلام التي أمر سيدنا يعقوب عليه السلام بنيه به فيقول في تفسيره لقوله تعالى : ﴿**يَا بَنِيَّ اذْهَبُواْ فَتَحَسَّسُواْ مِن يُوسُفَ وَأَخِيهِ**﴾، "تحسسوا بحواسكم، في لطف وبصر وصبر على البحث، ودون يأس من الله وفرجه ورحمته، وكلمة "روح" أدق دلالة وأكثر شفافية، ففيها ظل الاسترواح من الكرب الخانق بما ينسم على الأرواح من روْح الله الندي"[4].

أما تفسيره رحمه الله لقوله تعالى : ﴿**إِنَّهُ لاَ يَيْأَسُ مِن رَّوْحِ اللّهِ إِلاَّ الْقَوْمُ الْكَافِرُونَ**﴾ فيوضح مدى ثقة المؤمن بربه وخاصة في وقت الشدة فيقول : "فأما المؤمنون الموصولة قلوبهم بالله، الندية أرواحهم بروحه، الشاعرون بنفحاته المحيية الرخية، فإنهم لا ييأسون من روح الله ولو أحاط بهم الكرب، واشتد بهم الضيق، وإن المؤمن لفي روح من ظلال إيمانه، وفي أنس من صلته بربه، وفي طمأنينة من ثقته بمولاه، وهو في مضايق الشدة ومخانق الكروب"[5].

ويقول القرطبي رحمه الله بأن في هذه الآية "دليل على أن القنوط من الكبائر، وهو اليأس"[6] فينبغي للمسلم أن يحسن ظنه بالله، ويثق به تمام الثقة في جميع أحواله فقد ورد عن

---

(1) انظر صحيح قصص القرآن : حامد البسيوني، ص 253.
(2) انظر تفسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان : للشيخ عبد الرحمن السعدي، ص 679.
(3) المصدر السابق : ص 679.
(4) في ظلال القرآن : سيد قطب، 2026/4.
(5) المرجع السابق، 2026/4.
(6) الجامع لأحكام القرآن : للقرطبي، 252/9.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال النبي ﷺ : [يقول الله تعالى : أنا عند ظن عبدي بي، وأنا معه إذا ذكرني، فإن ذكرني في نفسه ذكرته في نفسي، وإن ذكرني في ملأ ذكرته في ملأ خيرٍ منهم، وإن تقرب إليّ شبراً تقربت إليه ذراعاً، وإن تقرب إليّ ذراعاً تقربت إليه باعاً، وإن أتاني يمشي أتيته هرولة][1].

وحتى عند الموت، من واجب المسلم أن يحسن ظنه بالله ويثق بأنه ذاهبٌ إلى رب كريم رحيم بعباده فقد ورد في حديث الرسول ﷺ، [عن جابر بن عبد الله الأنصاري قال : سمعت رسول الله ﷺ قبل موته بثلاثة أيام، يقول : لا يموتن أحدُكم إلا وهو يحسن الظن بالله عز وجل][2].

أمثلة في مجال الثقة بالله تعالى :

ونبينا محمد ﷺ ضرب لنا أروع الأمثلة في مجال الثقة في الله، ولننظر ماذا قال لصاحبه عندما كانا في الغار وقد خاف أبو بكر رضي الله عنه أن يراهم كفار مكة فقد ورد [عن أنس عن أبي بكر قال : كنت مع النبي ﷺ في الغار، فرفعت رأسي، فإذا أنا بأقدام القوم، فقلت : يا نبي الله لو أن بعضهم طأطأ بصره رآنا. قال : اسكت يا أبا بكر، اثنان الله ثالثهما][3].

كذلك نرى سيدنا موسى عليه السلام يثق بربه وذلك عندما قال لمن معه ﴿**إِنَّ مَعِيَ رَبِّي سَيَهْدِينِ**﴾ (الشعراء : 62).

وكذلك أمنا هاجر رضي الله عنها سطرت أروع القصص في ثقة المرأة المؤمنة بربها عندما تركها سيدنا إبراهيم عليه السلام في مكان من أرض مكة ليس به أحد من البشر فقد ورد "عن سعيد بن جبير قال ابن عباس : أول ما اتخذ النساء المِنْطَقَ[4] من قِبَل أم إسماعيل اتخذت مِنطَقاً لتُعَفِّيَ[5] أثرها على سارة ثم جاء بها إبراهيم وبابنها إسماعيل عليهما السلام وهي ترضعه، حتى

---

(1) صحيح البخاري، 1461/4، كتاب التوحيد، باب قول الله تعالى ﴿**وَيُحَذِّرُكُمُ اللّهُ نَفْسَهُ**﴾ (آل عمران : 28)، وقوله جل ذكره ﴿**تَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِي وَلاَ أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ**﴾ (المائدة : 116)، حديث رقم (7405).

(2) صحيح مسلم، ص 1102، كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها، باب الأمر بحسن الظن بالله تعالى عند الموت. حديث رقم (2877).

(3) صحيح البخاري، 783/2، كتاب مناقب الأنصار، باب هجرة النبي ﷺ وأصحابه إلى المدينة، حديث رقم (3922).

(4) المِنطَق : ما يَشد به الوسط، وانتطق : شد المنطق على وسطه. (المصباح المنير : أحمد المقرئ، ص 363، كتاب النون).

(5) تُعفِّي : تُخفِي.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

وضعهما عند البيت عند دوحة[1] فوق زمزم في أعلى المسجد وليس بمكة يومئذٍ أحدٌ، وليس بها ماء فوضعهما هنالك، ووضع عندهما جراباً فيه تمر وسقاء فيه ماء ثم قَفي إبراهيم عليه السلام منطلقاً، فتبعته أم إسماعيل فقالت : يا إبراهيم أني تذهب وتتركنا بهذا الوادي الذي ليس فيه إنس ولا شيء ؟ فقالت له ذلك مراراً، وجعل لا يلتفت إليها. فقالت له : آللهُ الذي أمرك بهذا؟ قال : نعم، قالت : إذن لا يضيعنا ثم رجعت ..." [2].

فأمنا هاجر رضي الله عنها وأرضاها عندما قالت "إذن لا يضيعنا" فقد أعلنت ولاءها وعمق إيمانها وثقتها بربها عز وجل فهو لن يتركها هكذا وإنما سيكون معها بحفظه لها ولابنها وبرعايته لهما سبحانه، ولنتعرف على نتيجة هذه الثقة من الحديث نفسه "فانطلق إبراهيم حتى إذا كان عند الثنية حيث لا يرونه استقبل بوجهه البيت ثم دعا بهؤلاء الكلمات ورفع يديه فقال : "ربنا إني أسكنت من ذريتي بوادٍ غير ذي زرع عند بيتك" حتى بلغ "يشكرون" وجعلت أم إسماعيل ترضع إسماعيل وتشرب من ذلك الماء، حتى إذا نفذ ما في السقاء عطشت وعطش ابنها، وجعلت تنظر إليه يتلوى – أو قال – يتلبط، فانطلقت كراهية أن تنظر إليه، فوجدت الصفا أقرب جبل في الأرض يليها، فقامت عليه، ثم استقبلت الوادي تنظر هل ترى أحداً، فلم ترى أحداً، فهبطت من الصفا، حتى إذا بلغت الوادي رفعت طرف درعها ثم سعت سعي الإنسان المجهود حتى جاوزت الوادي، ثم أتت المروة فقامت عليها ونظرت هل ترى أحداً، فلم تر أحداً، ففعلت ذلك سبع مرات. قال ابن عباس : قال النبي ﷺ ["فذلك سعي الناس بينهما" فلما أشرفت على المروة سمعت صوتاً فقالت صَهٍ – تريد نفسها – ثم تسمّعت أيضاً فقالت : قد أسمعتُ إن كان عندك غواث، فإذا هي بالملك عند موضع زمزم، فبحث بعقبه – أو قال – بجناحه حتى ظهر الماء، فجعلت تحوطه وتقول بيدها هكذا، وجعلت تغرف من الماء في سقائها وهو يفور بعدما تغرف. قال ابن عباس : قال النبي ﷺ : "يرحم الله أم إسماعيل لو تركت زمزم – أو قال: لو لم تغرف من الماء لكانت زمزم عيناً مَعِيناً" قال : فشربت وأرضعت ولدها، فقال لها المَلَك : لا تخافوا الضيعة، فإن هاهنا بيت الله يَبْني هذا الغلام وأبوه، وإن الله لا يضيّع أهله .....][3].

إذن لم يضيع الله السيدة هاجر فرزقها بالماء هي وابنها وخلد ذكرها في التاريخ إلى قيام الساعة، بحيث أصبح المسلمون من كل بقاع الأرض يأتون إلى هذا المكان ليؤدوا به شعيرة من شعائر الله وهو السَّعي بين الصفا والمروة والشرب من ماء زمزم. وهذا شأن كل من يثق بربه فإنه ينال عز الدنيا والآخرة، فما كانت هذه المرأة لترضى أن تُترك في هذا المكان المقفر وهذه البيداء

---

(1) دوحة : أي شجرة عظيمة، والجمع دوح. (انظر المصدر السابق، ص 123، كتاب الدال).

(2) صحيح البخاري، 676/2، كتاب (أحاديث الأنبياء)، باب يزفون النّسلان في المشي، حديث رقم (3364).

(3) صحيح البخاري، 676/2-677، كتاب (أحاديث الأنبياء)، باب يزفون النّسلان في المشي، حديث رقم (3364).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

الواسعة من غير أن تحمل في قلبها يقيناً كاملاً وثقة راسخة بربها فصبرت فأكرمها ربها وما أشبه حالها بحال سيدنا يعقوب عليه السلام. فما قاله عليه السلام كما جاء في كتاب الله تعالى على لسانه ﴿**إِنِّي لَأَجِدُ رِيحَ يُوسُفَ لَوْلاَ أَن تُفَنِّدُونِ**﴾ (يوسف : 94) ما يدل دلالة واضحة على عمق إيمان سيدنا يعقوب عليه السلام ومدى الثقة بقدرة الله على رد ابنه يوسف عليه السلام إليه، فهو "الأمل الذي لم يمت يوماً في قلبه، بل ظل حياً منتعشاً، تهدمت على أبوب حصنه محاولات اليأس للنيل منه، والفرحة الطاغية على يعقوب عليه السلام وشوقه يغلبانه الآن حتى أنه جهر بما في نفسه وأخبرهم به ناهياً عن تسفيه رأيه وقوله"[1].

معجزة القميص :

ومعنى "لولا تفندون" أي "لولا أن تنسبوني إلى الخرف"[2]. عند تأمل هذه الآية وما قبلها من قوله تعالى : ﴿**اذْهَبُواْ بِقَمِيصِي هَـذَا فَأَلْقُوهُ عَلَى وَجْهِ أَبِي يَأْتِ بَصِيرًا وَأْتُونِي بِأَهْلِكُمْ أَجْمَعِينَ**﴾ (يوسف : 93) وقوله تعالى : ﴿**فَلَمَّا أَن جَاء الْبَشِيرُ أَلْقَاهُ عَلَى وَجْهِهِ فَارْتَدَّ بَصِيرًا قَالَ أَلَمْ أَقُل لَّكُمْ إِنِّي أَعْلَمُ مِنَ اللّهِ مَا لاَ تَعْلَمُونَ**﴾ (يوسف : 96) نجد أن معجزة قد حدثت على يد سيدنا يوسف عليه السلام وهي إرساله قميصه إلى أبيه وقد كان متيقناً تماماً أن أبيه سوف يرتد بصيراً بدليل ما جاء على لسانه في قوله تعالى : ﴿**يَأْتِ بَصِيرًا**﴾ هذا من ناحية سيدنا يوسف عليه السلام.

والمعجزة الأخرى قد وقعت من ناحية سيدنا يعقوب عليه السلام وهي تختص بنفس القميص واشتمامه عليه السلام للرائحة عن بُعد يقال أنها "مسيرة ثمانية أيام"[3] وقيل أنها "مسيرة ثمان ليال، وقال الحسن : مسيرة عشر ليال وعنه أيضاً مسيرة شهر"[4] وهذه المسافة سواء كانت ثمانية أيام أو شهر لا يستطيع الإنسان العادي أن يشتم فيها رائحة غيره، فاشتمام الرائحة لا يكون إلا عن قرب شديد، وهذا ما يدل على أن ما حدث هو معجزة من الله عز وجل.

يقول الرازي رحمه الله في تفسيره لهذه الآيات : "أنه تعالى أوصل تلك الرائحة إليه على سبيل إظهار المعجزات"[5].

---

(1) صحيح قصص القرآن : حامد البسيوني، ص 256.

(2) التفسير الكبير : للرازي، 208/17؛ وانظر التحرير والتنوير : للإمام محمد الطاهر ابن عاشور، 52/13، دار سحنون للنشر والتوزيع، تونس، دون رقم طبعة أو تاريخ؛ وانظر في ظلال القرآن : لسيد قطب، 2028/4.

(3) تفسير ابن كثير، 489/2.

(4) الجامع لأحكام القرآن : للقرطبي، 257/9-258.

(5) التفسير الكبير : للإمام الفخر الرازي، 208/17.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

ويقول ابن عاشور رحمه الله في تفسيره أيضاً "ووجدان يعقوب ريح يوسف عليهما السلام إلهام خارق للعادة جعله الله بشارة له إذ ذكره بشمه الريح الذي ضمّخ به يوسف عليه السلام حين خروجه مع إخوته وهذا من صنف الوحي بدون كلام ملك مرسل، وهو داخل في قوله تعالى : ﴿**وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُكَلِّمَهُ اللَّهُ إِلَّا وَحْيًا**﴾[1].

ويقول د. أحمد نوفل : "هذه معجزة خارقة للسنة الجارية وكل أحداث القصة سائرة على السنة المعتادة الجارية السائرة"[2].

فالله عز وجل لم يخيّب ظن عبده المؤمن به حيث كان يردد عبده ﴿**وَأَعْلَمُ مِنَ اللّهِ مَا لاَ تَعْلَمُونَ**﴾ (يوسف : 86) وهذا تأكيد واضح على أن ما كان من أمر يعقوب عليه السلام، وابنه يوسف عليه السلام أنه وحي من الله لا يشك فيه أحد، وهذه ثقة مطلقة بصدق وحي الله إليه عليه السلام، وقد قال لهم عندما رجع إليه بصره ﴿**أَلَمْ أَقُل لَّكُمْ إِنِّي أَعْلَمُ مِنَ اللّهِ مَا لاَ تَعْلَمُونَ**﴾(يوسف: 96) "أي أعلم أن الله سيرده إليّ"[3]. وقد اختُلف في المدة التي ابتعد فيها سيدنا يوسف عن والده فقيل : "ثمانون عاماً"[4]، وقيل : "اثنتين وعشرين سنة"[5].

وأيٍ كان عدد السنين فهي مدة طويلة لا يستطيع الصبر على الفراق طول هذه المدة إلا من أوتي إيماناً قوياً وثقة كبيرة في الله عز وجل أمثال سيدنا يعقوب عليه السلام الذي قضى عمره مطيعاً لله، ثابتاً على دين الإسلام حتى توفاه الله عز وجل وهو يوصي أبناءه على ذلك، قال تعالى : ﴿**وَوَصَّى بِهَا إِبْرَاهِيمُ بَنِيهِ وَيَعْقُوبُ يَا بَنِيَّ إِنَّ اللّهَ اصْطَفَى لَكُمُ الدِّينَ فَلاَ تَمُوتُنَّ إَلاَّ وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ * أَمْ كُنتُمْ شُهَدَاء إِذْ حَضَرَ يَعْقُوبَ الْمَوْتُ إِذْ قَالَ لِبَنِيهِ مَا تَعْبُدُونَ مِن بَعْدِي قَالُواْ نَعْبُدُ إِلَـهَكَ وَإِلَـهَ آبَائِكَ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَقَ إِلَـهًا وَاحِدًا وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ**﴾ (البقرة : 132-133).

لقد تمكن الباحث الأستاذ الدكتور/ عبد الباسط محمد سيد[6] من المركز القومي للبحوث التابع لوزارة البحث العلمي والتكنولوجيا بمصر من الحصول على براءة اختراع لقطرة عيون لمعالجة المياه البيضاء، وذلك بالاستفادة من الآيات الواردة في سورة يوسف عليه السلام.

---

(1) التحرير والتنوير : لابن عاشور، 53/13.

(2) سورة يوسف دراسة تحليلية : د. أحمد نوفل، ص 538، دار الفرقان للنشر والتوزيع، الطبعة الثانية، 1420هـ-1999م.

(3) تفسير القرآن العظيم : لابن كثير، 490/2.

(4) انظر التفسير الكبير : للفخر الرازي، 208/17، وتفسير القرآن العظيم : لابن كثير (490/2).

(5) التحرير والتنوير : لابن عاشور، 53/13.

(6) انظر موقع ابن الإسلام www.ibnalislam .

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

وقد وجد هذا الباحث أن في ارتداد بصر سيدنا يعقوب عليه السلام فيه معجزة أجراها الله على يد سيدنا يوسف عليه السلام، وقد أدرك أن هناك مغزى آخر مادي، حيث وجد علاقة بين الحزن والإصابة بالمياه البيضاء، حيث إن الحزن يسبب زيادة هرمون "الأدرينالين" وهو مضاد لهرمون "الأنسولين" وبالتالي فإن الحزن الشديد أو الفرح الشديد يسبب زيادة مستمرة في هرمون "الأدرينالين" والذي يسبب بدوره زيادة سكر الدم، وهذا هو أحد مسببات العتامة، هذا بالإضافة إلى تزامن الحزن مع البكاء فقد وجد في آية ﴿**وَتَوَلَّى عَنْهُمْ وَقَالَ يَا أَسَفَى عَلَى يُوسُفَ وَابْيَضَّتْ عَيْنَاهُ مِنَ الْحُزْنِ فَهُوَ كَظِيمٌ**﴾ (يوسف : 84) وكان ما فعله سيدنا يوسف عليه السلام بوحي من ربه أن طلب من إخوته أن يذهبوا لأبيهم بقميص الشفاء ﴿**اذْهَبُواْ بِقَمِيصِي هَـذَا فَأَلْقُوهُ عَلَى وَجْهِ أَبِي يَأْتِ بَصِيرًا**﴾ (يوسف : 93)، قال تعالى : ﴿**وَلَمَّا فَصَلَتِ الْعِيرُ قَالَ أَبُوهُمْ إِنِّي لَأَجِدُ رِيحَ يُوسُفَ لَوْلاَ أَن تُفَنِّدُونِ** ﴾ (يوسف : 94) إلى قوله تعالى : ﴿**... قَالُواْ تَاللّهِ إِنَّكَ لَفِي ضَلاَلِكَ الْقَدِيمِ * فَلَمَّا أَن جَاء الْبَشِيرُ أَلْقَاهُ عَلَى وَجْهِهِ فَارْتَدَّ بَصِيرًا قَالَ أَلَمْ أَقُل لَّكُمْ إِنِّي أَعْلَمُ مِنَ اللّهِ مَا لاَ تَعْلَمُونَ**﴾ (يوسف : 96)، وبعد البحث والتفكير لم يجد إلا العرق في القميص، فبحث في مكونات العرق، فأخذوا العدسات المستخرجة من العيون بالعملية الجراحية وتم نقعها في العرق، فوجدوا أنه تحدث حالة من الشفافية التدريجية لهذه العدسات المعتمة.

كذلك أمكن التوصل إلى أن أحد المكونات الأساسية للعرق وهو مركب من مركبات البولينا "الجوالدين" والتي أمكن تحضيرها كيميائياً، وقد سجلت النتائج التي أجريت على 250 متطوعاً زوال هذا البياض ورجوع الأبصار في أكثر من 90% من الحالات وثبت أيضاً بالتجربة أن وضع هذه القطرة مرتين يومياً لمدة أسبوعين يزيل هذا البياض ويُحسِّن من الإبصار.

وقد اشترط على الشركة التي ستقوم بتصنيع هذا الدواء أن تشير عند طرحه في الأسواق إلى أنه دواء قرآني حتى يعلم العالم كله صدق كلام الله عز وجل وذلك في قوله : ﴿**وَنُنَزِّلُ مِنَ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاء وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ**﴾ (الإسراء : 82).

كفى بالله كفيلاً :

وقد ورد العديد من القصص التي تحدثنا عن كمال الثقة بالله تعالى، ومن ذلك ما ورد في صحيح البخاري والتي تدل على عمق الثقة في الله فقد ورد [عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : ذكر رسول الله ﷺ رجلاً من بني إسرائيل سأل بعض بني إسرائيل أن يسلفه ألف دينار فقال : ائتني بالشهداء أشهدهم، قال : كفى بالله شهيداً، قال : فأتني بالكفيل، قال : كفى بالله كفيلاً، قال : صدقت، فدفعها إليه إلى أجل مسمى، فخرج في البحر فقضى حاجته، ثم التمس مركباً يقدم عليه في الأجل الذي أجّله فلم يجد، فأخذ خشبة فنقرها، فأدخل فيها ألف دينار

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

وصحيفة منه إلى صاحبه ثم زَجّجَ[1] موضعها ثم أتى بها إلى البحر فقال : اللهم إنك تعلم أني كنت تسلفت من فلان ألف دينار فسألني كفيلاً فقلت : كفى بالله كفيلاً، فرضي بك، وسألني شهيداً فقلت : كفى بالله شهيداً، فرضي بك، وأني جهدت أن أجد مركباً أبعث إليه الذي له فلم أقدر، وإني استودعتكها، فرمى بها في البحر حتى ولجت فيه، ثم انصرف وهو في ذلك يلتمس مركباً يخرج إلى بلده، فخرج الرجل الذي كان أسلفه ينظر لعل مركباً قد جاء بماله، فإذا بالخشبة التي فيها المال، فأخذها لأهله حطباً، فلما نشرها وجد المال والصحيفة، ثم قدم الذي كان أسلفه فأتى بالألف دينار، فقال : والله ما زلت جاهداً في طلب مركب لآتيك بمالك فما وجدت مركباً قبل الذي أتيت فيه، قال : هل كنت بعثت إليّ بشيء؟ قال: أخبرك أني لم أجد مركباً قبل الذي جئت فيه، قال : فإن الله تعالى قد أدى عنك الذي بعثت في الخشبة فانصرِف بالألف الدينار راشداً][2].

فالإيمان بالله والقرب الشديد منه سبحانه يُشعِر الإنسان بأن الله تعالى يُقدر الخير له في كل شيء، وييسر له أموره، ومن هنا يعيش قرير العين، ساكن الفؤاد، واثقاً بقدرة الله وعظمته ورحمته ولطفه سبحانه بعباده المخلصين، الصادقين، الموحدين في عبادتهم له عز وجل.

---

(1) الزُج : الحديدة التي في أسفل الرمح وجمعه زِجاج، وزججت الرجل أي طعنته بالزج. (انظر المصباح المنير، ص 152، كتاب الزاي).

(2) صحيح البخاري، 446/2، كتاب الكفالة، باب الكفالة في القرض والديون بالأبدان وغيرها، حديث رقم (2291).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

المبحث الثالث

عقيدة التوكل ودورها في بناء شخصية سيدنا يعقوب عليه السلام

المطلب الأول : التوكل – حقيقته – أحواله – أعمال المتوكلين.

المطلب الثاني : التوكل عند سيدنا يعقوب عليه السلام.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

المبحث الثالث

عقيدة التوكل ودورها في بناء شخصية سيدنا يعقوب عليه السلام

المطلب الأول : التوكل – حقيقته – أحواله – أعمال المتوكلين :

أولاً : تعريفه :

أ- لغة :

جاء في لسان العرب : من أسماء الله الحسنى الوكيل : هو المقيم الكفيل بأرزاق العباد وحقيقته أنه يستقل بأمر الموكول إليه، وفي القرآن الكريم قوله تعالى : ﴿**أَلاَّ تَتَّخِذُواْ مِن دُونِي وَكِيلاً**﴾ وقيل الوكيل : الحافظ، وقيل الوكيل في صفة الله تعالى : هو الذي توكل بالقيام بجميع ما خلق، وقيل الوكيل : الكفيل، وقيل الوكيل : الرب، والمتوكل على الله : هو الذي يعلم أن الله كافل رزقه وأمره فيركن إليه وحده ولا يتوكل على غيره، ومعنى وكل بالله وتوكل عليه واتكل : استسلم إليه، ويقال توكل بالأمر : إذا ضمن القيام به، ووكلت أمري إلى فلان : أي ألجأته إليه واعتمدت فيه عليه، ووكل فلاناً فلاناً إذا استكفاه أمره ثقة بكفايته أو عجزاً عن القيام بأمر نفسه[1].

وفي المصباح المنير : توكل على الله : "اعتمد عليه ووثق به واتكل عليه في أمره .. والاسم التُكلان"[2].

وفي مختار الصحاح : التوكل : "إظهار العجز والاعتماد على غيرك"[3].

وفي كتاب العين : وَكَلْته إليه أكِلُه كِلةً أي فوضته .. والوكيل فعله التوكل ومصدره : الوكالة ومَوْكَل : اسم جبل وميكال : أسم مَلَك[4].

فالتوكل لغة : هو الاستسلام واللجوء والاعتماد والتفويض.

ب- التوكل اصطلاحاً :

عرفه الجرجاني : بأنه "الثقة بما عند الله واليأس عما في أيدي الناس"[5].

---

(1) انظر لسان العرب : لابن منظور، 502/4.
(2) المصباح المنير : أحمد الفيومي المقرئ، ص 398-399، كتاب الواو.
(3) مختار الصحاح : محمد بن بكر الرازي، ص 734 كتاب الواو.
(4) كتاب العين : أبي عبد الرحمن الفراهيدي، 405/5، تحقيق : د. مهدي المخزومي، د. إبراهيم السامرائي، دار مكتبة الهلال، دون طبعة أو تاريخ.
(5) التعريفات : للجرجاني، ص 121، باب التاء.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

أما الإمام أحمد بن حنبل فقد عرفه : بأنه "قطع الاستشراف إلى الخلق، أي لا يكون في قلبك أن أحداً يأتيك بشيء"[1].

وعرفه ابن القيم : بأنه : "حال القلب، ينشأ عن معرفته بالله والإيمان بتفرده بالخلق، والتدبير والضر والنفع والعطاء والمنع، وأنه ما شاء كان، وإن لم يشأ الناس، فيوجب له هذا اعتماداً عليه وتفويضاً إليه، وطمأنينة به، وثقة به، ويقيناً بكفايته، لما توكل عليه فيه وأنه به ولا يكون إلا بمشيئته شاءه الناس أم أبوه .."[2].

وقيل التوكل : "تفويض الأمر إلى الله والثقة به مع ما قدر له من الأسباب"[3].

إذن التوكل : هو الاعتماد على الله والثقة بما عنده، وتفويض الأمر كله له، مع الأخذ بالأسباب.

ثانياً : حقيقة التوكل :

إن للتوكل على الله حقيقة لا بد من معرفتها وذلك حتى يكون توكلنا صحيحاً ولقد احتار الناس في حقيقة التوكل، قال الإمام أحمد بن حنبل : "إن التوكل عمل قلبي، فهو ليس بقول اللسان، ولا عمل الجوارح، ولا هو من صنف العلوم والمدركات"[4]. فالإمام أحمد رحمه الله يلفت النظر إلى أن التوكل مكانه القلب.

وقد جعله بعض الناس من باب المعارف والعلوم.

وقيل التوكل : هو انطراح القلب بين يدي الرب، مع ترك الاختيار والاسترسال مع مجاري الأقدار، ومنهم من فسره : بالرضا بما قدّر الله[5].

أما ابن القيم رحمه الله فيقول بأن حقيقة التوكل : "هو اعتماد القلب على الله فلا يضره مباشرة الأسباب مع خلو القلب من الاعتماد عليها والركون إليها، كما لا ينفعه قوله توكلت على الله

---

(1) مجموع الفتاوى : لابن تيمية، 259/10.

(2) مدارج السالكين : لابن قيم الجوزية، 82/1.

(3) مختصر شعب الإيمان : للبيهقي : عمر عبد الرحمن القزويني، تحقيق : عبد القادر الأرناؤوط، ص 36، دار ابن كثير، دمشق، الطبعة الثانية 1405هـ.

(4) تهذيب مدارج السالكين : عبد المنعم العزي، ص 337؛ وانظر الطريق إلى الله (التوكل) : د. يوسف القرضاوي، ص 17، مكتبة وهبة، الطبعة الخامسة 1425هـ-2004م.

(5) انظر المصدر السابق، ص 337.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

مع اعتماده على غيره وركونه إليه وثقته به، فتوكل اللسان شيء، وتوكل القلب شيء، كما أن توبة اللسان مع إصرار القلب شيء وتوبة القلب وإن لم ينطق اللسان شيء، فقول العبد توكلت على الله مع اعتماد قلبه على غيره، مثل قوله تبت إلى الله وهو مصر على معصيته مرتكباً لها"[1].

إذن التوكل محله القلب وهو عبارة عن مجموعة من الأمور التي لا تتم حقيقة التوكل إلا بها جميعاً، وهي:

1- معرفة الله تعالى وصفاته وأسمائه الحسنى، وهذه أولى درجات التوكل.
2- إثبات الأسباب والمسببات حيث لا يصح توكل من نفاها.
3- أن يكون العبد راسخ القلب في مقام التوحيد، فلا يشرك بالله شيئاً حتى يكون توكله صحيحاً.
4- اعتماد القلب على الله واستناده وسكونه إليه.
5- حسن الظن بالله تعالى.
6- استسلام القلب لله وحده وتفويض[2] أمره له سبحانه كما جاء على لسان مؤمن آل فرعون في قوله تعالى : ﴿**وَأُفَوِّضُ أَمْرِي إِلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ**﴾ (غافر : 44).

وينتج عن ذلك كله الرضا بما قدّر الله وهو من ثمار التوكل.

فمن أراد أن يكون توكله على الله صحيحاً بحيث يؤتي ثماره من الرضا عما قدر الله عز وجل فعليه العمل بكل الأمور السابقة من معرفة لله عز وجل وأسمائه وصفاته، وأن يأخذ بالأسباب وأن يكون توحيده صحيحاً لا تشوبه أي شائبة من شوائب الشرك بالله، كذلك عليه الاعتماد على الله وأن يحسن الظن به سبحانه مع تفويض أمره كله إليه[3].

ثالثاً : أحوال التوكل :

المؤمن دائماً يعتقد اعتقاداً جازماً بأن الله قادر على كل شيء وأنه سبحانه من صفاته العلم والرحمة والمغفرة والقوة وغير ذلك من أسمائه وصفاته، قال تعالى : ﴿**وَكَانَ بِالْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا**﴾ (الأحزاب : 42)، وقال تعالى : ﴿**بَلَى إِنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ**﴾ (الأحقاف: 33).

---

(1) الفوائد : ابن قيم الجوزية، ص 107.

(2) التفويض: هو رد كل ما عجز العقل عن إدراكه أو الإحاطة به إلى الله -عز وجل- إذ يقول الله -عز وجل- ﴿**وَلاَ تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولـئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْؤُولاً**﴾ (الإسراء : 36)، ويقصد به عند السلف : تفويض العلم بكيفية ذات الله – تعالى – وصفاته، وتفاصيل حكمته من أوامره ونواهيه الشرعية إلى الله – عز وجل – إذ أنه لا يلزم من عدم العلم بالشيء ليس علماً بعدمه، أما تعريفه عند أهل الكلام : فإنه تفويض معاني النصوص الشرعية الثابتة التي تعارض قواعدهم وعقائدهم والتي لم يجدوا لها تأويلاً ولم يستطيعوا ردها مع زعمهم أن ظاهر النص غير مراد. (انظر الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب والأحزاب المعاصرة، 1015/2، دار الندوة العالمية للطباعة والنشر والتوزيع، الطبعة الخامسة، 1424هـ-2003م).

(3) انظر تهذيب مدارج السالكين : هذبه عبد المنعم العزي، ص 337-339.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

فالمؤمن يعرف الله حق المعرفة، ويعلم أنه سبحانه هو المتفرد بالخلق، ومن ثم بالملك، قال تعالى: ﴿**وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ**﴾ (آل عمران: 189) فهي الملكية الشاملة المطلقة، وهي من مفاهيم الألوهية الواحدة، فالله الواحد هو الحي الواحد، وتوحيد الله ليس مجرد توحيد لذات الله فقط، وإنما هو توحيد ذو إيجابية وفاعلية وتأثير في الكون، ومتى شعر المؤمن بأن لله ما في السماوات والأرض وأنه بكل شيء محيط، وأن الأموال والأنفس والثمرات والحياة والموت والولاية والنصرة كلها بيد الله دون سواه، عند إدراك المؤمن ذلك كله فإنه بالصلة بالله والتوكل الحقيقي تكون الكفاية والغنى في كل الأمور[1].

والمؤمن يتوكل على الله لعلمه بأنه يعجز أن يفعل شيئاً إلا بإرادة الله، ولا يوفق بشيء إلا إذا وفقه الله لعمله، يقول الغزالي رحمه الله : "لا يتم التوكل إلا بقوة القلب واليقين جميعاً إذ بهما يحصل سكون القلب وطمأنينته"[2].

وللتوكل على الله ثلاث حالات :

الأولى : أن يكون حاله مع الله عز وجل وثقته به وكفالته له كحاله في الثقة بمن يوكله في بعض أموره من الناس وذلك في إنجازه لبعض الأشياء، وهذه أضعف الدرجات.

الثانية : وهو أقوى من الأولى وهو أن يكون حاله مع الله تعالى ولله المثل الأعلى كحال الطفل مع أمه، فالطفل لا يعرف إلا أمه، ولا يذهب إلا إليها إذا أصابه شيء، وهو قد وثق بعنايتها وكفالتها وشفقتها عليه.

الثالثة : وهي أعلاها وهو أن يكون بين يدي الله تعالى في حركاته وسكناته مثل حال الميت بين يدي مغسله، لا يستطيع مفارقته، فالمتوكل على الله يرى أن الله عز وجل يحركه حيثما أراد سبحانه وقد قوي يقينه بأن الله تعالى هو المتصف بالقدرة والإرادة والعلم وسائر صفات الكمال[3].

هذه حالات التوكل الثلاث والناس في ذلك مختلفون في توكلهم على الله، ففي الحالة الأولى يكون التوكل على الله في بعض الأحيان وهذه أضعف حالات التوكل، أما الحالة الثانية

---

(1) انظر طريق الدعوة في ظلال القرآن : أحمد فايز، 2/93-95، مؤسسة الرسالة، دون رقم طبعة 1400هـ-1980م.

(2) إحياء علوم الدين : للغزالي، 13/2512.

(3) انظر المصدر السابق، 13/2513-2514؛ وانظر مختصر منهاج القاصدين للإمام أحمد بن عبد الرحمن المقدسي، ص 333؛ وانظر صفوة إحياء الغزالي : محمود قراعة، ص 71، دون رقم طبعة أو دار نشر، 1353هـ-1935م.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

ففيها الاعتماد الكلي عليه سبحانه في كل شيء، أما الحالة الثالثة فهي أقوى حالات التوكل وفيها الاستسلام التام لله والرضى بقضائه وقدره بعد الأخذ بأسباب التوكل، فعلى قدر الثقة بالله وقدرته وعلمه وسائر صفاته يكون التوكل عليه سبحانه.

رابعاً : أعمال المتوكلين :

يسعى المؤمن دائماً لطاعة الله عز وجل في شتى أموره ومختلف أحواله ومن ذلك سعيه لكسب رزق حلال أو ادخار مال لوقت الحاجة، أو ليدفع ضرراً يوشك أن ينزل بـه، أو لإزالـة ضرر قد نزل كالتداوي من الأمراض، فعمل المسلم لا يتعدى هذه الأمور الأربعة[1]:

الأمر الأول : السعي لجلب المنفعة ويكون بالعمل بالأسباب، وهذه الأسباب لها ثلاث درجات :

الأولى : سبب مقطوع به ومثال ذلك الأسباب التي ترتبط بها المسببات بتقدير الله تعالى ومشيئته ارتباطاً وثيقاً، مثل أن يكون الطعام بين يدي الشخص وهو جائع، فلا يمد يده إليه بحجـة أنه متوكل، وشرط التوكل عنده ترك السعي، ومد يده إلى الطعام يعتبر سعي، فهذا لـيس من التوكل في شيء، فهذا يوصف صاحبه بالجنون.

يقول ابن القيم رحمه الله : "وقد فطر الله سبحانه عباده على الحرص على الأسباب التـي بها مرام معاشهم ومصالحهم الدنيوية، بل فطر الله على ذلك سـائر الحيوانـات، فهكـذا الأسباب التي بها مصالحهم الأخروية في معادهم فإنه سبحانه رب الدنيا والآخرة"[2].

فالإنسان إن لم يعمل بالأسباب، لا يستطيع أن يحقق النتائج المرجوة، فالزرع لا ينبـت إلا بعد أن نبذر الأرض ونعتني بها، والزوجة لا تلد من غير وقاع، فالتوكـل لـيس بتـرك العمل، إنما بالعمل بالأسباب ثم بعد ذلك التوكل على الله في حدوث النتائج مع العلم بـأن الله خالق للطعام واليد والأسباب، والقوة على الحركة وأنه سبحانه هو الذي يُطعم الإنسان ويسقيه، ويكون حال قلبه معتمداً اعتماداً كلياً على الله لا على اليد أو الطعام.

الثانية : الأسباب التي ليست مؤكدة، لكن الغالب أن المسببات لا تحصل دونها، مثل من يـذهب إلى البادية وليس معه طعام، فهذا فعله منهي عنه، فالواجب عليـه أن يتـزود بالطعـام، ويعمل بأسباب الحياة لأن حمله للطعام مأمور به فقد تزود الرسول ﷺ لمـا سـافر إلـى المدينة واستأجر دليلاً عملاً بالأسباب[3].

---

(1) انظر مختصر منهاج القاصدين : لابن قدامة المقدسي، ص 334.

(2) شفاء العليل : لابن قيم الجوزية، 1/77-78.

(3) انظر مختصر منهاج القاصدين : لابن قدامة المقدسي، ص 334.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

يقول الغزالي رحمه الله : "التباعد عن الأسباب كلها مراغمة للحكمة، وجهل بسنة الله، والعمل بموجب سنة الله تعالى مع الاتكال على الله دون الأسباب لا يناقض التوكل"[1].

الثالثة : وجود لبس في الأسباب التي يُتوهم إفضاؤها إلى المسببات من غير تيقن ظاهر وذلك مثل من يكتسب رزقه بالحيل الدقيقة اكتساباً مباحاً لمال مباح، فإذا كان هذا السبب شبهة، فإن ذلك يكون فيه حرص شديد على الدنيا واتكال على الأسباب لا على الله فهذا مما يبطل التوكل[2].

الأمر الثاني : التعرض للأسباب بالادخار : فمن وجد قوتاً حلالاً يدخره، فهذا لا يخرجه عن التوكل، خاصة إذا كان له عائلة.

الأمر الثالث : العمل بالأسباب المؤدية لدفع الضرر، فمثلاً لا ينام في مكان به ضرر عليه كالأرض التي تكثر فيها السباع، أو ينام في مجرى السيل، أو تحت الجدار الخرب، فهذا مما نهى عنه الشرع. ومن التوكل : لبس الدرع، وإغلاق الباب، وشد البعير بالعقال، فالله تعالى يقول : ﴿**وَلْيَأْخُذُواْ أَسْلِحَتَهُمْ**﴾ (النساء : 102).

والمسلم يتوكل على المسبب وهو الله عز وجل لا على السبب، ويكون راضياً بكل ما يقضي الله ويقدر.

الأمر الرابع : الاجتهاد في إزالة الضرر، مثل مداواة المريض ونحو ذلك. والأسباب المزيلة للضرر لها ثلاثة أنواع :

1- مقطوع به : مثل الماء المزيل لضرر العطش، والطعام المزيل لألم الجوع، فهذا القسم تركه ليس من التوكل في شيء فالله عز وجل يقول : ﴿**هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الأَرْضَ ذَلُولاً فَامْشُوا فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا مِن رِّزْقِهِ وَإِلَيْهِ النُّشُورُ**﴾ (الملك : 15).

2- مظنوناً به : كالحجامة والفصد وشرب المسهل، وهذا لا يناقض التوكل، حيث إن الرسولﷺ قد تداوى وأمر بالتداوي، وذلك لأن الأدوية أسباب مسخرة من الله عز وجل فقد ورد [عن أبي هريرة رضي الله عنه، عن النبي ﷺ قال : "ما أنزل الله داء إلا أنزل له شفاء"[3]. كذلك ورد عن ابن عباس رضي الله عنهما عن النبي ﷺ قال : "الشفاء في ثلاثة في شرطة محجم، أو شربة عسل، أو كيّة بنار، وأنا أنهي أمتي عن الكي][4].

---

(1) إحياء علوم الدين : للغزالي، 2522/13.

(2) انظر إحياء علوم الدين : للغزالي، 2522/13؛ وانظر مختصر منهاج القاصدين: للشيخ أحمد بن قدامة المقدسي، ص 334.

(3) صحيح البخاري، 1158/3، كتاب الطب، باب ما أنزل الله داء إلا وأنزل له شفاء، حديث رقم (5678).

(4) صحيح البخاري، 1158/3، كتاب الطب، باب الشفاء في ثلاث، حديث رقم (5681).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

3- أن يكون السبب موهوماً به : مثل الكي، وذلك لنهي الرسول ﷺ عن الكي، ولوصفه ﷺ المتوكلين بأنهم لا يكتوون[1].

فقد ورد عن ابن عباس قال : قال رسول الله ﷺ : [عرضت عليّ الأمم، فجعل النبي والنبيان يمرون معهم الرهط، والنبي ليس معه أحد، حتى رفع لي سواد عظيم، قلت ما هذا، أمتي هذه؟ قيل : بل هذا موسى وقومه، قيل : انظر إلى الأفق، فإذا سواد يملأ الأفق، ثم قيل لي: انظر هاهنا، وهاهنا في آفاق السماء، فإذا سواد قد ملأ الأفق، قيل : هذه أمتك، ويدخل الجنة من هؤلاء سبعون ألفاً بغير حساب. ثم دخل ولم يبين لهم، فأفاض القوم وقالوا : نحن الذين آمنا بالله، واتبعنا رسوله فنحن هم، أو أولادنا الذين ولدوا في الإسلام فإنا ولدنا في الجاهلية، فبلغ النبي ﷺ فخرج فقال : هم الذين لا يسترقون، ولا يتطيرون ولا يكتوون، وعلى ربهم يتوكلون، فقال عكاشة بن محصن : أمنهم أنا يا رسول الله؟ قال : نعم، فقام آخر فقال : أمنهم أنا ؟ قال : سبقك بها عكاشة][2].

"وقد حمل بعض العلماء الكي المذكور في قوله ﷺ "لا يكتوون" على ما كانوا يفعلونه في الجاهلية فإنهم كانوا يكتوون ويسترقون في زمن العافية لئلا يمرضوا، فإن النبي ﷺ كان يرقي الرقية بعد نزول المرض، وقد كوى أسعد بن زرارة رضي الله عنه"[3].

فالواجب على المسلم معرفة حقيقة التوكل ويطبقها على نفسه، ويتعرف أيضاً على أعمال المتوكلين وأحوالهم وذلك حتى يكون من الفائزين برضى الله، ولكي يكون مؤمناً حق الإيمان، لأن الله ربط بين الإيمان والتوكل في قوله تعالى : ﴿**وَعَلَى اللّهِ فَلْيَتَوَكِّلِ الْمُؤْمِنُونَ**﴾ (آل عمران: 160)، وقوله تعالى : ﴿**وَعَلَى اللّهِ فَتَوَكَّلُواْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ**﴾ (المائدة : 23).

المطلب الثاني : التوكل عند سيدنا يعقوب عليه السلام :

لقد تبين من خلال سورة يوسف عليه السلام ما كان عليه سيدنا يعقوب عليه السلام من إيمان قوي وصلة عظيمة بالله واستعانة به سبحانه على الصبر وتحمل المصائب والأحزان، بالإضافة إلى توكله على الله عز وجل حق التوكل، وكان ذلك جلياً واضحاً عندما قال لأبنائه ﴿**اللّهُ عَلَى مَا نَقُولُ وَكِيلٌ**﴾ (يوسف : 66) وذلك عندما طلبوا من أبيهم أن يأخذوا أخيهم لأخذ الميرة وحتى

(1) انظر مختصر منهاج القاصدين : للشيخ أحمد بن قدامة المقدسي، ص 334-336.

(2) صحيح البخاري، 3/1161-1162، كتاب الطب، باب من اكتوى أو كوى غيره وفضل من لم يكتو، حديث رقم (5705).

(3) مختصر منهاج القاصدين : للشيخ أحمد بن قدامة المقدسي، ص 336-337.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

يزدادوا كيل بعير، وعندما أخذ منهم العهود والمواثيق على الالتزام بالمحافظة على أخيهم إلا أن يغلبوا ولا يقدروا على تخليصه[1].

والوكيل لها عدة معاني هي : "الحفيظ، والكفيل، والمقسط، والكافي"[2].

وقيل الوكيل هو : الموكول والمفوض إليه علماً بأن الخلق والأمر له سبحانه لا يملك أحد من دونه أي شيء[3].

وقال الخطابي : معناه "الكفيل بأرزاق العباد والقائم عليهم بمصالحهم، وحقيقته أنه يستقل بالأمر الموكول إليه"[4] فسيدنا يعقوب عليه السلام يؤمن بأسماء الله الحسنى وصفاته العليا ومنها اسم الله الوكيل، فقد اعتمد على الله ووكل أمره إليه، فمعنى قوله ﴿**اللّهُ عَلَى مَا نَقُولُ وَكِيلٌ**﴾ أي "يكفينا شهادته علينا وحفظه وكفالته"[5].

وقيل : "حفيظ للعهد قائم بالتدبير والعدل"[6].

وقال الشوكاني في معنى هذه الآية : "الله على ما قلناه من طلبي الموثق منكم، وإعطائكم لي ما طلبته منكم مطلع رقيب لا يخفى عليه منه خافية فهو المعاقب لمن خان في عهده وفجر في الحلف به، أو موكول إليه القيام بما شهد عليه منا"[7].

فلسان حال سيدنا يعقوب عليه السلام يقول : ﴿**وَكَفَى بِاللَّهِ وَكِيلًا**﴾ (النساء : 81) أي "كفى به ولياً ومعيناً لمن توكل عليه وأناب إليه"[8].

توكل الأنبياء :

فالله يكفي المؤمن من كل شيء؛ من إعانة له وإمداده بالقوة، والصحة واليقين والثبات ومن كل خير بشرط أن يكون موحداً لله مخلصاً له في عبوديته، لا يشرك به أحداً، وهذا ما نطق به

(1) انظر تفسير ابن كثير، 484/2.
(2) الجامع لأسماء الله الحسنى (لابن قيم الجوزية – القرطبي) : حامد الطاهر، ص 309، دار الفجر للتراث، الطبعة الأولى 1422هـ–2002م.
(3) انظر المرجع السابق، ص 309.
(4) المرجع نفسه، ص 309.
(5) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان : للشيخ عبد الرحمن السعدي، ص 278.
(6) الجامع لأحكام القرآن : للقرطبي، 225/9.
(7) فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير : محمد الشوكاني، 39/3، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، دون ذكر رقم الطبعة أو سنة الطباعة.
(8) مختصر تفسير ابن كثير، 255/1.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

موسى عليه السلام ﴿**اللّهُ عَلَى مَا نَقُولُ وَكِيلٌ**﴾ عندما اتفق مع صهره أن يزوجه ابنته في مقابل أن يعمل عنده ثمان سنوات أو يتمها عشراً قال تعالى : ﴿**قَالَ إِنِّي أُرِيدُ أَنْ أُنكِحَكَ إِحْدَى ابْنَتَيَّ هَاتَيْنِ عَلَى أَن تَأْجُرَنِي ثَمَانِيَ حِجَجٍ فَإِنْ أَتْمَمْتَ عَشْرًا فَمِنْ عِندِكَ وَمَا أُرِيدُ أَنْ أَشُقَّ عَلَيْكَ سَتَجِدُنِي إِن شَاء اللَّهُ مِنَ الصَّالِحِينَ * قَالَ ذَلِكَ بَيْنِي وَبَيْنَكَ أَيَّمَا الْأَجَلَيْنِ قَضَيْتُ فَلَا عُدْوَانَ عَلَيَّ وَاللَّهُ عَلَى مَا نَقُولُ وَكِيلٌ**﴾ (القصص : 27-28).

فسيدنا موسى عليه السلام قد وكل ربه في أمره، وهكذا هم باقي الأنبياء والمرسلين عليهم السلام دائماً متوكلين على الواحد الأحد، الفرد الصمد، الذي يقضي حاجات البشر جميعاً، لا يعجزه شيء في الأرض ولا في السماء، وهكذا المؤمن العارف بربه يوكله في كل أمر له، لأنه يعلم بأنه لا تسير الأمور إلا بإذنه تعالى.

إن التوكل هو ديدن الأنبياء جميعهم، فهاهو خاتم الأنبياء والمرسلين محمد ﷺ وصحابته الكرام رضوان الله عليهم قد توكلوا على الله حين جُمعت لهم الجموع كما ورد في قوله تعالى : ﴿**الذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُواْ لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَاناً وَقَالُواْ حَسْبُنَا اللّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ * فَانقَلَبُواْ بِنِعْمَةٍ مِّنَ اللّهِ وَفَضْلٍ لَّمْ يَمْسَسْهُمْ سُوءٌ وَاتَّبَعُواْ رِضْوَانَ اللّهِ وَاللّهُ ذُو فَضْلٍ عَظِيمٍ**﴾ (آل عمران : 173-174) وقد ورد في سبب نزول هذه الآية "فقد قال نعيم بن مسعود الأشجعي للرسول ﷺ وصحابته أن أبا سفيان وصحابته قد جمعوا جموعهم من القبائل ليستأصلوكم"[1] فكانت كلمتهم الخالدة على مر العصور هي "حسبنا الله ونعم الوكيل" أي "الله كافينا أمرهم وشرهم، نعم من فوضنا إليه أمرنا، وهو ولينا وناصرنا"[2] فهم قد توكلوا على الله في أمرهم، فكانت النتيجة في قوله تعالى : ﴿**فَانقَلَبُواْ بِنِعْمَةٍ مِّنَ اللّهِ وَفَضْلٍ لَّمْ يَمْسَسْهُمْ سُوءٌ وَاتَّبَعُواْ رِضْوَانَ اللّهِ وَاللّهُ ذُو فَضْلٍ عَظِيمٍ**﴾ (آل عمران : 174).

"قال العلماء : لما فوضوا أمرهم إلى الله واعتمدوا بقلوبهم عليه، أعطاهم من الجزاء أربع معانٍ : النعمة، والفضل، وصرف السوء، واتباع الرضا، فرضاهم عنه ورضي عنهم"[3].

وهذه الكلمة ذاتها رددها سيدنا إبراهيم عليه السلام عندما أراد قومه إلقاءه في النار، فقد ورد [عن ابن عباس رضي الله عنهما قال : "حسبنا الله ونعم الوكيل" قالها إبراهيم عليه السلام حين ألقي في النار، وقالها محمد ﷺ حين قالوا : ﴿**إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُواْ لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَاناً وَقَالُواْ**

---

(1) نزهة المتقين شرح رياض الصالحين للإمام النووي : د. مصطفى الخن، د. مصطفى البُغا، 87/1، مؤسسة الرسالة، الطبعة التاسعة عشر 1412هـ-1991م.

(2) انظر المرجع السابق، 87/1.

(3) أسماء الله الحسنى : د. وجيه يعقوب السيد، 8/17، المؤسسة العربية الحديثة للطبع والنشر والتوزيع، دون رقم طبعة أو تاريخ.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

حَسْبُنَا اللّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ﴾][1] وكان من نتيجة توكله عليه السلام أن الله أمر النار بأن تكون برداً وسلاماً على سيدنا إبراهيم، قال تعالى: ﴿**قَالُوا حَرِّقُوهُ وَانصُرُوا آلِهَتَكُمْ إِن كُنتُمْ فَاعِلِينَ* قُلْنَا يَا نَارُ كُونِي بَرْدًا وَسَلَامًا عَلَى إِبْرَاهِيمَ* وَأَرَادُوا بِهِ كَيْدًا فَجَعَلْنَاهُمُ الْأَخْسَرِينَ* وَنَجَّيْنَاهُ وَلُوطًا إِلَى الْأَرْضِ الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا لِلْعَالَمِينَ**﴾ (الأنبياء: 68-71).

فالتوكل على الله فيه النجاة والسعادة في الدنيا والآخرة.

ولقد أمر الله رسوله محمد ﷺ بالتوكل وذلك في قوله تعالى: ﴿**فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّكَ عَلَى الْحَقِّ الْمُبِينِ**﴾ (النمل: 79)، وفي قوله: ﴿**وَتَوَكَّلْ عَلَى الْحَيِّ الَّذِي لَا يَمُوتُ وَسَبِّحْ بِحَمْدِهِ**" (الفرقان: 58)، فالله عز وجل يحب المتوكلين قال تعالى : ﴿**فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللّهِ إِنَّ اللّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ**﴾ (آل عمران : 159)[2].

والرسول ﷺ يعلمنا التوكل في كل الأحوال فقد ورد عن النبي ﷺ أنه كان يقول : [اللهم لك أسلمت، وبك آمنت وعليك توكلت، وإليك أنبت، وبك خاصمت، اللهم إني أعوذ بعزتك، لا إله إلا أنت أن تضلني، أنت الحي الذي لا يموت والجن والإنس يموتون][3].

هكذا هي حياة المسلم كلها استعانة بالله وتوكل عليه، وهذا هو طريق القوة والعزة والمنعة في هذه الدنيا الفانية، قال تعالى : ﴿**وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ**﴾ (الطلاق : 3).

الأخذ بالأسباب :

والتوكل يستلزم الأخذ بالأسباب وقد كان يعقوب عليه السلام نعم القدوة الصالحة لأبنائه ولغيره من المربين، حيث أمر أبناءه بالأخذ بالأسباب، لأن عدم الأخذ بالأسباب يسمى تواكلاً[4]، وقد عصم الله عز وجل أنبياءه عن مثل هذه الصفات، ويتجلى أخذ سيدنا يعقوب عليه السلام بالأسباب مع توكله ما أمر به أبناءه قال تعالى : ﴿**وَقَالَ يَا بَنِيَّ لاَ تَدْخُلُواْ مِن بَابٍ وَاحِدٍ وَادْخُلُواْ مِنْ أَبْوَابٍ مُّتَفَرِّقَةٍ وَمَا أُغْنِي عَنكُم مِّنَ اللّهِ مِن شَيْءٍ إِنِ الْحُكْمُ إِلاَّ لِلّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَعَلَيْهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُتَوَكِّلُونَ**﴾ (يوسف: 67).

---

(1) صحيح البخاري، 907/3، كتاب (التفسير)، باب قوله : ﴿**الذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُواْ لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ**﴾، حديث رقم (4563).

(2) انظر الجامع لأسماء الله الحسنى (ابن قيم الجوزية – القرطبي) : حامد الطاهر، ص 310-311.

(3) صحيح مسلم، ص 1045، كتاب (الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار)، باب (التعوذ من شر ما عمل ومن شر ما لم يعمل)، حديث رقم (2717).

(4) التواكل معناه : "التكاسل والتراخي وعدم العمل بجدية"؛ أسماء الله الحسنى : د. وجيه يعقوب السيد، إشراف: أ. حمدي مصطفى، 9/17.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

فقد أوصى عليه السلام أبناءه عندما جهزهم مع أخيهم بنيامين إلى مصر أن لا يدخلوا من باب واحد بعينه، ولكن يدخلوا من أكثر من باب بحيث تكون هذه الأبواب متفرقة، وقد خاف عليهم من العين، فقد كانوا ذوي بسطة وجمال وكمال، وكانوا أحد عشر رجلاً لرجل واحد[1].

يقول د. أحمد نوفل : "فهو يريد أن يدفع عنهم حسد الحاسدين وكيد الكائدين وظنون الظانين ثم من ناحية أخرى في تفرقهم بهذا الشكل مزيداً من احتمالات لُقيا يوسف عليه السلام"[2].

والأخذ بالأسباب منهج النبي ﷺ في توكله فقد أمر به صحابته الكرام فقد ورد : [عن علي بن أبي طالب : كنا في جنازة في بقيع الغرقد فأتانا رسول الله ﷺ فقعد وقعدنا حوله ومعه مخصرة فنكَّس فجعل ينكت بمخصرته ثم قال : ما منكم من أحد، ما من نفس منفوسة إلا كتب مكانها في الجنة والنار، وإلا كتبت شقية أو سعيدة، قال : فقال رجل : يا رسول الله أفلا نمكث على كتابنا وندع العمل، فمن كان منا من أهل السعادة، فسيصير إلى عمل أهل السعادة، ومن كان من أهل الشقاوة فسيصير إلى عمل أهل الشقاوة، فقال : اعملوا فكل ميسر، أما أهل السعادة فييسرون لعمل أهل السعادة، وأما أهل الشقاوة فييسرون لعمل أهل الشقاوة ثم قرأ ﴿**فَأَمَّا مَن أَعْطَى وَاتَّقَى* وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَى * فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْيُسْرَى * وَأَمَّا مَن بَخِلَ وَاسْتَغْنَى* وَكَذَّبَ بِالْحُسْنَى * فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْعُسْرَى**﴾ (الليل : 5-10)][3].

يقول ابن القيم رحمه الله : "القدر السابق لا يمنع العمل ولا يوجب الاتكال عليه، بل يوجب الجد والاجتهاد، ولهذا لما سمع بعض الصحابة ذلك قال : ما كنت أشد اجتهاداً مني الآن... فإن العبد ينال ما قُدر له بالسبب الذي أُقْدِرَ عليه ومُكِّن منه، وهيئ له، فإذا أُتي بالسبب أوصله إلى القدر الذي سبق له في أم الكتاب، وكلما زاد اجتهاداً في تحصيل السبب كان حصول المقدور أدنى إليه"[4].

الرضا بقضاء الله وقدره :

كذلك ينبه سيدنا يعقوب عليه السلام أبناءه بأن الإنسان مهما فعل من الأسباب فإن الأمور كلها تبقى بيد الله عز وجل، فقال لهم : ﴿**وَمَا أُغْنِي عَنكُم مِّنَ اللّهِ مِن شَيْءٍ إِنِ الْحُكْمُ إِلاَّ لِلّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَعَلَيْهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُتَوَكِّلُونَ**﴾ (يوسف : 67).

---

(1) انظر تفسير ابن كثير، 484/2؛ وانظر الجامع لأحكام القرطبي، 226/9.

(2) سورة يوسف دراسة تحليلية : د. أحمد نوفل، ص 166.

(3) صحيح مسلم، ص 1020، كتاب القدر، باب كيفية الخلق الآدمي في بطن أمه، وكتابة رزقه وأجله وعمله وشقاوته وسعادته، حديث رقم (2647).

(4) شفاء العليل : لابن القيم الجوزية، 78/1.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

وسيد قطب رحمه الله يعقب على كلام سيدنا يعقوب عليه السلام فيقول : "وواضح من سياق القول أنه يعني حكم الله القدري القهري الذي لا مفر منه ولا فكاك، وقضاءه الإلهي الذي يجري به قدره، فلا يملك الناس فيه لأنفسهم شيئاً، وهذا هو الإيمان بالقدر خيره وشره، وحكم الله القدري يمضي في الناس على غير إرادة منهم ولا اختيار، وإلى جانبه حكم الله الذي ينفذه الناس عن رضى منهم واختيار وهو الحكم الشرعي المتمثل في الأوامر والنواهي، وهذا كذلك لا يكون إلا لله، شأنه شأن حكمه القدري باختلاف واحد، هو أن الناس ينفذونه مختارين أو لا ينفذونه فيترتب على هذا أو ذاك نتائجه وعواقبه في حياتهم في الدنيا وفي جزائهم في الآخرة، ولكن الناس لا يكونون مسلمين حتى يختاروا حكم الله هذا وينفذوه فعلاً راضين"[1].

وواضح من كلام سيد قطب رحمه الله أنه قد فرق بين حكم الله القدري وحكمه الشرعي على وجه حسن.

قال ابن القيم رحمه الله موضحاً ارتباط الأخذ بالأسباب بنظام التوحيد لله عز وجل فيقول : "النبي ﷺ أرشد الأمة في القدر إلى أمرين هما سببا السعادة : الإيمان بالأقدار فإنه نظام التوحيد، والإتيان بالأسباب التي توصل إلى خيره وتحجزه عن شره وذلك نظام الشرع"[2].

فالمؤمن يعلم علم اليقين أن الله لا يُقدِّر له إلا الخير، وبذلك يرضى بقضاء الله وحكمه له في كل الوجوه، فيبقى دائماً هادئ البال، مرتاح النفس، لأن الله هو وليه ووكيله وحسبه في كل أمر من أمور دينه أو دنياه فهو دائماً يردد "لا حول ولا قوة إلا بالله" فيزداد قوة على قوته، ويفسر ابن تيمية هذه الكلمة بقوله : "فلفظ الحول يتناول كل تحول من حال إلى حال، والقوة هي القدرة على ذلك التحول، فدلت هذه الكلمة العظيمة على أنه ليس للعالم العلوي والسفلي حركة وتحول من حال إلى حال، ولا قدرة على ذلك إلا بالله"[3].

فسيدنا يعقوب عليه السلام أرشد أبناءه إلى هذا المفهوم، وأن الكون كله بيده تعالى لا يتحرك فيه شيء إلا بأمر منه سبحانه، فهو العالم بكل شيء سواءً كان صغيراً أم كبيراً قال تعالى : **﴿وَعِندَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لاَ يَعْلَمُهَا إِلاَّ هُوَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَمَا تَسْقُطُ مِن وَرَقَةٍ إِلاَّ يَعْلَمُهَا وَلاَ حَبَّةٍ فِي ظُلُمَاتِ الأَرْضِ وَلاَ رَطْبٍ وَلاَ يَابِسٍ إِلاَّ فِي كِتَابٍ مُّبِينٍ﴾** (الأنعام : 59).

---

(1) في ظلال القرآن : سيد قطب، 2017/4-2018.

(2) شفاء العليل : لابن قيم الجوزية، 78/1.

(3) مجموع الفتاوى : لابن تيمية، 341/5، اعتنى بها وخرج أحاديثها عامر الجزار وأنور الباز، دار الوفاء، دار الحديث، القاهرة، الطبعة الثانية 1421هـ-2001م.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

وفي آخر وصية سيدنا يعقوب عليه السلام لأبنائه في قوله تعالى: ﴿**وَعَلَيْهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُتَوَكِّلُونَ**﴾ وفيها أن الإنسان لا يتوكل إلا على الله عز وجل وهي نفس الوصية التي أوصى بها الرسل عندما تعرضوا للتعذيب من الكفار، وذلك في قوله تعالى : ﴿**وَمَا لَنَا أَلاَّ نَتَوَكَّلَ عَلَى اللّهِ وَقَدْ هَدَانَا سُبُلَنَا وَلَنَصْبِرَنَّ عَلَى مَا آذَيْتُمُونَا وَعَلَى اللّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُتَوَكِّلُونَ**﴾ (إبراهيم: 12).

فسيدنا يعقوب عليه السلام قد توكل على الله حق توكله وعلم أن تدبير الله له خير من تدبيره لنفسه، وأنه سبحانه أعلم بمصلحته وأقدر على جلبها وتحصيلها منه لنفسه فهو عز وجل أرحم وأبر منه بنفسه ، وقد علم أنه لا يستطيع أن يتقدم بين يدي تدبيره ولو خطوة واحدة، كذلك لا يتأخر عن تدبيره خطوة واحدة، فلا متقدم بين يدي قضائه ولا متأخر، وقد ألقى نفسه بين يديه سبحانه، وسلّم جميع أموره إليه، وانطرح انطراح العبد الضعيف بين يدي ملك عزيز قاهر قادر، له التصرف في عبده بما يريد، فاستراح عندئذٍ من الهموم والأكدار والغموم والحسرات وحمّل كل حوائجه لله القوي الذي لا يثقله شيء، فتولاها دونه وأراه لطفه ورحمته وبره وإحسانه من غير أن يتعب العبد، لأنه وكل أمره لله، فما أطيب حياته وأعظم سعادته[1].

صدق التوكل :

فمن "صدق توكله على الله في حصول شيء ناله، فإن كان محبوباً له مرضياً كانت له فيه العاقبة المحمودة"[2].

وهذا ما حدث بالنسبة لسيدنا يعقوب عليه السلام فقد كان صادقاً في توكله على الله، فكانت النهاية المحمودة بأن التقى بابنه الحبيب يوسف عليه السلام بعد أن رد الله إليه بصره وأصلح له أبناءه قال تعالى : ﴿**فَلَمَّا أَن جَاء الْبَشِيرُ أَلْقَاهُ عَلَى وَجْهِهِ فَارْتَدَّ بَصِيرًا قَالَ أَلَمْ أَقُل لَّكُمْ إِنِّي أَعْلَمُ مِنَ اللّهِ مَا لاَ تَعْلَمُونَ * قَالُواْ يَا أَبَانَا اسْتَغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا إِنَّا كُنَّا خَاطِئِينَ * قَالَ سَوْفَ أَسْتَغْفِرُ لَكُمْ رَبِّيَ إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ * فَلَمَّا دَخَلُواْ عَلَى يُوسُفَ آوَى إِلَيْهِ أَبَوَيْهِ وَقَالَ ادْخُلُواْ مِصْرَ إِن شَاء اللّهُ آمِنِينَ**﴾ (يوسف : 96-99).

هكذا نرى سمو النفس البشرية عندما ترتبط ارتباطاً وثيقاً بالله وتتوكل عليه فما كان للإنسان أن يكون بشراً سوياً إلا بفضل تمسكه بهذه العقيدة الغراء، وبهذا الدين العظيم.

---

(1) انظر الفوائد : للإمام ابن قيم الجوزية، ص 136-137.

(2) تهذيب مدارج السالكين : عبد المنعم العزي، ص 337.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

الفصل الثاني

دور العقيدة في بناء شخصية سيدنا يوسف عليه السلام

المبحث الأول: دور العقيدة في ترسيخ خلق الصبر عند سيدنا يوسف عليه السلام.

المبحث الثاني : دور العقيدة في التحلي بالتقوى عند سيدنا يوسف عليه السلام.

المبحث الثالث : دور العقيدة في تحقيق الإحسان في شخصية يوسف عليه السلام.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

المبحث الأول

دور العقيدة في ترسيخ خلق الصبر عند سيدنا يوسف عليه السلام

المطلب الأول : صبره على الإساءة من إخوته.

المطلب الثاني : صبره على الظلم والسجن.

المطلب الثالث : صبره على نعمة التمكين.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

المبحث الأول

دور العقيدة في ترسيخ خلق الصبر عند سيدنا يوسف عليه السلام

المطلب الأول : صبره على الإساءة من إخوته :

لقد أراد إخوة يوسف عليه السلام أن يتخلصوا منه بأي وسيلة، فلقد أرادوا أولاً قتله، ثم غيروا وسيلتهم للتخلص منه وذلك بأن يلقوه في أرض لا تصلح للحياة حتى يموت جوعاً وخوفاً، ثم كان الرأي الأخير الذي أشار به أحدهم بأن يُلقى في البئر بحيث يلتقطه السيارة فبذلك ينجو من الموت المحقق، وفي نفس الوقت يكون بعيداً عن أبيه لكي يخلو وجه أبيهم لهم ويكونوا بعد ذلك قوماً صالحين، وهذا الرأي الأخير كان أخف الآراء ضرراً، قال تعالى على لسان إخوة يوسف عليه السلام : ﴿**اقْتُلُواْ يُوسُفَ أَوِ اطْرَحُوهُ أَرْضًا يَخْلُ لَكُمْ وَجْهُ أَبِيكُمْ وَتَكُونُواْ مِن بَعْدِهِ قَوْمًا صَالِحِينَ * قَالَ قَآئِلٌ مِّنْهُمْ لاَ تَقْتُلُواْ يُوسُفَ وَأَلْقُوهُ فِي غَيَابَةِ الْجُبِّ يَلْتَقِطْهُ بَعْضُ السَّيَّارَةِ إِن كُنتُمْ فَاعِلِينَ**﴾ (يوسف : 9-10).

قيل أن القائل هو : روبيل، وقيل : أنه يهوذا، وقيل : أنه شمعون[1].

وما دام القرآن الكريم والسنة النبوية لم تذكر اسم أي منهم، فلا نستطيع أن نجزم بأي منهم، ولو كان ذكر الاسم مهماً لذكره القرآن لنا في سياق الآيات.

(لا تقتلوا يوسف) أي "لا تصلوا في عداوته وبغضه إلى قتله، ولم يكن لهم سبيل إلى قتله؛ لأن الله كان يريد أمراً لابد من إمضائه وإتمامه من الإيحاء إليه بالنبوة ومن التمكين له ببلاد مصر والحكم بها، فصرفهم الله عنه"[2].

يقول سيد قطب رحمه الله معلقاً على كلام أخيهم : "إن كنتم فاعلين" : أن فيها "روح التشكيك والتثبيط، كأنه يشككهم في أنهم مصرون على إيقاع الأذى بيوسف. وهو أسلوب من أساليب التثبيط عن الفعل واضح فيه عدم الارتياح للتنفيذ، ولكن هذا أقل ما يشفي حقدهم ولم يكونوا على استعداد للتراجع فيما اعتزموه"[3].

وما فعله أخوة يوسف عليه السلام وتآمروا به على أخيهم وأبيهم إنما يدل على الحقد والحسد الذي ملأ قلوبهم، وقد عملوا على قطيعة الرحم، وفرقوا بين الابن وأبيه، ولم يرحموا أخاهم الصغير، ولم يوقروا أباهم الكبير.

---

(1) انظر تفسير القرآن العظيم : ابن كثير، 470/2.

(2) المصدر السابق، 470/2.

(3) في ظلال القرآن : لسيد قطب، 1974/4.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

هل إخوة يوسف عليه السلام أنبياء؟

ولقد اختُلف في كون أخوة يوسف عليه السلام – بهذه الأفعال التي فعلوها – أنبياء أم لا وللإجابة على ذلك انقسم العلماء قسمين، منهم من قال بأنهم أنبياء، ومنهم من قال بأنهم غير أنبياء، وأكثرهم على أنهم غير أنبياء.

من قال بأنهم أنبياء قالوا إن أفعالهم التي عملوها بيوسف وأبيهم إنما كانت قبل نبوتهم. يقول علاء الدين علي بن محمد البغدادي الشهير بالخازن : "هذه الأفعال إنما صدرت من أخوة يوسف قبل ثبوت النبوة لهم، والمعتبر في عصمة الأنبياء هو وقت حصول النبوة لا قبلها وقيل: كانوا وقت هذه الأفعال مراهقين غير بالغين ولا تكليف عليهم قبل البلوغ، فعلى هذا لم تكن هذه الأفعال قادحة في عصمة الأنبياء"[1].

وللرد على هذا الفريق يكفي القول بأن الله عز وجل قد عصم الرسول ﷺ قبل النبوة من كشف عورته، وقد عصمه أيضاً من حضور أعراس الجاهلية[2].

أما الفريق الآخر من العلماء وهم الأكثرية ومنهم ابن كثير الذي يرد على الفريق الأول قائلاً : "واعلم أنه لم يقم دليل على نبوة أخوة يوسف، وظاهر هذا السياق يدل على خلاف ذلك، ومن الناس من يزعم أنه أوحي إليهم وفي هذا نظر، ويحتاج مدعي ذلك إلى دليل، ولم يذكروا سوى قوله تعالى: ﴿**قُولُواْ آمَنَّا بِاللّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنزِلَ إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَقَ وَيَعْقُوبَ وَالأسْبَاطِ**﴾ (البقرة : 136) وهذا فيه احتمال لأن بطون بني إسرائيل يقال لهم الأسباط، كما يقال للعرب قبائل وللعجم شعوب ، ويذكر تعالى أنه أوحى إلى الأنبياء من أسباط بني إسرائيل فذكرهم إجمالاً لأنهم كثيرون ولكن كل سبط من رجل من إخوة يوسف، ولم يقم دليل على أعيان هؤلاء أنهم أوحي إليهم"[3].

يقول القرطبي في تفسيره : "وفي هذا ما يدل على أن إخوة يوسف ما كانوا أنبياء أولاً ولا آخراً، لأن الأنبياء لا يدبرون في قتل مسلم، بل كانوا مسلمين، فارتكبوا معصية ثم تابوا"[4].

فرأي القرطبي أنهم مسلمون ارتكبوا معصية وتابوا منها، وهم ليسوا بأنبياء لا قبل ارتكاب المعصية ولا بعدها.

---

(1) تفسير الخازن المسمى لباب التأويل في معاني التنزيل : لعلاء الدين علي بن محمد بن إبراهيم البغدادي الشهير بالخازن، 265/2، دار الفكر، 1399هـ–1979م.

(2) انظر الرحيق المختوم : للشيخ صفي الرحمن المباركفوري، ص 72.

(3) تفسير القرآن العظيم : لابن كثير، 2/(469–470).

(4) الجامع لأحكام القرآن : للقرطبي، 133/9.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

والشوكاني يؤكد على عدم نبوتهم أيضاً فيقول : "وفي هذا دليل على أن إخوة يوسف ما كانوا أنبياء، فإن الأنبياء لا يجوز عليهم التواطؤ على القتل لمسلم ظلماً وبغياً، وقيل : كانوا أنبياء وكان ذلك منهم زلة قدم وأوقعهم فيها التهاب نار الحسد في صدورهم، واضطرام جمرات الغيظ في قلوبهم، ورُد بأن الأنبياء معصومون عن مثل هذه المعصية الكبيرة المتبالغة في الكبر مع ما في ذلك من قطع الرحم وعقوق الوالد وافتراء الكذب"[1].

ويرد الرازي على من يقول بأنهم كانوا مراهقين غير بالغين بقوله : "وهذا ضعيف، لأنه يَبْعُد من مثل نبي الله تعالى يعقوب عليه السلام أن يبعث جماعة من الصبيان من غير أن يكون إنسان عاقل يمنعهم من القبائح، وأيضاً أنهم قالوا (وتكونوا من بعده قوماً صالحين) وهذا يدل على أنهم قبل التوبة لا يكونون صالحين، وذلك ينافي كونهم من الصبيان... بل الجواب الصحيح أن يقال: إنهم ما كانوا أنبياء"[2].

وما أرجحه وأميل إليه أن إخوة يوسف عليه السلام ليسوا أنبياء لما ورد في قصة يوسف عليه السلام من تخطيطهم لقتل أخيهم، والقتل كبيرة من الكبائر، وقد نهى الله تعالى عنها فتوعد القاتل بأقصى العقوبة، وذلك في قوله تعالى : ﴿**وَمَن يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُّتَعَمِّدًا فَجَزَآؤُهُ جَهَنَّمُ خَالِدًا فِيهَا وَغَضِبَ اللّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُ وَأَعَدَّ لَهُ عَذَابًا عَظِيمًا**﴾ (النساء : 93).

وقال تعالى : ﴿**مِنْ أَجْلِ ذَلِكَ كَتَبْنَا عَلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنَّهُ مَن قَتَلَ نَفْسًا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي الأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعًا وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَا أَحْيَا النَّاسَ جَمِيعًا**﴾ (المائدة : 32).

كذلك كذبوا على أبيهم ولم يوقروه مع أنه نبي وكبير في السن والله عز وجل يقول : ﴿**إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ كَذَّابٌ**﴾ (غافر : 28).

كذلك أمر الله عز وجل بطاعة الوالدين وذلك في قوله تعالى: ﴿**وَقَضَى رَبُّكَ أَلاَّ تَعْبُدُواْ إِلاَّ إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا**﴾ (الإسراء : 23)، فقد صدر عنهم ما يدل على عقوقهم له، وعدم طاعته كونه نبي يوحى إليه والله تعالى يقول : ﴿**مَّنْ يُطِعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللّهَ**﴾ (النساء: 80).

فهذه الأمور التي فعلها إخوة يوسف مجتمعة تدل على عدم نبوتهم "فإن الأنبياء معصومون من الكبائر قبل النبوة وبعدها، ولو كانوا أنبياء لما أقدموا على مثل هذه الأفعال الشنيعة، فالحسد،

---

(1) فتح القدير : للشوكاني، 8/3.

(2) التفسير الكبير : للإمام الرازي، 95/17.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

والسعي في الفساد، والإقدام على القتل، والكذب، وإلقاء يوسف في الجب، كل ذلك من الكبائر التي تنافي عصمة الأنبياء، فالقول بأنهم أنبياء مع هذه الجرائم، لا يقبله عقل حصيف"[1].

يقول عبد الرحمن الميداني : "سيرة الأنبياء التي أثرت عنهم قبل نبواتهم تشهد بأنهم من أبعد الناس عن المعاصي، كبائرها وصغائرها، ولئن وقع منهم شيء من ذلك فهفوات نادرة لا تطعن بعلو فطرتهم، وصفاء نفوسهم، وسمو أرواحهم، والمهمة التي سيكلفونها فيما بعد"[2].

الله سبحانه يتولى الصالحين :

ولنرى ما حدث ليوسف عليه السلام بعد إلقائه في البئر وكيف صبر على ذلك فالله عز وجل يكون مع عباده الصالحين وخاصة في وقت الشدة، وسيدنا يوسف عليه السلام كان في أمس الحاجة للإعانة من قِبل الله عز وجل فلم يتركه ربه سبحانه للخوف والهواجس والآلام، وهو الذي تربى في بيت النبوة على الأخلاق الفاضلة، والعقيدة السليمة، فمن كان الله معه، فمن عليه؟! فأوحى الله إليه وهو في وسط عتمة البئر، قال تعالى: ﴿**وَأَوْحَيْنَآ إِلَيْهِ لَتُنَبِّئَنَّهُم بِأَمْرِهِمْ هَـذَا وَهُـمْ لاَ يَشْعُرُونَ**﴾ (يوسف : 15). يقول ابن كثير رحمه الله : "يقول الله ذاكراً لطفه ورحمته وعائدته وإنزاله اليسر في حال العسر أنه أوحي إلى يوسف في ذلك الحال الضيق تطييباً لقلبه وتثبيتاً له إنك لا تحزن مما أنت فيه، فإن لك من ذلك فرجاً ومخرجاً حسناً وسينصرك الله عليهم، ويعليك ويرفع درجتك، وسيخبرهم بما فعلوا معك من هذا الصنيع"[3].

وقال ابن عباس: "ستنبئهم بصنيعهم هذا في حقك وهم لا يعرفونك ولا يستشعرون بك"[4].

ويقول سيد قطب رحمه الله عن سيدنا يوسف عليه السلام : "وفي لحظة الضيق والشدة التي كان يواجه فيها هذا الفزع، والموت منه قريب، ولا منقذ له ولا مغيث وهو وحده صغير وهم عشرة أشداء، في هذه اللحظة .. يلقي الله في روعه أنه ناج، وأنه سيعيش حتى يواجه إخوته بهذا الموقف الشنيع وهم لا يشعرون بأن الذي يواجههم هو يوسف الذي تركوه في غيابة الجب وهو صغير"[5].

---

(1) قبس من نور القرآن الكريم، دراسة تحليلية موسعة بأهداف ومقاصد السور الكريمة : محمد علي الصابوني، 121/5، دار القلم، دمشق، الطبعة الأولى 1409هـ-1988م.

(2) العقيدة الإسلامية وأسسها : عبد الرحمن حبنكة الميداني، ص 385، دار القلم، دمشق، الطبعة الثانية 1399هـ-1979م.

(3) تفسير القرآن العظيم : ابن كثير، 471/2.

(4) المصدر السابق، 471/2.

(5) في ظلال القرآن : سيد قطب، 1974/4.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

المقصود من قوله تعالى : "وَأَوْحَيْنَآ إِلَيْهِ" :

وقد اختلف في نوع الوحي هل هو وحي النبوة والرسالة ؟ أم وحي من نوع الإلهام ؟ وممن أيد أنه وحي للنبوة والرسالة الإمام الرازي والقرطبي :

قال الإمام الرازي : "إن المراد منه الوحي والنبوة والرسالة"[1].

وكذلك القرطبي رحمه الله أيد هذا الرأي قائلاً : إن قوله تعالى : "وأوحينا إليه" "دليل على نبوته في ذلك الوقت"[2].

ويؤيد الرأي الثاني بأن الوحي وحي إلهام محمد رشيد رضا صاحب تفسير المنار، حيث يقول في تفسيره "وأوحينا" أي "عند إلقائه فيه وحياً إلهامياً"[3].

كذلك محمد علي الصابوني قائلاً : "فأوحى الله إليه – وحي إيناس وإلهام – لتخبرن إخوتك بفعلهم هذا القبيح معك، وهم لا يشعرون في ذلك الوقت أنك يوسف"[4].

وكذلك د. أحمد نوفل الذي قال : "فهذا الوحي كالوحي إلى أم موسى ليس نبوة"[5].

وأرجح الرأي الثاني بأن الوحي كان وحي إلهام، وذلك لما يلي :

1- الذي يتضح من سياق الآيات أن سيدنا يوسف عليه السلام كان صغيراً جداً بحيث لم يستطع أن يدافع عن نفسه عندما تآمر عليه إخوته وقد استسلم بكل سهولة، وهذا يدل دلالة واضحة على طفولته البريئة، ومما يؤكد ذلك ما جاء في قوله تعالى على لسان إخوة يوسف عليه السلام : ﴿**أَرْسِلْهُ مَعَنَا غَدًا يَرْتَعْ وَيَلْعَبْ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ**﴾ (يوسف : 12)، وكذلك قول القائل في قوله تعالى : ﴿**قَالَ يَا بُشْرَى هَـذَا غُلَامٌ**﴾ فالغلام هو "الابن الصغير"[6].

وكذلك في قوله تعالى : ﴿**وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُ آتَيْنَاهُ حُكْمًا وَعِلْمًا**﴾ (يوسف : 22).

---

(1) التفسير الكبير للرازي، 99/17.

(2) الجامع لأحكام القرآن : للقرطبي، 142/9.

(3) تفسير القرآن الحكيم : محمد رشيد رضا، 266/12، دار المعرفة للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، الطبعة الثانية، دون تاريخ.

(4) قبس من نور القرآن الكريم : محمد علي الصابوني، 115/5.

(5) سورة يوسف دراسة تحليلية : د. أحمد نوفل، ص 314، دار الفرقان للنشر والتوزيع، الطبعة الثانية 1420هـ-1999م.

(6) المصباح المنير : أحمد المقرئ، ص 269، كتاب الغين.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

وقد فسر ابن كثير الأشد : بالنبوة وقد اختلف في مقدار المدة التي بلغ فيها أشده، فقيل : ثلاث وثلاثون سنة، وقيل : بضع وثلاثون سنة، وقيل : عشرون سنة، وقيل : أربعون سنة، وقيل خمس وعشرون سنة، وقيل : ثلاثون سنة، وقيل : ثمانية عشر سنة، وقيل الأشد : الحلم[1].

وهذا دليل واضح على أن سيدنا يوسف عليه السلام لم يؤتَ النبوة وهو في البئر، ولم يقصد من قوله تعالى : "وأوحينا إليه" أنه وحي للنبوة والرسالة.

2- أن الوحي من نوع النبوة يقتضي التكليف بالدعوة، والله عز وجل يقول في كتابه العزيز : ﴿**لاَ يُكَلِّفُ اللّهُ نَفْسًا إِلاَّ وُسْعَهَا**﴾ (البقرة : 286)، فكيف يكون في وسع طفل صغير أن يبلغ دعوة ربه، والتبليغ صفة لازمة من صفات الرسل الكرام – عليهم الصلاة والسلام – فالله عز وجل يقول : ﴿**يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ**﴾ (المائدة : 67).

وقال تعالى : ﴿**عَالِمُ الْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَى غَيْبِهِ أَحَدًا * إِلَّا مَنِ ارْتَضَى مِن رَّسُولٍ فَإِنَّهُ يَسْلُكُ مِن بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ رَصَدًا * لِيَعْلَمَ أَن قَدْ أَبْلَغُوا رِسَالَاتِ رَبِّهِمْ وَأَحَاطَ بِمَا لَدَيْهِمْ وَأَحْصَى كُلَّ شَيْءٍ عَدَدًا**﴾ (الجن : 26-28)[2].

3- أن سيدنا يوسف عليه السلام أصبح عبداً رقيقاً بعد خروجه من البئر، فكيف يستطيع تبليغ الدعوة وهو طفل وعبد رقيق في آن واحد. قال تعالى : ﴿**وَأَسَرُّوهُ بِضَاعَةً**﴾ (يوسف : 19)، وقال تعالى : ﴿**وَشَرَوْهُ بِثَمَنٍ بَخْسٍ دَرَاهِمَ مَعْدُودَةٍ**﴾ (يوسف : 20).

4- أن الرسالة لا تكون إلا لمن بلغ مبلغ الرجال، ورسولنا ﷺ جاءته الرسالة وهو في سن الأربعين[3]، وسيدنا عيسى عليه السلام كان عمره ثلاثين سنة[4].

وبهذا نجد أن المقصود من قوله تعالى : "وأوحينا إليه" أن الوحي كان من نوع الإلهام وذلك إيناساً له وتطميناً لقلبه، فما كان الله ليذر عبده المؤمن ليكون نهباً لوساوس الشيطان في ظلمة ذلك البئر وذلك المحبس "الذي ارتضاه إخوته له بعد الاحتيال على أبيه وأخذه منه، ما زال

---

(1) انظر تفسير القرآن العظيم : لابن كثير، 473/2.

(2) انظر العقيدة الإسلامية وأسسها : عبد الرحمن الميداني، ص 389-390.

(3) انظر الصراع بين الحق والباطل في قصة يوسف عليه السلام : رسالة ماجستير للطالب تميم ضيف الله ضهير، إشراف : د. الشيخ جمعة سهل، 1407هـ-1987م؛ وانظر السيرة النبوية لابن هشام، 23/1؛ وانظر فقه السيرة : لمحمد سعيد رمضان البوطي، ص 79، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، 1410هـ-1990م؛ وانظر العقيدة الإسلامية وأسسها : عبد الرحمن الميداني، ص 504.

(4) صحيح قصص القرآن : حامد البسيوني، ص 221.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

يوسف في الغيابات بظلماتها، وهوتها السحيقة يهفو إلى من يمد له حبل النجاة فيخلصه من ذلك الضيق، ولم يكن الصغير يدري أن (سيارة) من التجار الذين يمرون على هذه الطريق سيكون الفرج على أيديهم"[1]. فالله هيأ له من يخرجه من هذا البئر الموحش، قال تعالى : ﴿**وَجَاءتْ سَيَّارَةٌ فَأَرْسَلُواْ وَارِدَهُمْ فَأَدْلَى دَلْوَهُ قَالَ يَا بُشْرَى هَـذَا غُلاَمٌ وَأَسَرُّوهُ بِضَاعَةً وَاللّهُ عَلِيمٌ بِمَا يَعْمَلُونَ* وَشَرَوْهُ بِثَمَنٍ بَخْسٍ دَرَاهِمَ مَعْدُودَةٍ وَكَانُواْ فِيهِ مِنَ الزَّاهِدِينَ**﴾ (يوسف : 19-20).

الانتقال من محنة البئر إلى محنة الرق :

وهكذا انتقل سيدنا يوسف عليه السلام من محنة ظلمة البئر إلى محنة أعظم منها وهي فقده لحريته بحيث أصبح عبداً رقيقاً يباع ويشترى، فما أصعبه من موقف على قلب الإنسان العادي، فكيف سيكون على قلب النبي ابن النبي ابن النبي الذي قال عنه الرسول ﷺ [الكريم ابن الكريم ابن الكريم، يوسف بن يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم][2]. فهاهو يباع كما تباع البضاعة قال تعالى: ﴿**وَأَسَرُّوهُ بِضَاعَةً**﴾ (يوسف: 19)، وأياً كان الذي باع سيدنا يوسف عليه السلام كما تذكر الروايات المتعددة، فقد أصبح سيدنا يوسف عليه السلام عبداً رقيقاً وقد بيع "بثمن بخس".

يقول ابن كثير : "وإنما المراد هنا بالبخس الناقص أو الزيوف أو كلاهما أي أن إخوته وقد باعوه ومع هذا بأنقص الأثمان ولهذا قال "دراهم معدودة" فعن ابن مسعود رضي الله عنه باعوه بعشرين درهماً .. وقال مجاهد : اثنان وعشرون، وقال محمد بن إسحاق وعكرمة أربعون درهماً، وقال الضحاك في قوله "وكانوا فيه من الزاهدين" وذلك أنهم لم يعلموا نبوته، ومنزلته عند الله عز وجل"[3].

وهكذا أصبح سيدنا يوسف عليه السلام في محنة الرق والعبودية والبعد عن الأب الحنون والأخ الحبيب والبعد عن وطنه الذي ترعرع فيه، وهو في ذلك يشبه ما حدث للرسول محمد ﷺ عندما هاجر من مكة المكرمة إلى المدينة المنورة، وذلك بعد تعذيب قومه له، وأقرب الناس إليه، وهكذا سيدنا يوسف عليه السلام، أساء إليه أقرب الناس إليه، وهم إخوته وكانوا سبباً في إبعاده عن وطنه الحبيب، فليس له إلا الله عز وجل في محنته يُصبِّره ويخفف عنه بلاءه.

---

(1) صحيح قصص القرآن : حامد البسيوني، ص 221.

(2) صحيح البخاري، 942/3، كتاب التفسير، باب "**وَيُتِمُّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكَ وَعَلَى آلِ يَعْقُوبَ كَمَا أَتَمَّهَا عَلَى أَبَوَيْكَ مِن قَبْلُ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَقَ**"، حديث رقم 4688.

(3) تفسير القرآن العظيم : لابن كثير، 472/2.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

يقول محمد علي الصابوني : "ومن هنا تبدأ المحنة الثانية في حياة يوسف عليه السلام وهي محنة "العبودية والاسترقاق" بعد المحنة الأولى "محنة الجب" فبعد أن كان حراً منعماً مكرماً في غاية الدلال والإكرام عند أبيه يعقوب عليه السلام، يرعاه ويحنو عليه، أصبح عبداً مملوكاً مسترقاً، يباع كالبضاعة والسلعة، للخدمة، والابتذال، وما أشق على النفس أن ينتقل الإنسان من الرفاهية والعزة إلى العبودية والمهانة، فلذلك كانت تلك المحنة عظيمة بالنسبة له، وهو لا يزال في ريعان الصبا، وبحاجة إلى من يعطف ويحنو عليه، وقد اشتراه عزيز مصر من تلك القافلة على أنه مملوك، اشتراه للخدمة والمنفعة"[1].

صبر الأنبياء :

وبذلك نجد سيدنا يوسف عليه السلام قد صبر صبر المحسنين، العارفين بالله على كل ما لاقاه وكل ما سيلاقيه من محن وعذابات، ولنا أن نتصور حال سيدنا يوسف عليه السلام وهو غلام صغير، عبد رقيق، قد أُبعد عن الأهل والأحبة والديار، هكذا هي ابتلاءات الأنبياء والمرسلين أكثر من غيرهم من الناس فقد ورد [عن عبد الله قال : دخلت على رسول الله ﷺ وهو يوعك فقلت : يا رسول الله إنك توعك وعكاً شديداً، قال : "أجل، إني أوعك كما يوعك رجلان منكم"، قلت : ذلك بأن لك أجرين، قال : أجل، ذلك كذلك، ما من مسلم يصيبه أذى – شوكة فما فوقها – إلا كفر الله بها سيئاته، كما تحط الشجرة ورقها][2].

وكذلك هو صبرهم، فهو صبر عظيم، لأنهم الأنقياء، الأتقياء، الأطهار، الذين سمت نفوسهم بسمو عقيدتهم، وما أرسلوا به من نور النبوة، ليضيء للبشرية طريقها نحو العزة والكرامة في الدنيا والآخرة.

المطلب الثاني : صبر سيدنا يوسف عليه السلام على الظلم والسجن :

لقد ابتلي سيدنا يوسف عليه السلام ببلاء عظيم بعد أن نجاه الله من الموت في ذلك البئر المظلم الذي ألقاه إخوته فيه، وكذلك بعد محنة الرق والعبودية والبعد عن الأب الحنون والأهل والوطن، وهذا البلاء ربما يكون من أعظم الفتن التي مر بها، وهو اتهامه في عرضه وشرفه وأنه أراد فعل الفاحشة بزوجة العزيز، وقد ألقي في السجن بسبب ذلك زوراً وبهتاناً وهو الكريم ابن الكريم، النبي ابن النبي، ولقد أصرت امرأة العزيز على إيداعه السجن، إن لم يفعل الفاحشة بها، قال تعالى على لسان زوجة العزيز : ﴿**وَلَئِن لَّمْ يَفْعَلْ مَا آمُرُهُ لَيُسْجَنَنَّ وَلَيَكُونًا مِّنَ الصَّاغِرِينَ**"

(1) قبس من نور القرآن الكريم : محمد علي الصابوني، 120/5.

(2) صحيح البخاري، 1152/3، كتاب المرضى، باب أشد الناس بلاءً الأنبياء ثم الأول فالأول، حديث رقم 5648.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

(يوسف : 32)، وهذا تهديد ووعيد له إن لم يفعل ما قد أمرته به من فعل الفاحشة فإنه سوف يُعتقل في السجن ويكون من الأذلاء لما سينال من الإهانة، وسلب للنعمة والرفاهية التي كان يحظى بها عندها قبل ذلك[1].

وهي بهذا التهديد لم تعلم أنها تتعامل مع نبي ابن نبي، وهو من عباد الله المؤمنين المخلصين المحسنين، الذي "آثر الحبس والأذى مع الطاعة على الكرامة والعز وقضاء الشهوات، ونيل الرياسة والمال مع المعصية، فإنه لو وافق امرأة العزيز نال الشهوة وأكرمته المرأة بالمال والرياسة، وزوجها في طاعتها"[2].

ولننظر ما الذي فعله هذا النبي العظيم، لقد قال مخاطباً ربه، معتصماً بحبله المتين، وعقيدته الراسخة، قال تعالى على لسان سيدنا يوسف عليه السلام : ﴿**رَبِّ السِّجْنُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا يَدْعُونَنِي إِلَيْهِ وَإِلاَّ تَصْرِفْ عَنِّي كَيْدَهُنَّ أَصْبُ إِلَيْهِنَّ وَأَكُن مِّنَ الْجَاهِلِينَ**" (يوسف : 33).

هكذا هو المؤمن الحق، يختار دائماً رضا الله على كل ما سواه حتى لو كان مقابل ذلك فقده لحريته، ودخول السجن، وهذا هو حال أسرانا الأبطال في السجون فقد اختاروا السجن والجلاد على أن يعيشوا خاضعين خانعين تحت وطأة الاستعمار الذي فتك بكل شيء على وجه الأرض، فهم أرادوا تحرير البلاد والعباد من سطوة المستعمر الدخيل على بلادنا فكان مصيرهم كمصير سيدنا يوسف عليه السلام الذي أراد الطهارة والعفاف والنقاء، أرادوا أن يعبدوا الله ويقيموا دولة الإسلام بحيث يكونوا موحدين لله عز وجل يعبدونه وحده ولا يشركون به شيئاً، وكما هو حال سيدنا يوسف عليه السلام قدم طاعة الله على طاعة المخلوق، وأراد أن يعيش حراً أبياً شريفاً فأودع السجن، وهكذا هم أسرانا البواسل أرادوا الحياة في عزة وكرامة ولكنهم سُجنوا ظلماً وبهتاناً.

هذا هو حال الكريم الموحد لله في كل زمان ومكان، لا يريد له أهل الباطل أن يرفع رأسه، وهذا ما حدث لسيدنا محمد ﷺ عندما قدّم دعوته لله عز وجل فاحتبس في شعب أبي طالب حتى يتراجع عن مبدئه وعقيدته، ولكنه فضل الاحتباس ومقاطعة قريش له على أن يتزحزح عما أمره الله به من أمر الدعوة قيد أنملة، قال ابن إسحاق : "فلما رأت قريش أن أصحاب رسول الله ﷺ قد نزلوا بلداً أصابوا به أمناً وقراراً وأن النجاشي قد منع من لجأ إليه منهم، وأن عمر قد أسلم فكان هو وحمزة بن عبد المطلب مع رسول الله ﷺ وأصحابه، وجعل الإسلام يفشو في القبائل، اجتمعوا وائتمروا بينهم أن يكتبوا كتاباً يتعاقدون فيه على بني هاشم، وبني المطلب، على أن لا يُنكحوا إليهم، ولا يُنكحوهم، ولا يبيعون شيئاً، ولا يبتاعوا منهم، فلما اجتمعوا لذلك كتبوه في صحيفة ثم تعاهدوا وتواثقوا على ذلك، ثم علقوا الصحيفة في جوف

(1) انظر فتح القدير : للشوكاني، 23/3.

(2) التفسير الكبير : لابن تيمية، 74/5.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

الكعبة توكيداً على أنفسهم، وكان كاتب الصحيفة منصور بن عكرمة بن عامر بن هاشم ابن عبد مناف بن عبد الدار بن قصي، قال ابن هشام: ويقال: النضر بن الحارث فدعا عليه رسول الله ﷺ فشُل بعض أصابعه"[1].

وهكذا دائماً هم أهل الباطل يتكاتفون على أهل الحق حتى يتخلصوا منهم ولكن أنى لهم ذلك، فقد تعهد الله عز وجل بنصرة أوليائه الصالحين في كل زمان ومكان، وفي يومنا هذا نرى أهل الكفر جميعاً من يهود ونصارى، ومن حذا حذوهم ممن يخاف على كرسيه من العرب والمسلمين والمنافقين قد تآمروا على حصار أهل غزة لأنهم أرادوا الحياة بعزة وكرامة ورفضوا الظلم والهوان، والتنازل عن الأرض والعرض والدين، فدفعوا ثمن ذلك من الدماء والشهداء والأسرى الكثير الكثير، وأنى لهم أن يتنازلوا عن شيء وهم أهل الحق، وهم الذين يدافعون عن حياض هذه الأمة بأكملها من دنس اليهود وأعوانهم، قال تعالى : ﴿**إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنتُمْ تُوعَدُونَ * نَحْنُ أَوْلِيَاؤُكُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَشْتَهِي أَنفُسُكُمْ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَدَّعُونَ * نُزُلًا مِّنْ غَفُورٍ رَّحِيمٍ**﴾ (فصلت : 30-32).

يقول ابن تيمية[2] رحمه الله في قوله تعالى الذي جاء على لسان يوسف عليه السلام : ﴿**رَبِّ السِّجْنُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا يَدْعُونَنِي إِلَيْهِ وَإِلَّا تَصْرِفْ عَنِّي كَيْدَهُنَّ أَصْبُ إِلَيْهِنَّ وَأَكُن مِّنَ الْجَاهِلِينَ**﴾ (يوسف : 34) أن هذا القول فيه عبرتان :

"إحداهما : اختيار السجن والبلاء على الذنوب والمعاصي.

والثانية : طلب سؤال الله ودعائه أن يثبت القلب على دينه، ويصرفه إلى طاعته وإلا فإذا لم يثبت القلب، وإلا صبا إلى الآمرين بالذنوب، وصار من الجاهلين.

ففي هذا توكل على الله، واستعانة به أن يثبت القلب على الإيمان والطاعة، وفيه صبر على المحنة والبلاء والأذى الحاصل إذا ثبت على الإيمان والطاعة".

فالمؤمن دائماً يختار رضا الله وطاعته على كل شيء ولا يستطيع ذلك إلا بالاستعانة التامة بالله فهو الذي يمده بالقوة من عنده سبحانه، ولقد وجد سيدنا يوسف عليه السلام "مخيراً بين محنتين، محنة في دينه أن يزني ويكون من الفاسقين، ومحنة في دنياه أن يسجن ويكون من الصاغرين، فاختار الثانية على الأولى وضحى بدنياه من أجل دينه وبحريته من أجل عقيدته"[3].

---

(1) السيرة النبوية : لابن هشام، 350/1؛ وانظر الرحيق المختوم : للشيخ صفي الرحمن المباركفوري، ص 125، دار إحياء التراث، دون طبعة أو تاريخ.

(2) مجموعة الفتاوي : لابن تيمية، 77/15.

(3) الصبر في القرآن : د. يوسف القرضاوي، ص 101، طبع على نفقة أحد المحسنين بالتعاون مع جمعية قطر الخيرية، 1995م.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

وفي قوله تعالى: ﴿**وَإِلاَّ تَصْرِفْ عَنِّي كَيْدَهُنَّ أَصْبُ إِلَيْهِنَّ وَأَكُن مِّنَ الْجَاهِلِينَ**﴾ (يوسف : 34) فيه اعتراف بضعف النفس البشرية إذا لم تستعن بالله فيوسف عليه السلام يخاطب ربه قائلاً : "إن وكلتني إلى نفسي فليس لي منها قدرة ولا أملك لها ضراً ولا نفعاً إلا بحولك وقوتك أنت المستعان وعليك التكلان فلا تكلني إلى نفسي (أصب إليهن وأكن من الجاهلين)، وذلك أن يوسف عليه السلام عصمه الله عصمة عظيمة، وحماه فامتنع منها أشد الامتناع، واختار السجن على ذلك وهذا في غاية مقامات الكمال أنه مع شبابه وجماله وكماله تدعوه سيدته وهي امرأة عزيز مصر، وهي مع هذا في غاية الجمال والمال والرياسة، ويمتنع من ذلك ويختار السجن خوفاً من الله ورجاء ثوابه"[1].

ويطرح الفخر الرازي رحمه الله سؤالاً وهو أن السجن شيء غير محبب إلى النفس، وما دعته إليه امرأة العزيز في غاية المطلوبية، فكيف يختار الأمر الأول على الثاني ويجيب بقوله : "أن تلك اللذة كانت تستعقب آلاماً عظيمة، وهي الذم في الدنيا والعقاب في الآخرة، وذلك المكروه وهو اختيار السجن كان يستعقب سعادات عظيمة، وهي المدح في الدنيا والثواب الدائم في الآخرة"[2].

والمؤمن الحق إن لم يكن أمامه إلا أمران أحلاهما مر يختار الأشد مرارة والذي به يرضى الله عنه ولو كان فيه فقد لأعز ما يملك في الحياة سواءً من حرية أو ولد أو بيت أو ما شابه ذلك من الأمور، فهو يفتدي دينه بكل ما يملك لينال السعادة الأبدية في الآخرة والراحة النفسية في الدنيا، قال تعالى : ﴿**قُلْ بِفَضْلِ اللّهِ وَبِرَحْمَتِهِ فَبِذَلِكَ فَلْيَفْرَحُواْ هُوَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ**﴾ (يونس : 58).

والمؤمن لا يكون قوياً إلا إذا استمد قوته من الله الواحد الأحد، ولذلك لجأ سيدنا يوسف عليه السلام إلى الله بالدعاء، واعتصم به سبحانه، فكان نتيجة ذلك أن منّ الله عليه بالاستجابة، قال تعالى : ﴿**فَاسْتَجَابَ لَهُ رَبُّهُ فَصَرَفَ عَنْهُ كَيْدَهُنَّ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ**﴾ (يوسف : 34)، وبعد ذلك سُجن سيدنا يوسف عليه السلام، ظلماً وبهتاناً قال تعالى : ﴿**ثُمَّ بَدَا لَهُم مِّن بَعْدِ مَا رَأَوُاْ الآيَاتِ لَيَسْجُنُنَّهُ حَتَّى حِينٍ**﴾ (يوسف : 35)، حيث تبين للعزيز وأهل مشورته علامات براءة يوسف عليه السلام وقد كان هذا السجن لمدة غير محددة بزمن معين حتى ينقطع ما شاع في المدينة من أمر امرأة العزيز وقد اختلف في المدة التي أودع يوسف عليه السلام فيها السجن فقيل ستة أشهر وقيل ثلاثة عشر شهراً، وقيل : تسع سنين، وقيل : خمس سنين، وقيل : سبع سنين[3]. وما دام القرآن الكريم أو السنة النبوية لم تذكر ذلك لا نستطيع الجزم بالمدة التي قضاها سيدنا يوسف عليه السلام في السجن.

---

(1) تفسير القرآن العظيم : ابن كثير، 477/2.

(2) التفسير الكبير : للإمام الفخر الرازي، 131/17.

(3) انظر الجامع لأحكام القرآن : للقرطبي، 186/9-187؛ وانظر تفسير القرآن العظيم : لابن كثير، 477/2؛ وانظر فتح القدير : للشوكاني، 25/3.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

والمسلم أينما حل أو ارتحل فإنه دائماً يدعو لدينه ويكون قدوة صالحة في أخلاقه ومعاملاته مع الآخرين، بحيث يرون فيه المثل الأعلى لهم، وسيدنا يوسف عليه السلام قد وثق به السجينان، فقد كان يتمتع بصفات الداعية الناجح بحيث "اشتهر في سجنه بالجود، والأمانة، وصدق الحديث، وحسن السمت، وكثرة العبادة، ومعرفة التعبير، والإحسان إلى أهل السجن، وعيادة مرضاهم والقيام بحقوقهم"[1].

وهذه الصفات جعلته ينجح في نشر دعوته ودين آبائه إبراهيم وإسحاق ويعقوب عليهم السلام. ولقد حول السجن إلى مدرسة لتربية السجناء على العقيدة الصحيحة[2]. وهذا ما فعله السجناء في السجون الإسرائيلية حيث حولوه إلى مدرسة سميت باسم "مدرسة يوسف عليه السلام" حيث يخرج منها السجين وقد تعلم الكثير، وقد أصبح رجلاً نافعاً لدينه ونفسه وأهله ووطنه.

ومن ضمن الأمور التي علمها سيدنا يوسف عليه السلام للسجناء "أصول الإيمان الثلاثة، وهي: الإيمان بالله[3]، وتوحيده[4]، والإيمان باليوم الآخر[5]"[6].

---

(1) تفسير القرآن العظيم : لابن كثير، 477/2.

(2) انظر مدرسة الأنبياء عبر وأضواء : محمد بسام الزين، ص 136.

(3) معنى الإيمان بالله : "هو الإيمان بوجود الله – عز وجل – وأنه تعالى رب كل شيء ومليكه وخالقه، وأنه وحده المستحق أن يفرد بجميع أنواع العبادة، وهو المتصف بصفات الكمال، والمسمى بأسماء الجلال، المنزه عن كل نقص وعيب"، والإيمان بالله يتضمن أربعة أمور وهي : الإيمان بوجود الله، وتوحيده في ربوبيته، وتوحيده في ألوهيته، وتوحيده في أسمائه وصفاته. والإيمان بوجود الله قد دل عليه الفطرة والعقل والشرع والحس. شرح أصول العقيدة الإسلامية : د. نسيم ياسين، ص 32.

(4) التوحيد له أنواع ثلاثة :

أ- توحيد الربوبية : وهو "الاعتقاد الجازم بأن الله وحده رب كل شيء ومالكه وخالقه، فهو خالق العباد ورازقهم، ومحييهم ومميتهم، وأنه سبحانه النافع الضار، المتفرد بإجابة الدعاء عند الاضطرار، وله الأمر كله، وبيده الخير، وهو على كل شيء قدير، ليس في ذلك شريك ويدخل في هذا الاعتقاد أيضاً، الإيمان بالقدر". (المصدر نفسه، ص 36)، وهذا التوحيد يستوجب الإيمان بأنواع التوحيد الأخرى.

ب- توحيد الألوهية : وهو "الاعتقاد الجازم بأن الله سبحانه هو الإله الحق، ولا إله غيره، وإفراده سبحانه بالعبادة". الإيمان أركانه – حقيقته – نواقضه : د. محمد ياسين، ص 11، مكتبة السنة، الطبعة الأولى 1412هـ-1991م، وهذا التوحيد يتضمن أنواع التوحيد الأخرى.

ج- توحيد الأسماء والصفات : معناه "الاعتقاد الجازم بأن الله عز وجل متصف بجميع صفات الكمال، ومنزه عن جميع صفات النقص، وأنه متفرد بهذا عن جميع الكائنات، وذلك بإثبات ما أثبته سبحانه لنفسه أو أثبته له رسوله ﷺ من الأسماء والصفات الواردة في الكتاب والسنة من غير تحريف ألفاظها أو معانيها ولا تعطيلها بنفيها أو نفي بعضها عن الله – عز وجل –، ولا تكييفها بتحديد كنهها وإثبات كيفية معينة لها، ولا تشبيهها بصفات المخلوقين". الإيمان : د. محمد ياسين، ص 15.

(5) الإيمان باليوم الآخر : هو : "الإيمان بكل ما أخبر به الله – عز وجل – في كتابه، وأخبر به رسوله ﷺ، مما يكون بعد الموت من فتنة القبر وعذابه ونعيمه، والبعث والحشر والصحف والحساب والميزان والحوض والصراط والشفاعة والجنة والنار، وما أعد الله – تعالى – لأهلها جميعاً". الإيمان : د. محمد ياسين، ص 70.

(6) دعوة الرسل إلى الله تعالى : محمد أحمد العدوي، ص 116، دار المعرفة، بيروت، لبنان، 1418هـ-1997م.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

فسيدنا يوسف عليه السلام شرح لصاحبيه في السجن كيفية الإيمان بالله، وتوحيده، وعدم الإشراك به، حتى يدخلوا في دين الإسلام، وأخبرهم بأن ذلك كله من تعليم الله له، لأنه تجنب ملة الكافرين بالله عز وجل واليوم الآخر، واتبع ملة آبائه من المرسلين صلوات الله عليهم وأن كل من يتبع هذه الطريق يهدِ قلبه، ويعلمه، ويجعله إماماً وقدوة في الخير[1].

قال تعالى : ﴿**وَاتَّبَعْتُ مِلَّةَ آبَآئِي إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَقَ وَيَعْقُوبَ مَا كَانَ لَنَا أَن نُّشْرِكَ بِاللّهِ مِن شَيْءٍ**﴾ (يوسف : 38) ومعنى ذلك أن "نفرد الله بالتوحيد، ونخلص له الدين والعبادة"[2].

ثم تابع سيدنا يوسف عليه السلام دعوته فقال: ﴿**ذَلِكَ مِن فَضْلِ اللّهِ عَلَيْنَا وَعَلَى النَّاسِ**﴾ أي أن "هذا من أفضل منته وإحسانه وفضله علينا، وعلى من هداه كما هدانا، فإنه لا أفضل من منة الله على العباد بالإسلام، الدين القويم، فمن قبله وانقاد له فهو حظه، وقد حصل له أكبر النعم، وأجلّ الفضائل"[3].

أجل إن نعمة الإسلام وتوحيد الله عز وجل هي من أجل النعم وأفضلها على المؤمنين، لأنه يتوقف عليها سعادة الدارين، الدنيا والآخرة، ولكن هذه النعمة لا يشعر بها الكثير من الناس ولا يشكرون الله عليها، قال تعالى : ﴿**وَلَـكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لاَ يَشْكُرُونَ**﴾ (البقرة : 243).

انتقل يوسف عليه السلام بعد ذلك إلى مخاطبة العقول ليوضح لهم زيف وبطلان هذه الآلهة التي تُعبد من دون الله، قال تعالى على لسان يوسف عليه السلام: ﴿**يَا صَاحِبَيِ السِّجْنِ أَأَرْبَابٌ مُّتَفَرِّقُونَ خَيْرٌ أَمِ اللّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ * مَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِهِ إِلاَّ أَسْمَاء سَمَّيْتُمُوهَا أَنتُمْ وَآبَآؤُكُم مَّا أَنزَلَ اللّهُ بِهَا مِن سُلْطَانٍ إِنِ الْحُكْمُ إِلاَّ لِلّهِ أَمَرَ أَلاَّ تَعْبُدُواْ إِلاَّ إِيَّاهُ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَـكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لاَ يَعْلَمُونَ**﴾ (يوسف : 39-40).

يقول سيد قطب رحمه الله : "لقد رسم يوسف عليه السلام بهذه الكلمات القليلة الناصعة الحاسمة النيرة، كل معالم الدين، وكل مقومات هذه العقيدة، كما هز بها كل قوائم الشرك والطاغوت والجاهلية هزاً شديداً عنيفاً"[4].

فسيدنا يوسف عليه السلام سأل السجينين هل يجوز عبادة "أرباب عاجزة ضعيفة، لا تنفع ولا تضر ولا تعطي ولا تمنع، وهي متفرقة ما بين أشجار، وأحجار وملائكة، وأموات"[5]، أم عبادة

---

(1) انظر تفسير القرآن العظيم : لابن كثير، 478/2.

(2) تيسير الكريم الرحمن : للشيخ عبد الرحمن السعدي، ص 275.

(3) المصدر السابق، ص 275.

(4) في ظلال القرآن : سيد قطب، 1989/4.

(5) تفسير الكريم الرحمن : عبد الرحمن السعدي، ص 275.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

من "ذل كل شيء لعز جلاله وعظمة سلطانه"[1]، والذي له صفات الكمال كلها "الواحد" أي في "ذاته وصفاته وأفعاله فلا شريك له ذلك "القهار" الذي انقادت الأشياء لقهره وسلطانه، فما شاء كان وما لم يشأ لم يكن"[2].

ثم توجه عليه السلام قائلاً عن صفات الآلهة التي تعبد أنها كما قال تعالى : ﴿**مَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِهِ إِلاَّ أَسْمَاء سَمَّيْتُمُوهَا أَنتُمْ وَآبَآؤُكُم**﴾ (يوسف : 40)، أي أن هذه التسمية "من تلقاء أنفسهم تلقاها خلفهم عن سلفهم وليس لذلك مستند من عند الله ولهذا قال **(مَّا أَنزَلَ اللّهُ بِهَا مِن سُلْطَانٍ)** أي لا حجة ولا برهان، ثم أخبرهم أن الحكم والتصرف والمشيئة والملك كله لله، وقد أمر عباده قاطبة ألا "تعبدوا إلا إياه" ثم قال تعالى "ذلك الدين القيم" أي الذي أدعوكم إليه من توحيد الله وإخلاص العمل له هو الدين المستقيم الذي أمر الله به وأنزل به الحجة والبرهان"[3].

يقول سيد قطب رحمه الله في تفسيره لقوله تعالى: ﴿**إِنِ الْحُكْمُ إِلاَّ لِلّهِ أَمَرَ أَلاَّ تَعْبُدُواْ إِلاَّ إِيَّاهُ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَـكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لاَ يَعْلَمُونَ**﴾ (يوسف : 40) "أن الحكم لا يكون إلا لله فهو مقصور عليه سبحانه بحكم ألوهيته، إذ الحاكمية من خصائص الألوهية، من ادعى الحق فقد نازع الله سبحانه أولى خصائص ألوهيته ... ويقرر يوسف عليه السلام أن اختصاص الله سبحانه بالحكم – تحقيقاً لاختصاصه بالعبادة – هو وحده الدين القيم "ذلك الدين القيم" وهو تعبير يفيد القصر، فلا دين قيمٌ سوى هذا الدين، الذي يتحقق فيه اختصاص الله بالحكم تحقيقاً لاختصاصه بالعبادة ﴿**وَلَـكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لاَ يَعْلَمُونَ**﴾ وكونهم "لا يعلمون" لا يجعلهم على دين الله القيم فالذي لا يعلم شيئاً لا يملك الاعتقاد فيه ولا تحقيقه فإذا وجد ناس لا يعلمون حقيقة الدين، لم يعد من الممكن عقلاً وواقعاً وصفهم بأنهم على هذا الدين"[4].

وسيد رحمه الله يوضح لنا مدى انطباق كلمة مسلم على كل من يطبق الإسلام فعلاً وواقعاً في حياته، ويُحكم شريعة الله في كل أموره لقوله تعالى: ﴿**فَلاَ وَرَبِّكَ لاَ يُؤْمِنُونَ حَتَّىَ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لاَ يَجِدُواْ فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُواْ تَسْلِيمًا**﴾ (النساء : 65).

يقول ابن كثير رحمه الله في تفسيره لهذه الآية : "يقسم تعالى بنفسه الكريمة المقدسة أنه لا يؤمن أحد حتى يحكم الرسول ﷺ مما حكم به فهو الحق الذي يجب الانقياد له باطناً وظاهراً ولهذا قال ﴿**ثُمَّ لاَ يَجِدُواْ فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُواْ تَسْلِيمًا**﴾ أي إذا حكموك،

---

(1) تفسير القرآن العظيم : لابن كثير، 479/2.

(2) تفسير الكريم الرحمن : عبد الرحمن السعدي، ص 275.

(3) تفسر القرآن العظيم : لابن كثير، 479/2.

(4) في ظلال القرآن : سيد قطب، 1990/4-1991.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

يطيعونك في بواطنهم فلا يجدون في أنفسهم حرجاً مما حكمت بـه، وينقـادون فـي الظـاهر والباطن، فيسلموا تسليماً كلياً من غير ممانعة ولا مدافعة ولا منازعة"[1].

لقد استثمر سيدنا يوسف عليه السلام وقته في السجن في عمل الخير والدعوة إلى الله تعالى، وبيـان العقيدة الصحيحة السليمة لمن معه في السجن، كما فسر لصاحبيه في السجن رؤياهما، وفسر للملك رؤياه التي كانت سبباً في خروجه عليه السلام من السجن، وهكذا هو حال المؤمنين الـصادقين يُبتلـون ويحتسبون ذلك عند الله عز وجل وفي نفس الوقت لا يألون جهداً في الدعوة إلى الله تعـالى، ونـرى الكثير من أبناء الحركة الإسلامية في فلسطين وغيرها قد استغلوا أوقاتهم في سجون البغي والظلـم في التقرب إلى الله عز وجل والدعوة لهذا الدين العظيم حتى خرّجوا جيلاً مـن الـشباب المـؤمن الموحد لله، الذي لا يخاف إلا الله عز وجل.

المطلب الثالث : صبره على نعمة التمكين :

لقد مكن الله ليوسف عليه السلام في الأرض بعد أن ابتُلي بحسد إخوته له وإلقائهم له في البئر، وكان من مبشرات التمكين إيحاء الله له وهو في البئر وذلك في قوله تعالى : ﴿**وَأَوْحَيْنَـآ إِلَيْـهِ لَتُنَبِّئَنَّهُم بِأَمْرِهِمْ هَـذَا وَهُمْ لاَ يَشْعُرُونَ**﴾ (يوسف : 15) وذلك ليطمئن قلبه ولـيعلم أن الله معـه يحيطه بعنايته وحفظه، ثم كان التمهيد للتمكين له في أرض مصر عندما اشتراه العزيـز وقـال لامرأته "أكرمي مثواه" أي "اجعلي منزله ومقامه عندك كريماً حسناً مرضياً .. قال المحققـون : أمر العزيز امرأته بإكرام مثواه دون إكرام نفسه، يدل على أنه كان ينظـر إليـه علـى سـبيل الإجلال والتعظيم"[2].

وكان يريد أن ينتفع به أو يتخذه ولداً حيث لا ولد له كما قال تعالى في قـصة العزيـز: ﴿**عَسَى أَن يَنفَعَنَا**﴾ أي "يكفينا بعض المهمات مما نحتاج إلى مثله فيـه أو ﴿**نَتَّخِـذَهُ وَلَـدًا**﴾ أي نتبناه فنجعله ولداً لنا، قيل : كان العزيز حصوراً لا يولد له، وقيل : كان لا يأتي النساء وقد كان تفرس فيه أن ينوب عنه فيما إليه من أمر المملكة"[3].

يقول سيد قطب رحمه الله : "وهنا يقف السياق لينبه إلى أن هذا التدبير من الله، وبه وبمثله قُدّر ليوسف التمكين في الأرض وهاقد بدأت بشائره بتمكين يوسف في قلب الرجل وبيته"[4].

---

(1) تفسير القرآن العظيم : لابن كثير، 520/1.

(2) التفسير الكبير : للرازي، 109/17.

(3) فتح القدير : للشوكاني، 13/3-14.

(4) في ظلال القرآن : سيد قطب، 1978/4.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

إذن تمكن يوسف عليه السلام من قلب الرجل وبيته كان من ضمن بشائر التمكين له في الأرض بعد ذلك.

يقول الشيخ السعدي في تفسيره لقوله تعالى: ﴿**وَكَذَلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِي الْأَرْضِ**﴾ (يوسف: 21): أي "كما يسرنا له أن يشتريه عزيز مصر، ويكرمه هذا الإكرام، جعلنا هذا مقدمة لتمكينه في الأرض من هذا الطريق"[1].

وما هذا التمكين ليوسف عليه السلام في قلب العزيز وزوجته إلا إرادة ربانية ليقضي أمراً كان مفعولاً وهو التمكين له في الأرض، وما أشبه حال يوسف عليه السلام في هذا الجانب بحال موسى عليه السلام، فقد مكن موسى عليه السلام من قلب زوجة فرعون حين قالت كما في قوله تعالى : ﴿**قُرَّتُ عَيْنٍ لِّي وَلَكَ لَا تَقْتُلُوهُ عَسَى أَن يَنفَعَنَا أَوْ نَتَّخِذَهُ وَلَدًا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ**﴾ (القصص : 9)، يقول ابن كثير في تفسيره لهذه الآية (قرت عين لي ولك) : "قال فرعون : أمّا لكِ فنعم وأما لي، فلا! فكان كذلك وهداها الله بسببه وأهلكه الله على يديه .. (عسى أن ينفعنا) وقد حصل لها ذلك وهداها الله به وأسكنها الجنة بسببه، وقوله (أو نتخذه ولداً) أي أرادت أن تتخذه ولداً وتتبناه وذلك أنه لم يكن لها ولد منه وقوله تعالى : (وهم لا يشعرون) أي لا يدرون ما أراد الله منه بالتقاطهم إياه من الحكمة العظيمة البالغة والحجة القاطعة"[2].

وإخوة يوسف عليه السلام أرادوا له أمراً ولكن الله عز وجل أراد له أمراً آخراً عما أرادوه، وكانت إرادة الله ومشيئته هي الغالبة، وتدبيره سبحانه هو النافذ وقد أراد الله تعالى أن يعلم يوسف عليه السلام تفسير الرؤيا[3]، والناس لا يدرون أن سنة الله ماضية في خلقه، وأن أمره هو الذي يحدث بلطفه ومشيئته[4]، "فلذلك يجري منهم ويصدر في مغالبة أحكام الله القدرية، وهم أعجز وأضعف من ذلك"[5].

ولقد كان وجود يوسف عليه السلام في بيت العزيز فيه خير من ناحية أنه توفر فيه أسباب الراحة ورغد العيش وأسباب التعليم، والقرب من مراكز صناعة القرار في مصر، وهو بذلك يتعلم الكثير من أمور الإدارة والسياسة والأمور الاجتماعية والاقتصادية، وهذا مما يؤهله للعمل في وزارة الاقتصاد عند الملك، والتمكين له في الأرض بعد ذلك[6].

---

(1) تيسير الكريم الرحمن : للشيخ السعدي، ص 273.

(2) تفسير القرآن العظيم : لابن كثير، 381/3.

(3) انظر في ظلال القرآن : سيد قطب، 1979/4؛ وانظر تفسير القرآن العظيم : لابن كثير، 473/2.

(4) انظر في ظلال القرآن، 1979/4؛ وانظر تفسير القرآن العظيم، 473/2.

(5) تفسير الكريم الرحمن : للشيخ السعدي، ص 273.

(6) انظر سورة يوسف دراسة تحليلية : د. أحمد نوفل، ص 329.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

ثم يهيئ الله سبباً آخر من أسباب التمكين ليوسف عليه السلام وذلك بعد أن سُجن ظلماً وبهتاناً وذلك بأن يرى الملك في منامه رؤيا لم يستطع تأويلها إلا يوسف عليه السلام، وعندما تأكد الملك من طهارة نفسه وبراءته التامة مما نسب إليه، استدعاه وجعله من خُلصائه، قال تعالى على لسان الملك: ﴿**وَقَالَ الْمَلِكُ ائْتُونِي بِهِ أَسْتَخْلِصْهُ لِنَفْسِي فَلَمَّا كَلَّمَهُ قَالَ إِنَّكَ الْيَوْمَ لَدَيْنَا مَكِينٌ أَمِينٌ**﴾ (يوسف : 54).

إذن الآن تم التمكين ليوسف عليه السلام وأصبح من أقرب المقربين الذين يشيرون على الملك، يقول الشيخ السعدي في تفسيره لقوله تعالى "أستخلصه لنفسي" أي أجعله من خلصائي، ومقرباً لديّ، فأتوه به مكرماً محترماً (فلما كلمه) أعجبه كلامه، وزاد موقعه عنده فقال له : (إنك اليوم لدينا) أي عندنا (مكين أمين) أي متمكن أمين على الأسرار"[1].

ويقول سيد قطب رحمه الله في تفسيره لنفس الآية : "أنه لما تحقق له صدق ما توسمه، فإذا هو يطمئنه على أنه عند الملك ذو مكانة وفي أمان، فليس هو الفتى العبراني الموسوم بالعبودية إنما هو مكين، وليس هو المتهم المهدد بالسجن إنما هو أمين وتلك المكانة، وهذا الأمان لدى الملك وفي حماه"[2].

عندما رأى سيدنا يوسف عليه السلام هذه المكانة الرفيعة لدى الملك طلب منه أن يجعله وكيلاً حافظاً مدبراً لخزائن وجبايات الأرض[3].

وقد يسأل سائل كيف يسأل يوسف عليه السلام الولاية والرسول ﷺ قد نهى عن ذلك وذلك في قوله عليه الصلاة والسلام : "إنا والله لا نولي على هذا العمل أحداً سأله ولا أحداً حرص عليه"[4].

وكذلك كيف يزكي نفسه أمام الملك بقوله : "إني حفيظ عليم" وقد قال الله تعالى : ﴿**فَلَا تُزَكُّوا أَنفُسَكُمْ**﴾ (النجم : 32).

والإجابة على ذلك أن يوسف عليه السلام طلب ذلك لأسباب عدة وهي :

1- أنه سأل ذلك من أجل المنفعة العامة للناس وليس لأمر شخصي[5]. يقول ابن كثير رحمه الله عن سيدنا يوسف عليه السلام : أنه "سأل العمل لقدرته عليه ولما فيه من المصالح للناس، وإنما سأله

---

(1) تيسير الكريم الرحمن : للشيخ عبد الرحمن السعدي، ص 277.

(2) في ظلال القرآن : سيد قطب، 2005/4.

(3) انظر تيسير الكريم الرحمن : للشيخ عبد الرحمن السعدي، ص 277.

(4) صحيح مسلم، ص 73، كتاب الإمارة، باب النهي عن طلب الإمارة، حديث رقم 1824.

(5) انظر تفسير القرآن العظيم : لابن كثير، 482/2؛ وانظر تيسير الكريم الرحمن : للشيخ عبد الرحمن السعدي، ص 278؛ وانظر في ظلال القرآن : سيد قطب، 2005/4؛ وانظر التفسير الكبير : للرازي، 161/17.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

أن يجعله على خزائن الأرض وهي الأهرام التي يجمع فيها الغلات لما يستقبلونه من السنين التي أخبرهم بشأنها فينصرف لهم على الوجه الأحوط والأصلح والأرشد"[1].

2- أنه لم يكن أحد عنده القدرة على هذا العمل غيره فكان واجباً عليه إنقاذ الأمة من الموت المحقق، يقول ابن العربي عن سيدنا يوسف عليه السلام : "أنه رأى ذلك فرضاً متعيناً عليه، لأنه لم يكن هنالك غيره"[2]. وهذا الأمر يماثل أمر شخص أشرف على الغرق فإن المنقذ لا ينتظر من يقول له أنقذ هذا الشخص وإنما هو يبادر بنفسه ليقوم بواجبه.

3- إن سيدنا يوسف عليه السلام طلب ذلك لأنه كان رسولاً حقاً، فكان من واجبه السعي لرعاية مصالح العباد، يقول الفخر الرازي عن سيدنا يوسف عليه السلام : "أنه كان رسولاً حقاً من الله تعالى إلى الخلق، والرسول يجب عليه رعاية مصالح الأمة بقدر الإمكان"[3]، فالقيام بهذا العمل وهو تدبير أمور البلاد الاقتصادية أمر ليس بالسهل، وهو تبعة ثقيلة، ومسئولية عظيمة، يقول سيد قطب رحمه الله : "فليس هذا غنماً يطلبه يوسف لنفسه، فإن التكفل بإطعام شعب جائع سبع سنوات متوالية لا يقول أحد إنه غنيمة، إنما هي تبعة يهرب منها الرجال، لأنها قد تكلفهم رؤوسهم"[4].

إذن حرص سيدنا يوسف عليه السلام على مصالح الأمة، وكونه رسولاً حقاً جعله يبادر بذاك الطلب وهو الولاية على مخازن الاقتصاد، فإن التبعة ثقيلة ولا يستطيعها إلا هو عليه السلام.

أما قوله عليه السلام إني "حفيظ عليم" فهو مرتبط بقوله "اجعلني على خزائن الأرض"، والإجابة على التساؤل تكون بما يلي :

1- يجوز للرجل أن يمدح نفسه إذا جُهل أمره وذلك للحاجة، يقول ابن كثير رحمه الله عن سيدنا يوسف عليه السلام : أنه "مدح نفسه ويجوز للرجل ذلك إذا جُهل أمره للحاجة وذكر أنه حفيظ أي خازن أمين (عليم) ذو علم وبصيرة بما يتولاه"[5].

ويقول ابن العربي رحمه الله : "إنما قال ذلك عند من لا يعرفه، فأراد التعريف بنفسه، وصار ذلك مستثنى من قوله : "فلا تزكوا أنفسكم"[6].

---

(1) تفسير القرآن العظيم : لابن كثير، 482/2.

(2) أحكام القرآن : لابن العربي، 1092/3؛ وانظر في موكب النبيين (دراسة تحليلية هادفة لسير الأنبياء) : سيد الكيلاني، 277/1، دار القلم، الكويت، الطبعة الأولى، 1404هـ-1984م.

(3) التفسير الكبير : للفخر الرازي، 161/17؛ وانظر الصراع بين الحق والباطل في سورة يوسف (رسالة ماجستير) : تميم ضهير، ص 159.

(4) في ظلال القرآن : سيد قطب، 2005/4.

(5) تفسير القرآن العظيم : لابن كثير، 482/2.

(6) أحكام القرآن : لابن العربي، 1092/3.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

2- يوسف عليه السلام لم يمدح نفسه حرصاً على الولاية. يقول الشيخ السعدي رحمه الله عن سيدنا يوسف وقوله إني "حفيظ عليم" : بأن ذلك لم يكن "حرصاً من يوسف على الولاية، وإنما هو رغبة منه في النفع العام، وقد عرف من نفسه الكفاية والأمانة، والحفظ ما لم يكونوا يعرفونه"[1].

3- إن سيدنا يوسف عليه السلام كونه نبياً مرسلاً فهو معصوم من كل ما يُخل بذمته المالية. يقول د. عبد المنعم القصاص عن سيدنا يوسف عليه السلام بأنه : "نبي معصوم من كل ما يخل بذمته المالية"[2].

إذن كون يوسف عليه السلام نبي معصوم يختلف أمره بالنسبة لطلب الولاية ومدح النفس عن غيره من الناس العاديين، فيكون من واجبه إنقاذ الأمة من الهلاك المحقق، أما بالنسبة للمسلم العادي فيجوز أن يعرض مؤهلاته للعمل بما معه من العلم والقدرة إن جُهل أمره وللضرورة التي يجد فيها منفعة للإسلام والمسلمين.

وبذلك يمكن الله لسيدنا يوسف عليه السلام بعد ابتلاءات عظيمة ومحن شديدة تهتز لها أعظم القلوب إيماناً حيث يمحص الله قلب المؤمن ويربيه التربية الإيمانية العملية قال تعالى : ﴿**وَلِيُمَحِّصَ اللّهُ الَّذِينَ آمَنُواْ وَيَمْحَقَ الْكَافِرِينَ**﴾ (آل عمران : 141). يقول د. يوسف القرضاوي : "إن سنة الله ألا يتحقق هذا التمكين إلا بعد أن يُصهر أهله في بوتقة الابتلاء، وتصقلهم المحن والشدائد، ليبتلي الله ما في صدورهم، ويمحص ما في قلوبهم، ويميز الخبيث من الطيب وهذا لون من التربية العملية، جرى به القدر على الأنبياء وأصحاب الدعوات في كل العصور، وقد سئل الإمام الشافعي أيهما أولى للمؤمن : أن يبتلى أو يمكن ؟ فقال : وهل يكون تمكين إلا بعد ابتلاء ؟ إن الله ابتلى يوسف عليه السلام ثم مكن له"[3].

وسيدنا يوسف عليه السلام لم يكن يحرص على شيء من متاع الدنيا الزائل، وإنما حرص كل الحرص على الثبات على دين الله، وعقيدة التوحيد الخالص، وكان هذا رجاؤه وأمله بعد أن اجتمع له خيري الدنيا والآخرة الملك والنبوة، فلم يطغه المنصب والجاه بل أمر بالعدل وحكم بالقسط[4]، وقد التقى بالأهل والأحبة وتحققت رؤياه من سجود الوالدين والإخوة له فكان دعاؤه

---

(1) تيسير الكريم الرحمن : للشيخ عبد الرحمن السعدي، ص 278.

(2) دراسات في القصص القرآني : د. عبد المنعم القصاص، ص 182-183، دار الطباعة المحمدية، الطبعة الأولى، 1413هـ-1992م.

(3) إسلام أون لاين Islamonline.net، أهمية التربية في الجهاد : د. يوسف القرضاوي.

(4) انظر : www.khayma.com، 100 فائدة من سورة يوسف عليه السلام : للشيخ محمد بن صالح المنجد.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

بعد تذكر نعم الله عليه أن يتوفاه مسلماً ويلحقه بالصالحين، قال تعالى على لسان سيدنا يوسف عليه السلام : ﴿**رَبِّ قَدْ آتَيْتَنِي مِنَ الْمُلْكِ وَعَلَّمْتَنِي مِن تَأْوِيلِ الأَحَادِيثِ فَاطِرَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ أَنتَ وَلِيِّي فِي الدُّنُيَا وَالآخِرَةِ تَوَفَّنِي مُسْلِمًا وَأَلْحِقْنِي بِالصَّالِحِينَ**﴾ (يوسف : 101).

"هذا دعاء من يوسف الصديق، دعا ربه عز وجل لما تمت نعمة الله عليه باجتماعه بأبويه وإخوته، وما منّ الله به عليه من النبوة والملك سأل ربه كما أتم نعمته عليه في الدنيا أن يستمر بها عليه في الآخرة وأن يتوفاه مسلماً حين يتوفاه، وأن يلحقه بالصالحين، وهم إخوانه من النبيين، والمرسلين صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين"[1].

ويقول سيد قطب رحمه الله واصفاً حال سيدنا يوسف عليه السلام في حال اجتماعه بأهله: "نشهد يوسف ينزع نفسه من اللقاء والعناق والفرحة والابتهاج والجاه والسلطان والرغد والأمان ليتجه إلى ربه في تسبيح الشاكر الذاكر كل دعوته – وهو في أبهة السلطان، وفي فرحة تحقيق الأحلام – أن يتوفاه مسلماً وأن يلحقه بالصالحين ... إنه النجاح المطلق في الامتحان الأخير"[2].

تمكين الأنبياء :

لقد نجح سيدنا يوسف عليه السلام في الامتحان الأخير بعد أن تجاوز امتحانات كثيرة من إلقاء في البئر، والرق، وفتنة، وسجن ثم أخيراً نعمة التمكين التي صبر عليها وظل ثابتاً على عقيدة التوحيد، والدين الإسلامي الحنيف، والمتتبع لقصص الأنبياء والمرسلين يجد أن سيدنا داود عليه السلام قد نجح أيضاً بعد أن مكنه الله في الأرض وآتاه الله الحكم والعلم هو وابنه سليمان عليهما السلام، قال تعالى : ﴿**فَفَهَّمْنَاهَا سُلَيْمَانَ وَكُلًّا آتَيْنَا حُكْمًا وَعِلْمًا**﴾ (الأنبياء : 79)، فنجد أن سيدنا داود عليه السلام قد صبر على نعمة التمكين، فكان عابداً شاكراً لله على أنعمه، قال تعالى: ﴿**وَاذْكُرْ عَبْدَنَا دَاوُودَ ذَا الْأَيْدِ إِنَّهُ أَوَّابٌ * إِنَّا سَخَّرْنَا الْجِبَالَ مَعَهُ يُسَبِّحْنَ بِالْعَشِيِّ وَالْإِشْرَاقِ * وَالطَّيْرَ مَحْشُورَةً كُلٌّ لَّهُ أَوَّابٌ * وَشَدَدْنَا مُلْكَهُ وَآتَيْنَاهُ الْحِكْمَةَ وَفَصْلَ الْخِطَابِ**﴾ (ص 17–20)، "فهو الذي أُعطي القوة في العبادة والعمل الصالح، ولا زال يتعبد لربه ويكثر من العمل الصالح حتى رضي الله عن عمله فقال : ﴿**اعْمَلُوا آلَ دَاوُودَ شُكْرًا وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِيَ الشَّكُورُ**﴾ (سبأ : 13)، وهو الذي واصل العبادة آناء الليل وأطراف النهار وآخره"[3].

---

(1) تفسير القرآن العظيم : لابن كثير، 492/2.

(2) في ظلال القرآن : سيد قطب، 2029/4.

(3) صحيح قصص القرآن : حامد البسيوني، ص 388.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

وكذلك كان سيدنا سليمان عليه السلام فقد كانت له مملكة كبيرة بحيث لم يكن أحد له ملك مثله ومع ذلك كان عابداً شاكراً لأنعم الله، صابراً على نعمة التمكين معترفاً بفضل الله عليه، قال تعالى : ﴿**وَلَقَدْ آتَيْنَا دَاوُودَ وَسُلَيْمَانَ عِلْمًا وَقَالَا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي فَضَّلَنَا عَلَى كَثِيرٍ مِّنْ عِبَادِهِ الْمُؤْمِنِينَ * وَوَرِثَ سُلَيْمَانُ دَاوُودَ وَقَالَ يَا أَيُّهَا النَّاسُ عُلِّمْنَا مَنطِقَ الطَّيْرِ وَأُوتِينَا مِن كُلِّ شَيْءٍ إِنَّ هَذَا لَهُوَ الْفَضْلُ الْمُبِينُ * وَحُشِرَ لِسُلَيْمَانَ جُنُودُهُ مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنسِ وَالطَّيْرِ فَهُمْ يُوزَعُونَ * حَتَّى إِذَا أَتَوْا عَلَى وَادِي النَّمْلِ قَالَتْ نَمْلَةٌ يَا أَيُّهَا النَّمْلُ ادْخُلُوا مَسَاكِنَكُمْ لَا يَحْطِمَنَّكُمْ سُلَيْمَانُ وَجُنُودُهُ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ * فَتَبَسَّمَ ضَاحِكًا مِّن قَوْلِهَا وَقَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَى وَالِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ وَأَدْخِلْنِي بِرَحْمَتِكَ فِي عِبَادِكَ الصَّالِحِينَ**﴾ (النمل : 15-19).

ولعل دعاء سيدنا سليمان عليه السلام يشبه دعاء سيدنا يوسف عليه السلام عندما مكنه الله، وهذا هو حال المؤمن الحق، يشكر الله على النعم ويدعوه أن يثبته على العمل الصالح لكي يموت ويكون الله راضياً عنه، بحيث يكون في زمرة عباد الله الصالحين من النبيين والصديقين والشهداء، ولقد أدركوا جميعاً -عليهم صلوات الله- أن مع الشكر تدوم النعم بل تزاد، قال تعالى: ﴿**لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ**﴾ (إبراهيم: 7).

ولقد كان قول سيدنا سليمان عليه السلام عندما أحس بنعم الله الكثيرة، قال تعالى : ﴿**هَذَا مِن فَضْلِ رَبِّي لِيَبْلُوَنِي أَأَشْكُرُ أَمْ أَكْفُرُ وَمَن شَكَرَ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ رَبِّي غَنِيٌّ كَرِيمٌ**﴾ (النمل: 40).

وقد صدق الله عز وجل إذ هو القائل : ﴿**قُلِ اللَّهُمَّ مَالِكَ الْمُلْكِ تُؤْتِي الْمُلْكَ مَن تَشَاءُ وَتَنزِعُ الْمُلْكَ مِمَّن تَشَاءُ وَتُعِزُّ مَن تَشَاءُ وَتُذِلُّ مَن تَشَاءُ بِيَدِكَ الْخَيْرُ إِنَّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ**﴾ (آل عمران : 26).

إن صبر المؤمن على المحن والابتلاءات، وتذلل المؤمن وافتقاره لربه وشكره على نعمه وعطاياه هي من أسباب دوام هذه النعم، وإن سعي المؤمن لنيل رضا الله في كل حال من أحواله مما يجعله ينال خيري الدنيا والآخرة بإذنه تعالى، ومن نال خيري الدنيا والآخرة فقد فاز فوزاً عظيماً.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

المبحث الثاني

دور العقيدة في التحلي بالتقوى عند سيدنا يوسف عليه السلام

المطلب الأول : المطلب الأول : صفات المتقين وطرق الوصول للتقوى.

المطلب الثاني : تقوى سيدنا يوسف عليه السلام.

المطلب الثالث : أجر المتقين.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

المبحث الثاني

دور العقيدة في التحلي بالتقوى عند سيدنا يوسف عليه السلام

المطلب الأول : صفات المتقين وطرق الوصول للتقوى :

أولاً : تعريف التقوى :

أ- التقوى لغة :

ورد في لسان العرب "وقاه الله وقياً ووقاية صانه..، وقيت الشيء أقيه إذا صنته وسترته عن الأذى، وتوقّى واتقى أي استبق نفسك ولا تعرضها للتلف وتحرز من الآفات واتقها"[1]، وفي القاموس المحيط : "التوقية : الكلاءة والحفظ، وقوله تعالى : "هو أهل التقوى" أي أهل أن يُتقى عقابه"[2]. وورد في المصباح المنير : "رجل (تقي) أي زكيّ"[3].

فالتقوى لغة : هي أن تصان النفس عما يؤدي إلى إيذائها.

ب- التقوى شرعاً :

قال الجرجاني[4] هي : "الاحتراز بطاعة الله عن عقوبته"[5].

وقيل هي أن "تعمل بطاعة الله على نور من الله، ترجو ثواب الله، وأن تترك معصية الله على نور من الله، تخاف عقاب الله"[6].

إذن التقوى: هي أمر جامع لكل أنواع البر، يُبعد صاحبه عن الشبهات مخافة أن يقع في الحرام.

ثانياً : صفات المتقين :

إن للمتقين صفات تميزهم عن غيرهم من الناس وقد ذكرها الله عز وجل في كتابه العزيز، ومن هذه الصفات :

---

(1) لسان العرب : لابن منظور، 401/15.

(2) القاموس المحيط : للفيروز آبادي، 1731/1.

(3) المصباح المنير : أحمد المقرئ، ص 50، كتاب التاء.

(4) الجرجاني : هو علي بن علي، السيد الزين، أبو الحسن الحسيني الجرجاني الحنفي، المولود في جرجان في الثامن من شعبان سنة أربعين وسبعمائة من الهجرة النبوية الشريفة، كان أكثر اهتمامه منذ صغره باللغة العربية، طاف ببلاد كثيرة ليأخذ العلم عن الشيوخ والعلماء، واشتهر حتى بلغت شهرته الآفاق، وتلقى التلاميذ على يديه العلم، قال عنه السخاوي : أنه "سلطان العلماء العاملين"، مصنفاته تزيد على الخمسين، وافته منيته في السادس من ربيع الآخر سنة ست عشرة وثمانمائة بشيراز. (انظر التعريفات : للجرجاني، ص 14-16).

(5) التعريفات : للجرجاني، ص 112.

(6) جامع العلوم والحكم : ابن رجب الحنبلي، ص 159.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

1- **الإيمان بالغيب :**

وقد ورد ذلك في قوله تعالى : ﴿**الم * ذَلِكَ الْكِتَابُ لاَ رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ * الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ الصَّلاَةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ**﴾ (البقرة : 1-3).

والغيب : هو "ما غاب عن العباد من أمر الجنة وأمر النار وما ذكر في القرآن"[1].

والإيمان بالغيب معناه : الإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر والجنة والنار، والحياة بعد الموت – أي البرزخ – والبعث، والقدر خيره وشره[2].

2- **إقام الصلاة : قال تعالى :** ﴿**وَيُقِيمُونَ الصَّلاَةَ**﴾ (البقرة : 3).

ومعنى إقامة الصلاة : أي : المحافظة على مواقيتها وإتمام وضوئها وركوعها وسجودها وتلاوة القرآن فيها بخشوع وتدبر، والإقبال التام على الله عز وجل في جميع هذه الأمور[3].

3- **الإنفاق في وجوه الخير :** قال تعالى : ﴿**وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ**﴾ (البقرة : 3).

فالمتقون ينفقون أموالهم فيما افترضه الله تعالى عليهم من وجوه الخير والبر والطاعة[4].

ولقد ذكر الله عز وجل عن صفة الإنفاق للمتقين أنهم ينفقون أموالهم في السراء والضراء، قال تعالى : ﴿**الَّذِينَ يُنفِقُونَ فِي السَّرَّاء وَالضَّرَّاء**﴾ (آل عمران : 34) أي في حال اليسر والعسر والرخاء والشدة[5].

4- **الإيمان بما أنزل على المرسلين :**

أنهم يؤمنون بكل ما أنزل على سيدنا محمد ﷺ وما أنزل على باقي الأنبياء والمرسلين عليهم جميعاً السلام. قال تعالى: ﴿**وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ**﴾ (البقرة:4) أي يؤمنون بالقرآن الكريم والسنة النبوية، وبجميع الأنبياء والمرسلين وما أنزل عليهم من كتب ومن هذه الكتب التوراة والإنجيل والزبور[6].

5- **الإيمان باليوم الآخر إيماناً يقينياً : قال تعالى :** ﴿**وَبِالآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ**﴾ (البقرة : 4).

يقول الشيخ السعدي : والآخرة : "اسم لما يكون بعد الموت، وخصه بالذكر بعد العموم، لأن الإيمان باليوم الآخر، أحد أركان الإيمان، ولأنه أعظم باعث على الرغبة والرهبة والعمل. واليقين : هو العلم التام الذي ليس فيه أدنى شك والموجب للعمل"[7].

ويشمل الإيمان باليوم الآخر الإيمان بالبعث والقيامة والجنة والنار والميزان والحساب[8].

---

(1) تفسير القرآن العظيم : لابن كثير، 41/1.
(2) انظر المصدر السابق، 41/1.
(3) انظر تفسير القرآن العظيم : لابن كثير، 42/1؛ وانظر فتح القدير : للشوكاني، 35/1.
(4) انظر فتح القدير : للشوكاني، 35/1.
(5) انظر الجامع لأحكام القرآن : للقرطبي، 206/4.
(6) انظر تيسير الكريم الرحمن : للشيخ السعدي، ص 1-2.
(7) تيسير الكريم الرحمن : للشيخ السعدي، ص 7.
(8) انظر فتح القدير : للشوكاني، 36/1.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

6- **التوجه إلى الله عز وجل بالدعاء :**

قال تعالى: ﴿**الَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا إِنَّنَا آمَنَّا فَاغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ**﴾ (آل عمران: 16)، فالمتقون يتوسلون إلى الله عز وجل بإيمانهم به، لكي يغفر لهم ذنوبهم، ويطهرهم من أدرانها وأن يقيهم من عذاب النار، وهذه من الوسائل المستحبة عند الله تعالى وهو التوسل بالإيمان وصالح الأعمال لكي يكمل الثواب، ويندفع العقاب[1].

7- **الصبر على المصائب :**

قال تعالى: ﴿**الصَّابِرِينَ وَالصَّادِقِينَ وَالْقَانِتِينَ وَالْمُنفِقِينَ وَالْمُسْتَغْفِرِينَ بِالأَسْحَارِ**﴾ (آل عمران:17).

و"الصابرين" : أي الصبر عن فعل المعاصي والذنوب، كذلك الصبر على فعل الطاعات على أتم وجه[2].

وقال تعالى : ﴿**وَالصَّابِرِينَ فِي الْبَأْسَاء والضَّرَّاء وَحِينَ الْبَأْسِ**﴾ (البقرة : 177).

والمتقون يصبرون في كل الأوقات في الفقر، وفي السقم وفي وقت اشتداد الحرب مع الأعداء[3].

وقد مُدح الأتقياء على صبرهم في هذه المواطن لشدتها وصعوبتها على النفس البشرية[4].

8- **الصدق :**

قال تعالى: ﴿**أُولَـئِكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَأُولَـئِكَ هُـمُ الْمُتَّقُـونَ**﴾ (البقرة : 177). فالمتقون صادقون في عقيدتهم وفي أعمالهم وفي أخلاقهم وجميع أمورهم الدينية والدنيوية وكل ذلك أثر من آثار الإيمان بالله وبرهانه ونوره، فهم يتركون المحظور ويفعلون المأمور به[5].

9- **القنوت :**

قال تعالى : ﴿**وَالْقَانِتِينَ وَالْمُنفِقِينَ وَالْمُسْتَغْفِرِينَ بِالأَسْحَارِ**﴾ (آل عمران : 17). والقنوت هو: "دوام الطاعة مع مصاحبة الخشوع والخضوع"[6]. فالمؤمن التقي كل همه الطاعة لله عز وجل والخضوع له[7].

---

(1) انظر تيسير الكريم الرحمن : للشيخ السعدي، ص 69.

(2) انظر الجامع لأحكام القرآن : للقرطبي، 38/4.

(3) انظر فتح القدير : للشوكاني، 191/1؛ وانظر تفسير القرآن العظيم : لابن كثير، 209/1.

(4) انظر تفسير القرآن العظيم : لابن كثير، 209/1.

(5) انظر تيسير الكريم الرحمن : للشيخ السعدي، ص 40.

(6) المصدر السابق، ص 69.

(7) انظر تفسير القرآن العظيم : لابن كثير، 353/1.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

10- الاستغفار بالأسحار :

قال تعالى : ﴿**وَالْمُسْتَغْفِرِينَ بِالأَسْحَارِ**﴾ (آل عمران : 17). فالمؤمن التقي يحرص أن تكون فيه هذه الصفة، وذلك بأن يستغفر الله وقت السحر في الثلث الأخير من الليل لكي تشمله هذه الآية، وقد ذكر الله عز وجل هذه الصفة للدلالة على فضيلة الاستغفار في الأسحار.

11- كظم الغيظ :

قال تعالى : ﴿**وَالْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ**﴾ (آل عمران : 134). فهم إذا حدث لهم من غيرهم ما يوجب غيظهم، وامتلاء قلوبهم من الحنق، فإنهم لا ينتقمون لأنفسهم كما يفعل باقي البشر، بل يكظمون غيظهم في قلوبهم، ويصبرون على أذى من أساء إليهم[1].

12- العفو عن الناس :

فالذي يكظم غيظه ممكن أن يعفو عن غيره وخاصة إذا كان تقياً يريد الأجر من الله عز وجل، قال تعالى: ﴿**وَالْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ**﴾ (آل عمران:134)، ويدخل في العفو عن الناس العفو عن كل من أساء بقول أو فعل، والعفو أبلغ من الكظم، لأن العفو عدم المؤاخذة للمسيء بل يسامحه، وهذه من الأخلاق العليا الرفيعة التي يتقرب بها العبد إلى الله فهو يحسن إلى الناس ابتغاء وجه الله[2]. قال تعالى : ﴿**فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ**﴾ (الشورى : 40).

13- الوفاء بالعهد :

وذلك عملاً بقوله تعالى : ﴿**وَالْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَاهَدُواْ**﴾ (البقرة : 177).

والعهد معناه : "الالتزام بإلزام الله أو إلزام العبد نفسه، فدخل في ذلك حقوق الله كلها، لكون الله ألزم بها عباده والتزموها، ودخلوا تحت عهدتها، ووجب عليهم أداؤها، وحقوق العباد التي أوجبها الله عليهم، والحقوق التي التزمها العبد كالأيمان والنذور ونحو ذلك"[3].

وعكس الالتزام بالعهد نقضه وهذه صفة من صفات المنافقين يترفع المؤمن التقي عن الاتصاف بها.

هذه هي الصفات الأساسية التي يتصف بها الأتقياء، فهم يؤمنون بأمور الغيب جميعها، ويحافظون على الصلوات الخمس، ويؤمنون بما أنزل على سيدنا محمد ﷺ من كتاب وسنة وعلى جميع ما أنزل على باقي المرسلين – عليهم الصلاة والسلام –، وهم أيضاً الصابرون، الذين يعفون عن الناس، التائبون دائماً إلى ربهم، المطيعون له، الموفون لعهودهم مع ربهم ومع الناس، فهم قد اتصفوا بأفضل الصفات وأعظمها فأصبحوا كالشامة بين الناس يسيرون على هدى من الله ونور.

---

(1) انظر تيسير الكريم الرحمن : للشيخ السعدي، ص 79.

(2) انظر المصدر السابق، ص 79.

(3) المصدر نفسه، ص 39-40.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

ثالثاً : طرق الوصول للتقوى :

للتقوى طرق يستطيع المؤمن أن يجاهد نفسه ليصل إلى هذه المرتبة، ويحصل عليها، وأهم هذه الطرق هي :

1- تقوية الإيمان بالله واليوم الآخر :

تقوية الإيمان بالله تعالى : فالإيمان بالله أصلٌ من أصول العقيدة الإسلامية، وتقوية هذا الجانب من أكثر الأمور التي تورث في النفس التقوى ويكون ذلك من خلال إدامة النظر والتفكر في صفات الله وأفعاله ومخلوقاته فيطمئن قلبه ويزداد تقواه، قال تعالى : ﴿**وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي أَنتُم بِهِ مُؤْمِنُونَ**﴾ (الممتحنة : 11).

ويكون تقوية الإيمان أيضاً بالمداومة على ذكره تعالى باللسان والقلب، قال تعالى : ﴿**الَّذِينَ آمَنُواْ وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكْرِ اللّهِ أَلاَ بِذِكْرِ اللّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ**﴾ (الرعد : 28)[1].

وأما تقوية الإيمان باليوم الآخر فيكون : بالنظر في أدلته وأحداثه من زلزلة للساعة وحشر وحساب ومرور على الصراط وعذاب، فهذا مما يجعل المؤمن يستعد لذلك اليوم العصيب، ويعمل ما يرضي الله عز وجل ويبتعد عن كل ما يغضبه تعالى طمعاً في ثوابه، وخوفاً من عقابه وتعميق هذا الجانب يُولد في النفس التقوى والخشية من ذلك اليوم، قال تعالى : ﴿**يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمْ وَاخْشَوْا يَوْمًا لَّا يَجْزِي وَالِدٌ عَن وَلَدِهِ وَلَا مَوْلُودٌ هُوَ جَازٍ عَن وَالِدِهِ شَيْئًا**﴾ (لقمان : 33)[2].

2- العبادة :

ومعناها : "فعل المكلف على خلاف هوى نفسه، تعظيماً لربه"[3]. فالمؤمن التقي دائماً يخالف هواه في سبيل أن يرضي ربه، ويسير على هداه في كل حياته، والعبادة من أهم الطرق الموصلة للتقوى، قال تعالى : ﴿**يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُواْ رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ**﴾ (البقرة : 21)، فالمؤمن الذي يُكثر من العبادة يستطيع أن يصل إلى التقوى لأن العبادة توثق الصلة بين العبد وربه، فقد ورد عن أبي هريرة قال : [قال رسول الله ﷺ : إن الله قال : من عادى لي ولياً فقد آذنته بالحرب، وما تقرب إليّ عبدي بشيء أحب إليّ مما افترضته عليه، وما يزال عبدي يتقرب إليّ بالنوافل حتى أحبه، فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به، وبصره الذي يبصر به، ويده التي يبطش بها، ورجله التي يمشي بها، وإن سألني

---

(1) انظر حقيقة التقوى وطرق الوصول إليها على ضوء القرآن الكريم والسنة الصحيحة : محمود الأطرش، ص 31، دار الإيمان، دون رقم طبعة أو تاريخ.

(2) انظر المرجع السابق، ص 35-36.

(3) التعريفات : للجرجاني، ص 239، باب العين.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

لأعطينه، ولئن استعاذني لأعيذنه، وما ترددت عن شيء أنا فاعله ترددي عن نفس المؤمن يكره الموت وأنا أكره مساءته][1].

فعندما يحافظ المسلم على الفرائض، ويعمل بالنوافل من قيام ليل، وصيام يومي الاثنين والخميس، ويكثر من الذكر والاستغفار وقراءة القرآن، والمحافظة على ذلك بقدر ما يستطيع، فهذا مما يورث في قلبه التقوى[2]، وبذلك يتحقق فيه قول الله تعالى : ﴿**قُلْ إِنَّ صَلاَتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ**﴾ (الأنعام : 162).

3- المجاهدة والانتصار على النفس :

فالمسلم يجاهد نفسه ويربيها على طاعة الله بكل الوسائل الممكنة، فهو يخالف هواه، وينتصر على نفسه إن أمرته بما يخالف شريعة ربه، ويتخلص من وساوس الشيطان بكثرة الطاعة والذكر ومصاحبة الصالحين.

والمؤمن دائماً يجاهد نفسه لأنه يعرف أن الله تعالى يراقبه "وأنه سيناقشه الحساب ولا ينجيه من ذلك إلا لزوم المحاسبة وصدق المراقبة ومطالبة النفس في الأنفاس والحركات ومحاسبتها في الخطرات واللحظات، فمن حاسب نفسه قبل أن يحاسب، خف في القيامة حسابه، وحضر عند السؤال جوابه وحُسن منقلبه ومآبه"[3]. وبكل ذلك يستطيع أن يزيد رصيده من الإيمان والتقوى فيستحق الأجر والجنة.

4- محبة الله تعالى :

قال تعالى : ﴿**قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ اللّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ**﴾ (آل عمران : 31).

فالمؤمن يعمل ليصل لدرجة محبة الله وذلك باتباع سنة رسوله محمد ﷺ وبالتالي يحبه الله، فحب الله يجعله يحرص على مرضاته في كل شيء، وبالتالي تتولد عنده التقوى.

قال ابن القيم رحمه الله عن المحبة لله عز وجل : "فالمحبة شجرة في القلب، عروقها الذل للمحبوب وساقها معرفته، وأعضائها خشيته، وورقها الحياء منه، وثمرتها طاعته، ومادتها التي تسقيها ذكره، فمتى خلا الحب عن شيء من ذلك كان ناقصاً"[4]، والتقي يحرص على هذه الأمور حتى يستشعر محبة الله تعالى له فيزداد تقواه.

---

(1) صحيح البخاري، 1297/4، كتاب الرقاق، باب التواضع، حديث رقم (6502).

(2) انظر حقيقة التقوى وطرق الوصول إليها : محمد الأطرش، ص 39.

(3) المستخلص في تزكية الأنفس : سعيد حوى، ص 141، دار الأرقم، عمان، دار القبس، بيروت، الطبعة الأولى، 1403هـ-1983م.

(4) روضة المحبين ونزهة المشتاقين : لابن قيم الجوزية، ص 409، دار الكتب العلمية، بيروت، 1412هـ-1992م، دون رقم طبعة.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

5- استشعار مراقبة الله للمؤمن :

وهي من الطرق الموصلة للتقوى، قال تعالى: ﴿**وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ**﴾ (الحديد : 4)، فعندما يشعر المؤمن بأن الله مطلع عليه أينما كان يستحي منه حق الحياء، ويعمل بطاعته حتى ينال رضاه وتقواه، والمعية المقصودة هنا هي معية العلم والاطلاع[1].

6- المداومة على حضور مجالس العلم وحلق الذكر :

وهذه من الطرق المهمة لتحصيل التقوى. قال تعالى: ﴿**قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لا يَعْلَمُونَ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُوْلُوا الأَلْبَابِ**﴾ (الزمر : 9)، وما يحدثه العلم من شفافية في القلب والشعور والوجدان فإنه يولد التقوى في كل كيان المؤمن، وكذلك الاجتماع في حلقات الذكر، فإنه يُعطي نفس الأثر من راحة واطمئنان، وسكينة نفس.

قال رسول الله ﷺ: [ومن سلك طريقاً يلتمس فيه علماً، سهل الله له به طريقاً إلى الجنة، وما اجتمع قوم في بيت من بيوت الله، يتلون كتاب الله، ويتدارسونه بينهم، إلا نزلت عليهم السكينة، وغشيتهم الرحمة وحفتهم الملائكة، وذكرهم الله فيمن عنده، ومن بطّأ به عمله، لم يسرع به نسبه][2].

يقول الشيخ سعيد حوى : "والمذاكرة مع أهل الصلاح والاجتماع مع أهل الخير، والانتماء لأهل الحق والانخراط في البيئات الصالحة، كل ذلك وسائل تعمق تذوق التوحيد"[3].

7- تذكر الموت وقصر الأمل :

فالمؤمن عندما يتذكر ما سيحدث له من مغادرة لهذه الدنيا الفانية وأن وجوده فيها مؤقت مما يجعله يتقي الله في كل أحواله فذكره لقوله تعالى: ﴿**كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ ثُمَّ إِلَيْنَا تُرْجَعُونَ**﴾ (العنكبوت : 57) وذهابه إلى المقبرة مما يجعله يقترب من ربه أكثر ويخاف من عقابه، وبذلك يستعد للقاء الله تعالى بحيث يكون حاله على أفضل الأحوال، فإذا توفته الملائكة كانت خاتمته حسنة ولهذا الأمر نصح الرسول ﷺ بالسماح بزيارة القبور فقال عليه الصلاة والسلام "نهيتكم عن زيارة القبور فزوروها ..." [4] فهي مما يرقق القلوب ويجعلها متعلقة بالله عز وجل فتزيد من تقواها.

وبذا يتبين أنه من أراد الوصول للتقوى فلا بد له من تعميق إيمانه بالله والآخرة، والاجتهاد في العبادة، ومجاهدة نفسه ومحبة ربه، واستشعار مراقبته له، مع الحرص على العلم الشرعي، والتردد في بعض الأحيان إلى المقبرة، ليبقى ذكر الموت عالقاً في قلبه وعقله وبالتالي يحرص كل الحرص على التزود بزاد التقوى والإيمان والعمل الصالح.

---

(1) تيسير الكريم الرحمن : للشيخ السعدي، ص 616.

(2) صحيح مسلم، ص 1039، كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار، باب فضل الاجتماع على تلاوة القرآن وعلى الذكر، حديث رقم (2699).

(3) المستخلص في تزكية الأنفس : سعيد حوى، ص 305.

(4) صحيح مسلم، ص 349، كتاب الجنائز، باب استئذان النبي ﷺ ربه –عز وجل– في زيارة قبر أمه، حديث رقم (977).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

المطلب الثاني : تقوى سيدنا يوسف عليه السلام :

إن الدارس المتفحص لقصة سيدنا يوسف عليه السلام يجد أنه في كل مرحلة من مراحل حياته يتعرض للابتلاءات والمحن الشديدة منذ أن كان طفلاً إلى أن أصبح شاباً يافعاً، ومن ضمن هذه الابتلاءات والتي كانت من أصعب المحن التي مرت بسيدنا يوسف عليه السلام هي الابتلاء بفتنة النساء وخاصة زوجة العزيز، والتي لا يصبر عليها إلا من كان نقياً تقياً، يحمل أخلاق وعقيدة سيدنا يوسف عليه السلام، وبداية هذه الفتنة ما ذكره الله في قوله تعالى : ﴿**وَرَاوَدَتْهُ الَّتِي هُوَ فِي بَيْتِهَا عَن نَّفْسِهِ وَغَلَّقَتِ الأَبْوَابَ وَقَالَتْ هَيْتَ لَكَ قَالَ مَعَاذَ اللّهِ إِنَّهُ رَبِّي أَحْسَنَ مَثْوَايَ إِنَّهُ لاَ يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ * وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِ وَهَمَّ بِهَا لَوْلا أَن رَّأَى بُرْهَانَ رَبِّهِ كَذَلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ السُّوءَ وَالْفَحْشَاء إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُخْلَصِينَ**﴾ (يوسف : 23-24).

لقد أعجبت زوجة العزيز بجمال يوسف عليه السلام وبهائه مما دعاها لأن تتجمل له وتغلق الأبواب وتدعوه لنفسها، ولكنه تمنع أشد الامتناع قائلاً : "معاذ الله" واستعان بالله، وكانوا يطلقون كلمة الرب على السيد والكبير، وذكرها بزوجها بأنه أحسن في إكرامه له، فكيف يقابل ذلك بفعل الفاحشة في زوجه، فهذا مما لا يليق به، ولأن ذلك نوع من أنواع الظلم، والظالم لا يكون من المفلحين[1].

يقول الشيخ عبد الكريم الخطيب في تفسيره لهذه الآية : "وفي قوله تعالى "وغلقت الأبواب وقالت هيت لك" إشارة إلى أنها هي التي تولت بنفسها الإعداد لهذا الأمر الذي دعته إليه، فهي التي راودته عن نفسه بما ألقت إليه من كلمات، وإشارات، وتلميحات وهي التي غلقت الأبواب، فكانت تلك دعوة صريحة منها إليه، ثم هي حين رأت أن ذلك كله لم يَدْعه إليها، ولم يقربه منها دعته إلى نفسها، وقالت "هيت لك" أي ها أنذالك، فأقبل وهذا ما لا تفعله الحرة ذات الجاه والسلطان، إلا إذا كانت قد استبدت بها الرغبة، ثم لم تجد من الجانب الآخر استجابة منه إليها، عندئذ تخلع عذار حيائها وتتخلى عن مكانتها كامرأة تُطْلَب ولا تَطْلِب وفي كل هذا ما يحدث عن تعفف يوسف عليه السلام وامتلاكه لداعي الشهوة أمام هذه المغريات التي تنحل لها عزمات الرجال، وتطيش معها أحلام ذوي الحلوم"[2].

إذن فسيدنا يوسف عليه السلام تعرض للفتنة لمرات عديدة مع هذه المرأة، ولكنه صبر عن معصية الله والتزم التقوى والإباء فقولها "هيت لك" لا تكون أول دعوة من المرأة، إنما تكون هي الدعوة الأخيرة، وقد لا تكون أبداً إذا لم تضطر إليها المرأة اضطراراً وسيدنا يوسف عليه السلام يعيش معها في نفس البيت، وقوته وفتوته وجماله يتكامل يوماً بعد يوم، فلا بد أنه كانت إغراءات شتى قبل هذه الفعلة الشنيعة[3].

---

(1) انظر تفسير القرآن العظيم : لابن كثير، 473/2.
(2) التفسير القرآني للقرآن : عبد الكريم الخطيب، 1253/3.
(3) انظر في ظلال القرآن : سيد قطب، 1980/4.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

ولكن مع ذلك استعصم عليه السلام بحبل الله المتين قائلاً – معاذ الله – أي "أعيذ نفسي بالله أن أفعل"[1]، مع أن دواعي الفتنة موجودة، حيث كان شاباً عزباً، غريباً، والغريب لا يستحي أن يفعل الفاحشة في بلاد الغربة، وكذلك فإنه كان مملوكاً، وليس المملوك كالحر وقد كانت المرأة ذات منصب وجمال وهي سيدته، وهي الداعية له لنفسها، وحرصت أشد الحرص على ذلك، وقد توعدته إن لم يفعل الفاحشة بها بالسجن أو الأذى الشديد[2]، وهذا كله لم يفت في عضده، ولم يتزحزح قيد أنملة عن عقيدته ومبدأه وتقواه، فصبر صبر اختيار ورضا وهو أكمل من الصبر الاضطراري.

يقول ابن القيم رحمه الله : "والاختياري أكمل من الاضطراري فإن الاضطراري يشترك فيه الناس ويتأتى منه الصبر الاختياري، ولذلك كان صبر يوسف الصديق عن مطاوعة امرأة العزيز وصبره على ما ناله في ذلك من الحبس والمكروه أعظم من صبره على ما ناله من إخوته لما ألقوه في الجب وفرقوا بينه وبين أبيه وباعوه بيع العبد، ومن الصبر الثاني إنشاء الله سبحانه ما أنشأه من العز والرفعة والملك والتمكين في الأرض"[3].

فصبره عليه السلام عن عمل الفاحشة أعظم أنواع الصبر وذلك لقوة الدوافع الداعية لفعله ومع ذلك أبى واستعلى بإيمانه وتقواه فرفعه الله في الدنيا والآخرة.

وقد علق الرازي رحمه الله على قول يوسف عليه السلام: ﴿**مَعَاذَ اللّهِ إِنَّهُ رَبِّي أَحْسَنَ مَثْوَايَ إِنَّهُ لاَ يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ**﴾ (يوسف : 23) فقال : "هذا الترتيب في غاية الحسن، وذلك لأن الانقياد لأمر الله تعالى وتمكينه أهم الأشياء لكثرة إنعامه وألطافه في حق العبد فقوله (معاذ الله) إشارة إلى أن حق الله يمنع عن هذا العمل، وأيضاً حقوق الخلق واجبة الرعاية، فكلما كان هذا الرجل قد أنعم في حقي يقبح مقابلة إنعامه، وإحسانه بالإساءة، وأيضاً صون النفس عن الضرر واجب، وهذه اللذة لذة قليلة يتبعها خزي في الدنيا، وعذاب شديد في الآخرة"[4].

وبالنسبة لتفسير الهم في قوله تعالى : ﴿**وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِ وَهَمَّ بِهَا لَوْلا أَن رَّأَى بُرْهَانَ رَبِّهِ**﴾ (يوسف : 24) فهم امرأة العزيز هو المعصية بلا خلاف[5]، والآيات شاهدة على ذلك.

---

(1)انظر في ظلال القرآن : سيد قطب، 1980/4.

(2) انظر التفسير الكبير : لابن تيمية، 83/5.

(3) عدة الصابرين : لابن قيم الجوزية، ص 29.

(4) التفسير الكبير : للإمام الفخر الرازي، 114/17.

(5) انظر الجامع لأحكام القرآن : للقرطبي، 165/9.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

ولكن اختلف المفسرون في تفسير همّ يوسف عليه السلام وتعددت الآراء في ذلك :

أولاً : فقيل أنه "همّ بضربها"[1] وهذا لا دليل عليه. ولقد رد سيد قطب على هذا الرأي بقوله : "وتفسير الهم بأنه هم الضرب ورد الضرب مسألة لا دليل عليها في العبارة .. وفيه تكلف وإبعاد عن مدلول النص"[2].

ثانياً : "وقيل أنه تمناها زوجة"[3]. وهذا أيضاً لا دليل عليه.

ثالثاً : وقيل أنه لم يهم بها أصلاً[4]. قال أبو حيان الأندلسي في تفسيره لهم يوسف عليه السلام "لم يقع منه هم بها البتة بل هو منفي لوجود رؤية البرهان"[5]. وهذا الرأي رد عليه ابن كثير رحمه الله قائلاً : "وفي هذا القول نظر من حيث العربية"[6].

رابعاً : ومنهم من فسر همّ يوسف عليه السلام مثل هم امرأة العزيز، فقال عبد الكريم الخطيب : "وصريح اللفظ أنه عليه السلام – همّ بها، كما همت به – "ولقد همت به وهم بها" هكذا صريح اللفظ القرآني فلا وجه إذاً للتفرقة بين أمرين متساويين، لفظاً ومعنى"[7].

ويرد على ذلك بأن هذا مستحيل للأسباب التالية :

1- إن ذلك يصطدم مع العقيدة الإسلامية في وجوب عصمة الأنبياء[8].

2- إن الله تعالى قال عن همها "ولقد همت به" فجاء مؤكداً، وقال عن همه عليه السلام: "وهم بها لولا أن رأى برهان ربه" فجاء همه دون توكيد، وهذا يدل دلالة واضحة على عدم تساوي الهمين[9].

3- يوجد أنواع للهم وكما قال الإمام أحمد رحمه الله : "الهم همان، هم خطرات، وهم إصرار"[10]، فكان كما ذكر معظم المفسرين أن همه هم نفس وهمها هم إصرار وفعل.

---

(1) تفسير القرآن العظيم : لابن كثير، 474/2؛ وانظر الجامع لأحكام القرآن : للقرطبي، 166/9.

(2) في ظلال القرآن : سيد قطب، 1981/4.

(3) تفسير القرآن العظيم : لابن كثير، 474/2؛ وانظر الجامع لأحكام القرآن : للقرطبي، 166/9.

(4) انظر تفسير القرآن العظيم : لابن كثير، 474/2؛ وانظر الجامع لأحكام القرآن : للقرطبي، 166/9؛ وانظر التفسير الكبير : للإمام الرازي، 115/17؛ وانظر المرأة في القصص القرآني: د. أحمد الشرقاوي، 289/1-290، دار السلام، الطبعة الثانية، 1424هـ-2003م.

(5) تفسير البحر المحيط : لأبي حيان الأندلسي، 295/5، دراسة وتحقيق : عادل عبد المقصود، عادل معوض، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، 1413هـ-1993م.

(6) تفسير القرآن العظيم : لابن كثير، 474/2.

(7) التفسير القرآني للقرآن : عبد الكريم الخطيب، 1254/3.

(8) انظر التفسير الكبير : لابن تيمية، 78/5؛ وصحيح قصص القرآن : حامد البسيوني، ص 229.

(9) انظر موسوعة الإعجاز العلمي في القرآن والسنة، الإعجاز اللغوي والبياني، الإعجاز الأسلوبي في سورة يوسف عليه السلام : ياسر محمود الأقرع، ص 6، 1428/3/14هـ. www.55a.net .

(10) التفسير الكبير : لابن تيمية، 78/5؛ وانظر قصص الأنبياء : لابن كثير، تحقيق : سيد رجب، ص 222، دار ابن رجب، الطبعة الأولى، 1422هـ-2002م؛ وانظر مدرسة الأنبياء عبر وأضواء : محمد المزين، ص 130.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

4- إن من قال بتساوى الهمان رد عليهم ابن تيمية رحمه الله بقوله : "فكله مما لم يخبر الله بـه ولا رسوله وما لم يكن كذلك فإنما هو مأخوذ عن اليهود الذين هم من أعظم الناس كذباً على الأنبياء، وقدحاً فيهم، وكل من نقله من المسلمين فعنهم نقله، لم ينقل من ذلك أحد عن نبينا ﷺ حرفاً واحداً"[1].

5- إن الله تعالى لم يذكر عن نبي من الأنبياء ذنباً إلا ذكر استغفارهم بعد ذلك وتوبتهم من هـذا الذنب، ولم يذكر الله تعالى في القرآن الكريم عن يوسف عليه السلام أنه فعـل مـع المـرأة مـا يستوجب أن يتوب منه، فدل ذلك على براءته التامة مما نُسب إليه. يقول ابن تيميـة رحمـه الله مؤكداً على ما سبق : "والقرآن قد أخبر عن يوسـف عليه السلام مـن الاستعـصام والتقـوى والصبر في هذه القضية ما لم يذكر عن أحد غيره، فلو كان يوسف عليه السلام قد أذنب لكان إمـا مصراً، وإما تائباً، والإصرار ممتنع، فتعين أن يكون تائباً، والله لم يذكر عنه توبة في هـذا ولا استغفاراً كما ذكر عن غيره من الأنبياء، فدل ذلك على أن ما فعله يوسف عليه السلام كان من الحسنات المبررة والمساعي المشكورة كما ذكر عن غيره من الأنبياء، كما أخبـر الله عنـه بقوله تعالى : ﴿**إِنَّهُ مَن يَتَّقِ وَيِصْبِرْ فَإِنَّ اللّهَ لاَ يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ**﴾ (يوسف : 90)"[2].

6- إن كل الشخصيات الموجودة في سورة يوسف عليه السلام والأحداث تشهد ببراءته :

أ- يوسف نفسه عليه السلام قال "هي راودتني عن نفسي" أي أن المراودة كانت منها ولم يكن منه أي شيء من هذا القبيل.

ب- شهادة الشاهد كما جاء في قوله تعالى ﴿**وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِّنْ أَهْلِهَا**﴾ إلى قولـه تعـالى : "**وَإِنْ كَانَ قَمِيصُهُ قُدَّ مِن دُبُرٍ فَكَذَبَتْ وَهُوَ مِن الصَّادِقِينَ**﴾ (يوسف : 27).

ت- قول زوجها : ﴿**إِنَّهُ مِن كَيْدِكُنَّ إِنَّ كَيْدَكُنَّ عَظِيمٌ * يُوسُفُ أَعْرِضْ عَنْ هَـذَا وَاسْـتَغْفِرِي لِذَنبِكِ إِنَّكِ كُنتِ مِنَ الْخَاطِئِينَ**﴾ (يوسف : 29) فنسب زوجها الكيد العظيم لها، وطلب منها أن تستغفر لذنبها ولم يطلب من يوسف عليه السلام ذلك فهذا مما يدل على براءة يوسف عليه السلام، وأنها هي التي أرادت السوء.

ث- تبرئة الله عز وجل له عليه السلام : وذلك في قوله تعـالى : ﴿**كَـذَلِكَ لِنَـصْرِفَ عَنْـهُ الـسُّوءَ وَالْفَحْشَاء إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُخْلَصِينَ**﴾ (يوسف : 24).

ج- اعتراف الشيطان نفسه بأنه ليس له سلطان على المخلصين، كما جاء فـي قولـه تعـالى : ﴿**قَالَ رَبِّ بِمَآ أَغْوَيْتَنِي لأُزَيِّنَنَّ لَهُمْ فِي الأَرْضِ وَلأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِـينَ * إِلاَّ عِبَـادَكَ مِـنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ**﴾ (الحجر : 39-40)، ويوسف عليه السلام من المخلصين.

---

(1) انظر التفسير الكبير : لابن تيمية، 5/91-92؛ وانظر التفسير الكبير : للرازي، 17/115.

(2) التفسير الكبير : لابن تيمية، 5/92.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

ح- شهادة النسوة كما جاء في قوله تعالى: ﴿**قُلْنَ حَاشَ لِلّهِ مَا عَلِمْنَا عَلَيْهِ مِن سُوءٍ**﴾ (يوسف: 51)، وشهادة المرأة بنفسها على نفسها عندما قالت: ﴿**وَلَقَدْ رَاوَدتُّهُ عَن نَّفْسِهِ فَاسْتَعْصَمَ**﴾ (يوسف:32)، وهذا يدل دلالة قاطعة على عدم صحة الرأي القائل بأن همه كان كهمها.

خ- وكذلك تهديدها له بما جاء في قوله تعالى : ﴿**وَلَئِن لَّمْ يَفْعَلْ مَا آمُرُهُ لَيُسْجَنَنَّ وَلَيَكُونًا مِّنَ الصَّاغِرِينَ**﴾ (يوسف : 32)، فتهديدها له يدل على عدم استجابة من يوسف عليه السلام لها. كذلك رده على التهديد بما جاء في قوله تعالى : ﴿**قَالَ رَبِّ السِّجْنُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا يَدْعُونَنِي إِلَيْهِ وَإِلاَّ تَصْرِفْ عَنِّي كَيْدَهُنَّ أَصْبُ إِلَيْهِنَّ وَأَكُن مِّنَ الْجَاهِلِينَ**﴾ (يوسف : 33)، فهو عليه السلام لم يمل إليهن مجرد الميل، فكيف بما هو أكبر من ذلك؟

ثم في آخر شيء اعتراف المرأة اعتراف كامل لما حدث بقولها: ﴿**أَنَاْ رَاوَدتُّهُ عَن نَّفْسِهِ وَإِنَّهُ لَمِنَ الصَّادِقِينَ* ذَلِكَ لِيَعْلَمَ أَنِّي لَمْ أَخُنْهُ بِالْغَيْبِ وَأَنَّ اللّهَ لاَ يَهْدِي كَيْدَ الْخَائِنِينَ* وَمَا أُبَرِّىءُ نَفْسِي إِنَّ النَّفْسَ لأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ إِلاَّ مَا رَحِمَ رَبِّيَ إِنَّ رَبِّي غَفُورٌ رَّحِيمٌ**﴾ (يوسف: 51-53)[1].

د- إن يوسف عليه السلام لم يستجب لدعوة الملك بالخروج من السجن إلا بعد إثبات براءته التامة مما نسب إليه كما جاء في قوله تعالى : ﴿**وَقَالَ الْمَلِكُ ائْتُونِي بِهِ فَلَمَّا جَاءهُ الرَّسُولُ قَالَ ارْجِعْ إِلَى رَبِّكَ فَاسْأَلْهُ مَا بَالُ النِّسْوَةِ اللاَّتِي قَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ إِنَّ رَبِّي بِكَيْدِهِنَّ عَلِيمٌ**﴾ (يوسف : 50).

ذ- شهادة السجينين له وإخوته بأنه من المحسنين كما جاء في قوله تعالى : ﴿**إِنَّا نَرَاكَ مِنَ الْمُحْسِنِينَ**﴾ (يوسف : 36)، والمحسن لا تكون أخلاقه إلا عالية ولا يكون منه إلا كل خير وصلاح وتقوى، ودرجة الإحسان لا يصل إليها أي أحد إلا بأن يكون محسناً مع الخلق بحفظ أعراضهم، وأن يكون بعيداً عن الدنايا وسفاسف الأمور.

ر- إن الملك بعث ليوسف عليه السلام ليستخلصه لنفسه، قال تعالى: ﴿**وَقَالَ الْمَلِكُ ائْتُونِي بِهِ أَسْتَخْلِصْهُ لِنَفْسِي فَلَمَّا كَلَّمَهُ قَالَ إِنَّكَ الْيَوْمَ لَدَيْنَا مَكِينٌ أَمِينٌ**﴾ (يوسف : 54)، وهذا دليل قاطع على عفة يوسف عليه السلام، وورعه، وتقواه، فإنه لا يُستخلص ولا يمكن إلا من كان يستحق ذلك.

ز- إن يوسف عليه السلام كان صديقاً وذلك ما جاء في قوله تعالى: ﴿**يُوسُفُ أَيُّهَا الصِّدِّيقُ**﴾ (يوسف: 46)، والصديقية درجة عظيمة لا يصلها إلا من كان تقياً ورعاً بعيداً عن أدنى شبهة في أخلاقه وعرضه.

س- إن الله عز وجل آتى يوسف عليه السلام (حكماً وعلماً) ومن أوتي ذلك لا يليق به إلا أن يعمل بهما، وما فائدة ذلك إن لم يعمل بهما، قال تعالى : ﴿**وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُ آتَيْنَاهُ حُكْمًا وَعِلْمًا**

---

(1) انظر التفسير الكبير : للعلامة ابن تيمية، 5/83-89؛ وانظر التفسير الكبير : للرازي، 17/116-117؛ وانظر صحيح قصص القرآن : حامد بسيوني، ص 229-230؛ وانظر مدرسة الأنبياء عبر وأضواء : محمد بسام الزين، ص 131-133؛ وانظر أحسن القصص دروس وعبر : عبد العظيم الخلفي، ص 81-83.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ﴾ (يوسف : 22)[1]، يقول القرطبي رحمه الله : "وقد أخبر الله عن حال يوسف من حين بلوغه فقال : ﴿**وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُ آتَيْنَاهُ حُكْمًا وَعِلْمًا...**﴾ ، وخبر الله تعالى صدق،ووصفه صحيح، وكلامه حق، فقد عمل يوسف بما علمه الله من تحريم الزنى ومقدماته، وخيانة السيد والجار والأجنبي في أهله، فما تعرض لامرأة العزيز، ولا أجاب إلى المراودة، بل أدبر عنها وفر منها حكمة خص بها، وعملاً بمقتضى ما علّمه الله"[2].

خامساً : والرأي الذي تراه الباحثة أقرب للصحة هو أن هم سيدنا يوسف عليه السلام كان هم نفس وليس هم فعل[3].

1- وذلك للأسباب التي ذُكرت آنفاً في الرد على الرأي الرابع.

2- ولأنه رأي معظم المفسرين والعلماء، قال الصابوني : "وهم بها" أي مالت نفسه إليها بمقتضى الطبيعة البشرية، وحدثته نفسه بالنزول عند رغبتها حديث نفس، دون عزم وقصد، فبين الهمين فرق كبير"[4].

3- وهو الذي يناسب جو القصور وجو الفتنة التي أحاطت بسيدنا يوسف عليه السلام كإحاطة السوار بالمعصم[5]، وهو يناسب كون يوسف عليه السلام بشراً رسولاً، فهذا مما لا يقدح في عصمته كنبي.

4- إن هذا الهم لا يؤاخذ صاحبه به بل تكتب له حسنة إن أعرض عنه.

فقد ورد عن ابن عباس، عن رسول الله ﷺ فيما يروي عن ربه تبارك وتعالى قال : [إن الله كتب الحسنات والسيئات، ثم بين ذلك، فمن هم بحسنة فلم يعملها كتبها الله عنده حسنة كاملة، وإن هم بها فعملها كتبها الله عز وجل عنده عشر حسنات إلى سبعمائة ضعف إلى أضعاف كثيرة، وإن هم بسيئة فلم يعملها كتبها الله عنده حسنة كاملة، وإن هم بها فعملها، كتبها الله سيئة واحدة][6].

وإن الله عز وجل يتجاوز عن حديث النفس وخواطر القلب ما لم تستقر، وذلك لحديث الرسول ﷺ الذي ورد [عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : إن الله تجاوز لأمتي ما حدثت به أنفسها ما لم يتكلموا، أو يعملوا به][7].

---

(1) انظر الصراع بين الحق والباطل (رسالة ماجستير) : تميم ضهير، ص 101.

(2) الجامع لأحكام القرآن : للقرطبي، 168/9؛ وانظر أحكام القرآن : لابن العربي، 1083/3.

(3) انظر التفسير الكبير : للرازي، 119/17؛ والتفسير الكبير : لابن تيمية، 77/5؛ وانظر أحكام القرآن : لابن العربي، 1082/3.

(4) صفوة التفاسير بعد تجريده من البيان : للصابوني، جرده الشيخ عبد الله الأنصاري، 502/1-503؛ وانظر فتح القدير : للشوكاني، 17/3.

(5) انظر الصراع بين الحق والباطل في قصة يوسف (رسالة ماجستير) : إعداد الطالب تميم ضهير، ص 101.

(6) صحيح مسلم، ص 67، كتاب الإيمان، باب إذا هم العبد بحسنة كتبت، وإذا هم بسيئة لم تكتب، حديث رقم (131).

(7) صحيح مسلم، ص 66، كتاب الإيمان، باب تجاوز الله عن حديث النفس والخواطر بالقلب إذا لم تستقر (بدون رقم).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

يقول القرطبي : "وإذا كان نبياً لم يبن إلا أن يكون الهم الذي همّ به ما يخطر في النفس ولا يثبت في الصدر وهو الذي رفع الله فيه المؤاخذة عن الخلق، إذ لا قدرة للمكلف على دفعه"[1].

ويقول الألوسي : "وهم بها" "أي مال إلى مخالطتها بمقتضى الطبيعة البشرية كميل الصائم في اليوم الحار إلى الماء البارد، ومثل ذلك لا يكاد يدخل تحت التكليف لا أنه عليه السلام قصدها قصداً اختيارياً لأن ذلك أمر مذموم تنادي الآيات على عدم اتصافه عليه السلام به، وإنما عبر عنه بالهم لمجرد وقوعه في صحبة همها في الذكر بطريق المشاكلة لا لشبهة به.." [2].

فسيدنا يوسف عليه السلام كونه بشراً قد تأثر بالجو المحيط به من الفتنة، والتي أحاطت به إحاطة تامة، ولنا أن نتصور كيف كان حال نبينا العظيم، المرأة تطلب منه فعل الفاحشة، وزوجها لم يردعها عن ذلك، فبقيت تطارده بالتهديد والوعيد والسجن، وكذلك النسوة اللواتي رأينه فُتن به والتمسن العذر لها، فكانت الفتنة من جميع النواحي، ومن جميع الأشخاص الذين تعامل معهم، فكان الهم مجرد خاطر ذهني، لم يلبث أن استعان بربه فأعانه ورأى برهان ربه، فتوقف ذهنه فوراً عن مجرد التفكير وعصمه الله عز وجل أن يكون منه أي شيء يخرجهُ من دائرة النبوة والرسالة.

ولقد اختلف المفسرون في تفسيرهم للبرهان الذي رآه سيدنا يوسف عليه السلام :

قال الشوكاني : أنه "رأى شيئاً حال بينه وبين ما هم به"[3].

وقال القرطبي أن البرهان هو : "آية من آيات الله أراها الله يوسف عليه السلام حتى قوي وامتنع عن المعصية"[4].

وقال السعدي أن البرهان : "هو ما معه من العلم والإيمان الموجب لترك كل ما حرم الله ما أوجب له العبد الانكفاف عن هذه المعصية الكبيرة"[5].

وما تراه الباحثة أن سيدنا يوسف عليه السلام عاش لحظة إيمانية قوية جداً بعد هذا البرهان، حيث استعلت فيه الروح الإيمانية إلى ذروتها، فلم يعد هناك مجال للتفكير في الشهوة، فكانت له العصمة من الله عز وجل ليظل أنموذجاً يُضرب أمام الشباب المسلم إلى قيام الساعة، وليظل مثالاً يُحتذى، في العفة والحياء.

---

(1) الجامع لأحكام القرآن : للقرطبي، 168/9.

(2) روح المعاني : للألوسي، 404/6-405.

(3) فتح القدير : للشوكاني، 18/3.

(4) الجامع لأحكام القرآن : للقرطبي، 170/9.

(5) تيسير الكريم الرحمن : للشيخ السعدي، ص 274.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

ويصور سيد قطب لنا هذه اللحظات قائلاً : "الذي خطر لي أن قوله تعالى : ﴿**وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِ وَهَمَّ بِهَا لَوْلا أَن رَّأَى بُرْهَانَ رَبِّهِ**﴾ بعدما أبى يوسف في أول الأمر واستعصم .. وهو تصوير واقعي صادق لحالة النفس البشرية الصالحة في المقاومة والضعف، ثم الاعتصام بالله في النهاية والنجاة، ولكن السياق القرآني لم يفصل في تلك المشاعر البشرية المتداخلة المتغالبة، لأن المنهج القرآني لا يريد أن يجعل من هذه اللحظات معرضاً يستغرق أكثر من مساحته المناسبة في محيط القصة، وفي محيط الحياة البشرية المتكاملة، كذلك نذكر طرفي الموقف بين الاعتصام في أوله والاعتصام في نهايته مع الإلمام بلحظة الضعف بينهما، ليكتمل الصدق والواقعية والجو النظيف جميعاً، هذا ما خطر لنا ونحن نواجه النصوص، ونتصور الظروف وهو أقرب إلى الطبيعة البشرية وإلى العصمة النبوية، وما كان يوسف عليه السلام سوى بشر، نعم إنه بشر مختار ومن ثم لم يتجاوز همه الميل النفسي في لحظة من اللحظات، فلما رأى برهان ربه الذي نبض في ضميره وقلبه، بعد لحظة الضعف الطارئة، عاد إلى الاعتصام والتأبي"[1].

هكذا المؤمن التقي النقي ينجيه الله عز وجل من كل سوء، قال تعالى : ﴿**كَذَلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ السُّوءَ وَالْفَحْشَاء**﴾ (يوسف : 24)، وقد ذكر الله عز وجل سبب نجاة يوسف عليه السلام بقوله تعالى : ﴿**إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُخْلَصِينَ**﴾ (يوسف : 24). فقد كان يوسف عليه السلام مخلصاً في طاعة ربه، مُستخلصاً لرسالته[2].

ولقد مر سيدنا يوسف عليه السلام في امتحان صعب، ولكنه عليه السلام ما كان له إلا أن ينجح فيه كما نجح في الابتلاءات السابقة، فكان منه الصبر والتعفف عن الحرام عفة تامة، يقول عبد الرحمن الميداني : "ولما كانت عفة يوسف عليه السلام عفة مستوفية كل شروطها وأركانها، كانت من أعظم أمثلة العفة في تاريخ الإنسان، ففي يوسف الرجولة، والدافع القوي، وفي امرأة العزيز الإثارة بكل قواها، جمال ومنصب، وإغراء كامل، ودعوة ملتهبة، وخلوة تامة، وتهديد إن لم يستجب، ومع استيفاء كل هذه العوامل القوية تبرز فضيلة العفة في يوسف عليه السلام، فيضبط نفسه بصبر منقطع النظير، ويقاوم الدوافع والمغريات بإصرار وعزيمة قوية، ترفعاً عن الخيانة، وطلباً لمرضاة الله، وينتصر خلقه العظيم في معركة الدوافع والمغريات"[3].

وقد امتدح الله تعالى من تعرض لما تعرض له يوسف عليه السلام فامتنع خوفاً من الله تعالى فجعله من السبعة الذين يظلهم الله في ظله يوم القيامة وذلك كما ورد عن النبي ﷺ : [سبعة

---

(1) في ظلال القرآن : سيد قطب، 1982/4.

(2) انظر الجامع لأحكام القرآن : للقرطبي، 170/9.

(3) الأخلاق الإسلامية وأسسها : عبد الرحمن الميداني، 582/2.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

يظلهم في ظله يوم لا ظل إلا ظله : الإمام العادل، وشاب نشأ بعبادة الله، ورجل قلبه معلق في المساجد، ورجلان تحابا في الله، اجتمعا عليه وتفرقا عليه، ورجل دعته امرأة ذات منصب وجمال، فقال : إني أخاف الله ..][1].

هكذا هم أهل الإيمان والتقوى دائماً يستعلون على سفاسف الأمور وصغائرها حتى يكتب لهم الفوز في الدنيا والآخرة، قال تعالى: ﴿**إِنَّهُ مَن يَتَّقِ وَيِصْبِرْ فَإِنَّ اللّهَ لاَ يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ**﴾ (يوسف : 90)، وقال تعالى : ﴿**وَلَأَجْرُ الآخِرَةِ خَيْرٌ لِّلَّذِينَ آمَنُواْ وَكَانُواْ يَتَّقُونَ**﴾ (يوسف : 57)، وقال تعالى : ﴿**وَلَدَارُ الآخِرَةِ خَيْرٌ لِّلَّذِينَ اتَّقَواْ أَفَلاَ تَعْقِلُونَ**﴾ (يوسف : 109)، يقول ابن كثير في تفسير لهذه الآية : "أي وكما نجينا المؤمنين في الدنيا كذلك كتبنا لهم النجاة في الدار الآخرة وهي خير لهم من الدنيا بكثير"[2].

وحريّ بنا في هذا المقام أن نسرد قصة شاب اتخذ من سيدنا يوسف عليه السلام قدوة فاتقى الله وعف نفسه عن الحرام، فجزاه الله في الدنيا أن فاح منه المسك طوال حياته، بدل الرائحة الكريهة التي تحملها في سبيل إرضاء الله.

فقد روى ابن الجوزي رحمه الله قصة ذلك الشاب فقال : "إن أبا بكر المسكي رحمه الله قيل له إنا نشم منك رائحة المسك مع الدوام فما سببه ؟ قال : "والله لي سنين عديدة لم استعمل المسك ولكن سبب ذلك أن امرأة احتالت عليّ حتى أدخلتني دارها، وأغلقت دوني الأبواب، وروادتني عن نفسي، فتحيرت في أمري، فضاقت بي الحيل، فقلت لها : إن لي حاجة إلى الطهارة، فأمرت جارية لها أن تمضي بي إلى بيت الراحة – أي دورة المياه – ففعلت، فلما دخلت بيت الراحة أخذت العذرة – أي البراز – وألقيتها على جميع جسدي ثم رجعت إليها وأنا على تلك الحالة، فلما رأتني دُهشت، ثم أمرت بإخراجي، فمضيت، واغتسلت فلما كانت تلك الليلة رأيت في المنام قائلاً يقول : فعلت ما لم يفعله أحدٌ غيرك لأطيبن ريحك في الدنيا والآخرة وأصبحت والمسك يفوح مني، واستمر ذلك إلى الآن"[3].

لقد فعل المسكي ما فعله بنفسه حتى ينأى بنفسه عن الفاحشة، وحتى يُرضي الله عز وجل فكانت النتيجة مسك يلاحقه أينما ذهب وحل، وهو درس عظيم من دروس العفة والطهارة والتقوى والخوف من الله يتعلمه الشباب المسلم من سيدنا يوسف عليه السلام، ومن سار على نفس الخطا. قال

---

(1) صحيح مسلم، ص 370، كتاب الزكاة، باب فضل إخفاء الصدقة، حديث رقم (1031).

(2) تفسير القرآن العظيم : لابن كثير، 496/2.

(3) موسوعة الأخلاق الإسلامية : سعد الدين يوسف عزيز، 517/1، المكتبة التوقيفية، القاهرة، مصر، بدون طبعة أو تاريخ.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

تعالى: ﴿**وَمَن يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَل لَّهُ مَخْرَجًا * وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ إِنَّ اللَّهَ بَالِغُ أَمْرِهِ قَدْ جَعَلَ اللَّهُ لِكُلِّ شَيْءٍ قَدْرًا**﴾ (الطلاق: 2-3)، وقال تعالى : ﴿**وَمَن يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَل لَّهُ مِنْ أَمْرِهِ يُسْرًا**﴾ (الطلاق : 4).

المطلب الثالث : أجر المتقين :

إن الله عز وجل ذكر في القرآن الكريم ما أعد للمتقين من أجر عظيم عنده سبحانه، ولا تكاد تخلو سورة من سور القرآن عن الحديث عن المتقين وأجرهم، فيا له من فضل، ومنة على عباد الله الصالحين المتقين ولقد ورد في سورة يوسف قوله تعالى : ﴿**وَلَأَجْرُ الآخِرَةِ خَيْرٌ لِّلَّذِينَ آمَنُواْ وَكَانُواْ يَتَّقُونَ**﴾ (يوسف : 57)، فالله عز وجل يخبر بأن ما ادخره لسيدنا يوسف عليه السلام في الدار الآخرة أعظم وأفضل وأكثر مما خوله من التصرف والنفوذ في الدنيا[1].

وهو شبيه من قوله تعالى لسيدنا سليمان عليه السلام ﴿**هَذَا عَطَاؤُنَا فَامْنُنْ أَوْ أَمْسِكْ بِغَيْرِ حِسَابٍ* وَإِنَّ لَهُ عِندَنَا لَزُلْفَى وَحُسْنَ مَآبٍ**﴾ (ص : 39-40).

فللمتقين من الأجر ما يميزهم عن غيرهم عند الله تعالى وذلك في عدة أمور :

1- عند الوفاة :

يقول الله تعالى : ﴿**وَقِيلَ لِلَّذِينَ اتَّقَوْاْ مَاذَا أَنزَلَ رَبُّكُمْ قَالُواْ خَيْرًا لِّلَّذِينَ أَحْسَنُواْ فِي هَـذِهِ الدُّنْيَا حَسَنَةٌ وَلَدَارُ الآخِرَةِ خَيْرٌ وَلَنِعْمَ دَارُ الْمُتَّقِينَ * جَنَّاتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ لَهُمْ فِيهَا مَا يَشَآؤُونَ كَذَلِكَ يَجْزِي اللّهُ الْمُتَّقِينَ * الَّذِينَ تَتَوَفَّاهُمُ الْمَلآئِكَةُ طَيِّبِينَ يَقُولُونَ سَلاَمٌ عَلَيْكُمُ ادْخُلُواْ الْجَنَّةَ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ**﴾ (النحل : 30-32).

فالله عز وجل يبشر المتقين عند احتضارهم بأحسن البشرى وهي الجنة وذلك حتى تطمئن نفوسهم إلى صدق وعد الله لهم.

يقول ابن كثير رحمه الله : "أخبر تعالى عن حالهم عند الاحتضار أنهم طيبون أي مخلصون من الشرك والدنس وكل سوء، وأن الملائكة تُسلم عليهم وتبشرهم بالجنة"[2]. وهم بذلك يستحقون البشارة لأنهم أخلصوا عملهم لله عز وجل.

---

(1) انظر تفسير القرآن العظيم : لابن كثير، 482/2.

(2) المصدر السابق، 568/2.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

2- أنهم لا يفزعون – يوم يفزع الناس – يوم القيامة ولكن لهم البشرى في الدنيا والآخرة :

فإن الله عز وجل يؤمنهم عند المحشر فلا يفزعون كما يفزع غيرهم، بل يكونوا مطمئنين لا يصيبهم حزن أو خوف، قال تعالى : ﴿**أَلا إِنَّ أَوْلِيَاء اللّهِ لاَ خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلاَ هُمْ يَحْزَنُونَ * الَّذِينَ آمَنُواْ وَكَانُواْ يَتَّقُونَ * لَهُمُ الْبُشْرَى فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الآخِرَةِ لاَ تَبْدِيلَ لِكَلِمَاتِ اللّهِ ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ**﴾ (يونس : 62-64).

فالتقي لا يخاف ولا يحزن بل يطمئن قلبه بوعد الله له بالجنة.

3- أنهم يُحشرون حشر تكريم :

فالله عز وجل يكرم المتقين عند الحشر لأنهم أهل لذلك التكريم. قال تعالى : ﴿**يَوْمَ نَحْشُرُ الْمُتَّقِينَ إِلَى الرَّحْمَنِ وَفْدًا**﴾ (مريم : 85).

يقول ابن كثير رحمه الله في تفسيره لهذه الآية : "يخبر تعالى عن أوليائه المتقين الذين خافوه في الدار الدنيا واتبعوا رسله وصدقوهم فيما أخبروهم وأطاعوهم فيما أمروهم، وانتهوا عما زجروهم أنه يحشرهم يوم القيامة وفداً إليه والوفد هم القائمون ركباناً ومنه الوفود وركوبهم على نجائب من نور من مراكب الدار الآخرة وهم قادمون على خير موفود إليه إلى دار كرامته ورضوانه"[1].

4- المتقون ينجيهم الله عند الورود على الصراط :

قال تعالى : ﴿**وَإِن مِّنكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا كَانَ عَلَى رَبِّكَ حَتْمًا مَّقْضِيًّا *ثُمَّ نُنَجِّي الَّذِينَ اتَّقَواْ وَّنَذَرُ الظَّالِمِينَ فِيهَا جِثِيًّا**﴾ (مريم: 71-72).

فالله عز وجل ينجي المتقين حين تزل الأقدام على الصراط فإنه "إذا مر الخلائق كلهم على النار وسقط من سقط من الكفار والعصاة ذوي المعاصي بحسبهم نجى الله تعالى المؤمنين المتقين منها بحسب أعمالهم، فجوازهم الصراط، وسرعتهم بقدر أعمالهم التي كانت في الدنيا"[2]، "فمنهم من يمر كلمح البصر، وكالريح، وكأجاويد الخيل، وكأجاويد الركاب، ومنهم من يسعى، ومنهم من يمشي مشياً، ومنهم من يزحف زحفاً، ومنهم من يخطف فيلقى في النار كل بحسب تقواه"[3].

---

(1) تفسير القرآن العظيم : لابن كثير، 137/3؛ وانظر صفوة التفاسير بعد تجريده من البيان للشيخ محمد الصابوني : جرده الشيخ عبد الله الأنصاري، 134/2.

(2) تفسير القرآن العظيم : لابن كثير، 133/3.

(3) تيسير الكريم الرحمن : للشيخ السعدي، ص 353.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

5- أن المتقين تُقرب لهم الجنة ويساقون إليها زمراً، وتستقبلهم الملائكة عند أبواب الجنة التي تفتح خصيصاً لهم :

وذلك في قوله تعالى : ﴿**وَأُزْلِفَتِ الْجَنَّةُ لِلْمُتَّقِينَ**﴾ (الشعراء : 90)، أي قُربت إليهم بحيث يرون نعيمها[1].

وقال تعالى : ﴿**وَسِيقَ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ إِلَى الْجَنَّةِ زُمَرًا حَتَّى إِذَا جَاؤُوهَا وَفُتِحَتْ أَبْوَابُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا سَلَامٌ عَلَيْكُمْ طِبْتُمْ فَادْخُلُوهَا خَالِدِينَ**﴾ (الزمر : 73).

"وهذا إخبار عن حال السعداء المؤمنين حين يساقون على النجائب وفدا إلى الجنة (زمراً) : أي جماعة بعد جماعة : المقربون ثم الأبرار ثم الذين يلونهم كل طائفة مع ما يناسبهم : الأنبياء مع الأنبياء والصديقون مع أشكالهم، والشهداء مع أضرابهم، والعلماء مع أقرانهم، وكل صنف مع صنف،كل زمرة تناسب بعضها بعضاً. (حتى إذا جاؤوها) أي وصلوا على أبواب الجنة بعد مجاوزة الصراط، حُبسوا على قنطرة بين الجنة والنار، فاقتص لهم مظالم بينهم في الدنيا، حتى إذا هُذبوا ونقوا أذن لهم في دخول الجنة"[2]. وتستقبلهم الملائكة استقبالاً طيباً لائقاً بهم، وتُثني عليهم الثناء الحسن، وذلك لأنهم كانوا طيبين فما يكون لهم إلا كل طيب، كذلك تطمئنهم الملائكة بالخلود في الجنة[3].

وبعد اطمئنانهم واستقرارهم التام في نعيم الجنة تبدأ ألسنتهم تلهج بالحمد والشكر لله، لأنه تعالى صدقهم ما وعدهم به، قال تعالى : ﴿**وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي صَدَقَنَا وَعْدَهُ وَأَوْرَثَنَا الْأَرْضَ نَتَبَوَّأُ مِنَ الْجَنَّةِ حَيْثُ نَشَاءُ فَنِعْمَ أَجْرُ الْعَامِلِينَ**﴾ (الزمر : 74).

والأرض معناها هنا هي أرض الجنة ينزل بها المتقون في أي مكان أرادوا ويتناولون أي نعيم شاءوا فلا يوجد شيء ممنوع عنهم، لأنهم اجتهدوا في الدنيا بطاعة ربهم، فنالوا خيراً عظيماً باقياً مستمراً[4].

6- أن المتقين في الجنة خالدون فيها يتنعمون بأنهارها وعيونها وشرابها وأشجارها وثمارها ومساكنها وملابسها، وزوجاتهم من الحور العين :

أ- جنة الخلد : قال تعالى : ﴿**قُلْ أَذَلِكَ خَيْرٌ أَمْ جَنَّةُ الْخُلْدِ الَّتِي وُعِدَ الْمُتَّقُونَ كَانَتْ لَهُمْ جَزَاءً وَمَصِيرًا* لَهُمْ فِيهَا مَا يَشَاؤُونَ خَالِدِينَ كَانَ عَلَى رَبِّكَ وَعْدًا مَسْؤُولًا**﴾ (الفرقان : 15-16).

---

(1) انظر قرآن كريم تفسير وبيان : د. محمد الحمصي، ص 371.

(2) تفسير القرآن العظيم : لابن كثير، 65/4.

(3) انظر في ظلال القرآن : سيد قطب، 2063/5.

(4) انظر تيسير الكريم الرحمن : للشيخ السعدي، ص 535.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

في هاتين الآيتين يوجه كلامه تعالى إلى نبيه العظيم محمد ﷺ فيقول له : هل حال الأشقياء الذين يحشرون إلى جهنم على وجوههم، فتتلقاهم وهي تميز من الغيظ ولا يستطيعون الفكاك منها، لأنهم حينذاك يكونون مقرنين في الأصفاد، هل هذا خير أم حال المتقين في جنة الخلد التي أعدها وزينها لهم وجعلها جزاءً ومصيراً لأنهم أطاعوه في الدنيا، فلهم ما لذ وطاب من أنواع المآكل والمشارب والمساكن والمراكب والمناظر مما لا عين رأت قبل ذلك ولا سمعت به أذن، ولا خطر على قلب أي أحد، وهم في نعيمهم خالدون خلوداً سرمدياً بلا أدنى انقطاع أو زوال وهذا كله ما وعدهم الله به من قبل[1].

وقد جمع الله تعالى بين الجزاء والمصير في نفس الآية زيادة في تنعيم أهل الجنة، وحتى ترتاح نفوسهم بما سيئول إليه مصيرهم من نعيم لا ينفذ ولا ينقطع، وقد جاء ذكر اسم هذه الجنة في آية أخرى بأن اسمها جنة عدن، وذلك في قوله تعالى : ﴿**وَإِنَّ لِلْمُتَّقِينَ لَحُسْنَ مَآبٍ * جَنَّاتِ عَدْنٍ مُّفَتَّحَةً لَّهُمُ الْأَبْوَابُ**﴾ (ص : 49-50)[2]. وقد ورد عن النبي ﷺ قوله : [من يدخل الجنة ينعم لا يبأس، لا تبلى ثيابه ولا يفنى شبابه][3].

ب- أما أنهار الجنة: فالله عز وجل يقول : ﴿**لَكِنِ الَّذِينَ اتَّقَوْاْ رَبَّهُمْ لَهُمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا نُزُلاً مِّنْ عِندِ اللّهِ وَمَا عِندَ اللّهِ خَيْرٌ لِّلأَبْرَارِ**﴾ (آل عمران: 198). والتعبير بلام الاختصاص في "لهم" يوحي بملكية المتقين لهذه الجنات[4].

يقول الشيخ السعدي في تفسيره لهذه الآية : "وأما المتقون لربهم، المؤمنون به فمع ما يحصل لهم من عز الدنيا ونعيمها (لهم جنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها) فلو قدر أنهم في دار الدنيا قد حصل لهم كل بؤس وشدة وعناد ومشقة لكان هذا بالنسبة إلى النعيم المقيم، والعيش السليم، والسرور والحبور والبهجة لكان هذا نزراً يسراً، ومنحة في صورة محنة، ولهذا قال (وما عند الله خير للأبرار) وهم الذين برّت قلوبهم، فبرّت أقوالهم وأفعالهم، فأثابهم البَرّ الرحيم من بره أجراً عظيماً، وعطاءً جسيماً، وفوزاً دائماً"[5].

ولقد فصل الله عز وجل أنواع الأنهار في قوله تعالى: ﴿**مَّثَلُ الْجَنَّةِ الَّتِي وُعِدَ الْمُتَّقُونَ فِيهَا أَنْهَارٌ مِّن مَّاء غَيْرِ آسِنٍ وَأَنْهَارٌ مِن لَّبَنٍ لَّمْ يَتَغَيَّرْ طَعْمُهُ وَأَنْهَارٌ مِّنْ خَمْرٍ لَّذَّةٍ لِّلشَّارِبِينَ وَأَنْهَارٌ مِّنْ عَسَلٍ مُّصَفًّى**﴾ (محمد : 15)، ومثل الجنة يعني صفتها العجيبة"[6].

---

(1) انظر تفسير القرآن العظيم : لابن كثير، 311/3.

(2) انظر حقيقة التقوى وطرق الوصول إليها : محمود الأطرش، ص 271.

(3) صحيح مسلم، 1090، كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها، باب في دوام نعيم أهل الجنة، حديث رقم (2836).

(4) انظر حقيقة التقوى وطرق الوصول إليها : محمود الأطرش، ص 271.

(5) تيسير الكريم الرحمن : للشيخ السعدي، ص 89-90.

(6) قرآن كريم تفسير وبيان : د. محمد الحمصي، ص 508.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

وقد ذكر الله تعالى مكان جريان الأنهار فقال تعالى : ﴿**لَكِنِ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ لَهُمْ غُرَفٌ مِّن فَوْقِهَا غُرَفٌ مَّبْنِيَّةٌ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ**﴾ (الزمر : 20)، فالأنهار تجري من تحت غرف المتقين.

ولقد أورد الرسول ﷺ أسماء لأنهار في الجنة وذلك فيما ورد [عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : سيحان وجيحان والفرات والنيل : كل من أنهار الجنة][1]، وهي تتشابه من ناحية الأسماء لأنهار الدنيا، ولكن لا يعلم كيفيتها إلا الله عز وجل.

ج- عيون الجنة التي يُسقى منها المتقون : فقد جاء ذكرها في قوله تعالى : ﴿**إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ**﴾ (الحجر: 45)، وقوله تعالى : ﴿**إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي ظِلَالٍ وَعُيُونٍ**﴾ (المرسلات: 41)، وقوله تعالى : ﴿**إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي مَقَامٍ أَمِينٍ * فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ**﴾ (الدخان : 51-52).

فالله عز وجل مرة يقرن العيون بالجنات، ومرة يقرنها بالظلال و"الظلال عادة تكون في الجنات، ففي الأولى – اقتران العيون بالجنات – وصف عام يصور تخلل العيون بين تلك الأشجار وفي الثانية – اقتران العيون بالظلال – وصف خاص يصور نبع العيون من بين تلك الأغصان التي تدلت من الأشجار حتى كان النبع يخرج من بين تلك الأغصان المتدلية كما في قوله تعالى : ﴿**وَدَانِيَةً عَلَيْهِمْ ظِلَالُهَا**﴾ (الإنسان : 14)"[2].

د- أشجار الجنة وثمارها وشرابها: قال تعالى: ﴿**إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ مَفَازًا* حَدَائِقَ وَأَعْنَابًا**﴾ (النبأ: 31-32).

يقول ابن كثير رحمه الله في تفسيره لهذه الآيات : "يقول تعالى مخبراً عن السعداء وما أعد لهم من الكرامة والنعيم المقيم فقال تعالى : (إن للمتقين مفازاً) قال ابن عباس والضحاك: متنزهاً، وقال مجاهد وقتادة : فازوا فنجوا من النار، والأظهر قول ابن عباس: لأنه بعد (حدائق) والحدائق البساتين من النخيل وغيرها"[3]. فمجيء (حدائق) بعد (مفازاً) يكون مناسب لمعنى متنزهاً، لأن الحدائق هي مكان النزهة.

يقول سيد قطب رحمه الله في قوله تعالى : ﴿**حَدَائِقَ وَأَعْنَابًا**﴾ (النبأ: 32) ويخص الأعناب بالذكر والتعيين لأنها مما يعرفه المخاطبون"[4].

---

(1) صحيح مسلم، ص 1091، كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها، باب ما في الدنيا من أنهار الجنة، حديث رقم (2839).

(2) حقيقة التقوى وطرق الوصول إليها : محمود الأطرش، ص 274.

(3) تفسير القرآن العظيم : لابن كثير، 4/464-465.

(4) في ظلال القرآن : سيد قطب، 6/3808.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

هـ- دوام الطعام والنعيم : يبين الله تعالى بأن مما أعد للمتقين طعام دائم، وظل دائم أيضاً لا ينقطعان أبداً، لأن الجنة فيها الخلود الدائم لكل شيء، قال تعالى : ﴿**مَّثَلُ الْجَنَّةِ الَّتِي وُعِدَ الْمُتَّقُونَ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ أُكُلُهَا دَآئِمٌ وِظِلُّهَا**﴾ (الرعد : 35).

يقول الشيخ السعدي في تفسيره لقوله تعالى : (تجري من تحتها الأنهار) أي "أنهار العسل وأنهار الخمر وأنهار اللبن وأنهار الماء التي تجري في غير أخدود، فتسقي تلك البساتين والأشجار فتحمل جميع أنواع الثمار"[1].

ويصف لنا رسول الله ﷺ شجر الجنة بما ورد [عن أبي سعيد رضي الله عنه عن النبيﷺ: "إن في الجنة شجرة يسير الراكب الجواد والمضمر السريع مائة عام وما يقطعها][2].

وهذه الأشجار تحمل من جميع أنواع الثمار لقوله تعالى : ﴿**وَلَهُمْ فِيهَا مِن كُلِّ الثَّمَرَاتِ**﴾ (محمد : 15)، وكذلك الطعام الذي يتنعم به المتقون فهو دائم لا ينقطع أبداً، قال تعالى : ﴿**وَلَهُمْ رِزْقُهُمْ فِيهَا بُكْرَةً وَعَشِيًّا**﴾ (مريم: 62)، وهذا الطعام فيه الهناءة والسرور، قال تعالى: ﴿**كُلُوا وَاشْرَبُوا هَنِيئًا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ**﴾ (الطور : 19).

وأما الشراب فيقول تعالى فيه : ﴿**وَكَأْسًا دِهَاقًا**﴾ (النبأ : 34)، فالتقي يشرب في الجنة من كأس مملوءة بالشراب ومتتابعة من كثرتها[3].

يقول سيد قطب رحمه الله عن النعيم الذي يتنعم به السعداء من أهل التقوى أنها "مناعم ظاهرها حسي، لتقريبها للتصور البشري، أما حقيقة مذاقها والمتاع بها فلا يدركها أهل الأرض، وهم مقيدون بمدارك الأرض وتصوراتها"[4].

أي أنه مهما تصور الإنسان حقيقة ما يتلذذ به المؤمن التقي في الجنة، فإنه لا يستطيع إدراك ذلك إلا بعد أن يدخل الجنة ويشعر بذاك النعيم المقيم، فقد ورد [عن أبي هريرة، عن النبي ﷺ : قال : قال الله عز وجل : أعددت لعبادي الصالحين ما لا عين رأت، ولا أذن سمعت، ولا خطر على قلب بشر، مصداق ذلك في كتاب الله ﴿**فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّا أُخْفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَاء بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ**﴾ (السجدة : 17)][5].

و- وأما الفاكهة : فهي من كل الأنواع التي يشتهونها ويحبونها قال تعالى : ﴿**إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي ظِلَالٍ وَعُيُونٍ * وَفَوَاكِهَ مِمَّا يَشْتَهُونَ**﴾ (المرسلات : 42-44)، وقال تعالى : ﴿**يَدْعُونَ فِيهَا**

---

(1) تيسير الكريم الرحمن : للشيخ السعدي، ص 292.

(2) صحيح البخاري، 1304/4، كتاب الرقاق، باب صفة الجنة والنار، حديث رقم (6553).

(3) انظر تفسير القرآن العظيم : لابن كثير، 465/4.

(4) في ظلال القرآن : لسيد قطب، 3808/6.

(5) صحيح مسلم، ص 1087، كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها، حديث رقم (2824).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

بِكُلِّ فَاكِهَةٍ آمِنِينَ﴾ (الدخان : 55) "أي أنه مهما طلبوا من أنواع الثمار المختلفة المتنوعة أُحضر لهم ذلك وهم آمنون من انقطاعها أو امتناعها بل تُقدم لهم كلما أرادوا"[1]. وهذه الفاكهة كثيرة ومتوفرة دائماً، قال تعالى: ﴿**يَدْعُونَ فِيهَا بِفَاكِهَةٍ كَثِيرَةٍ وَشَرَابٍ﴾** (ص: 51).

ز- مساكن المتقين : فهي غرف بعضها فوق بعض قال تعالى : ﴿**لَهُمْ غُرَفٌ مِّن فَوْقِهَا غُرَفٌ مَّبْنِيَّةٌ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ وَعْدَ اللَّهِ لَا يُخْلِفُ اللَّهُ الْمِيعَادَ﴾** (الزمر : 20).

أما بناؤها فهي مبنية من الذهب والفضة وملاطها من المسك الأذفر[2]، وتتدفق الأنهار فتسقي البساتين الزاهرة، والأشجار الطاهرة فتنبت من جميع أنواع الثمار اللذيذة والفاكهة النضيجة.

وهذا كله وأكثر منه ما وُعد المتقون، فلا بد من الوفاء بهذا الوعد، ولكن عليهم قبل ذلك أن يوفوا بخصال التقوى ليوفيهم أجورهم بأحسن ما كانوا يعملون[3].

والرسول ﷺ يوضح لنا كيفية هذه الغرف وذلك بما ورد [عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : إن أهل الجنة ليتراءون أهل الغرف من فوقهم، كما تتراءون الكوكب الدري الغابر من الأفق من المشرق والمغرب لتفاضل بينهم، قالوا : يا رسول الله، تلك منازل الأنبياء لا يبلغها غيرهم. قال : بلى والذي نفسي بيده رجال آمنوا بالله وصدقوا المرسلين][4]. وغرف المتقين فيها كل أنواع الراحة، فالله تعالى يذكر أن لهم سرر مصفوفة، والمؤمن التقي يتكئ عليها، قال تعالى : ﴿**مُتَّكِئِينَ عَلَى سُرُرٍ مَّصْفُوفَةٍ﴾** (الطور : 20) أي "منسقة يجدون فيها لذة التجمع بإخوانهم في هذا النعيم"[5].

ح- ملابس المتقين : فهي تكون من السندس والإستبرق، قال تعالى : ﴿**يَلْبَسُونَ مِن سُندُسٍ وَإِسْتَبْرَقٍ مُّتَقَابِلِينَ﴾** (الدخان : 53).

والسندس هو الحرير الرقيق و(الإستبرق) ما يزينه من بريق ولمعان كالرياش وما يكون على أعالي اللباس، ويكون الأتقياء متقابلين على السرر، لا يجلس أحد منهم وظهره في وجه غيره[6]، وهذا دليل على الأدب الجم الذي يتخلق به المتقون حتى وهم في الجنة.

---

(1) انظر تفسير القرآن العظيم : لابن كثير، 146/4.

(2) الأذفر : ذو الرائحة الزكية الطيبة. (انظر مختار الصحاح : محمد الرازي، ص 222، باب الذال).

(3) انظر تيسير الكريم الرحمن : للشيخ السعدي، ص 518.

(4) صحيح مسلم، ص 1088، كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها، باب ترائي أهل الجنة أهل الغرف كما يُرى الكوكب في السماء، حديث رقم (2831).

(5) في ظلال القرآن : سيد قطب، 3396/6.

(6) انظر تفسير القرآن العظيم : لابن كثير، 146/4.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

ط- أما زوجات المتقين : فإن الله عز وجل يزوجهم من الحور العين، قال تعالى : ﴿**وَزَوَّجْنَاهُم بِحُورٍ عِينٍ**﴾ (الطور : 20)، وهن جُعلن قرينات صالحات للمتقين، وزوجات حِسان وهن بيض واسعات العيون فهن غاية في الحُسن والجمال بتلك الأوصاف[1]، ويصاحب هذا الجمال الفائق جمال الأخلاق، قال تعالى : ﴿**وَعِندَهُمْ قَاصِرَاتُ الطَّرْفِ أَتْرَابٌ**﴾ (ص : 52) فهن لا يلتفتن إلى غير أزواجهن وهن ذوات سن وعمر متساوي[2] "ومن عادة الأتراب أن يكن متآلفات، متعاشرات وذلك السن الذي هن فيه ثلاث وثلاثون سنة أعدل ما يكون من الشباب"[3].

وقد بين الله تعالى أنهن (كواعب) وذلك في قوله تعالى: "**وَكَوَاعِبَ أَتْرَابًا**" (النبأ : 33)، والكواعب : "النواهد اللاتي لم ينكسر ثديهن من شبابهن وقوتهن ونضارتهن"[4].

أن النعيم كما يكون للجسد يكون للنفس والروح :

أ- أن الله ينزع الغل من صدور المتقين في الجنة، وذلك لكي تكون راحتهم تامة كاملة لا يُكدرها أدنى شيء. قال تعالى : ﴿**إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ * ادْخُلُوهَا بِسَلَامٍ آمِنِينَ* وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِم مِّنْ غِلٍّ إِخْوَانًا عَلَى سُرُرٍ مُّتَقَابِلِينَ**﴾ (الحجر : 45-47). فالله عز وجل أزال كل ما في قلوب أهل الجنة من الحقد والحسد والبغضاء. وهم يتزاورون ويجتمعون في حسن أدب فيما بينهم، في كون كل واحد مقابلاً لأخيه المؤمن، متكئين جميعهم على السرر المزينة باللؤلؤ وأنواع الجواهر[5].

يقول سيد قطب رحمه الله عند تفسيره لهذه الآية : أنه "يُنزع أصل الإحساس بالغل من صدورهم، ولا تكون إلا الأخوة الصافية الودود، إنها درجة أهل الجنة فمن وجدها في نفسه غالبة في هذه الأرض فيستبشر بأنه من أهلها، ما دام ذلك وهو مؤمن، فهذا هو الشرط الذي لا يقوم بغيره الأعمال"[6]، فالمؤمن التقي في الدنيا يحاول دائماً أن يجعل قلبه نقياً طاهراً من أي حقد أو حسد أو بغضاء، وخاصة لإخوانه من المؤمنين حتى يعيش سعيداً في الدنيا وفي الآخرة، ويبشرنا الرسول ﷺ في الحديث الذي ورد [عن همام بن منبه قال : هذا ما حدثنا أبو هريرة، عن رسول الله ﷺ فذكر أحاديث منها، وقال رسول الله ﷺ : "أول زمرة تلج الجنة، صورهم على صورة القمر ليلة البدر، لا يبصقون فيها ولا يمتخطون، ولا يتغوطون فيها،

---

(1) انظر صفوة التفاسير : محمد الصابوني، 264/3، دار الصابوني للطباعة والنشر والتوزيع، الطبعة التاسعة، دون تاريخ.

(2) انظر تفسير القرآن العظيم : لابن كثير، 41/4.

(3) تيسير الكريم الرحمن : للشيخ السعدي، ص 664.

(4) المصدر السابق، ص 664؛ وانظر حقيقة التقوى وطرق الوصول إليها : محمود الأطرش، ص 282.

(5) انظر تسير الكريم الرحمن : للشيخ السعدي، ص 302؛ وانظر صفوة التفاسير : للصابوني، 112/2.

(6) في ظلال القرآن : سيد قطب، 2145/4.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

آنيتهم وأمشاطهم من الذهب والفضة، ومجامرهم من الأَلُوَّة[1]، ورشحهم المسك، ولكل واحد منهم زوجتان، يُرى مخ ساقها من وراء اللحم من الحُسن، لا اختلاف بينهم ولا تباغض، قلوبهم قلب واحد، يسبحون الله بكرة وعشياً][2].

ب- أنهم لا يصيبهم أي تعب أو مشقة : قال تعالى : ﴿**لَا يَمَسُّهُمْ فِيهَا نَصَبٌ وَمَا هُم مِّنْهَا بِمُخْرَجِينَ**﴾ (الحجر : 48)، والمتقون مع محبتهم لبعضهم البعض، لا يتعبون في الجنة ولا يمسهم الإعياء لا ظاهراً ولا باطناً كما كان يحدث لهم في الدنيا، فالأمر مختلف تماماً في دار الخلود، حيث ينشأهم الله نشأة تتناسب مع الجنة وكونها دار مقر[3].
ويوضح لنا الرسول ﷺ ذلك في الحديث الذي ورد [عن أبي سعيد الخدري وأبي هريرة، عن النبي ﷺ قال : ينادٍ مناد إن لكم أن تصحوا فلا تسقموا أبداً، وإن لكم أن تحيوا فلا تموتوا أبداً، وإن لكم أن تشبوا فلا تهرموا أبداً، وإن لكم أن تنعموا فلا تبأسوا أبداً، فذلك قوله عز وجل: ﴿**وَنُودُوا أَن تِلْكُمُ الْجَنَّةُ أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ**﴾ (الأعراف: 43)][4].

ج- أنهم لا يسمعون في الجنة أي كلام باطل يكدر معيشتهم ويُذهب بصفاء قلوبهم : قال تعالى: ﴿**لَّا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا وَلَا كِذَّابًا**﴾ (النبأ : 35)، أي "ليس فيها كلام لاغٍ عارٍ عن الفائدة ولا إثم كذب، بل هي دار السلام وكل ما فيها سالم من النقص"[5]، وقال تعالى : ﴿**لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا وَلَا تَأْثِيمًا * إِلَّا قِيلًا سَلَامًا سَلَامًا**﴾ (الواقعة : 25-26).
والسلام تحية أهل الجنة ويلقيها عليهم الملائكة، قال تعالى : ﴿**دَعْوَاهُمْ فِيهَا سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ وَتَحِيَّتُهُمْ فِيهَا سَلَامٌ**﴾ (يونس: 10)، وقال تعالى: ﴿**وَيُلَقَّوْنَ فِيهَا تَحِيَّةً وَسَلَامًا**﴾ (الفرقان : 75)، وهذا كله من باب التكريم للمؤمن التقي في الجنة حيث إنهم كانوا ﴿**إِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَامًا**﴾ (الفرقان : 63)، وكأن هذه التحية وذلك الاستقبال جزاء لهم على صبرهم على الجاهلين، فالجزاء من جنس العمل، فقد أعرضوا عن التفاهات، فأكرمهم الله بالتحيات والسلامات من ملائكة رب الأرض والسماوات.

د- أنهم يكونون في مقام أمين عند ربهم : حيث يقول تعالى : ﴿**إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي مَقَامٍ أَمِينٍ**﴾ (الدخان : 51)، فالذي اتقى الله في الدنيا يجعله الله في الجنة آمناً من الموت والهم والحزن والتعب والشيطان وكيده، وجميع الآفات والمصائب[6].

---

(1) الأَلُوَّة : العود الهندي (صحيح مسلم بشرح النووي : للإمام محيي الدين النووي، 154/17، خرج أحاديثه : محمد عبد الحليم، مكتبة الصفا، الطبعة الأولى، 1424هـ-2003م).
(2) صحيح مسلم، ص 1090، كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها، باب في صفات الجنة وأهلها، حديث رقم (2834).
(3) انظر قرآن كريم تفسير وبيان : د. محمد الحمصي، ص 264؛ وانظر تيسير الكريم الرحمن : للشيخ السعدي، ص 302.
(4) صحيح مسلم، ص 1091، كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها، باب في دوام نعيم أهل الجنة، حديث رقم (2837).
(5) تفسير القرآن العظيم : لابن كثير، 465/4.
(6) انظر تفسير القرآن العظيم، 146/4.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

وكأن المؤمن التقي وهو في الجنة مُؤَمَن من كل ما يضره أو يعكر عليه صفو حياته فهو في راحة تامة وطمأنينة وسعادة لا تنتهي، لأنه عند ربه الكريم الوهاب.

قال تعالى: ﴿**إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَنَهَرٍ * فِي مَقْعَدِ صِدْقٍ عِندَ مَلِيكٍ مُّقْتَدِرٍ**﴾ (القمر: 54-55).

يقول ابن كثير في تفسيره لهذه الآية : في "مقعد صدق" أي في دار كرامة الله ورضوانه، وفضله وامتنانه وجوده وإحسانه (عند مليك مقتدر) أي عند الملك العظيم الخالق للأشياء ومقدرها، وهو مقتدر على ما يشاء مما يطلبون ويريدون"[1].

إذن هم عند الكريم الذي لا تنقضي خزائنه، وعند الرحيم الذي يرحمهم، وعند الرؤوف الذي يرأف بحالهم، فهم في أعظم مكان تكريماً ومنة من الله الكريم المنان.

هـ- أن الله يُحل عليهم رضوانه فلا يسخط عليهم أبداً: وهذا هو غاية الإكرام من الله عز وجل، قال تعالى: ﴿**قُلْ أَؤُنَبِّئُكُم بِخَيْرٍ مِّن ذَلِكُمْ لِلَّذِينَ اتَّقَوْا عِندَ رَبِّهِمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَأَزْوَاجٌ مُّطَهَّرَةٌ وَرِضْوَانٌ مِّنَ اللّهِ وَاللّهُ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ**﴾ (آل عمران: 15).

والرضوان: هو المصدر من الرضا[2].

وقال تعالى: ﴿**وَعَدَ اللّهُ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَمَسَاكِنَ طَيِّبَةً فِي جَنَّاتِ عَدْنٍ وَرِضْوَانٌ مِّنَ اللّهِ أَكْبَرُ ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ**﴾ (التوبة: 72).

"ورضوان من الله أكبر" أي أن الله يُحل رضاه على أهل الجنة، وهذا الرضا أفضل من أي نعيم في الجنة، لأن نعيمهم لا يكتمل ولا يطيب إلا برؤية الله عز وجل وإحلال الرضوان عليهم وهذا الذي سعى إليه المحبون[3].

ونبينا عليه الصلاة والسلام يوضح لنا ما يقوله الله تعالى لعباده المتقين في الجنة، وذلك فيما ورد [عن أبي سعيد الخدري أن النبي ﷺ قال: إن الله يقول لأهل الجنة يا أهل الجنة، فيقولون: لبيك الله وسعديك، والخير في يديك، فيقول: هل رضيتم؟ فيقولون: وما لنا لا نرضى يا رب، وقد أعطينا ما لم يعط أحداً من خلقك فيقول : ألا أعطيكم أفضل من ذلك؟ فيقولون : يا رب، وأي شيء أفضل من ذلك ؟ فيقول : أحل عليكم رضواني فلا أسخط عليكم بعده أبداً][4].

هذا الذي ذُكر من نعيم الجنة ما هو إلا نذرٌ يسير مما لا يعلمه إلا الله عز وجل، فليشمر المشمرون لينالوا عز الدين وجنان الآخرة.

---

(1)انظر تفسير القرآن العظيم، 269/4؛ وانظر صفوة التفاسير : للصابوني، 291/3.

(2) انظر الجامع لأحكام القرآن : للقرطبي، 38/4.

(3) انظر تيسير الكريم الرحمن : للشيخ السعدي، ص 233.

(4) صحيح مسلم، ص 1088، كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها، باب إحلال الرضوان على أهل الجنة فلا يسخط عليهم أبداً، حديث رقم (2829).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

المبحث الثالث

دور العقيدة في تحقيق الإحسان في شخصية سيدنا يوسف عليه السلام

المطلب الأول : الإحسان – حقيقته – صفات المحسنين – مجالات الإحسان.

المطلب الثاني : إحسان سيدنا يوسف عليه السلام.

المطلب الثالث : جزاء الإحسان.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

المبحث الثالث

دور العقيدة في تحقيق الإحسان في شخصية سيدنا يوسف عليه السلام

المطلب الأول : الإحسان – حقيقته – صفات المحسنين – مجالات الإحسان :

أولاً : تعريف الإحسان :

أ- لغة :

الحُسْن : معناه الجمال وهو ضد القبح، وتجمع على محاسن، وأحاسن القوم حِسانهم، والحسنى : ضد السوأى، والعاقبة الحسنة النظر إلى الله عز وجل والظفر والشهادة ومنه إحدى الحسنيين.

والإحسان : ضد الإساءة، والحسنة : ضد السيئة.

ويُحسِّن الشيء إحساناً: أي يَعْلَمُه، وحسّن الشيء تحسيناً : زينه، واستحسنه : عدّه حسناً[1].

"وأحسنت: فعلت الحسن، كما قيل : أجاد إذا فعل الجيد وأحسنت الشيء : عرفته وأتقنته"[2].

فالإحسان لغة : فعل الشيء على أحسن وجه من الإجادة والإتقان والزينة.

ب- اصطلاحاً :

"أن تعبد الله كأنك تراه، فإن لم تكن تراه فإنه يراك"[3].

وهذا التعريف مأخوذ من حديث الرسول ﷺ الذي ورد [عن أبي هريرة قال : كان النبيﷺ بارزاً يوماً للناس، فأتاه جبريل فقال : ما الإيمان؟ قال : الإيمان أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه وبلقائه ورسله، وتؤمن بالبعث، قال : ما الإسلام ؟ قال : الإسلام أن تعبد الله ولا تشرك به، وتقيم الصلاة، وتؤدي الزكاة المفروضة، وتصوم رمضان، قال : ما الإحسان ؟ قال : أن تعبد الله كأنك تراه، فإن لم تكن تراه، فإنه يراك ...][4].

وعرفه ابن رجب الحنبلي : أن "يعبد المؤمن ربه في الدنيا على وجه الحضور والمراقبة كأنه يراه بقلبه وينظر إليه في حال عبادته"[5].

---

(1) انظر القاموس المحيط : للفيروز آبادي، 216/4 فصل الحاء، باب النون؛ وانظر مختار الصحاح : للرازي، ص 136-137، باب الحاء.

(2) المصباح المنير : أحمد المقرئ، ص 85، كتاب الحاء.

(3) التعريفات : للجرجاني، ص 29، باب الألف.

(4) صحيح البخاري، 16/1، كتاب الإيمان، باب سؤال جبريل النبي ﷺ عن الإيمان والإسلام والإحسان وعلم الساعة، حديث رقم (50).

(5) جامع العلوم والحكم : لابن رجب الحنبلي البغدادي، ص 35.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

وعرف ابن حجر العسقلاني[1] الإحسان في العبادة بأنها : "الإخلاص فيها والخشوع وفراغ البال حال التلبس بها ومراقبة المعبود"[2].

والإخلاص مطلوب في جميع الأعمال سواء في العبادة من صلاة وصيام وحج وزكاة وصدقة أو في الأعمال الدنيوية، فهي إن ابتُغي فيها وجه الله فإنها تصبح عبادة، حتى النوم إذا أريد به أن يرتاح حتى يستطيع صلاة الصبح أو قيام الليل فإنه يصبح عبادة ويؤجر عليه، ويكون ذلك حسب نية المسلم؛ وهكذا باقي الأعمال.

وعرفه آخرون : بأنه "هو الإتيان بالمطلوب شرعاً على وجه حسن"[3].

وقد عرفه د. رياض قاسم : بأنه "خلق حسن، يَخْلِق لدى المؤمن ضميراً يقظاً، ويجعل عليه من نفسه رقيباً، يدفعه لملاقات كل خلق بأحسن منه، وكل معروف بأجمل منه"[4].

فالإحسان : أن تخلص عملك لله، وتتقنه على أتم وجه، مستشعراً مراقبة الله تعالى لك وإطلاعه عليك، في جميع أحوالك سواءً في عبادتك له، أو تعاملك مع الخلق، مُحَقِقاً قول الله تعالى فيك : ﴿**قُلْ إِنَّ صَلاَتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ**﴾ (الأنعام : 162).

ثانياً : حقيقة الإحسان :

للإحسان حقيقة يُعرف بها، وحقيقته : أن تراقب الله تعالى في العمل وتستحضر بقلبك معاني ربوبيته جل وعلا وتنفعل رغبة ورهبة، وبهذا تكون مخلصاً متقناً في كل شيء تعمله[5].

---

(1) ابن حجر العسقلاني : هو أحمد ابن علي ابن محمد الكناني العسقلاني، أبو الفضل، شهاب الدين ابن حجر، ولد سنة 773هـ-1372م، وهو من أئمة العلم والتاريخ، أصله من عسقلان (بفلسطين). توفي بالقاهرة، أحب الأدب والشعر ثم أقبل على علم الحديث، رحل إلى اليمن والحجاز وغيرهما وذلك للسماع من الشيوخ، واشتهر فقصده طالبي العلم للأخذ عنه، وأصبح حافظ الإسلام في عصره، وكان فصيح اللسان، راوية للشعر، عارفاً بأيام المتقدمين والمتأخرين، ولي قضاء مصر عدة مرات ثم اعتزل، تصانيفه كثيرة وعظيمة، وقد انتشرت هذه المصنفات في حياته وتهاداها الملوك، وكتبها الأكابر، ومن مؤلفاته : "فتح الباري في شرح صحيح البخاري"، و"التلخيص الجيد في تخريج أحاديث الرافعي الكبير"، و"نزهة النظر في توضيح نخبة الفكر" في اصطلاح الحديث وغيره كثير، توفي سنة 852هـ-1449م. (انظر الأعلام : للزركلي، 178/1).

(2) فتح الباري بشرح صحيح البخاري : لابن حجر العسقلاني، 151/1.

(3) ثلاث كلمات في الإخلاص والإحسان والالتزام بالشريعة : عبد المحسن العباد، ص 10، مكتبة التوعية الإسلامية للطباعة والنشر والتوزيع، الطبعة الأولى، 1408هـ.

(4) الإحسان في ضوء القرآن الكريم والسنة المطهرة رسالة مقدمة لنيل درجة الماجستير : إعداد د. رياض قاسم، ص 11، إشراف : د. الطاهر عبد القادر، 1990م-1410هـ، جامعة أم درمان الإسلامية.

(5) انظر مقدمة في أصول الدعوة (شرح حديث جبريل الإسلام والإيمان والإحسان) : أحمد سلام، ص 183، دار ابن حزم للطباعة والنشر والتوزيع، الطبعة الثانية، 1415هـ-1994م.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

يقول ابن رجب الحنبلي : "فإن العبد إذا أمر بمراقبة الله تعالى في العبادة واستحضار قربه من ربه حتى كأن العبد يراه، فإنه قد يشق عليه فيستعين على ذلك بإيمانه بأن الله يراه ويطلع على سره وعلانيته وباطنه وظاهره، ولا يخفى عليه شيء من أمره، فإذا تحقق هذا المقام عليه الانتقال إلى المقام الثاني، وهو دوام التحقيق بالبصيرة إلى قرب الله من عبده ومعيته حتى كأنه يراه"[1].

أي أن العبد إذا أراد أن يكون محسناً فلا بد له تحقيق مقامين أولهما المراقبة، وثانيهما البصيرة.

ويقول الشيخ سعيد حوى : "إنه لعلامة على حياة القلب أن يستشعر صفات الله فيحس أن الله يراهويسمعه وذلك مقام المراقبة. وإنه لعلامة على شفافية القلب أن يخرق نور البصيرة هذه الأكوان ثم إذا هي تحس وكأنها تشاهد الله عز وجل، ولا وصول لهذين المقامين والقلب مريض، فأمراض القلوب تحجب الأنوار، وما لم يستنر القلب لا يستشعر، كما أنه لا وصول إلا بكثرة ذكر وتأمل"[2].

إذن طريق الوصول للإحسان التام هو كثرة الذكر لله عز وجل، فهي التي تجلب الحياة والشفافية لقلب المؤمن وتجعله نابضاً بحب الله ورسوله والمؤمنين.

ويقول أحمد سلام : "فالعلماء الذين اكتملت خشيتهم من الله، دون غيرهم هم الذين اجتمعت في قلوبهم أسباب الخشية، مما عرفوا من الحق، وعرفوا سبيلها من الحلال والحرام، ثم أوتوا قدرة تسخير الكون لتوحيد الله، وإعلاء كلمته، فكمال الخشية بهذا المعنى، هو كمال الإحسان"[3]، فالمسلم في طريقه للسير إلى الله تعالى يكون هدفه هو تسخير هذا الكون الواسع لتوحيد الله تعالى في ألوهيته وربوبيته وأسمائه وصفاته، ولا يكون إعلاء كلمة الحق إلا بذلك، وهذا هو الإحسان بعينه بمعناه الشامل والذي خُلق الإنسان من أجل تحقيقه والعمل به.

ثالثاً : صفات المحسنين :

للمحسنين صفات ميزهم الله عز وجل بها عن غيرهم من الناس، وقد ذكرها الله تعالى في كتابه العزيز، ومن هذه الصفات :

---

(1) جامع العلوم والحكم : لابن رجب الحنبلي البغدادي، ص 36.

(2) المستخلص في تزكية الأنفس : سعيد حوى، ص 370، دار الأرقم، عمان، دار القبس، بيروت، الطبعة الأولى، 1403هـ-1983م.

(3) فقه أصول الدعوة : أحمد سلام، ص 187.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

1- أن نومهم في الليل قليل : قال تعالى : ﴿**إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ * آخِذِينَ مَا آتَاهُمْ رَبُّهُمْ إِنَّهُمْ كَانُوا قَبْلَ ذَلِكَ مُحْسِنِينَ * كَانُوا قَلِيلًا مِّنَ اللَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ * وَبِالْأَسْحَارِ هُمْ يَسْتَغْفِرُونَ * وَفِي أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ لِّلسَّائِلِ وَالْمَحْرُومِ**﴾ (الذاريات : 15-19).
من صفات المحسنين أن نومهم بالليل قليل، فهم أكثر الليل قانتون لربهم، عابدون له ما بين صلاة ليل، وقراءة قرآن، أو ذكر ودعاء[1].

2- أنهم يستغفرون ربهم في الأسحار : مستشعرين ثقل الذنوب، وقد اختاروا وقت السحر لأن له فضيلة وخصيصة ليست لغيره[2].

3- التقوى : فالمحسنون يتقون الله في جميع أمورهم، قال تعالى : ﴿**إِنَّهُ مَن يَتَّقِ وَيِصْبِرْ فَإِنَّ اللّهَ لاَ يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ**﴾ (يوسف : 90). وهذه الصفة اتصف بها سيدنا يوسف عليه السلام فنال بها ما نال من عز وملك وتمكين.

4- الصبر : والمحسنون يصبرون على ما أصابهم، قال تعالى : ﴿**وَاصْبِرْ فَإِنَّ اللّهَ لاَ يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ**﴾ (هود : 115)، ولقد اتصف بهذه الصفة أيضاً سيدنا يوسف عليه السلام، فكانت عاقبة ذلك أن جمعه الله بأهله واعترف له إخوته بخطأهم، وطلبوا منه أن يسامحهم، فعفا عنهم، وأكرمهم وأكرم والديه بعد أن حاز على عز الدنيا والآخرة.

5- اجتناب كبائر الإثم: قال تعالى: ﴿**لِيَجْزِيَ الَّذِينَ أَسَاؤُوا بِمَا عَمِلُوا وَيَجْزِيَ الَّذِينَ أَحْسَنُوا بِالْحُسْنَى* الَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبَائِرَ الْإِثْمِ وَالْفَوَاحِشَ إِلَّا اللَّمَمَ إِنَّ رَبَّكَ وَاسِعُ الْمَغْفِرَةِ**﴾ (النجم: 31-32). فالمحسنون لا يعملون الكبائر من الذنوب ولكن قد يقع منهم بعض الصغائر، فيستغفرون ربهم ليغفرها لهم ويستر عليهم[3].

6- تأديتهم أركان الإسلام : قال تعالى : ﴿**الم * تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ الْحَكِيمِ * هُدًى وَرَحْمَةً لِّلْمُحْسِنِينَ* الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُم بِالْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ**﴾ (لقمان: 1-4).
فالمحسن يؤدي صلاته على أتم وجه من الخشوع والآداب والأركان، وهو يؤدي ما عليه من زكاة ماله لمن يستحقها طيبة بها نفسه، لا يبتغي إلا مرضاة الله[4].

---

(1) انظر تيسير الكريم الرحمن : للشيخ السعدي، ص 595.
(2) انظر المصدر السابق : ص 595.
(3) انظر تفسير القرآن العظيم : لابن كثير، 255/4.
(4) انظر صفوة التفاسير : للصابوني، 487/2.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

7- الإيمان باليوم الآخر إيماناً يقيناً : قال تعالى : ﴿**وَهُم بِالْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ * أُوْلَئِكَ عَلَى هُدًى مِّن رَّبِّهِمْ وَأُوْلَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ**﴾ (لقمان : 4-5). والمحسن يصدق بالدار الآخرة، ويعتقد بها اعتقاداً جازماً، لا يعتريه شك أو ريب وتكرر الضمير "هم" لإفادة الحصر والتأكيد[1].

وهم بأعمالهم هذه يكونون على بصيرة وبينة، ومنهج واضح، وهم كذلك الفائزون في الدنيا والآخرة[2].

8- الخضوع والذلة لله عز وجل : وذلك في قوله تعالى : ﴿**وَادْخُلُواْ الْبَابَ سُجَّداً وَقُولُواْ حِطَّةٌ نَّغْفِرْ لَكُمْ خَطَايَاكُمْ وَسَنَزِيدُ الْمُحْسِنِينَ**﴾ (البقرة : 58).

أي ادخلوا من حيث أمركم الله تعالى خاضعين، أذلاء ساجدين له سبحانه ودعاؤكم أن يحط عنكم خطاياكم بسؤالكم المغفرة[3].

فالمؤمن الذي يذل نفسه لله ولا يتكبر عن طاعته واستجابة أمره وأمر رسوله عليه الصلاة والسلام، فإن الله يرفعه ويكرمه في الدنيا والآخرة وبذلك يتحقق فيه قول الله تعالى : ﴿**بَلَى مَنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَلَهُ أَجْرُهُ عِندَ رَبِّهِ وَلاَ خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلاَ هُمْ يَحْزَنُونَ**﴾ (البقرة: 125). فالمحسن في راحة تامة وطمأنينة مستمرة ما دام قد أخلص وجهته لله عز وجل.

9- أنهم ينفقون أموالهم في سبيل الله : قال تعالى : ﴿**وَأَنفِقُواْ فِي سَبِيلِ اللّهِ وَلاَ تُلْقُواْ بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ وَأَحْسِنُوَاْ إِنَّ اللّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ**﴾ (البقرة : 195).

يقول ابن كثير رحمه الله في تفسيره لهذه الآيات : "ومضمون الآية الأمر بالإنفاق في سبيل الله في سائر وجوه القربات، ووجوه الطاعات، وخاصة صرف الأموال في قتال الأعداء وبذلها فيما يُقوى به المسلمين على عدوهم، والإخبار عن ترك فعل ذلك بأنه هلاك ودمار لمن لزمه واعتاده، ثم عطف بالإحسان وهو أعلى مقامات الطاعة فقال (وأحسنوا إن الله يحب المحسنين)[4].

فالإنفاق في سبيل الله هو جهاد بالمال وهو من أفضل أنواع القربات لله تعالى لأنه يكون سبباً في إعزاز الإسلام والمسلمين، كنشر كلمة التوحيد، وإقامة دين الله في الأرض[5].

---

(1)انظر صفوة التفاسير : للصابوني، 487/2.

(2) انظر تفسير القرآن العظيم : لابن كثير، 441/3؛ وانظر قرآن كريم تفسير وبيان : محمد الحمصي، ص 411.

(3) انظر تيسير الكريم الرحمن : للشيخ السعدي، ص 15.

(4) تفسير القرآن العظيم : لابن كثير، 229/1.

(5) انظر تيسير الكريم الرحمن : للشيخ السعدي، ص 44.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

10- أنهم يدعون ربهم خوفاً وطمعاً : قال تعالى ﴿**وَادْعُوهُ خَوْفًا وَطَمَعًا إِنَّ رَحْمَتَ اللّهِ قَرِيبٌ مِّنَ الْمُحْسِنِينَ**﴾ (الأعراف : 56). فالمؤمن المحسن يدعو ربه خوفاً من عذابه، وطمعاً في رحمته، فرحمته قريبة من المطيعين لله تعالى الذين يمتثلون ما يأمر به ويبتعدون عن كل ما نهى عنه[1]. فلا بد للعبد المؤمن من شعورين في قلبه هما الرجاء والخوف، فهو يرجو رحمة ربه ولا ييأس أبداً لأن الله تعالى يقول: ﴿**إِنَّهُ لاَ يَيْأَسُ مِن رَّوْحِ اللّهِ إِلاَّ الْقَوْمُ الْكَافِرُونَ**﴾ (يوسف: 87). وهذا ما جاء على لسان سيدنا يعقوب عليه السلام فهو لم ييأس بالرغم مما أصابه من حزن وألم على فراق سيدنا يوسف عليه السلام وأخويه، بل كان الأمل يحدوه في كل لحظة. وفي نفس الوقت المؤمن يخاف من الله تعالى أن يعذبه إن هو قصّر في أمر من أمور دينه أو أذنب.

11- المحسنون يجاهدون هوى النفس والشيطان : قال تعالى : ﴿**وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ**﴾ (العنكبوت : 69).

يقول الشيخ السعدي في تفسيره لهذه الآية : "﴿**وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا**﴾ وهم الذين هاجروا في سبيل الله، وجاهدوا أعداءهم وبذلوا مجهودهم في اتباع مرضاته **(لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا)** أي الطرق الموصلة إلينا، وذلك لأنهم محسنون"[2].

فالمحسن يبذل طاقته في كل ما يرضي الله عز وجل حتى يصل إلى مبتغاه وهو الجنة.

12- العفو والصفح من صفات المحسنين : قال تعالى مخاطباً نبيه عليه الصلاة والسلام : ﴿**فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاصْفَحْ إِنَّ اللّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ**﴾ (المائدة : 13).

يقول ابن كثير في تفسيره لهذه الآية: "وهذا هو عين النصر والظفر كما قال بعض السلف: ما عاملت من عصى الله فيك بمثل أن تطيع الله فيه، وبهذا يحصل لهم تأليف وجمع على الحق"[3].

وهذا هو طريق الداعية إلى الله يعفو ويصفح عن الناس ابتغاء الثواب والأجر والمحبة من الله تعالى.

رابعاً : مجالات الإحسان :

للإحسان مجالات متنوعة وعديدة تجمع ما بين الإحسان في العبادة، والإحسان في الدعوة إلى الله، والإحسان في مجال البر والصلة، والإحسان في مجال المعاملات.

---

(1) انظر صفوة التفاسير : للصابوني، 451/1.

(2) تيسير الكريم الرحمن : للشيخ السعدي، ص 462.

(3) تفسير القرآن العظيم : لابن كثير، 33/2.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

1- الإحسان في العبادة :

العبادة لغة :

"الطاعة"[1] وهي أيضاً "الانقياد والخضوع"[2].

"وأصل العبودية الخضوع والذل، والتعبيد : التذليل"[3].

فالعبادة لغة هي : الطاعة والانقياد والخضوع.

اصطلاحاً :

وعرفها ابن تيمية رحمه الله أنها اسم جامع لكل ما يحبه الله ويرضاه من الأقوال والأعمال الباطنة والظاهرة. ومثال ذلك من الأعمال الظاهرة :

الصلاة والزكاة والصيام والحج وصدق الحديث وأداء الأمانة وبر الوالدين، وصلة الأرحام والوفاء بالعهود والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، والجهاد للكفار والمنافقين، والإحسان إلى الجار واليتيم والمسكين وابن السبيل والمملوك من الآدميين، والبهائم والدعاء والذكر والقراءة وأمثال ذلك من العبادة.

ومن الأعمال الباطنة : وكذلك حب الله ورسوله وخشية الله والإنابة إليه، وإخلاص الدين له والصبر لحكمه والشكر لنعمه والرضا بقضائه والتوكل عليه[4].

ومن هذا التعريف نفهم أن كل عمل يعمله المسلم وقد تحقق فيه الإحسان يعتبر عبادة على اختلاف نوع هذا العمل.

ولا بد من تحقيق شرطين في العبادة لكي يتحقق فيها الإحسان وهما :

الأول : أن تكون النية فيها خالصة لله عز وجل لقوله تعالى : ﴿**وَمَا أُمِرُوا إِلاَّ لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاء وَيُقِيمُوا الصَّلاَةَ وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ وَذَلِكَ دِينُ الْقَيِّمَةِ**﴾ (البينة : 5).

وقال رسول الله ﷺ : [إنما الأعمال بالنيات، وإنما لكل امرئ ما نوى، فمن كانت هجرته إلى دنيا يصيبها أو امرأة ينكحها، فهجرته إلى ما هاجر إليه][5].

الثاني: أن تكون العبادة وفق ما شرع الله تعالى في كتابه، أو في سنة رسوله ﷺ. فقد ورد [عن عائشة رضي الله عنها قالت: قال رسول الله ﷺ: من أحدث في أمرنا ما ليس فيه، فهو رد][6].[7]

---

(1) القاموس المحيط: للفيروز آبادي، 322/1، فصل الطاء والعين، باب الدال، ومختار الصحاح: للرازي، ص8، باب العين.

(2) المصباح المنير : أحمد المقرئ، ص 232، كتاب العين.

(3) مختار الصحاح : للرازي، ص 408، باب العين.

(4) انظر مجموع الفتاوي : لابن تيمية، 149/10.

(5) صحيح البخاري، 3/1، كتاب بدء الوحي، باب كيف بدء الوحي إلى رسول الله ﷺ، حديث رقم (1).

(6) صحيح البخاري، 538/2، كتاب الصلح، باب إذا اصطلحوا على صلح جور فالصلح مردود، حديث رقم (2697).

(7) انظر العقيدة في الله : د. عمر الأشقر، ص 262، دار النفائس للنشر والتوزيع، الأردن، 1422هـ-2001م؛ وانظر العبادة في الإسلام : د. يوسف القرضاوي، ص 157، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة الثالثة، 1393هـ-1973م.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

فلا بد للمسلم لكي تكون عبادته مقبولة أن يراعي الإخلاص في النية لله عز وجل، وأن تكون موافقة للشرع، وهذا في جميع العبادات بأنواعها.

والإحسان في العبادة له مقامات ثلاثة :

أولها : أن تكون العبادة مستوفاة للشروط والأركان.

ثانيها : أن يؤديها وقد شعر بأن الله يراه، وهذا هو مقام المراقبة.

ثالثها : أن يؤديها وهو يستشعر كأنه يرى ربه[1].

فلا بد للمسلم إذا أراد أن يكون محسناً في عبادته أن يراعي هذه الأمور بقدر ما يستطيع، وبالتالي يكون قد حقق الإحسان في الدين كما قال تعالى : ﴿**وَمَنْ أَحْسَنُ دِينًا مِّمَّنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لله وَهُوَ مُحْسِنٌ**﴾ (النساء : 125)، وفي إسلام وجهه لله : كما في قوله تعالى : ﴿**وَمَن يُسْلِمْ وَجْهَهُ إِلَى اللَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى**﴾ (لقمان : 22).

وفي الاستماع للقول كما في قوله تعالى: ﴿**الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ**﴾ (الزمر: 18).

وفي الجهاد : كما قال تعالى : ﴿**وَلِيُبْلِيَ الْمُؤْمِنِينَ مِنْهُ بَلاء حَسَناً إِنَّ اللّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ**﴾ (الأنفال : 17).

وفي إقراض الله عز وجل كما في قوله تعالى : ﴿**مَن ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضَاعِفَهُ لَهُ وَلَهُ أَجْرٌ كَرِيمٌ**﴾ (الحديد : 11).

وفي الدعاء : ﴿**وَمِنْهُم مَّن يَقُولُ رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الآخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ**﴾ (البقرة : 202).

2- الإحسان في الدعوة إلى الله تعالى :

قد يخطئ البعض في أسلوبه في الدعوة إلى الله عز وجل فتكون النتائج عكسية، فلابد من اتباع الطريقة المثلى في الدعوة لكي تؤتي ثمارها وذلك كما أمر الله تعالى في قوله: ﴿**ادْعُ إِلى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُم بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ**﴾ (النحل : 125)، ففي هذه الآية يضع لنا الله عز وجل وسائل للدعوة وهي :

الوسيلة الأولى : الدعوة بالحكمة : فيدعو المسلم الناس كلاً حسب عقله وفهمه، ودرجة القبول والانقياد عنده[2].

---

(1) انظر الجامع لأحكام القرآن: للقرطبي، 167/10؛ وانظر الإحسان في ضوء القرآن الكريم والسنة المطهرة: إعداد رياض قاسم، ص 105.

(2) انظر تفسير القرآن العظيم : لابن كثير، 591/2؛ وانظر تيسير الكريم الرحمن : للشيخ السعدي، ص 318.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

الوسيلة الثانية : الدعوة بالموعظة الحسنة: "وهو الأمر والنهي المقرون بالترغيب والترهيب"[1].

الوسيلة الثالثة : المجادلة بالتي هي أحسن : وهي تكون لمن لا يستجيب بالوسيلتين السابقتين ولمن يحتاج إلى المناظرة وتكون المناظرة له بالوجه الحسن والرفق واللين وحُسن الخطاب[2].

وهذا ما أمر الله به سيدنا موسى وهارون عليهما السلام عندما بعثهما إلى فرعون وذلك في قوله تعالى : ﴿**فَقُولَا لَهُ قَوْلًا لَّيِّنًا لَّعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَى**﴾ (طه : 44). وكذلك أمر المسلمين عندما يجادلوا أهل الكتاب من اليهود والنصارى وذلك من أجل دعوتهم للإسلام فقال تعالى : ﴿**وَلَا تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ**﴾ (العنكبوت : 46)، فإن كان هذا الحال، عند دعوة فرعون الذي قال : ﴿**أَنَا رَبُّكُمُ الْأَعْلَى**﴾ (النازعات : 24) فما بالنا بإخوتنا من المسلمين عند دعوتهم، فهم الأجدر بأن ندعوهم بالرفق والحب واللين، فالله عز وجل يقول : ﴿**وَقُل لِّعِبَادِي يَقُولُواْ الَّتِي هِيَ أَحْسَنُ**﴾ (الإسراء : 25).

فالإحسان في القول من واجبات الداعية المسلم، وكذلك الإحسان في العمل، وذلك لقوله تعالى : ﴿**وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّن دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحًا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ الْمُسْلِمِينَ**﴾ (فصلت : 34).

الوسيلة الرابعة : وكذلك من وسائل الدعوة إلى الله : مقابلة السيئة بالحسنة : وذلك في قوله تعالى : ﴿**ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ * وَمَا يُلَقَّاهَا إِلَّا الَّذِينَ صَبَرُوا وَمَا يُلَقَّاهَا إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ**﴾ (فصلت : 34-35). فالمعاملة الحسنة الطيبة تَقْلب العدو إلى صديق حميم، وأخ قريب وهذه الدرجة لا ينالها إلا الداعية الناجح الذي أُوتي صبراً عظيماً ومكانة رفيعة من العلم والإيمان والصدق مع الله.

3- الإحسان في مجال البر والصلة :

لقد أمر الله عز وجل المسلم أن يبر والديه ويصل رحمه، وذوي قرابته ويحسن إليهم كما يحسن إلى اليتامى والمساكين والجيران والصاحب بالجنب وابن السبيل وما ملكت يمين المسلم.

وقد جاء ذلك في قوله تعالى : ﴿**وَاعْبُدُواْ اللّهَ وَلاَ تُشْرِكُواْ بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَبِذِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ وَالْجَارِ ذِي الْقُرْبَى وَالْجَارِ الْجُنُبِ وَالصَّاحِبِ بِالْجَنبِ وَابْنِ السَّبِيلِ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ إِنَّ اللّهَ لاَ يُحِبُّ مَن كَانَ مُخْتَالاً فَخُورًا**﴾ (النساء : 36).

---

(1) تيسير الكريم الرحمن : للشيخ السعدي، ص 318.

(2) انظر تفسير القرآن العظيم : لابن كثير، 591/2.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

يأمر الله تعالى بعبادته وحده بالدخول تحت رق عبوديته والانقياد لما يأمر بـــه، والانتهـــاء عما نهى عنه، محبة وذلاً وإخلاصاً له في جميع العبادات الظاهرة منها والباطنة، وينهى عن الشرك به بأي نوع من أنواع الشرك الأصغر أو الأكبر، لا ملكاً ولا نبيـــاً ولا وليـــاً، ولا أي أحـــد مـــن المخلوقين فهم لا يملكون لأنفسهم نفعاً ولا ضراً، ولا موتاً ولا حياة ولا نشوراً، بل المتعين عبـــادة من له الكمال المطلق من جميع الوجوه، وهو المدبر للكون وحده، ولا يُعينه أحد على ذلك.

والله بعدما أمر بعبادته وحده وتوحيده والقيام بحقه سبحانه أمر بعد ذلك بحقـــوق عبـــاده الأقرب ثم الأقل قرابة[1] فقال ﴿**وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا**﴾.

وهنا أوصى بالوالدين، والإحسان إليهما لأنهما سبباً في خروج الإنسان مـــن العـــدم[2]. ولأن الوالدين هما اللذان ربياه وتعبا كثيراً من أجله.

والإحسان إليهما يكون "بالقول الكريم، والخطاب اللطيف، والفعل الجميل بطاعة أمرهمـــا، واجتناب نهيهما والإنفاق عليهما، وإكرام من له تعلق بهما"[3]، كذلك بالتواضع الشديد والدعاء لهما عملاً بقوله تعالى : ﴿**وَاخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ وَقُل رَّبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَـــغِيرًا**﴾ (الإســـراء : 24)، وقد أوصى الرسول ﷺ بالوالدين خيراً فقد ورد [عن عبد الله بن عمرو قال : جاء رجل إلى النبي ﷺ يستأذنه في الجهاد، فقال : أحيٌّ والداك؟ قال : نعم، قال : ففيهما فجاهد][4].

وأوصى الله تعالى "بذي القربى"، وهذا يشمل جميع الأقارب من زوجـــة وأولاد وبنـــات وأخوة وأعمام وأخوال وجد وجدة، ويكون الإحسان إليهم بالقول الطيـــب، والمعاملـــة الحـــسنة وبالصلة والهدية، فقد ورد "عن عائشة، قالت : قال رسول الله ﷺ : [الرحم معلقة بالعرش تقول: من وصلني وصله الله، ومن قطعني قطعه الله][5].

كذلك خصت الآية "اليتامى" بالإحسان وهم "الذين فقدوا آباءهم وهم صغار، فلهـــم حـــق على المسلمين، سواءً كانوا أقارب أو غيرهم بكفالتهم وبـــرهم، وجبـــر خـــواطرهم، وتـــأديبهم، وتربيتهم أحسن تربية في مصالح دينهم ودنياهم"[6].

---

(1) انظر تيسير الكريم الرحمن : للسعدي، ص 101.
(2) انظر تفسير القرآن العظيم : لابن كثير، 494/1.
(3) تيسير الكريم الرحمن : للشيخ السعدي، ص 101.
(4) صحيح مسلم، ص 989،كتاب البر والصلة والآداب، باب بر الوالدين وأنهما أحق به، حديث رقم (2549).
(5) صحيح مسلم، ص 992، كتاب البر والصلة والآداب، باب صلة الرحم وتحريم قطعها، حديث رقم (2555).
(6) تيسير الكريم الرحمن : للشيخ السعدي، ص 101.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

وقد حث الرسول ﷺ على كفالة اليتيم فقد ورد [عن أبي هريرة، قال: قال رسول اللهﷺ: كافل اليتيم له أو لغيره، أنا وهو كهاتين في الجنة] وأشار مالك بالسبابة والوسطى [1].

والإحسان إلى المساكين، "وهم المحاويج من ذوي الحاجات الذين لا يجدون من يقوم بكفالتهم، فأمر الله سبحانه بمساعدتهم بما تتم به كفايتهم وتزول به ضرورتهم"[2].

ولقد أوصى الرسول ﷺ بالمسكين والأرملة فقد ورد [عن أبي هريرة، عن النبي ﷺ قال: الساعي على الأرملة والمسكين كالمجاهد في سبيل الله، وأحسبه قال : وكالقائم لا يفتر، وكالصائم لا يفطر][3].

"والجار ذي القربى" أي الجار القريب الذي له حق القرابة وحق الجوار.

"والجار الجنب" أي الجار الذي ليس بينك وبينه قرابة، وكلما كان الجار أقرب باباً، كان أكثر حقاً من غيره من الجيران الآخرين، ويكون الإحسان إليه بالهدية والصدقة، والدعوة وحسن القول والفعل، وعدم إيذائه بقول أو فعل.

"والصاحب بالجنب" وقد اختُلف في تفسيرها فمنهم من قال : أنه الرفيق في السفر، وقيل الصاحب مطلقاً، وقيل : إنه الزوجة ولعل أرجح الأقوال أنه الصاحب مطلقاً لأنه يشمل الزوجة والصاحب في الحضر والسفر، فالصاحب له حق الصحبة كالمساعدة على أمور دينه ودنياه، والنصيحة له والوفاء معه في العسر واليسر، والمنشط والمكره، وأن يحب له ما يحبه لنفسه ويكره له ما يكرهه لنفسه، وكلما زادت الصحبة زاد الحق[4].

"وابن السبيل" وهو المسافر الذي تغرّب وانقطع عن أهله وبلده، والإحسان إليه يكون بالنفقة وتوفير ما يحتاج إليه.

"وما ملكت أيمانكم" وهم المماليك من الإماء والعبيد[5]، والإحسان إليهم يكون بالنفقة عليهم وتوفير القوت والكساء لهم، فقد قال رسول الله ﷺ : [كفى بالمرء إثماً أن يحبس عمن يملك قوته][6].

---

(1) صحيح مسلم، ص 1140، كتاب الزهد والرقائق، باب الإحسان إلى الأرملة والمسكين واليتيم، حديث رقم (2983).
(2) تفسير القرآن العظيم : لابن كثير، 494/1.
(3) صحيح مسلم، ص 1140، كتاب الزهد والرقائق، باب الإحسان إلى الأرملة والمسكين، حديث رقم (2982).
(4) انظر تفسير الكريم الرحمن : للشيخ السعدي، ص 101-102.
(5) انظر صفوة التفاسير : للصابوني، 275/1.
(6) صحيح مسلم، ص 359، كتاب الزكاة، باب فضل النفقة على العيال والمملوك وإثم من ضيعهم أو حبس نفقتهم عنهم، حديث رقم (996).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

ولقد عقب الله عز وجل في آخر الآية بقوله : ﴿**إِنَّ اللّهَ لاَ يُحِبُّ مَن كَانَ مُخْتَالاً فَخُورًا**﴾ (النساء : 36)، أي أنه سبحانه لا يحب المتكبر في نفسه، الذي يأنف أقاربه وجيرانه ومن لهم حق عليه من يتامى ومساكين وأرامل ولا يحب أيضاً الفخور على الناس، المترفع عليهم والذي يرى نفسه خير منهم، فيمنعه ذلك من القيام بحقوقهم[1].

4- الإحسان في مجال المعاملات :

إن الدين الإسلامي دين شامل لكل نواحي الحياة، فكما أوصانا بالإحسان في مجال العبادة، والبر والصلة والدعوة إلى الله فقد أوصى أيضاً بالإحسان في مجال المعاملات، ومن أمثلة ذلك :

أ- عند رد التحية: فقد أمرنا الله عز وجل أن نرد التحية بمثلها أو بأحسن منها، قال تعالى: ﴿**وَإِذَا حُيِّيْتُم بِتَحِيَّةٍ فَحَيُّواْ بِأَحْسَنَ مِنْهَا أَوْ رُدُّوهَا**﴾ (النساء: 86) أي إذا سلم عليكم المسلم فردوا عليه بأفضل مما سلم، أو ردوها عليه بمثل ما سلم فالزيادة مندوبة[2]، والمماثلة[3] مفروضة"[4].

ب- في البيع والشراء: فقد أوصانا الله تعالى بالأمانة والاستقامة في البيع والشراء. قال تعالى: ﴿**وَأَوْفُوا الْكَيْلَ إِذا كِلْتُمْ وَزِنُواْ بِالقِسْطَاسِ الْمُسْتَقِيمِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلاً**﴾ (الإسراء: 35). يقول الشيخ السعدي في تفسيره لهذه الآية: "وهذا أمر بالعدل وإيفاء المكاييل والموازين بالقسط من غير بخس ولا نقص، ويؤخذ من عموم المعنى، النهي عن كل غش، والأمر بالنصح والصدق في المعاملة "ذلك خير" من عدمه "وأحسن تأويلاً" أي أحسن عاقبة به، يسلم العبد من التبعات، وبه تنزل البركة"[5].

ج- عند القضاء وأداء الحقوق : فالواجب على المسلم أن يؤدي ما عليه من حقوق دون أن يتوانى في ذلك حتى يرضى الله عنه قال تعالى : ﴿**فَمَنْ عُفِيَ لَهُ مِنْ أَخِيهِ شَيْءٌ فَاتِّبَاعٌ بِالْمَعْرُوفِ وَأَدَاء إِلَيْهِ بِإِحْسَانٍ ذَلِكَ تَخْفِيفٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَرَحْمَةٌ فَمَنِ اعْتَدَى بَعْدَ ذَلِكَ فَلَهُ عَذَابٌ أَلِيمٌ**﴾ (البقرة : 178).

د- عند التعامل مع الحيوان : فديننا دين الرحمة، فلم يترك صغيرة ولا كبيرة إلا بين حكمها، حتى الحيوان علمنا أن نتعامل معه ونحسن إليه بتقديم ما يلزمه من الطعام والشراب، وأمرنا ألا نؤذيه حتى عند ذبحه فقد أمرنا بإحسان الذبح، فقد قال رسول الله ﷺ : [إن الله

---

(1) انظر صفوة التفاسير : للصابوني، 275/1؛ وانظر تيسير الكريم الرحمن : للشيخ السعدي، ص 102.

(2) مندوبة : أي محببة، والمندوب عند الفقهاء : "هو الفعل الذي يكون راجحاً على تركه في نظر الشارع، ويكون تركه جائز"، التعريفات : للجرجاني، ص 366، باب الميم.

(3) المماثلة : أي الرد بالمثل.

(4) تفسير القرآن العظيم : لابن كثير، 531/1.

(5) تيسير الكريم الرحمن : للشيخ السعدي، ص 322.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

كتب الإحسان على كل شيء، فإذا قتلتم فأحسنوا القتلة، وإذا ذبحتم فأحسنوا الذبح وليحد أحدكم شفرته فليرح ذبيحته][1].

هذه الأمثلة التي ذكرت قليلة عن مجالات الإحسان، فالإحسان يشمل كل نواحي الحياة التي يحياها المسلم، فكل معاملة يتعامل بها المسلم، وكل عمل يعمله مطالب أن يُحسن فيه لأن ذلك من صميم عقيدتنا الإسلامية الغراء.

المطلب الثاني : إحسان سيدنا يوسف عليه السلام :

لقد أحسن سيدنا يوسف عليه السلام مع كل من تعامل معه فقد شهد له السجناء بذلك عندما طلبوا منه تأويل رؤياهم وقد وجدوا منه طريقة حسنة في التعامل لم يلحظوها من غيره من قبل مما دفعهم أن يقولوا له ﴿**إِنَّا نَرَاكَ مِنَ الْمُحْسِنِينَ**﴾ (يوسف : 36).

كذلك إخوته فقد أحسن إليهم بإعطائهم الميرة[2] وهم لم يكونوا قد عرفوه، وقد قالوا له عندما أخذ أخوهم منهم كما ذكر الله تعالى : ﴿**قَالُواْ يَا أَيُّهَا الْعَزِيزُ إِنَّ لَهُ أَبًا شَيْخًا كَبِيرًا فَخُذْ أَحَدَنَا مَكَانَهُ إِنَّا نَرَاكَ مِنَ الْمُحْسِنِينَ**﴾ (يوسف : 78) ولكن سيدنا يوسف عليه السلام احتفظ بأخيه عنده، ورجعوا هم إلى أبيهم بدون أخيهم، فكان مما زاد الألم والحزن على قلب سيدنا يعقوب عليه السلام، ولكنه لم ييأس وطلب منهم أن يرجعوا ويبحثوا عن يوسف عليه السلام وأخيه وعندما أقبلوا على سيدنا يوسف عليه السلام يشكون ما أصابهم من "الجدب والقحط وقلة الطعام"[3] طالبين منه أن يوفي لهم الكيل ويتصدق عليهم، عندئذ قال لهم سيدنا يوسف عليه السلام ما ذكره القرآن الكريم من قوله تعالى: ﴿**قَالَ هَلْ عَلِمْتُم مَّا فَعَلْتُم بِيُوسُفَ وَأَخِيهِ إِذْ أَنتُمْ جَاهِلُونَ**﴾ (يوسف: 89)، لقد بدأ سيدنا يوسف عليه السلام بتذكيرهم بما قد فعلوه به وبأخيه ولكن بتلطف وأدب جم.

يقول ابن كثير في تفسيره لهذه الآية : "يقول تعالى مخبراً عن يوسف عليه السلام أنه لما ذكر له إخوته ما أصابهم من الجهد والضيق وقلة الطعام، وعموم الجدب، وتذكر أباه وما هو فيه من الحزن لفقد ولديه مع ما هو فيه من الملك والتصرف والسعة فعند ذلك أخذته رقة ورأفة ورحمة وشفقة على أبيه وإخوته وبدره البكاء، فتعرف إليهم"[4] وتعرفوا عليه، ويوجد أكثر من رواية للطريقة التي تعرف أخوة يوسف عليه، والمهم أنهم عرفوه في النهاية.

---

(1) صحيح مسلم، ص 778، كتاب الصيد والذبائح وما يؤكل من الحيوان، باب الأمر بإحسان الذبح والقتل وتحديد الشفرة، حديث رقم (1955).

(2) الميرة : الطعام. (المصباح المنير : أحمد المقرئ، ص 349، كتاب الميم.

(3) تفسير القرآن العظيم : لابن كثير، 488/2.

(4) المصدر السابق، 489/2.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

يقول سيد قطب رحمه الله : "وعندما يبلغ الأمر بهم إلى هذا الحد من الاسترحام والضيق والانكسار، لا تبقى في نفس يوسف عليه السلام قدرة على المضي في تمثيل دور العزيز، والتخفي عنهم بحقيقة شخصيته فقد انتهت الدروس، وحان وقت المفاجأة الكبرى التي لا تخطر لهم على بال، فإذا هو يترفق في الإفضاء بالحقيقة إليهم، فيعود بهم إلى الماضي البعيد الذي يعرفونه وحدهم، ولم يطلع عليه إلا الله ﴿**قَالَ هَلْ عَلِمْتُم مَّا فَعَلْتُم بِيُوسُفَ وَأَخِيهِ إِذْ أَنتُمْ جَاهِلُونَ**﴾ (يوسف: 89)[1].

عند ذلك بدأ إخوته بتذكر ما كان منهم تجاه يوسف عليه السلام وقد أخبره الله تعالى وهو في البئر أنه سيخبرهم بأمرهم وهم لا يدرون وذلك ما ذكره تعالى في قوله : ﴿**وَأَوْحَيْنَآ إِلَيْهِ لَتُنَبِّئَنَّهُم بِأَمْرِهِمْ هَـذَا وَهُمْ لاَ يَشْعُرُونَ**﴾ (يوسف : 15).

وفي قوله تعالى : ﴿**قَالَ هَلْ عَلِمْتُم مَّا فَعَلْتُم بِيُوسُفَ وَأَخِيهِ**﴾ "استفهام بمعنى التذكير والتوبيخ"[2] ﴿**إِذْ أَنتُمْ جَاهِلُونَ**﴾ أي أن السبب في ارتكابكم ما ارتكبتوه إنما هو جهلكم بفظاعة هذا الأمر عند الله تعالى[3]، وكأن سيدنا يوسف عليه السلام يخفف من وقع الصدمة على قلوب إخوته فيصفهم بالجهل عندما فعلوا ما فعلوه وهذا نوع من أنواع الإحسان حتى في حديثه لهم، واستدراج لهم لكي يعترفوا بخطئهم ويتوبوا منه وهذا قمة الأخلاق في التعامل فينبغي لكل داعية التأسي به.

وعندما عرفوه ﴿**قَالُواْ أَإِنَّكَ لَأَنتَ يُوسُفُ قَالَ أَنَاْ يُوسُفُ وَهَـذَا أَخِي قَدْ مَنَّ اللّهُ عَلَيْنَا إِنَّهُ مَن يَتَّقِ وَيِصْبِرْ فَإِنَّ اللّهَ لاَ يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ**﴾ (يوسف : 90).

ولقد أجاب يوسف عليه السلام بقوله: ﴿**أَنَاْ يُوسُفُ وَهَـذَا أَخِي**﴾ فهو قد أكد لهم بأنه هو يوسف عليه السلام فما الفائدة من قوله ﴿**وَهَـذَا أَخِي**﴾ وهم يعرفون أخاهم الآخر، ولعل سيدنا يوسف عليه السلام يلفت نظرهم إلى أن الأخوة الحقيقية هي أن لا يؤذي الأخ أخاه كما فعلوا هم فقال ﴿**وَهَـذَا أَخِي**﴾ يعني أخي الحقيقي والله أعلم.

وقوله ﴿**قَدْ مَنَّ اللّهُ عَلَيْنَا**﴾ أي بالاجتماع بعد الفراق، وبالنجاة وبالإيمان والتقوى والملك والتمكين في الدنيا[4]. ثم واصل سيدنا يوسف كلامه قائلاً: ﴿**إِنَّهُ مَن يَتَّقِ وَيِصْبِرْ فَإِنَّ اللّهَ لاَ يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ**﴾ (يوسف: 90)، فهو عليه السلام يوضح لهم السبب الحقيقي في النعمة التي أحاطت به، وأن سببها

---

(1) في ظلال القرآن : سيد قطب، 2027/4.

(2) الجامع لأحكام القرآن : للقرطبي، 255/9؛ وانظر تيسير الكريم الرحمن : للشيخ السعدي، ص 280-281.

(3) انظر تفسير القرآن العظيم : لابن كثير، 489/2.

(4) انظر تفسير الكريم الرحمن : للشيخ السعدي، ص 281.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

هو طاعة الله وتقواه وصبره على الآلام والمصائب وامتثال أوامر الله تعالى، فهذا كله من الإحسان، والله يعطي كل إنسان ويجزيه حسب ما يفعل، فهو لا يضيع الإحسان، بل يجزي صاحبه أحسن الجزاء وأوفاه[1].

وقد رد عليه إخوته معترفين بتفضيل الله له عليهم كما قال تعالى على لسانهم : ﴿**تَاللَّهِ لَقَدْ آثَرَكَ اللَّهُ عَلَيْنَا**﴾ أي أن الله فضلك علينا "بالخَلق والخُلق والسعة والملك والتصرف والنبوة والعلم والحلم والحكم والعقل"[2].

وقد اعترفوا أيضاً بخطئهم وإساءتهم ليوسف عليه السلام بقولهم ﴿**وَإِن كُنَّا لَخَاطِئِينَ**﴾ (يوسف:91)، ويوجد فرق بين مخطئ : أي أخطأ غير متعمد، وخاطئ : أي أنه تعمد الخطأ فهم قد اعترفوا بأنهم تعمدوا إيذاء سيدنا يوسف عليه السلام والإساءة إليه.

فما كان من سيدنا يوسف عليه السلام الذي يحمل صفات النبوة وأخلاق الأنبياء بأن يرد عليهم قائلاً ما ذكره القرآن منه في قوله تعالى : ﴿**لاَ تَثْرَيبَ عَلَيْكُمُ الْيَوْمَ**﴾ (يوسف : 92) أي لا تأنيب ولا عتاب ولا أعيد عليكم ما فعلتموه بي، ولكن اليوم يوم التسامح والتراحم والدعاء بالمغفرة من الله عز وجل بأن يستر عليكم ويرحمكم فهو أرحم الراحمين[3].

وهذا من تمام الإحسان والعفو عند المقدرة، يقول الشيخ السعدي رحمه الله : "وهذا نهاية الإحسان الذي لا يأتي إلا من خواص"[4].

وهذا غير مستغرب من سيدنا يوسف عليه السلام وقد قال عنه الله تعالى : ﴿**إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُخْلَصِينَ**﴾ (يوسف : 24).

يقول سيد قطب رحمه الله في تفسيره معلقاً على موقف سيدنا يوسف عليه السلام من إخوته أن ذلك من "شيمة الرجل الكريم، وينجح يوسف في الابتلاء بالنعمة كما نجح من قبل في الابتلاء بالشدة إنه كان من المحسنين"[5]. والرسول ﷺ يقول : [وما زاد الله عبداً بعفو إلا عزاً، وما تواضع أحدٌ لله إلا رفعه الله][6].

---

(1)انظر تفسير الكريم الرحمن : للشيخ السعدي، ص 281؛ وانظر صفوة التفاسير : للصابوني، 65/2.

(2) تفسير القرآن العظيم : لابن كثير، 489/2؛ والجامع لأحكام القرآن : للقرطبي، 257/9.

(3) انظر تفسير القرآن العظيم : لابن كثير، 489/2.

(4) تيسير الكريم الرحمن : للشيخ السعدي، ص 281.

(5) في ظلال القرآن : سيد قطب، 2027/4.

(6) صحيح مسلم، ص 1002، كتاب البر والصلة، باب استحباب العفو والتواضع، حديث رقم (2588).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

تأسي سيدنا محمد ﷺ بسيدنا يوسف عليه السلام :

وهذا الموقف من سيدنا يوسف عليه السلام تجاه إخوته بالصفح والعفو والتواضع الجم يّـذكرنا بسيرة الحبيب محمد ﷺ عندما دخل مكة فاتحاً منتصراً، وقد أساء إليـه كفـار مكـة وعـذبوه وأصحابه أشد التعذيب في أوائل الدعوة الإسلامية، ولكنه مع ذلك قابل إساءتهم بالعفو والـصفح والإحسان، وكانت كلماته العظيمة كما هي نفسه العظيمة تدل على عُلو قدره ورحمة قلبه مُمـثلاً في ذلك سماحة الإسلام وعظمة الدين والعقيدة، فقال عليه الصلاة والسلام : [لا إله إلا الله وحده لا شريك له، صدق وعده، ونصر عبده، وهزم الأحزاب وحده، ألا كل مأثرة أو مال أو دم فهـو تحت قدميّ هاتين، إلا سدانة البيت وسقاية الحاج، ألا وقتل شبه العمد – السوط والعصا – ففيـه الدية مغلظة، مائة من الإبل أربعون في بطونها أولادها، يا معشر قريش، إن الله قد أذهب عنكم نخوة الجاهلية وتعظمها بالآباء، الناس من آدم، وآدم من تراب، ثم تلا هذه الآيـة : ﴿**يَـا أَيُّهَـا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَـاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ**﴾ (الحجرات : 13)][1].

لقد انتهز سيدنا محمد ﷺ هذا الموقف في دعوة قومه إلى الإسلام، ووضح لهم أن تقوى الله هي التي ترفع الإنسان وليس الحسب والنسب كما كانوا يعتقدون سابقاً، ثم سألهم قائلاً : "يـا معشر قريش ما ترون أني فاعل بكم، قالوا خيراً، أخ كريم وابن أخٍ كريم"[2] وجوابهم هذا يـدل على الثقة الكبيرة بعظمة أخلاق سيدنا محمد ﷺ فقد كانوا يلقبونه بالصادق الأمين قبل أن يكـون نبياً فكيف به وهو نبي مرسل ؟؟

فأجابهم عليه الصلاة والسلام : "فإني أقول لكم كما قال يوسـف لإخوتـه : "لا تثريـب عليكم اليوم" اذهبوا فأنتم الطلقاء"[3].

يوم برٍ ووفاء :

ولقد دفع رسول الله ﷺ مفتاح الكعبة إلى الصحابي عثمان بن طلحة رضي الله عنه في ذاك اليوم قائلاً له : [هاك مفتاحك يا عثمان، اليوم يوم بر ووفاء][4].

هذه هي أخلاق أنبياء الله – عليهم الصلاة والسلام – جميعاً فما تقولون يا من سولت لكم أنفسكم بالإساءة إلى حبيبنا محمد ﷺ وقد قال عنه رب العزة: ﴿**وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ**﴾ (القلم: 4)،

---

(1) الرحيق المختوم : للمباركفوري، ص 455.

(2) المصدر السابق، ص 456.

(3) الرحيق المختوم : للمباركفوري، ص 456.

(4) المصدر نفسه، ص 456.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

وقال تعالى : ﴿**وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ**﴾ (الأنبياء: 107) فهو رحمة لجميع الخلق، وكذلك كان سيدنا يعقوب عليه السلام فعندما اعترف أبناؤه بخطئهم، وطلبوا منه المسامحة فما كان منه عليه السلام إلا أن قال لهم ما ذكره القرآن عنه: ﴿**سَوْفَ أَسْتَغْفِرُ لَكُمْ رَبِّيَ إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ**﴾ (يوسف: 98).

فلم يوبخهم، ولم يعاقبهم بل لم يعاتبهم عليه السلام ولكنه وافق على الاستغفار لهم حتى يغفر الله تعالى لهم، واختار لذلك وقت السحر[1] لأنه أفضل الأوقات للاستغفار، وقد ذكر الله عز وجل أن المتقين والمحسنين من صفاتهم أنهم يستغفرون بالأسحار قال تعالى : ﴿**وَبِالْأَسْحَارِ هُمْ يَسْتَغْفِرُونَ**﴾ (الذاريات : 18).

ويُعلق سيد قطب رحمه الله على كلمة "سوف" أنها : "لا تخلو من إشارة إلى قلب إنساني مكلوم"[2] وهذا شيء طبيعي لأن سيدنا يعقوب عليه السلام مع أنه نبي مرسل إلا أنه يبقى بشراً يحمل في طيات قلبه مشاعر الأبوة الصادقة، وهذه أمور فطرية، بأن يحزن الإنسان من فعل مشين يفعله أبناؤه، وإن كان يحب لهم الخير والصلاح في الوقت نفسه.

إحسان سيدنا يوسف عليه السلام لوالديه :

وقد كان يوسف عليه السلام محسناً لوالديه من خلال :

أولاً: إيوائهم إليه: قال تعالى: ﴿**فَلَمَّا دَخَلُواْ عَلَى يُوسُفَ آوَى إِلَيْهِ أَبَوَيْهِ**﴾ (يوسف: 99)، "أي ضمهما إليه، واختصهما بقربه، وأبدى لهما من البر والإحسان والتبجيل والإعظام شيئاً عظيماً"[3].

ثانياً : رفعهم على سرير الملك الذي كان يجلس عليه : قال تعالى : ﴿**وَرَفَعَ أَبَوَيْهِ عَلَى الْعَرْشِ**﴾ (يوسف : 100) وهذا منتهى التواضع والرحمة والبر بهما، فلم يُنْسِه الملك والرفعة والتمكين في الأرض من بر والديه واحترامهما. ولم ينس سيدنا يوسف عليه السلام أن يُذكِّر والداه برؤياه وهو طفل صغير وأنها قد تحققت بفضل الله تعالى بعد سنين عديدة، قال تعالى: ﴿**وَقَالَ يَا أَبَتِ هَـذَا تَأْوِيلُ رُؤْيَايَ مِن قَبْلُ قَدْ جَعَلَهَا رَبِّي حَقًّا**﴾ (يوسف: 100).

الاعتراف بنعم الله :

كذلك ذَكَرَ سيدنا يوسف عليه السلام فضل الله عليه ومنته وإحسانه بأن أخرجه من السجن وجاء بأهله من البادية، قال تعالى : ﴿**وَقَدْ أَحْسَنَ بِي إِذْ أَخْرَجَنِي مِنَ السِّجْنِ وَجَاء بِكُم مِّنَ الْبَدْوِ مِن بَعْدِ أَن نَّزَغَ الشَّيْطَانُ بَيْنِي وَبَيْنَ إِخْوَتِي إِنَّ رَبِّي لَطِيفٌ لِّمَا يَشَاء إِنَّهُ هُوَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ**﴾ (يوسف: 100).

---

(1) انظر تفسير القرآن العظيم : لابن كثير، 490/2؛ وانظر الجامع لأحكام القرآن : للقرطبي، 262/9؛ وانظر تيسير الكريم الرحمن : للشيخ السعدي، ص 281؛ وانظر صفوة التفاسير : للصابوني، 68/2.

(2) في ظلال القرآن : سيد قطب، 2028/4.

(3) تيسير الكريم الرحمن : للشيخ السعدي، ص 281.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

يقول الشيخ السعدي[1] رحمه الله : "وهذا من لطفه، وحُسن خطابه عليه السلام حيث ذكر حاله في السجن، ولم يذكر حاله في الجب لتمام عفوه عن إخوته، وأنه لا يذكر ذلك الذنب، وأن إتيانكم من البادية من إحسان الله.

فلم يقل : جاء بكم من الجوع والنصب، ولا قال : "أحْسَنَ بكم" بل قال : "أحسن بي" جعل الإحسان عائداً إليه، فتبارك من يختص برحمته من يشاء من عباده، ويهب لهم من لدنه رحمة، إنه هو الوهاب".

ويقول الصابوني معلقاً على قول يوسف عليه السلام في قوله تعالى : ﴿**وَجَاء بِكُم مِّنَ الْبَدْوِ**﴾ أن يوسف عليه السلام "ذكّرهم بنعمة الله على آل يعقوب، حيث نقلهم من البادية إلى الحضر واجتمع شمل الأسرة في مصر"[2].

وهذا هو حال المؤمن دائماً في السراء يذكر نعمة الله عليه ويُذكِّر من حوله بذلك، ليكون ذلك أدعى لشكر النعمة والصفح والإحسان من قبله. قال تعالى : ﴿**وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِيَ الشَّكُورُ**﴾ (سبأ : 13). وقد جعل سيدنا يوسف عليه السلام السبب في إساءة إخوته إليه هو الشيطان فقال ما ذكره الله عز وجل ﴿**مِن بَعْدِ أَن نَّزَغَ الشَّيْطَانُ بَيْنِي وَبَيْنَ إِخْوَتِي**﴾ (يوسف : 100).

يقول الشيخ السعدي رحمه الله : "فلم يقل نزغ الشيطان إخوتي، بل كأن الذنب والجهل صدر من الطرفين، فالحمد لله الذي أخزى الشيطان ودحره، وجمعنا بعد تلك الفرقة الشاقة"[3].

ويواصل سيدنا يوسف عليه السلام التذكير بلطف الله ورحمته به وبإخوته وأبويه قائلاً ما ذكره القرآن الكريم على لسانه : ﴿**إِنَّ رَبِّي لَطِيفٌ لِّمَا يَشَاء**﴾ (يوسف : 100)، أي إنه "إذا أراد أمراً قيض له أسباباً وقدره ويسره"[4].

وأنه سبحانه "يوصل بره وإحسانه إلى العبد من حيث لا يشعر، ويوصله إلى المنزلة الرفيعة من أمور يكرهها"[5] أي أن المحنة عند المؤمن التقي المحسن تتحول إلى منحة ربانية.

---

(1) تيسير الكريم الرحمن، ص 281.
(2) صفوة التفاسير : للصابوني، 68/2.
(3) تيسير الكريم الرحمن : للشيخ السعدي، ص 281.
(4) تفسير القرآن العظيم : لابن كثير، 291/2.
(5) تيسير الكريم الرحمن : للشيخ السعدي، ص 281.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

فمن صفاته تعالى أنه هو "العليم" الذي يعلم مصالح عباده وظواهر الأمور وبواطنها وأسرار العباد، وما يخفون[1]، قال تعالى : ﴿**فَإِنَّهُ يَعْلَمُ السِّرَّ وَأَخْفَى**﴾ (طه : 7)، وكذلك من صفاته سبحانه أنه "الحكيم" "في أقواله وأفعاله وقضائه وقدره وما يختاره ويريده"[2].

وفي قول يوسف عليه السلام الذي ذكره الله تعالى: ﴿**إِنَّهُ هُوَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ**﴾ (يوسف: 100) أنه هو نفس التعبير الذي قاله سيدنا يعقوب عليه السلام عندما قص عليه سيدنا يوسف عليه السلام رؤياه في بداية القصة عندما قال ما قاله تعالى : ﴿**إِنَّ رَبَّكَ عَلِيمٌ حَكِيمٌ**﴾ (يوسف : 6) وهذا من تمام التوافق في البدء والختام[3].

الدعاء بحسن الخاتمة :

وقد دعا سيدنا يوسف عليه السلام بأن يتم الله عليه نعمه الجليلة عليه بأن يُحسِن خاتمته على دين التوحيد وأن يثبته على ذلك حتى يلحق بالصالحين.

يقول ابن القيم معلقاً على دعاء سيدنا يوسف عليه السلام : ﴿**أَنتَ وَلِيِّي فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ تَوَفَّنِي مُسْلِمًا وَأَلْحِقْنِي بِالصَّالِحِينَ**﴾ (يوسف: 101) "جمعت هذه الدعوة الإقرار بالتوحيد والاستسلام للرب والافتقار إليه من موالاة غيره سبحانه، وكون الوفاة على الإسلام من أجلّ غايات العبد، وأن ذلك بيد الله ، لا بيد العبد، والاعتراف بالمعاد وطلب مرافقة السعداء"[4].

عظيم في صبره وإحسانه :

وبذلك نجد أن سيدنا يوسف عليه السلام قد أحسن طوال حياته، فقد أحسن الصبر على البلاء، والصبر على فتنة النساء، والصبر في الضيق والسجن فقد كان يدعو من فيه إلى التوحيد والصبر على نعمة الرخاء بعد الشدة، وأحسن إلى كل من تعامل معه وإلى شعب مصر بأكمله عندما حماهم من الجوع، وأحسن إلى إخوته بالعفو عنهم، وإلى والديه بتوقيره واحترامه لهما. كذلك أحسن في عبادته لله تعالى عندما طلب من الله أن تكون خاتمته على الإسلام والعقيدة الصحيحة واللحوق بالصالحين، وقد ضرب لنا عليه السلام أعظم المثل في البر والإحسان والتقوى والصبر فجدير بكل داعية أن يلحق بركب سيدنا يوسف عليه السلام ويتخذه قدوة ومثلاً أعلى في حياته ليتحقق له ما تحقق لسيدنا يوسف عليه السلام من نصر وعز وتمكين ورضاً من رب العالمين.

---

(1) انظر تفسير القرآن العظيم : لابن كثير، 291/2؛ وانظر تيسير الكريم الرحمن : للشيخ السعدي، ص 281.

(2) تفسير القرآن العظيم : لابن كثير، 291/2.

(3) في ظلال القرآن : سيد قطب، ص 2029/4.

(4) الفوائد : لابن قيم الجوزية، ص 225.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

المطلب الثالث : جزاء الإحسان :

لقد أعد الله للمؤمنين أفضل الجزاء، وخص أولياءه الصالحين المحسنين ما لم يخص به غيرهم، لأنهم بذلوا جهدهم وأوقاتهم في سبيل إرضاء الله تعالى، فأحسنوا في عبادتهم للخالق، وأحسنوا في تعاملهم مع المخلوق، فاستحقوا بذلك أحسن الجزاء وأعظمه في الدنيا والآخرة.

أولاً : الجزاء في الدنيا :

1- إن الله يؤتي المحسنين الحكم والعلم : كما آتى سيدنا يوسف وموسى عليهما السلام : قال تعالى : ﴿**وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُ آتَيْنَاهُ حُكْمًا وَعِلْمًا وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ**﴾ (يوسف: 22) أي أنه لما أصبح سيدنا يوسف عليه السلام شاباً مكتمل الشباب، قوي البنية، راشد العقل، أعطاه الله الحكمة والفقه في الدين، وهكذا يجزي الله المحسنين في أعمالهم، المستقيمين في سلوكهم وسيرتهم[1].

ولقد أوتي سيدنا موسى عليه السلام الحكم والعلم أيضاً كما جاء في قوله تعالى : ﴿**وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُ وَاسْتَوَى آتَيْنَاهُ حُكْمًا وَعِلْمًا وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ**﴾ (القصص : 14).

يقول الشيخ السعدي في تفسيره لهذه الآية: "وكذلك نجزي المحسنين" أي "في عبادة الله، المحسنين لخلق الله، يعطيهم علماً وحكماً بحسب إحسانهم، ودل هذا على كمال إحسان موسى عليه السلام"[2].

2- البشرى لهم من الله : قال تعالى : ﴿**كَذَلِكَ سَخَّرَهَا لَكُمْ لِتُكَبِّرُوا اللَّهَ عَلَى مَا هَدَاكُمْ وَبَشِّرِ الْمُحْسِنِينَ**﴾ (الحج : 37)، والبشرى من الله للمحسنين تكون "بسعادة الدنيا والآخرة، وسيحسن الله إليهم، كما أحسنوا في عبادته ولعباده"[3].

والسبب في هذه البشارة :

أ- لأنهم عبدوا الله كأنهم يرونه، فإن لم يكونوا وصلوا لهذه الدرجة فإنهم يعبدوه معتقدين إطلاعه عليهم، ورؤيته سبحانه لهم.

ب- أنهم أحسنوا بجميع أنواع الإحسان من نفع بمال أو علم، أو جاه، أو نصيحة، أو أمر بمعروف أو نهي عن منكر[4].

3- التمكين لهم في الأرض : قال تعالى : ﴿**وَكَذَلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِي الأَرْضِ يَتَبَوَّأُ مِنْهَا حَيْثُ يَشَاء نُصِيبُ بِرَحْمَتِنَا مَن نَّشَاء وَلاَ نُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ**﴾ (يوسف : 56)، فالله عز وجل مكن ليوسف عليه السلام تمكيناً عجيباً فجعل له مكانة وقدرة ونفوذاً لأمره ونهيه حتى صار الملك

---

(1) انظر قبس من نور القرآن الكريم : محمد الصابوني، 123/5.

(2) تيسير الكريم الرحمن : للشيخ السعدي، ص 444.

(3) المصدر السابق، ص 385.

(4) انظر تيسير الكريم الرحمن : للشيخ السعدي، ص 385.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

يصدر عن رأيه، وصار الناس يعملون على أمره ونهيه كذلك، وقد أصبح يتصرف في الأرض التي بيد سلطان مصر كما يتصرف الرجل في منزله[1].

4- جعل الله الذكر الحسن للمحسنين : قال تعالى : ﴿**وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ فِي الْآخِرِينَ * سَلَامٌ عَلَى نُوحٍ فِي الْعَالَمِينَ * إِنَّا كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ**﴾ (الصافات : 78-80)، وقال تعالى: ﴿**وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ فِي الْآخِرِينَ* سَلَامٌ عَلَى إِبْرَاهِيمَ* كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ**﴾ (الصافات: 108-110)، وقال تعالى: ﴿**وَتَرَكْنَا عَلَيْهِمَا فِي الْآخِرِينَ * سَلَامٌ عَلَى مُوسَى وَهَارُونَ * إِنَّا كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ**﴾ (الصافات : 119-121)، وقال تعالى : ﴿**وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ فِي الْآخِرِينَ * سَلَامٌ عَلَى إِلْ يَاسِينَ * إِنَّا كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ**﴾ (الصافات : 129-131)، وبقاء الذكر الجميل والثناء الحسن بمثابة التسليم عليه في جميع الأمم[2]، ولقد أبقى الله عز وجل الذكر الجميل والثناء الحسن لسيدنا يوسف عليه السلام فكان مثالاً وقدوة للشباب بعفته وتقواه وطهارته.

5- تفريج كربات المحسنين : كما جاء في حق سيدنا إبراهيم عليه السلام عندما استجاب لربه لما أمره بذبح ابنه إسماعيل عليه السلام، قال تعالى : ﴿**وَنَادَيْنَاهُ أَنْ يَا إِبْرَاهِيمُ * قَدْ صَدَّقْتَ الرُّؤْيَا إِنَّا كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ* إِنَّ هَذَا لَهُوَ الْبَلَاء الْمُبِينُ* وَفَدَيْنَاهُ بِذِبْحٍ عَظِيمٍ * وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ فِي الْآخِرِينَ * سَلَامٌ عَلَى إِبْرَاهِيمَ * كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ**﴾ (الصافات: 104-110).

فالله عز وجل أراد أن يختبر كمال محبة سيدنا إبراهيم عليه السلام لربه فهو خليل الرحمن، وقد أحب ابنه إسماعيل عليه السلام حباً شديداً "والخلة أعلى أنواع المحبة وهو منصب لا يقبل المشاركة ويقتضي أن تكون جميع أجزاء القلب متعلقة بالمحبوب، فلما تعلقت شعبة من شعب قلبه بابنه إسماعيل، أراد الله تعالى أن يُصفي وده، ويختبر خلقه فأمره أن يذبح من زاحم حبه حب ربه، فلما قدم حب الله وآثره على هواه، وعزم على ذبحه، وزال ما في القلب المزاحم، بقي الذبح لا فائدة فيه"[3].

وبهذا نجى الله سيدنا إسماعيل عليه السلام من الذبح فظل قرة عين أبيه، وهكذا يصرف الله السوء عن المحسنين، ويفرج عنهم الكرب والشدائد فيجعل لهم من كل أمر فرجاً ومخرجاً، قال تعالى : ﴿**وَمَن يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَل لَّهُ مَخْرَجًا**﴾ (الطلاق : 2)[4].

---

(1) انظر فتح القدير : للشوكاني، 35/3.

(2) انظر تفسير القرآن العظيم : لابن كثير، 12/4.

(3) تيسير الكريم الرحمن : للشيخ السعدي، ص 515.

(4) انظر تفسير القرآن العظيم : لابن كثير، 16/4.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

6- إن المحسنين لهم حسنة في الدنيا : قال تعالى : ﴿**قُلْ يَا عِبَادِ الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا رَبَّكُمْ لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا حَسَنَةٌ وَأَرْضُ اللَّهِ وَاسِعَةٌ إِنَّمَا يُوَفَّى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُم بِغَيْرِ حِسَابٍ**﴾ (الزمر : 10). في هذه الآيات جمع الله بين الإيمان والتقوى والإحسان والصبر؛ وقال بأن للمحسنين في هذه الدنيا حسنة والحسنة هي الرزق الواسع والنفس المطمئنة والقلب المنشرح[1].

قال تعالى: ﴿**مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً**﴾ (النحل : 97)، قال رسول الله ﷺ : [إن الله لا يظلم مؤمناً حسنة، يُعطى بها في الدنيا ويُجزى بها في الآخرة][2]، وفي حديث آخر قال عليه الصلاة والسلام : [وأما المؤمن فإن الله يدخر له حسناته في الآخرة ويعقبه رزقاً في الدنيا على طاعته][3].

هذا جزاء المحسنين في الدنيا ولكن أجرهم في الآخرة أعظم وأبقى، قال تعالى : ﴿**وَلَأَجْرُ الآخِرَةِ خَيْرٌ لِّلَّذِينَ آمَنُواْ وَكَانُواْ يَتَّقُونَ**﴾ (يوسف : 57).

ثانياً : جزاء المحسنين في الآخرة :

1- أنهم آمنون من الخوف والحزن : قال تعالى : ﴿**بَلَى مَنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَلَهُ أَجْرُهُ عِندَ رَبِّهِ وَلاَ خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلاَ هُمْ يَحْزَنُونَ**﴾ (البقرة : 112)، فالمحسنون لا يخافون يوم القيامة، ولا يحزنون عند الموت[4].

2- أن الإحسان جزاؤه الإحسان : فالله عز وجل جعل الجزاء من جنس العمل، فالإحسان في الدنيا يقابله الإحسان في الجزاء والثواب في الآخرة. قال تعالى : ﴿**وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ جَنَّتَانِ * فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ * ذَوَاتَا أَفْنَانٍ * فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ * فِيهِمَا عَيْنَانِ تَجْرِيَانِ * فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ * فِيهِمَا مِن كُلِّ فَاكِهَةٍ زَوْجَانِ * فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ * مُتَّكِئِينَ عَلَى فُرُشٍ بَطَائِنُهَا مِنْ إِسْتَبْرَقٍ وَجَنَى الْجَنَّتَيْنِ دَانٍ * فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ * فِيهِنَّ قَاصِرَاتُ الطَّرْفِ لَمْ يَطْمِثْهُنَّ إِنسٌ قَبْلَهُمْ وَلَا جَانٌّ * فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ * كَأَنَّهُنَّ الْيَاقُوتُ وَالْمَرْجَانُ * فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ * هَلْ جَزَاءُ الإِحْسَانِ إِلا الإِحْسَانُ**﴾ (الرحمن : 46-60).

---

(1) انظر تيسير الكريم الرحمن : للشيخ السعدي، ص 526.

(2) صحيح مسلم، ص 1081، كتاب صفة القيامة والجنة والنار، باب جزاء المؤمن بحسناته في الدنيا والآخرة، حديث (2808).

(3) صحيح مسلم، ص 1081، كتاب صفة القيامة والجنة والنار، باب جزاء المؤمن بحسناته في الدنيا والآخرة، الحديث بدون رقم.

(4) انظر تيسير الكريم الرحمن : للسعدي، ص 611.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

والتعقيب بقوله تعالى : ﴿**هَلْ جَزَاء الإِحْسَانِ إِلا الإِحْسَانُ**﴾ (الرحمن : 60) يدل على أن وصف الجنتين والنعيم الذي يحويهما، كله أعد للمحسنين من عباد الله[1].

فيكون الإحسان لأهل الإحسان ما يلي :

أ- إن لهم جنتين : جنة جزاء على ترك المعاصي والأخرى لفعلهم الطاعات، والجنتان كل ما فيها من ذهب، الآنية والحُلي، والبنيان، وفيهما الأشجار الكثيرة، ذوات الغصون الناعمة التي تحمل الثمار اليانعة اللذيذة، وفي تلك الجنتين عينان تجريان كما أن فيهما فواكه كثيرة من جميع الأصناف، ولكل صنف لذة ولون خاص به[2].

ب- إن المحسنين لهم فرش في الجنة: فهم يتكئون على فرشهم، وهذه الفرش جعلها الله تعالى لهم من الديباج الغليظ أو الديباج المزين بالذهب، وفي ذلك تنبيه على شرف الظهارة بشرف البطانة وهو من التنبيه بالأدنى على الأعلى[3].

ج- الثمار التي يتلذذ بها المحسنون ويأكلونها : وهي تكون قريبة منهم متى أرادوها تناولوها على أي صفة سواءً كانوا قائمين أو قاعدين أو مضطجعين.

د- إن زوجاتهم قاصرات الطرف عليهم : وهن اللواتي قصُرن طرفهن على أزواجهن من شدة عفتهن وحسنهن وجمالهن، وكمال محبتهن لهم، فهن لا يرَين شيئاً أحسن من وجوه أزواجهن، ولم يطأهن قبل أزواجهن أحد من الإنس أو الجن، فهن عرب أبكار، متحببات إلى أزواجهن بحسن التبعل والملاحة والدلال، وهن من شدة جمالهن كالياقوت في الصفاء، والمرجان في البياض[4].

قال رسول الله ﷺ : [إن أول زمرة تدخل الجنة على صورة القمر ليلة البدر، والتي تليها على أضوأ كوكب دري في السماء، لكل مسلم منهم زوجتان اثنتان، يُرى مُخ سوقهما من وراء اللحم وما في الجنة أعزب][5].

3- المحسنون لهم الحسنى وزيادة : لقوله تعالى: ﴿**وَيَجْزِيَ الَّذِينَ أَحْسَنُوا بِالْحُسْنَى**﴾ (النجم: 31). أي الذين أحسنوا في عبادة الله، وأحسنوا إلى خلقه بأنواع المنافع، فإن جزاءهم الحال الحسنة

---

(1) انظر تفسير القرآن العظيم : لابن كثير، 155/1.

(2) انظر تيسير الكريم الرحمن : للشيخ السعدي، ص 611.

(3) انظر تفسير القرآن العظيم : لابن كثير، 277/4.

(4) انظر تفسير القرآن العظيم: لابن كثير، 277/4-278؛ وانظر تيسير الكريم الرحمن: للشيخ السعدي، ص 611.

(5) صحيح مسلم، ص 1089، كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها، باب أول زمرة تدخل الجنة على صورة القمر وصفاتهم وأزواجه، حديث رقم (2834).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

في الدنيا والآخرة، كما أن لهم رضا الله والفوز بالجنة وما فيها من نعيم[1]، ولقوله تعالى : ﴿**لِّلَّذِينَ أَحْسَنُواْ الْحُسْنَى وَزِيَادَةٌ وَلاَ يَرْهَقُ وُجُوهَهُمْ قَتَرٌ وَلاَ ذِلَّةٌ أُوْلَـئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ**﴾ (يونس : 26).

فالمحسنون الذين أحسنوا العمل في الدنيا بالإيمان بالله والعمل الصالح جزاؤهم في الدار الآخرة أن الله يضاعف أعمالهم الحسنة بعشر أضعافها إلى سبعمائة ضعف وبالإضافة إلى ما يعطيهم ربهم في الجنان من القصور والحور العين والرضا عنهم وتكون الزيادة على ذلك هي أفضل شيء، وهو النظر إلى وجه الله الكريم، وهي من فضل الله وكرمه ومنته ورحمته بالمحسنين ولم يحصلوا عليها بعملهم[2] لأنه مهما عمل المؤمن فإن رؤية وجه الله لا يكافئها أي عمل.

قال تعالى : ﴿**وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ * إِلَى رَبِّهَا نَاظِرَةٌ**﴾ (القيامة : 22-23)، فقد نضرت فأصبحت ذات حسن وبهاء لأنها في النعيم المقيم بفضل نظرها إلى خالقها.

وقال تعالى: ﴿**لَهُم مَّا يَشَاؤُونَ فِيهَا وَلَدَيْنَا مَزِيدٌ**﴾ (ق : 35)،والمزيد هو النظر لوجه الله الكريم[3].

وقال تعالى : ﴿**وَكَانَ بِالْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا * تَحِيَّتُهُمْ يَوْمَ يَلْقَوْنَهُ سَلَامٌ**﴾ (الأحزاب : 43-44)، فقد أجمع أهل اللغة على أن اللقاء هنا لا يكون إلا معاينة ونظراً بالأبصار[4].

ومن الأحاديث الدالة على رؤية المؤمنين المحسنين ربهم ما ورد [عن النبي ﷺ قال : إذا دخل أهل الجنة الجنة، قال : يقول الله تبارك وتعالى : تريدون شيئاً أزيدكم؟ فيقولون : ألم تبيض وجوهنا؟ ألم تدخلنا الجنة، وتنجنا من النار؟ قال : فيكشف الحجاب فما أعطوا شيئاً أحب إليهم من النظر إلى ربهم عز وجل][5].

وقال رسول الله ﷺ : [جنتان من فضة آنيتهما وما فيهما، وجنتان من ذهب وما فيهما، وما بين القوم وبين أن ينظروا إلى ربهم إلا رداء الكبر على وجهه في جنة عدن][6].

---

(1) انظر تيسير الكريم الرحمن : للشيخ السعدي، ص 603.

(2) انظر تفسير القرآن العظيم : لابن كثير، 414/2.

(3) انظر شرح العقيدة الطحاوية، ص 190؛ وانظر حادي الأرواح إلى بلاد الأفراح : لابن قيم الجوزية، ص 254-282، دار الحديث، القاهرة، 1425هـ-2004م، دون رقم طبعة.

(4) انظر حادي الأرواح إلى بلاد الأفراح : لابن قيم الجوزية، ص 289.

(5) صحيح مسلم، ص 87، كتاب الإيمان، باب إثبات رؤية المؤمنين في الآخرة ربهم سبحانه وتعالى، حديث رقم (181).

(6) صحيح البخاري، 999/3، كتاب التفسير، باب "ومن دونهما جنتان"، حديث رقم (4878).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

وقد أنكر المعتزلة[1] والجهمية[2] ومن تبعهم من الخوارج[3] والإمامية[4] رؤية الله تعالى، وقولهم باطل مردود بالأدلة التي ذُكرت سابقاً، وقد قال بثبوت الرؤية الصحابة والتابعون، وأئمة الإسلام المعروفون وأهل الحديث، وسائر طوائف أهل الكلام المنسوبون إلى السنة والجماعة[5].

4- أنهم لا يرهق وجوههم قتر ولا ذلة : قال تعالى : ﴿**وَلاَ يَرْهَقُ وُجُوهَهُمْ قَتَرٌ وَلاَ ذِلَّةٌ أُوْلَـئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ**﴾ (يونس : 26). فالمحسنون لا يعلو وجوههم الغبار أو السواد من أثر الحزن والضيق، ولا في عرضات المحشر يغشى وجوههم الهوان والصغار، فلا يحصل لهم الإهانة باطناً ولا ظاهراً بل يقيهم الله شر ذلك اليوم، قال تعالى : ﴿**فَوَقَاهُمُ**

---

(1) المعتزلة : فرقة إسلامية نشأت في العصر الأموي وازدهرت في العصر العباسي، اعتمدت على العقل المجرد في فهم العقيدة الإسلامية، حيث تأثرت بالفلسفة المستوردة مما أدى إلى انحرافها عن عقيدة أهل السنة والجماعة، ولها عدة أسماء، المعتزلة والقدرية والعدلية، وأهل العدل والتوحيد والمقتصدة والوعيدية. (انظر الموسوعة الميسرة، 64/1).

(2) الجهمية : وهي إحدى الفرق الكلامية التي تنتسب إلى الإسلام، قامت على البدع الكلامية المخالفة لعقيدة أهل السنة والجماعة وقد تأثرت بعقائد وآراء اليهود والمشركين والفلاسفة، وأول من قال بها الجهم بن صفوان في بلدة ترفد بخراسان، وعقيدة الجهمية عقيدة فاسدة وذلك لإنكارها جميع أسماء الله تعالى، وقولهم بأن القرآن مخلوق ونفيهم لعذاب القبر والصراط والميزان ورؤية الله تعالى، وغيره من الأمور التي تخالف فيها أهل السنة والجماعة. (انظر الموسوعة الميسرة، 1040/2).

(3) (الخوارج) : عرفهم الشهرستاني بقوله "كل من خرج على الإمام الحق الذي اتفقت عليه الجماعة يسمى خارجياً، سواءً كان الخروج في أيام الصحابة على الأئمة الراشدين أو غيرهم من التابعين لهم بإحسان". الموسوعة الميسرة، 1052/2. وهي من أوائل الفرق التي ظهرت في الإسلام حيث انقسمت إلى ما يتجاوز العشرين فرقة ولكن أكبرها هي المحكمة الأولى والأزارقة والنجدات، والثعالبة، والعجاردة، والأباضية، والصفرية، وهم يكفرون مرتكب الكبيرة. ولا يوجد في زماننا الحالي سوى فرقة الأباضية والمنتشرة في سلطنة عمان وجنوب ليبيا وبلاد المغرب العربي وزنجبار. (انظر الموسوعة الميسرة، 1053/2-1054).

(4) الإمامية : سموا بذلك لأنهم يؤمنون بأن الإمامة ركن من أركان الإيمان، ولا يصح إيمان المرء إلا إذا آمن بالإمامة، واعتبروا أن الإمام هو علي رضي الله عنه، نص الرسول صلى الله عليه وسلم على إمامته بالذات فعين إماماً بوصية وأن الأئمة من بعده هم أولاده من فاطمة رضي الله عنها، إذ لا يجوز للرسول أن يموت ويترك الأمة من بعده دون إمام، ولذلك أوصى بالخلافة لعلي رضي الله عنه. (انظر مقالات الإسلاميين : أبي الحسن الأشعري، 89/1؛ المواقف في علم الكلام : للإيجي، ص 423؛ تاريخ المذاهب الإسلامية : للإمام محمد أبو زهرة، ص 48؛ دراسات في الفرق : د. صابر طعيمة، ص 11).

(5) انظر كتاب الأسماء والصفات : لابن تيمية، 525/2، تحقيق مصطفى عطا، منشورات محمد بيضون، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، 1418هـ-1998م؛ وانظر شرح العقيدة الطحاوية، ص 189.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

اللَّهُ شَرَّ ذَلِكَ الْيَوْمِ وَلَقَّاهُمْ نَضْرَةً وَسُرُورًا﴾ (الإنسان : 11)، أي يجعل لهم النضرة في وجوههم والسرور في قلوبهم[1].

ثالثاً : جزاء الإحسان في الدنيا والآخرة معاً :

1- حب الله تعالى للمحسنين : قال تعالى : ﴿**وَأَحْسِنُوَاْ إِنَّ اللّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ**﴾ (البقرة : 195).

وحب الله للمحسنين : هو رضاه عنهم وإكرامه وإعزازه وتعظيمه لهم، وإرادة الخير لهم والحكم لهم بالجنة وهذا هو منتهى سعادتهم[2].

2- معية الله تعالى للمحسنين : ﴿**وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ**﴾ (العنكبوت : 69).

الذين يعملون بما يعلمون يهديهم الله لما لا يعلمون، أو الذين هاجروا في سبيل الله وجاهدوا أعداء الله، وبذلوا أقصى جهدهم لطاعته ورضاه، فإن الله يبصرهم بالطرق الموصلة إليه سبحانه وذلك بسبب إحسانهم[3].

ومعية الله للمحسنين : تكون "بالعون والنصر والهداية، دل هذا على أن أحرى الناس بموافقة الصواب، أهل الجهاد وعلى من أحسن فيما أمره به، أعانه الله، ويسر له أسباب الهداية"[4].

3- رحمة الله تعالى للمحسنين : إن الله تعالى يختص برحمته من يشاء من عباده، والمحسنون من الذين شملتهم رحمة الله تعالى، قال تعالى : ﴿**وَلاَ تُفْسِدُواْ فِي الأَرْضِ بَعْدَ إِصْلاَحِهَا وَادْعُوهُ خَوْفًا وَطَمَعًا إِنَّ رَحْمَتَ اللّهِ قَرِيبٌ مِّنَ الْمُحْسِنِينَ**﴾ (الأعراف : 56).

نهى الله عز وجل عن الإفساد في الأرض بالشرك والمعاصي بعد أن كانت صالحة بإرسال الرسل والطاعات حيث إن الطاعات تصلح بها الأخلاق والأرزاق وأعمال الدنيا والآخرة[5].

وأمر الله تعالى بالدعاء والتضرع له والتذلل لديه خوفاً مما عنده سبحانه من عقاب وطمعاً في مغفرته وثوابه[6].

وقرب رحمة الله من المحسنين تعني : "إن رحمته مرصدة للمحسنين الذين يتبعون أوامره، ويتركون زواجره كما قال تعالى : ﴿ **وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ**﴾ (الأعراف : 156)، وقال قريب ولم يقل قريبة لأنه ضمن الرحمة معنى الثواب، أو لأنها

---

(1) انظر تفسير القرآن العظيم : لابن كثير، 414/2-415؛ وانظر في ظلال القرآن : سيد قطب، 1779/3.

(2) انظر الإحسان في القرآن الكريم والسنة المطهرة (رسالة ماجستير) : رياض قاسم، ص 324.

(3) انظر تفسير القرآن العظيم : لابن كثير، 422/3؛ وانظر تيسير الكريم الرحمن : للسعدي، ص 462.

(4) تيسير الكريم الرحمن : للشيخ السعدي، ص 462.

(5) انظر صفوة التفاسير : للصابوني، 451/1؛ وانظر تيسير الكريم الرحمن : للشيخ السعدي، ص 191.

(6) انظر تفسير القرآن العظيم : لابن كثير، 222/2.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

مضافة إلى الله فلهذا قال قريب من المحسنين"[1]. وإن الله أرحم من الوالدة على ولدها، وكلما كان المؤمن أكثر إحساناً كان أقرب إلى رحمة ربه، وكان ربه قريباً منه برحمته وفي هذا حث كبير على الإحسان[2].

وبهذا يتبين أن الإحسان شمل كل أنواع الخير، وله من عظيم الجزاء ما لا يعلمه إلا الله عز وجل، ومن هذا الجزاء جزاء في الدنيا ليطمئن قلب المحسن ويزيد في إحسانه، وجزاء في الآخرة قد ذكره الله في كتابه العزيز وسنة رسوله عليه الصلاة والسلام لكي يشتاق المحسن له، ومنه ما يكون في الدنيا والآخرة كحب الله للمحسن ومعيته وقرب رحمته، فما أعظمه من جزاء لمن وفقه الله للعمل لما يحب ويرضى.

(1)انظر تفسير القرآن العظيم : لابن كثير، 222/2.

(2) انظر تيسير الكريم الرحمن : للشيخ السعدي، ص 191.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

الفصل الثالث

دور العقيدة في تحقيق النصر والتمكين للأمة الإسلامية في ضوء سورة يوسف عليه السلام

ويشتمل على مبحثين :

المبحث الأول : دور العقيدة في تحقيق النصر.

المبحث الثاني: دور العقيدة في التمكين للأمة الإسلامية.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

المبحث الأول

دور العقيدة في تحقيق النصر

المطلب الأول : النصر من الله وحده.

المطلب الثاني : أوصاف المؤمنين المؤيدين بالنصر.

المطلب الثالث : عوامل النصر.

المطلب الرابع : عوامل الهزيمة.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

المبحث الأول

دور العقيدة في تحقيق النصر

المطلب الأول : النصر من الله وحده :

إن الله عز وجل هو الذي بيده كل شيء، وهو القادر على كل شيء، والإنسان مهما كان قوياً إلا أنه لا يمثل شيئاً بالنسبة لقوة الله وعظمته، فهو سبحانه الذي يقول للشيء كن فيكون، قال تعالى : ﴿**إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ**﴾ (يس : 82).

فهو الذي ينصر عباده المؤمنين إن كانوا يستحقون النصر منه سبحانه لقوله تعالى: ﴿**وَمَا النَّصْرُ إِلاَّ مِنْ عِندِ اللّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ**﴾ (آل عمران : 126)، وهذه سنة من سنن الله في هذا الكون وهو أن ينصر عباده المؤمنين الموحدين[1]، فالعبودية التامة لله تعالى والتذلل له سبحانه من أعظم الأمور التي يستحق بها المؤمن النصر من الله. وللنصر عدة وجوه :

1- نصر الله عباده المؤمنين بعباده المؤمنين :

قال تعالى مخاطباً رسوله الكريم : ﴿**وَإِن يُرِيدُواْ أَن يَخْدَعُوكَ فَإِنَّ حَسْبَكَ اللّهُ هُوَ الَّذِي أَيَّدَكَ بِنَصْرِهِ وَبِالْمُؤْمِنِينَ * وَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ لَوْ أَنفَقْتَ مَا فِي الأَرْضِ جَمِيعاً مَّا أَلَّفْتَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ وَلَـكِنَّ اللّهَ أَلَّفَ بَيْنَهُمْ إِنَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ * يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ حَسْبُكَ اللّهُ وَمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ**﴾ (الأنفال : 62-64).

ففي هذه الآية يخاطب الله رسوله ﷺ قائلاً له بأن الله كافيك مما يؤذيك من الكفار والمشركين وهو الذي يقوم بمصالحك وما تحتاج إليه، فقد سبق من كفايته ونصره لك ما يطمئن به فؤادك، فهو سبحانه الذي أعانك بالنصر من عنده، وسخر المؤمنين لنصرتك بعد أن جمعهم وجعل قلوبهم متآلفة، فزادت قوتهم بهذه الألفة، وذلك الاجتماع، وهذا لم يكن بقوة أحد غير قوة الله تعالى، وإنك لو أنفقت ما في الأرض من فضة وذهب حتى تؤلف بينهم ما استطعت إلى ذلك سبيلاً، لأن ذلك بيد الله وهو القادر على تقليب القلوب وتغييرها وحده سبحانه.

فبعزته ألف بين قلوبهم، وجمعهم بعد الفرقة، قال تعالى : ﴿**وَاذْكُرُواْ نِعْمَةَ اللّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَاء فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا**﴾ (آل عمران : 103). والله عز وجل كافي نبيه والمتبعين له بالنصرة والغلبة على الأعداء[2].

---

(1) مجلة جنات – قوانين النصر وواجب المسلمين في تحصيله : د. يوسف القرضاوي، ص 30، العدد التاسع والثلاثون، ربيع أول 1428هـ-2007م.

(2) انظر تيسير الكريم الرحمن : للشيخ السعدي، ص 218.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

2- نصر الله لعباده المؤمنين بالملائكة :

قد يكون نصر الله تعالى لعباده المؤمنين بواسطة الملائكة كما حدث في غزوة بدر والخندق وحنين[1].

ففي غزوة بدر نظر رسول الله ﷺ فوجد عددهم قليلاً ثلاثمائة وأكثر بقليل والمشركون ألف وزيادة عندها لجأ إلى ربه مستقبلاً القبلة وعليه رداؤه وإزاره[2].

يقول ابن إسحاق : "عدل رسول الله ﷺ الصفوف، ورجع إلى العريش فدخله، ومعه فيه أبو بكر الصديق، ليس معه فيه غيره، ورسول الله ﷺ يناشد ربه ما وعده من النصر، ويقول فيما يقول : اللهم إن تهلك هذه العصابة اليوم لا تُعبد، وأبو بكر يقول : يا نبي الله : بعض مناشدتك ربك، فإن الله منجز لك ما وعدك، وقد خفق[3] رسول الله ﷺ خفقة وهو في العريش، ثم انتبه فقال : أبشر يا أبا بكر أتاك نصر الله، هذا جبريل آخذ بعنان فرس يقوده على ثناياه النقع"[4].[5]

فالرسول ﷺ علِمَ علْم اليقين أن النصر لا يأتي إلا من الله تعالى فلذلك لجأ إليه واستعان به بالدعاء والتضرع والتذلل له سبحانه ولقد "بالغ في الابتهال حتى سقط رداؤه عن منكبيه، فرده عليه الصديق وقال : حسبك يا رسول الله، ألححت على ربك"[6].

فهذا التضرع، وهذه العبودية التي اتخذت مظهرها الرائع عند رسول الله ﷺ، وطول دعائه ومناشدته ربه تعالى لهي السبب الذي استحق به التأييد والنصرة من الله عز وجل[7].

وقد أغاث الله رسوله والمؤمنين بالملائكة بعد الأخذ بأسباب النصر، قال تعالى : ﴿**إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّي مُمِدُّكُم بِأَلْفٍ مِّنَ الْمَلآئِكَةِ مُرْدِفِينَ * وَمَا جَعَلَهُ اللّهُ إِلاَّ بُشْرَى وَلِتَطْمَئِنَّ بِهِ قُلُوبُكُمْ وَمَا النَّصْرُ إِلاَّ مِنْ عِندِ اللّهِ إِنَّ اللّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ**﴾ (الأنفال : 9-10).

---

(1) انظر مجلة جنات، ص 30.

(2) انظر تفسير القرآن العظيم : لابن كثير، 289/2.

(3) خفق القلب خفقاناً إذا اضطرب، وخفق برأسه خفقة أو خفقتين إذا أخذته سنة من النعاس، فمال رأسه دون سائر جسده. (المصباح المنير : أحمد المقرئ، ص 108، كتاب الخاء).

(4) النقع : الغبار. (انظر مختار الصحاح : للرازي، ص 676، باب النون).

(5) السيرة النبوية : لابن هشام، 626/1-627.

(6) الرحيق المختوم : للمباركفوري، ص 241.

(7) انظر فقه السيرة : سعيد رمضان البوطي، ص 223.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

عندما طلب المؤمنون العون والنصرة من الله أغاثهم بألف من الملائكة المتتابعين، هذا لتستبشر به نفوس المؤمنين، وتطمئن قلوبهم، وإلا فإن النصر بيد الله عز وجل وليس بكثرة العدد ولا العُدد، فالله لا يغالبه أحد، فهو القهار الذي يخذل المشركين والكفار مهما بلغوا من كثرة وعدد وآلات، وهو حكيم يُقدر الأمور بأسبابها ويضع الأشياء مواضعها[1].

وقوله تعالى : ﴿**وَمَا النَّصْرُ إِلاَّ مِنْ عِندِ اللّهِ**﴾ فيه تنبيه على أن النصر من عنده جل شأنه لا من الملائكة، فالملائكة سبب من أسباب النصر وليس هي المحققة للنصر.

يقول سيد قطب رحمه الله : "لقد استجاب لهم ربهم وهم يستغيثون، وأنبأهم أنه ممدهم بألف من الملائكة مردفين، ومع عظمة هذا الأمر ودلالته على قيمة هذه العصبة، وقيمة هذا الدين في ميزان الله، إلا أن الله سبحانه لا يدع المسلمين يفهمون أن هناك سبباً يُنشئ نتيجة، إنما يرد الأمر كله إليه سبحانه تصحيحاً لعقيدة المسلم، وتصوره.

فهذه الاستجابة، وهذا المدد، وهذا الإخبار به كل ذلك لم يكن إلا بشرى، ولتطمئن به القلوب، أما النصر فلم يكن إلا من عند الله ... هذه هي الحقيقة الاعتقادية التي يقررها السياق القرآني هنا، حتى لا يتعلق قلب المسلم بسبب من الأسباب أصلاً"[2].

3- نصر الله لعباده المؤمنين بالريح :

لقد نصر الله عباده المؤمنين بالريح، كما حدث في غزوة الأحزاب عندما دعا الرسولﷺ على الأحزاب بقوله : "اللهم منزل الكتاب، سريع الحساب، اللهم اهزم الأحزاب، اللهم اهزمهم، وزلزلهم"[3].

لقد سمع الله دعاء رسوله ﷺ والمسلمين، فأرسل عليهم جنداً من الريح، فجعلت تقوض خيامهم، ولا تدع لهم قدراً إلا كفأتها، ولا طنباً[4] إلا قلعته، ولا يقر لهم قرار، وأرسل جنداً من الملائكة يزلزلونهم، ويلقون في قلوبهم الرعب والخوف.

وأرسل رسول الله ﷺ في تلك الليلة الباردة القارسة حذيفة بن اليمان يأتيه بخبرهم، فوجدهم على هذه الحال، وقد تهيأوا للرحيل، فرجع إلى رسول الله ﷺ فأخبره برحيل القوم،

---

(1) انظر تفسير القرآن العظيم : لابن كثير، 290/2؛ وانظر الجامع لأحكام القرآن : للقرطبي، 370/9؛ وانظر تيسير الكريم الرحمن : للشيخ السعدي، ص 211.

(2) في ظلال القرآن : سيد قطب، 1483/3.

(3) صحيح البخاري، 591/2، كتاب الجهاد، باب الدعاء على المشركين بالهزيمة والزلزلة، حديث رقم (2933).

(4) الطُنُب : الحبل الذي تشد به الخيمة. (انظر المصباح المنير : أحمد المقري، ص 226).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

فأصبح رسول الله ﷺ، وقد رد الله عدوه بغيظه لم ينالوا خيراً، وكفاه الله قتالهم، فصدق وعده، وأعز جنده، ونصر عبده وهزم الأحزاب وحده[1].

وقد ذكّر الله تعالى المؤمنين بنعمته عليهم، وأنه قد هزم عدوهم فقال تعالى : ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَاءتْكُمْ جُنُودٌ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا وَجُنُودًا لَّمْ تَرَوْهَا وَكَانَ اللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرًا**﴾ (الأحزاب : 9).

وأنه سبحانه كفى المؤمنين القتال وقذف الرعب في قلوب من ناصروهم من أهل الكتاب وأورث المسلمين ديارهم وأرضهم وأموالهم فقال تعالى : ﴿**وَرَدَّ اللَّهُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِغَيْظِهِمْ لَمْ يَنَالُوا خَيْرًا وَكَفَى اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ الْقِتَالَ وَكَانَ اللَّهُ قَوِيًّا عَزِيزًا * وَأَنزَلَ الَّذِينَ ظَاهَرُوهُم مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مِن صَيَاصِيهِمْ وَقَذَفَ فِي قُلُوبِهِمُ الرُّعْبَ فَرِيقًا تَقْتُلُونَ وَتَأْسِرُونَ فَرِيقًا* وَأَوْرَثَكُمْ أَرْضَهُمْ وَدِيَارَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ وَأَرْضًا لَّمْ تَطَؤُوهَا وَكَانَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرًا**﴾ (الأحزاب : 25-27).

4- النصر للمؤمنين بالنعاس والمطر :

ويكون نصر الله لعباده المؤمنين بواسطة النعاس والمطر كما حدث يوم غزوة بدر، قال تعالى : ﴿**إِذْ يُغَشِّيكُمُ النُّعَاسَ أَمَنَةً مِّنْهُ وَيُنَزِّلُ عَلَيْكُم مِّن السَّمَاء مَاء لِّيُطَهِّرَكُم بِهِ وَيُذْهِبَ عَنكُمْ رِجْزَ الشَّيْطَانِ وَلِيَرْبِطَ عَلَى قُلُوبِكُمْ وَيُثَبِّتَ بِهِ الأَقْدَامَ**﴾ (الأنفال : 11).

إنه أنزل عليهم النعاس يغشاهم، فيذهب ما في نفوسهم من الخوف، ويستبدله بالأمن، وذلك علامة على النصر والتأييد والطمأنينة من الله. وبعد النعاس أنزل الله – تعالى – مطراً من السماء، ليطهر به المؤمنين من الحدث والخبث، وليطهرهم من وساوس الشيطان وتخويفه لهم من العطش، وحتى يثبت قلوبهم ويقويها باليقين والصبر، لأن ثبات القلب أصل لثبات البدن، كذلك ليثبت أقدامهم على أرض المعركة، لتكون سهلة السير عليها بعد نزول المطر[2].

ويقول سيد قطب رحمه الله عند تفسيره لهذه الآية : "ويتم المدد الروحي بالمدد المادي، وتسكن القلوب بوجود الماء، وتطمئن الأرواح بالطهارة، وتثبت الأقدام بثبات الأرض وتماسك الرمال"[3].

---

(1) انظر الرحيق المختوم : للمباركفوري، ص 350-351.

(2) انظر تيسير الكريم الرحمن : للشيخ السعدي، ص 211؛ وانظر قرآن كريم تفسير وبيان : محمد الحمصي، ص 178.

(3) في ظلال القرآن : سيد قطب، 1485/3.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

5- النصر للمؤمنين من الله بإلقاء الرعب في قلوب أعداء الله :

كما حدث ليهود بني النضير فبعد حادثة بئر معونة التي قُتل فيها سبعون من أفاضل الصحابة وقرائهم، وبعد محاولة اليهود اغتيال الرسول ﷺ قرر المسلمون محاربة بني النضير، وإجلائهم عن المدينة، فاستعمل الرسول ﷺ ابن أم مكتوم على المدينة، وجعل علي بن أبي طالب رضي الله عنه يحمل لواء المسلمين، وعندما وصل إليهم فرض عليهم الحصار، وقد تخلى عنهم حلفاؤهم من غطفان واعتزلتهم قريظة وخانهم عبد الله بن أبيّ، فلم يساعدهم أحد، وقد دام الحصار ستة أيام وقيل خمسة عشرة ليلة، حتى ألقى الله عز وجل في قلوب بني النضير الرعب – فأرسلوا إلى رسول الله ﷺ – طالبين منه أن يخرجوا من المدينة، فوافق عليه الصلاة والسلام أن يخرجوا بأنفسهم وذراريهم، وأن لهم ما حملت إبلهم إلا السلاح، فما كان منهم إلا أن خربوا بيوتهم، واقتلعوا الأبواب والشبابيك منها، وحملوا كل ذلك، وقد حمل بعضهم الأوتاد وجذوع السقف، وحملوا النساء والصبية على ستمائة بعير، ورحل أكابرهم ومنهم حيي بن أخطب وأسلم منهم رجلان.

وقد استولى الرسول ﷺ على أرض بني النضير وديارهم وأموالهم، وعدة الحرب التي كانوا يحاربون بها المسلمين، وأنزل الله عز وجل سورة الحشر كاملة في هذه الغزوة[1].

وبذلك أعز الله تعالى دينه ونصر رسوله والمؤمنين قال تعالى : ﴿**هُوَ الَّذِي أَخْرَجَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مِن دِيَارِهِمْ لِأَوَّلِ الْحَشْرِ مَا ظَنَنتُمْ أَن يَخْرُجُوا وَظَنُّوا أَنَّهُم مَّانِعَتُهُمْ حُصُونُهُم مِّنَ اللَّهِ فَأَتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ حَيْثُ لَمْ يَحْتَسِبُوا وَقَذَفَ فِي قُلُوبِهِمُ الرُّعْبَ يُخْرِبُونَ بُيُوتَهُم بِأَيْدِيهِمْ وَأَيْدِي الْمُؤْمِنِينَ فَاعْتَبِرُوا يَا أُولِي الْأَبْصَارِ**﴾ (الحشر : 2).

وما حدث لليهود في غزة هو شبيه ما حدث لهم في أيام الرسول ﷺ، فعندما واجههم المجاهدون بالضربات المتلاحقة، فما كان منهم إلا أن رحلوا عن أرض غزة المباركة، بعد أن ألقى الله عز وجل الرعب في قلوبهم، فأخذوا يخربون المستعمرات التي كانوا يسكنونها قبل رحيلهم، وبذلك منّ الله تعالى على أهل غزة بالعز فتحررت من رجس يهود، وفرح المسلمون بذلك وذهبوا زرافات ووحدانا لينظروا النصر بأعينهم وَخُلُو المحررات ممن كانوا يعيثون في الأرض الفساد.

(1) انظر الرحيق المختوم : للمباركفوري، ص 332-333.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

المطلب الثاني : أوصاف المؤمنين المؤيدين بالنصر :

إن الله عز وجل ذكر في كتابه العزيز أوصاف من يستحقون النصر من عباده الصالحين وذلك في قوله تعالى : ﴿**وَلَيَنصُرَنَّ اللَّهُ مَن يَنصُرُهُ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ * الَّذِينَ إِن مَّكَّنَّاهُمْ فِي الأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ وَأَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ الْمُنكَرِ وَلِلَّهِ عَاقِبَةُ الأُمُورِ**﴾ (الحج : 40-41).

إن الله عز وجل تعهد بنصرة دينه، ونصرة من يقاتل في سبيله حتى تكون كلمة الله هي العليا لأنه سبحانه كامل القوة، عزيز لا يرام، وقد قهر الخلائق وأخذ بنواصيهم. وفي هذه الآية بشارة من الله عز وجل بالنصر للمؤمنين إن حققوا الشروط التي ذكرها الله تعالى، واعتمدوا على الله تعالى ثم عملوا بالأسباب المأمور بها في الآية وهي أن ينصروا الله في أنفسهم بالإيمان به والأعمال الصالحة، وطلب مرضاة الله في كل شيء يفعلوه، قال تعالى : ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن تَنصُرُوا اللَّهَ يَنصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ**﴾ (محمد : 7).

"هذا أمر منه تعالى للمؤمنين، أن ينصروا الله بالقيام بدينه، والدعوة إليه، وجهاد أعدائه، وأن يقصدوا بذلك وجه الله، فإنهم إن فعلوا ذلك نصرهم، وثبت أقدامهم، أي : يربط على قلوبهم بالصبر والطمأنينة، والثبات، ويُصبر أجسادهم على ذلك، ويعينهم على أعدائهم، فهذا وعد من كريم صادق الوعد، أن الذي ينصره بالأقوال والأفعال، سينصره مولاه، وييسر له أسباب النصر من الثبات وغيره"[1].

فنصر الله عز وجل لهذه الأمة مترتب على نصرة هذه الأمة له، فإن قامت بهذا الشرط فنصرته تبارك وتعالى وذلك بالقيام بطاعته، وإعلاء كلمته، وإيثار شريعته، والاستظلال برايته، فإنها إن فعلت ذلك تلقت الجزاء الموعود في قوله تعالى: ﴿**وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ الْمُؤْمِنِينَ**﴾ (الروم: 47).[2]

ومن أوصاف المؤمنين المؤيدين بالنصر أنهم إن مكنهم الله في الأرض : أي ملكهم الأرض وجعلهم المتصرفين فيها من غير أن ينازعهم أحد أو يعارضهم أحد فإنهم :

1- يقيمون الصلاة : أي يحافظون على أوقاتها وأركانها وشروطها والخشوع فيها.
2- يؤتون الزكاة : أي يعطونها لمن يستحقها.
3- يأمرون بالمعروف : وهو يشمل كل معروف حسنه الشرع والعقل من حقوق الله تعالى وحقوق الخلق.
4- ينهون عن المنكر : أي ما ينكره الشرع والعقل ويُعرف قبحه[3].

---

(1) تيسير الكريم الرحمن : للشيخ السعدي، ص 578.
(2) انظر الإيمان طريقنا إلى النصر : محمد نمر الخطيب، ص 14، دون دار للطبع، الطبعة الثانية، 1390هـ-1970م.
(3) انظر تيسير الكريم الرحمن : للشيخ السعدي، ص 386.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

"والأمر بالشيء والنهي عنه، يدخل فيه ما لا يتم إلا به، فإذا كان المعروف والمنكر يتوقف على تعلم وتعليم أجبروا الناس التعلم والتعليم، وإذا كان يتوقف على تأديب مقدر شرعاً أو غير مُقَدر، كأنواع التعزير قاموا بذلك، وإذا كان يتوقف على جعل أناس مُتصدين له، لزم ذلك، ونحو ذلك مما لا يتم الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر إلا به"[1].

يقول سيد قطب رحمه الله في تفسيره لهذه الآية عن علامة من يستحقون النصر : "الذين إن مكناهم في الأرض" فحققنا لهم النصر، وثبتنا لهم الأمر "أقاموا الصلاة" فعبدوا الله ووثقوا صلتهم به، واتجهوا إليه خاضعين مستسلمين، "وآتوا الزكاة" فأدوا حق المال، وانتصروا على شح النفس، وتطهروا من الحرص، وغلبوا وسوسة الشيطان وسدوا خلة الجماعة، وكفوا الضعاف فيها والمحاويج، وحققوا له صفة الجسم الحي كما قال رسول الله ﷺ: [مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم وتعاطفهم مثل الجسد الواحد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى][2].

"وأمروا بالمعروف" فدعوا إلى الخير والصلاح، ودفعوا إليه الناس، "ونهوا عن المنكر" فقاوموا الشر والفساد وحققوا بهذا وذاك صفة الأمة المسلمة التي لا تُبقي على منكر، وهي قادرة على تغييره، ولا تقعد عن معروف وهي قادرة على تحقيقه"[3]

قال تعالى : ﴿**وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاء بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَيُقِيمُونَ الصَّلاَةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَيُطِيعُونَ اللّهَ وَرَسُولَهُ أُوْلَـئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ اللّـهُ إِنَّ اللّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ**﴾ (التوبة : 71).

فالمؤمنون يتناصرون ويتعاضدون لما جاء في حديث الرسول ﷺ : [المؤمن للمؤمن كالبنيان، يشد بعضه بعضاً][4]، فمن تحلى بجميع الصفات المذكورة في الآية وأطاع الله وأحسن إلى خلقه سيرحمه الله ويعزه لأنه سبحانه له العزة ولرسوله وللمؤمنين، وهو أيضاً حكيم في جميع ما يفعله سبحانه وتعالى[5].

---

(1)انظر تيسير الكريم الرحمن : للشيخ السعدي، ص 386.

(2) صحيح مسلم، ص 1001، كتاب البر والصلة والآداب، باب تراحم المؤمنين وتعاطفهم وتعاضدهم، حديث رقم (2586).

(3) في ظلال القرآن : سيد قطب، 2428/4.

(4) صحيح مسلم، ص 1001، كتاب البر والصلة والآداب، باب تراحم المؤمنين وتعاطفهم وتعاضدهم، حديث رقم (2585).

(5) انظر تفسير القرآن العظيم : لابن كثير، 474/2-475.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

وقال تعالى : ﴿**كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللّهِ**﴾ (آل عمران : 110).

فالخير كل الخير في هذه الأمة إن أمرت بالمعروف، ونهت عن المنكر، وآمنت بربها حق الإيمان.

يقول الشيخ السعدي في تفسيره لهذه الآية : "هذا تفضيل من الله لهذه الأمة بهذه الأسباب التي تميزوا بها، وقاموا بها عن سائر الأمم، وأنهم خير الناس للناس، نصحاً ومحبةً للخير، ودعوة، وتعليماً، وإرشاداً وأمراً بالمعروف، ونهياً عن المنكر وجمعاً بين تكميل الخلق والسعي في منافعهم، بحسب الإمكان وبين تكميل النفس بالإيمان بالله والقيام بحقوق الإيمان"[1].

ومن شدة أهمية هذه الصفة للأمة التي تريد النصر فقد أمر الله عز وجل بأن يكون طائفة منها تدعو إلى الله وتأمر بكل معروف، وتنهى عن كل منكر، ووصفهم بأنهم هم الفائزون بخيري الدنيا والآخرة[2]، وذلك في قوله تعالى : ﴿**وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَأُوْلَـئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ**﴾ (آل عمران : 104)، فالذين نصروا منهج الله تعالى الذي أراده للناس في الحياة، واعتزوا به وحده دون سائر المناهج الوضعية الأرضية، هؤلاء هم الذين يعدهم الله تعالى بالنصر المؤزر، ونصر الله لهم يكون من أجل تحقيق المنهج الإلهي في الحياة، من انتصار للحق والعدل والحرية المؤدي إلى الخير والصلاح، وهذا النصر له أسبابه وثمنه وتكاليفه وشروطه، فلا يعطى لأحد محاباة، بل يُعطي لمن يستحقه[3].

فالله عز وجل علم في اللوح المحفوظ من يستحق النصر بعد نصره لله في نفسه ودينه وأمته، لأنه بعد تمكينه في الأرض ينصر الله بإقامته للصلاة وإيتائه للزكاة وأمره بالمعروف ونهيه عن المنكر، فهو يحقق شريعته على وجه الأرض لينشر النور الذي أراده الله للبشرية بأكملها، والمتمثل في قوله تعالى: ﴿**وَاللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ * هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ**﴾ (الصف : 8-9).

ولقد ضرب لنا سلفنا الصالح في تاريخنا الإسلامي أروع الأمثلة في تطبيقهم لشرع الله، والتزامهم الصفات التي استحقوا بها تنزل النصر، وقد شهد بذلك أعداء الأمة.

---

(1) تيسير الكريم الرحمن : للشيخ السعدي، ص 77.
(2) انظر صفوة التفاسير : للصابوني، 221/1.
(3) انظر في ظلال القرآن : سيد قطب، 2428/4.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

روى ابن عساكر[1] وغيره في ذلك، فحوى هذه القصة الآتية :

"لما أخذت جيوش الروم، تنهزم أمام المسلمين، راع ذلك هرقل، فأخذ يستصفي عقلاءهم ويختار كبراءهم، ويقول لهم : ويلكم! أهؤلاء القوم الذين يقاتلونكم، أليسوا بشراً مثلكم؟

قالوا : بلى، قال : أأنتم أكثر أم هم؟

قالوا : بل نحن أكثر أضعافاً منهم، في كل موطن.

قال : فما بالكم تنهزمون كلما لقيتموهم؟

فوجم القوم وسكتوا ولم يحيروا جواباً، ولكن شيخاً من عظمائهم تشجع ورفع رأسه وقال لهرقل : أتريد أن تعرف يا سيدي الملك السبب في ذلك؟

فقال هرقل : نعم. فقال الشيخ : إنهم ينتصرون علينا من أجل أنهم يقومون الليل، ويصومون النهار، ويوفون بالعهد، ويأمرون بالمعروف، وينهون عن المنكر، ويتناصفون[2] بينهم، ومن أجل أننا نشرب الخمر، ونرتكب الزنا، ونفعل الحرام، وننقض العهد، ومن أجل أننا نغضب ونظلم، ونأمر بما يسخط الله، وننهى عما يرضي الله، ونفسد في الأرض.

فقال هرقل : أنت صدقتني"[3].

وسأل هرقل رجلاً كان قد أُسر مع المسلمين بعد وقعة قنسرين[4] فقال له : أخبرني عن هؤلاء القوم؟ فقال : أخبرك عنهم كأنك تنظر إليهم : فرسان بالنهار، رهبان بالليل، لا يأكلون في ذمتهم إلا بثمن ولا يدخلون إلا بسلام، يقفون على من حاربوا حتى يأتوا عليهم.

---

(1) ابن عساكر : هو الحافظ الكبير الثقة، أبو القاسم علي بن الحسن بن هبة الله بن عبد الله بن الحسين ابن عساكر الشافعي، ولد سنة 499هـ، وهو إمام أهل الحديث في الشام، شيوخه كُثر، وكان كثير العلم، عظيم الفضل، فهماً متقناً ذكياً، لم يوجد له نظير في زمانه، له مؤلفات كثيرة منها تاريخ مدينة دمشق، توفي في رجب سنة 571هـ، وقد حضره السلطان صلاح الدين. (انظر سير أعلام النبلاء : للإمام الذهبي، 20/554-570).

(2) يتناصفون : أي ينصف بعضهم بعضاً أي يتعاملون بالقسط والعدل. (انظر المصباح المنير : أحمد المقرئ، ص 361، كتاب النون).

(3) الإيمان طريقنا إلى النصر : محمد الخطيب، ص 18-20.

(4) قنسرين: وهي أسم بلدة في سوريا، عندما فتح أبو عبيدة رضي الله عنه حمص بعث خالد بن الوليد رضي الله عنه إلى قنسرين، ولكن أهلها ثاروا ومن عندهم من نصارى العرب، فقاتلهم خالد قتالاً شديداً، وقتل منهم عدداً كبيراً،و أباد من فيها من الروم، ولكن الأعراب اعتذروا إليه بأن هذا القتال لم يكن عن رأيهم، ولم يزل خالد بهم حتى فتحها، وكان ذلك سنة ست عشرة، في عهد الخليفة عمر بن الخطاب رضي الله عنه. (انظر البداية والنهاية : لابن كثير، 7/58). تحقيق : حامد الطاهر، دار الفجر للتراث، القاهرة، الطبعة الأولى، 1424هـ-2003م.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

لقد وصف هذا الرجل الأسير، المسلمين الذين عرفهم عن قرب، وصفاً أرهب هرقل، وأشاع الخوف في نفسه، وجعل قلبه يرجف خوفاً، فلم تحمله رجلاه، فتهافت على نفسه، وأدرك بفطرته، أن قوماً مثل هؤلاء، لن يغلبوا، وأن جموع الروم أمامهم لن يصمدوا، فقال : لئن كنت صدقتني الحديث، ليملكن موضع قدمي هاتين.

ولما توالت هزيمة الروم أمام جموع المسلمين، وأدرك هرقل أنه غير قادر على دفع هذا الزحف الرباني، وأدرك أنه ليس من طاقة البشر الوقوف أمام هذه الغارة الإلهية، عندما أدرك ذلك، وقف على رابية من رُبى الشام، مودعاً، فقال : السلام عليك يا سورية سلاماً لا لقاء بعده، وداعاً، فلن يدخلك رومي بعد هذا اليوم إلا خائفاً مذعوراً[1].

فالمسلم ينتصر على عدوه بفضل طاعته لله وعقيدته وإيمانه، وأعداء الإسلام ينهزمون بسبب معاصيهم وذنوبهم وكفرهم بالله تعالى.

المطلب الثالث : عوامل النصر :

إذا أرادت الأمة النصر فإنه لا بد لها أن تعمل بأسبابه وتعرف عوامله حتى تطبقها وبعد ذلك تنتظر النصر من الله تعالى، ومن هذه العوامل :

1- تربية الأمة أبناءها على العقيدة الإسلامية الصحيحة :

فعقيدة المسلم هي رأس ماله، والإنسان بدون عقيدة لا يساوي شيئاً، ولم ينتصر المسلمون في أي وقت من الأوقات إلا بفضل هذه العقيدة الراسخة في القلوب رسوخ الجبال الرواسي، ففي معركة اليرموك كان عدد المسلمين أربعة وعشرين ألفاً، والروم كان عددهم عشرين ومائة ألف، وفي رواية أخرى أن جيش الروم أربعون ومئتا ألف، وجيش الصحابة ستة وثلاثون ألفاً، ومع ذلك انتصر المسلمون نصراً مؤزراً على الروم، فقتلوا منهم ما يزيد على مائة ألف، واستشهد من المسلمين ثلاثة آلاف.

فهذا الانتصار العظيم لم تحققه إلا العقيدة الراسخة القوية في قلوب المسلمين، والتي كان لها الأثر الكبير في تحقيق النصر، حيث قدم المسلمون أرواحهم رخيصة في سبيل الله تعالى.

لقد كان أول من استُشهد من المسلمين رجلاً جاء إلى أبي عبيدة فقال: إني تهيأت لأمري، فهل لك من حاجة إلى رسول الله ﷺ، قال : نعم، تقرئه السلام، وتقول يا رسول الله، إنا قد وجدنا ما وعد ربنا حقاً، فتقدم هذا الرجل حتى قتل رحمه الله، وتقابل الجيشان، وتوزع القراء بين جحافل

(1) انظر البداية والنهاية: للإمام ابن كثير، 58/7؛ وانظر الإيمان طريقنا إلى النصر: محمد الخطيب، ص 20.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

المسلمين قبل المعركة يقرأون سورة الأنفال، ويتذاكرونها حتى أن أبا هريرة جعل يقول : سارعوا إلى الحور العين وجوار ربكم عز وجل في جنات النعيم، ولما أقبل خالد من العراق، قال رجل من نصارى العرب لخالد : ما أكثر الروم وأقل المسلمين!! فقال خالد : ويلك أتخوفني بالروم إنما تكثر الجنود بالصبر وتقل بالخذلان، لا بعدد، ودارت المعركة، وثبت كل قوم من المسلمين على رايتهم حتى صارت الروم تدور كأنها الرحى، فلم تر يوم اليرموك إلا مخاً ساقطاً، وكفاً طائراً من ذلك الموطن[1].

وهكذا في باقي معارك المسلمين كانت العقيدة الصحيحة هي التي تحرك أصحابها للجهاد في سبيل الله، فينتصر أصحابها لأنهم أقوياء بها، ولقد دعا سيدنا يوسف عليه السلام من كانوا معه في السجن إلى عقيدة التوحيد الخالص لكي يفوزوا في الدنيا والآخرة : ﴿ **يَا صَاحِبَيِ السِّجْنِ أَأَرْبَابٌ مُتَفَرِّقُونَ خَيْرٌ أَمِ اللَّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ**﴾ (يوسف : 39).

2- حب الجهاد والاستشهاد والرباط في سبيل الله :

إن حب الجهاد والاستشهاد والرباط في سبيل الله تعالى من أكبر العوامل المؤدية إلى النصر، ولأنه لا تنال الأمة كرامتها وعزتها إلا بأن تجاهد في سبيل الله تعالى وتربي أبناءها على ذلك، فالجهاد هو حياة الأمة، وفي انعدامه ذلها، بل انعدام وزنها.

ولقد حثنا الله عز وجل في كتابه العزيز على الجهاد وذلك في قوله تعالى : ﴿**وَجَاهِدُوا فِي اللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِ**﴾ (الحج : 78).

والجهاد : "بذل الوسع في حصول الغرض المطلوب"[2].

والجهاد في الله حق جهاده : "هو القيام التام بأمر الله، ودعوة الخلق إلى سبيله بكل طريق موصل إلى ذلك، من نصيحة وتعليم وقتال، ودأب وزجر ووعظ وغير ذلك"[3].

يقول ابن كثير رحمه الله في تفسيره لهذه الآية : "وجاهدوا في الله حق جهاده" أي "بأموالكم وألسنتكم وأنفسكم"[4]. أي على المسلمين الجهاد بكل أنواع الجهاد سواءً بالمال أو اللسان أو النفس وذلك لكي يتحقق النصر في النهاية. والله عز وجل قد اختار هذه الأمة لمهمة الجهاد، وهذا تشريف وتكريم لها، قال تعالى : ﴿**هُوَ اجْتَبَاكُمْ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ**﴾ (الحج : 78).

---

(1) انظر البداية والنهاية : لابن كثير، 6/7-13.
(2) تيسير الكريم الرحمن : للشيخ السعدي، ص 391.
(3) المصدر السابق، ص 391.
(4) تفسير القرآن العظيم : لابن كثير، 236/3.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

يقول سيد قطب[1] رحمه الله في تفسيره لهذه الآية : "فقد انتدبكم لهذه الأمانة الضخمة واختاركم لها من بين عباده .. وإن هذا الاختيار ليضخم التبعة، ولا يجعل هنالك مجالاً للتخلي عنها أو الفرار، وإنه لإكرام من الله لهذه الأمة ينبغي أن يقابل بالشكر وحسن الأداء، وهو تكليف محفوف برحمة الله.

"وما جعل عليكم في الدين من حرج" وهذا الدين كله بتكاليفه وشرائعه ملحوظ فيه فطرة الإنسان وطاقته، ملحوظ فيه تلبيته تلك الفطرة وإطلاق هذه الطاقة، والاتجاه بها إلى البناء والاستعلاء، فلا تبقي حبيس كالبخار المكتوم... وهو منهج عريق أصيل في ماضي البشرية".

وإن منبع هذا المنهج هو توحيد الله تعالى والذي تمتد حلقاته متصلة منذ سيدنا إبراهيم عليه السلام، ولا يوجد ما يضيع معالم العقيدة التي كانت بين الرسالات قبل سيدنا إبراهيم عليه السلام[2].

والرسول ﷺ رغب المسلمين في الجهاد فقد ورد [عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال النبي ﷺ : من آمن بالله ورسوله وأقام الصلاة وصام رمضان كان حقاً على الله أن يدخله الجنة، جاهد في سبيل الله أو جلس في أرضه التي ولد فيها، قالوا : يا رسول الله، أفلا نبشر الناس؟ قال : إن في الجنة مائة درجة أعدها الله للمجاهدين في سبيل الله ما بين الدرجتين كما بين السماء والأرض، فإذا سألتم الله فاسألوه الفردوس، فإنه أوسط الجنة – وأعلى الجنة – أراه قال : وفوقه عرش الرحمن، ومنه تفجر أنهار الجنة][3].

وورد [عن أنس[4] بن مالك رضي الله عنه، عن النبي ﷺ، قال : لغدوة في سبيل الله أو روحة خير من الدنيا وما فيها][5].

وإن حب صحابة رسول الله ﷺ للجهاد والاستشهاد في سبيل الله جعلهم يتفانون فيه، لأنهم يوقنون أن ما ينتظرهم عند الله تعالى لهو أفضل لهم من الدنيا وما فيها، ولنستمع لأحدهم وهو يتحدث عن نفسه فقد ورد [عن أنس رضي الله عنه قال : غاب عمي أنس بن النضر عن قتال بدر

---

(1) في ظلال القرآن : سيد قطب، 2446/4.

(2) انظر المرجع السابق، 2446/4.

(3) صحيح البخاري، 566/2، كتاب الجهاد والسير، باب درجات المجاهدين في سبيل الله، حديث رقم (2790).

(4) أنس بن مالك: هو أنس ابن مالك ابن النضر ابن ضمضم بن زيد بن حرام بن جندب بن عامر بن غنم بن عدي بن النجار، وهو خادم رسول الله ﷺ، وأمه أم سليم بنت مِلْحَان، داعبه النبي ﷺ، فقال له : يا ذا الأذنين، حضر بدر وكان عمره لما قدم المدينة مهاجراً ثماني أو تسع أو عشر سنين، دعا له الرسول ﷺ بكثرة المال والولد، فرزقه الله ببستان يحمل الفاكهة مرتين في السنة، كما رزق من صلبه بثمانين ذكراً وابنتان، توفي سنة تسعين أو اثنتين وتسعين، أو ثلاث وتسعين، وكان عمره تسع وتسعين سنة. (انظر أسد الغابة في معرفة الصحابة: لابن الأثير، 178/1).

(5) صحيح البخاري، 566/2، كتاب الجهاد والسير، باب الغدوة والروحة في سبيل الله، حديث رقم (2792).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

فقال : يا رسول الله، غبتُ عن أوَّلِ قتال قاتلت المشركين، لئن الله أشهدني قتال المشركين ليَرَينَّ الله ما أصنع، فلما كان يوم أحد وانكشف المسلمون قال : اللهم إني أعتذر إليك مما صنع هؤلاء، يعني أصحابه، وأبرأ إليك مما صنع هؤلاء، يعني المشركين، ثم تقدم فاستقبله سعد بن معاذ، فقال : يا سعد بن معاذ، الجنة ورب النَّضر، إني أجد ريحها دون أحد، قال سعد : فما استطعتُ يا رسول الله ما صنع. قال أنس : فوجدنا به بضعاً وثمانين ضربة بالسيف أو طعنة برمح أو رمية بسهم، ووجدناه قد قُتِل وقد مثّل به المشركون، فما عرفه أحد إلا أخته ببنانه.

قال أنس : كنا نرى – أو نظن – أن هذه الآية نزلت فيه وفي أشباهه ﴿**مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ**﴾ (الأحزاب : 23) إلى آخر الآية][1]، لله در سعد ما أروع موقفه، فقد ضرب أسمى الأمثلة في حب الجهاد والإقبال عليه، وإن الأمة التي تملك نماذج كسعد، لا بد أن تنتصر يوماً ما.

ولما رأى أهل فلسطين فضل الجهاد والاستشهاد والرباط في سبيل الله، أقبلوا على ذلك إقبالاً منقطع النظير، حتى رُئيت خنساوات فلسطين وهنّ يستقبلن أولادهن الشهداء بالزغاريد، ويتمنين أن يُستشهد جميع أولادهن في سبيل الله تعالى فكان مما أرهب اليهود وجعلهم يحسبون ألف حساب قبل أن يُقدموا على الاجتياح لقطاع غزة، فهم يهددون ويتوعدون ولكن دون أدنى فائدة فقد علموا أن المجاهدين سيتصدون لهم، وهم لهم بالمرصاد.

ولا بد للمسلم أن يقصد في جهاده وجه الله تعالى وإعلاء كلمته، لقوله تعالى : ﴿**الَّذِينَ آمَنُواْ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللّهِ وَالَّذِينَ كَفَرُواْ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ الطَّاغُوتِ**﴾ (النساء : 76)، وعندما [سئل رسول الله ﷺ عن الرجل يقاتل شجاعة، ويقاتل حمية، ويقاتل رياءً أي ذلك في سبيل الله؟ فقال رسول الله ﷺ : من قاتل لتكون كلمة الله هي العليا، فهو في سبيل الله][2].

وهكذاباقي الأعمال ينبغي أن تكون كلها خالصة لوجه الله تعالى حتى تقبل عنده سبحانه.

ويقصد بالإخلاص : "إرادة وجه الله تعالى بالعمل، وتصفيته من كل شوب ذاتي أو دنيوي، فلا ينبعث للعمل إلا لله تعالى والدار الآخرة، ولا يمازج عمله ما يشوبه من الرغبات العاجلة للنفس، الظاهرة أو الخفية، من إرادة مغنم، أو شهوة، أو منصب، أو مال، أو شهرة، أو منزلة في قلوب الخلق، أو طلب مدحهم، أو الهرب من ذمهم، أو إرضاء العامة أو مجاملة الخاصة، أو شفاء لحقد

---

(1) صحيح البخاري، 568/2، كتاب الجهاد والسير، باب قول الله تعالى : **(مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُم مَّن قَضَى نَحْبَهُ وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُ وَمَا بَدَّلُوا تَبْدِيلاً)** (الأحزاب : 23)، حديث رقم (2805).

(2) صحيح مسلم، ص 759، كتاب الإمارة، باب (من قاتل لتكون كلمة الله هي العليا فهو في سبيل الله)، حديث رقم (1904).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

كامن، أو استجابة لحسد خفي، أو لكبر مستكن، أو لغير ذلك من العلل والأهواء والشوائب، التي عقد متفرقاتها هو : إرادة ما سوى الله تعالى بالعمل، كائناً ما كان، وكائناً من كان"[1].

قال تعالى : ﴿**وَمَا أُمِرُوا إِلاَّ لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاء وَيُقِيمُوا الصَّلاَةَ وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ وَذَلِكَ دِينُ الْقَيِّمَةِ**﴾ (البينة : 5).

فالمسلم خُلق ليقصد في عباداته كلها الظاهرة والباطنة وجه الله، وطلب مرضاته، وهم معرضون عن باقي الأديان المخالفة لدين التوحيد، وخص الله تعالى الصلاة والزكاة بالذكر لشرفها وفضلها، والتوحيد والإخلاص في الدين هما الدين المستقيم الذي يوصل صاحبهما إلى جنات النعيم[2].

ولقد نبه الرسول ﷺ إلى أهمية النية في العمل وذلك بما ورد [عن عمر أن رسول اللهﷺ قال : الأعمال بالنية، ولكل امرئ ما نوى، فمن كانت هجرته إلى الله ورسوله فهجرته إلى الله ورسوله، ومن كانت هجرته لدنيا يصيبها، أو امرأة يتزوجها فهجرته إلى ما هاجر إليه][3].

وعندما سئل صلاح الدين الأيوبي عن سبب جهاده فقد أجاب : أنه اختار أشرف الموت وهو الموت في سبيل الله، وإعلاء كلمته[4].

وهكذا فليحيا كل منا لإعلاء كلمة (لا إله إلا الله) حتى تملأ الكون نوراً وضياءً وبهجة.

3- ذكر الله تعالى :

إن من عوامل النصر الهامة ذكر الله بكثرة في جميع الأوقات عامة، وعند لقاء العدو خاصة، فذكر الله تعالى مما يقوي عزيمة المجاهدين ويرفع من روحهم المعنوية، قال تعالى: ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ إِذَا لَقِيتُمْ فِئَةً فَاثْبُتُواْ وَاذْكُرُواْ اللّهَ كَثِيرًا لَّعَلَّكُمْ تُفْلَحُونَ**﴾ (الأنفال : 45).

في هذه الآية يوجه الله نداءه للمؤمنين، بأنه إذا التقوا بطائفة من الكفار لقتالهم فليصبروا ويحبسوا أنفسهم على هذه الطاعة الكبيرة والتي عاقبتها -بإذن الله- العز والنصر، وأن يستعينوا في

---

(1) النية والإخلاص : د. يوسف القرضاوي، ص 11، دار الفرقان، الطبعة الأولى، 1417هـ-1996م.

(2) انظر تيسير الكريم الرحمن : للشيخ السعدي، ص 681.

(3) صحيح البخاري، 17/1، كتاب الإيمان، باب ما جاء : إن الأعمال بالنية والحسبة ولكل امرئ ما نوى، حديث رقم (54).

(4) انظر صلاح الدين الأيوبي : عبد الله علوان، ص 114، دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع والترجمة، الطبعة السابعة، 1408هـ-1987م.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

ذلك بالإكثار من ذكر الله تعالى حتى يدركوا ما يطلبوا من الانتصار على عدوهم، فالصبر والثبات والإكثار من ذكر الله تعالى من أعظم أسباب النصر[1]، ولقد كان يوسف عليه السلام كثير الذكر لله تعالى مما كان سبباً في نجاته من مصائب الدنيا وعذاب الآخرة.

4- الصبر :

منذ الرسالات السابقة نجد أن الصبر كان من أهم عوامل نصرهم على أعدائهم، قال تعالى: ﴿**وَكَأَيِّن مِّن نَّبِيٍّ قَاتَلَ مَعَهُ رِبِّيُّونَ كَثِيرٌ فَمَا وَهَنُواْ لِمَا أَصَابَهُمْ فِي سَبِيلِ اللّهِ وَمَا ضَعُفُواْ وَمَا اسْتَكَانُواْ وَاللّهُ يُحِبُّ الصَّابِرِينَ**﴾ (آل عمران : 146). فكثير من الأنبياء قاتل معهم علماء وفقهاء في الدين، ولكنهم مهما أصابهم في سبيل الله لم يضعفوا أو يجبنوا أو يخضعوا لعدوهم[2].

والله عز وجل يحب من يصبر في مواضع الجهاد والقتال في سبيله، والمتتبع لمنهاج القرآن الكريم يرى بأن الصبر من أهم العناصر التي تحسم المعركة، والتي تفضي إلى النصر على الأعداء، رغم ما يوجد من فرق شاسع في العدد والعدة بين المتحاربين، فقد استطاع المجاهدون الصادقون في إيمانهم بالله تعالى في الماضي والحاضر أن يغيروا موازين القوى العسكرية، ليؤكدوا بأن النصر لا يأتي إلا مع الصبر كما قال تعالى: ﴿**يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ حَرِّضِ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى الْقِتَالِ إِن يَكُن مِّنكُمْ عِشْرُونَ صَابِرُونَ يَغْلِبُواْ مِئَتَيْنِ وَإِن يَكُن مِّنكُم مِّئَةٌ يَغْلِبُواْ أَلْفًا مِّنَ الَّذِينَ كَفَرُواْ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لاَّ يَفْقَهُونَ**﴾ (الأنفال: 65)[3]، فالله عز وجل يجعل في العشرين المؤمنين الصابرين من القوة بحيث يهزموا المائتين من الكفار، والألف المؤمنة الصابرة تملك من القوة بحيث تغلب الألفين من الذين كفروا.

فالكفار لا علم عندهم بما أعد الله للمجاهدين في سبيله من الأجر، فهم يقاتلون لأجل العلو في الأرض والفساد فيها، والمؤمنون يعلمون أن المقصود من القتال أنه إعلاء كلمة الله، وإظهار دينه والذب عن كتابه، وحصول الفوز الأكبر عنده تعالى، وهذه كلها دواعٍ للشجاعة والصبر، والإقدام على القتال بكل ما أوتوا من قوة[4].

ولقد حث الرسول ﷺ على الصبر عند لقاء العدو فقد ورد [عن أبي هريرة أن النبي ﷺ قال : لا تمنوا لقاء العدو، فإذا لقيتموهم فاصبروا][5]، وعلى قدر إيمان المرء بربه يستطيع أن يصبر في المواطن التي تتطلب منه الصبر.

---

(1) انظر تيسير الكريم الرحمن : للشيخ السعدي، ص 216.

(2) انظر قرآن كريم تفسير وبيان : د. محمد الحمصي، ص 68.

(3) عوامل النصر : د. أحمد بحر، ص 24، 1424هـ-2003م، دون دار نشر أو رقم طبعة.

(4) انظر تيسير الكريم الرحمن : للسعدي، ص 219.

(5) صحيح مسلم، ص 691، كتاب الجهاد والسير، باب كراهية تمني لقاء العدو والأمر بالصبر عند اللقاء، حديث رقم (1741).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

يقول د. أحمد بحر : "ويعد الصبر أيضاً من أهم العوامل المعنوية التي تسهم في حسم المعركة، وذلك لكونه يرتبط ارتباطاً وثيقاً بالإيمان، بل هو ثمرة من ثمراته، فالمجاهد الصادق يملك قدراً أكبر من الصبر والثبات بالقياس إلى غيره من الناس الذين يفتقدون إلى العقيدة الإسلامية"[1]، فالشخصية المؤمنة دائماً هي شخصية قوية بما تملكه من عقيدة وصبر وثبات مستمدة كلها من الارتباط الوثيق بالله تعالى، ولقد تمثل ذلك واضحاً جلياً في شخصية سيدنا يوسف عليه السلام، والذي كان مثالاً يحتذى في ذلك، قال تعالى : ﴿ **إِنَّهُ مَن يَتَّقِ وَيِصْبِرْ فَإِنَّ اللّهَ لاَ يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ**﴾ (يوسف : 90).

5- التقوى :

إن تقوى الله ومخافته من أكبر عوامل النصر، وما انتصر المسلمون في أي عصر من العصور على أعدائهم إلا بطاعتهم لله وتقواهم.

قال تعالى : ﴿**وَإِن تَصْبِرُواْ وَتَتَّقُواْ لاَ يَضُرُّكُمْ كَيْدُهُمْ شَيْئًا إِنَّ اللّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطٌ**﴾ (آل عمران : 20).

يقول ابن كثير في تفسيره لهذه الآية عن إرشاد الله تعالى للمسلمين أنه : "يرشدهم تعالى إلى السلامة من شر الأشرار، وكيد الفجار باستعمال الصبر والتقوى والتوكل على الله الذي هو محيط بأعدائهم، فلا حول ولا قوة إلا به، وهو الذي ما شاء كان وما لم يشأ لم يكن، ولا يقع في الوجود شيء إلا بتقديره ومشيئته، ومن توكل عليه كفاه"[2].

فالصبر والتقوى والتوكل دواء للنفس الضعيفة حتى تقوى فتتخلص من روح الهزيمة وبالتالي تنتصر على أعدائها.

ويقول سيد قطب رحمه الله : "الصبر والتقوى، التماسك والاعتصام بحبل الله، وما استمسك المسلمون في تاريخهم كله بعروة الله وحدها، وحققوا منهج الله في حياتهم كلها إلا عزوا وانتصروا، ووقاهم الله كيد أعدائهم، وكانت كلمتهم هي العليا، وما استمسك المسلمون في تاريخهم بعروة أعدائهم الطبيعيين الذين يحاربون عقيدتهم ومنهجهم سراً وجهراً واستمعوا إلى مشورتهم، واتخذوا منهم بطانة وأصدقاء وأعواناً وخبراء ومستشارين، إلا كتب الله عليهم الهزيمة، ومكن لأعدائهم فيهم وأذل رقابهم وأذاقهم وبال أمرهم"[3].

---

(1) عوامل النصر : د. أحمد بحر، ص 25.

(2) تفسير القرآن العظيم : لابن كثير، 399/1.

(3) في ظلال القرآن : سيد قطب، 453/1.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

ومع الصبر والتقوى أمد الله المؤمنين بالملائكة ليدافعوا مع المؤمنين ويستبشروا بهم، قال تعالى : ﴿**بَلَى إِن تَصْبِرُواْ وَتَتَّقُواْ وَيَأْتُوكُم مِّن فَوْرِهِمْ هَـذَا يُمْدِدْكُمْ رَبُّكُم بِخَمْسَةِ آلاف مِّنَ الْمَلآئِكَةِ مُسَوِّمِينَ * وَمَا جَعَلَهُ اللّهُ إِلاَّ بُشْرَى لَكُمْ وَلِتَطْمَئِنَّ قُلُوبُكُم بِهِ وَمَا النَّصْرُ إِلاَّ مِنْ عِندِ اللّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ**﴾ (آل عمران : 125-126)، فقد حاربت الملائكة يوم بدر مع المسلمين فقد "كان يومئذٍ يندر[1] رأس الرجل لا يدري من ضربه، وتندر يد الرجل لا يدري من ضربها، وقال ابن عباس : بينما رجل من المسلمين يشتد في إثر رجل من المشركين أمامه، إذ سمع ضربة بالسوط فوقه، وصوت الفارس يقول : أقدم حيزوم، فنظر إلى المشرك أمامه، فجاء الأنصاري فحدث بذلك رسول الله ﷺ، فقال : صدقت، ذلك من مدد السماء الثالثة"[2].

ونجد أن الخلفاء الراشدين رضي الله عنهم وأرضاهم كانوا مدركين لعظم أهمية التقوى في إحراز النصر على الأعداء، فقد كانوا يأمرون أجنادهم بتقوى الله والاحتراس من المعاصي والذنوب، ومثال ذلك عمر بن الخطاب رضي الله عنه، فقد كتب إلى سعد بن أبي وقاص عندما وجهه إلى بلاد فارس عهداً هذا نصه : "أما بعد فإني آمرك ومن معك بتقوى الله على كل حال، فإن تقوى الله أفضل العدة على العدو، وأقوى المكيدة في الحرب، وآمرك ومن معك أن تكونوا أشد احتراساً من المعاصي منكم من عدوكم، فإن ذنوب الجيش أخوف عليهم من عدوهم، وإنما ينصر المسلمون بمعصية عدوهم لله، ولولا ذلك لم تكن لنا بهم قوة، لأن عددنا ليس كعددهم، وعدتنا ليس كعدتهم، فإن استوينا في المعصية كان لهم علينا الفضل في القوة، وإن لا ننصر عليهم بفضلنا لم نغلبهم بقوتنا ... وسلوا الله العون على أنفسكم، كما تسألونه النصر على عدوكم، وأسأل الله ذلك لنا ولكم"[3].

وقد كان صلاح الدين الأيوبي – الذي حرر المسجد الأقصى من أيدي الصليبيين – تقياً محترساً من المعاصي، وقد أبطل ما كان منتشراً في زمانه من الخلاعة والمجون ومظاهر البعد عن الله وذلك أيام تقلده للوزارة في مصر[4].

فلو سادت التقوى في الجيش المسلم فهو المنتصر بإذن الله، مهما بلغت قوة الأعداء، وهذا هو السر في توفيق الله تعالى للاستشهاديين الذين يخترقون الأمن الإسرائيلي، فيصلون إلى هدفهم بكل ثقة واطمئنان، ولنا في شهيدنا المجاهد الفلسطيني مسلمة الأعرج خير مثال في التقوى – نحسبه

---

(1) يندر : يسقط. (انظر المصباح المنير، ص 354، كتاب النون).

(2) الرحيق المختوم : للمباركفوري، ص 243.

(3) صلاح الدين الأيوبي : عبد الله ناصح علوان، ص 108-109.

(4) انظر المرجع السابق، ص 105.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

كذلك ولا نزكيه على الله – فقد كان رحمه الله يكثر من تلاوة القرآن، وقيام الليل وطلب قبل أن يُستشهد ويقوم بعمليته البطولية من أحد إخوانه أن يدعو له في صلاة القيام بأن يأخذ الله من دمه حتى يرضى ورجاه أن يفعل ذلك، وفي السابع عشر من رمضان 1422هـ، اقتحم مسلمة مغتصبة في شمال مدينة غزة وتدعى "إيلي سيناي" مع الاستشهادي الفلسطيني جهاد المصري، وأطلقوا الرصاص على أحد جيبات العدو، فتكون المحصلة قتل مستوطن، وإصابة جنود آخرين، والمستوطن هو (باروخ سينكر) والذي يعمل في مفاعل (ناحل سوريك) وهو من أكبر العلماء المتخصصين في دولة الكيان الصهيوني[1].

هكذا هي العقيدة الإسلامية تربي أبناءها على البطولة وحب الشهادة في سبيل الله ومع التقوى يكون المسلم أقوى، وقد رأينا في قصة يوسف عليه السلام كيف اتقى ربه عندما أرادت زوجة العزيز منه فعل الفاحشة فكان تقواه سبباً في انتصاره في النهاية قال تعالى : ﴿ **وَلَأَجْرُ الآخِرَةِ خَيْرٌ لِّلَّذِينَ آمَنُواْ وَكَانُواْ يَتَّقُونَ**﴾ (يوسف : 57).

6- الدعاء :

ومعناه : الابتهال إلى الله بالسؤال والرغبة فيما عنده سبحانه من الخير[2]، والدعاء سلاح المؤمن في جميع أوقاته، في سرائه وضرائه، في حله وترحاله، وهو من أفضل العبادات وأعلاها مرتبة، وأقربها إلى رضى رب العالمين[3].

قال تعالى : ﴿**ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ**﴾ (غافر : 60).

لقد دعا الله تعالى عباده بأن يتوجهوا إليه سبحانه بالدعاء، دعاء العبادة ودعاء المسألة، ووعدهم بالاستجابة لدعائهم، وتوعد من يستكبر عن دعائه بأنه سيدخله جهنم ذليلاً حقيراً، يجتمع عليه العذاب والإهانة جزاء استكباره على الله تعالى[4].

والمتأمل لسيرة الرسول ﷺ يجد أن الدعاء كان يشمل حيزاً كبيراً من حياته عليه الصلاة والسلام فنجده كان يدعو في الصباح وفي المساء، وعند النوم وبعد الصلاة، وقبل قضاء الحاجة وبعدها، ودعاء الاستخارة والحاجة، وأدعية كثيرة عند نزول المطر، وفي المعارك التي كان يقودها عليه الصلاة والسلام فقد كان دعاؤه يوم غزوة الأحزاب "اللهم منزل الكتاب، سريع الحساب، اهزم الأحزاب، اللهم اهزمهم وزلزلهم"[5].

---

(1) انظر عوامل النصر : د. أحمد بحر، ص 51-52.
(2) انظر المصباح المنير : أحمد المقرئ، ص 118، كتاب الدال.
(3) انظر عوامل النصر : د. أحمد بحر، ص 38.
(4) انظر تيسير الكريم الرحمن : للشيخ السعدي، ص 543.
(5) صحيح البخاري، 591/2، كتاب الجهاد والسير، باب الدعاء على المشركين بالهزيمة والزلزلة، حديث رقم (2933).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

كذلك جاء في القرآن الكريم على لسان المؤمنين دعاؤهم في آخر سورة البقرة : ﴿**وَاعْفُ عَنَّا وَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَآ أَنتَ مَوْلاَنَا فَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ**﴾ (البقرة : 286)، أي "أنت ولينا وناصرنا وعليك توكلنا وأنت المستعان وعليك التكلان، ولا حول ولا قوة إلا بك (فانصرنا على القوم الكافرين) أي الذين جحدوا دينك وأنكروا وحدانيتك، ورسالة نبيك، وعبدوا غيرك، وأشركوا معك من عبادك فانصرنا عليهم، واجعل لنا العاقبة عليهم في الدنيا والآخرة"[1].

فالله عز وجل ينصر عباده المؤمنين بفضل دعائهم ولجوئهم إليه سبحانه وقت المحن والشدائد والالتحام مع الأعداء، ولقد اتضح لنا ذلك في شخصية سيدنا يوسف عليه السلام، حيث لم يترك الدعاء أبداً، بحيث توجه إلى الله بدعائه ﴿ **وَإِلاَّ تَصْرِفْ عَنِّي كَيْدَهُنَّ أَصْبُ إِلَيْهِنَّ وَأَكُن مِّنَ الْجَاهِلِينَ * فَاسْتَجَابَ لَهُ رَبُّهُ فَصَرَفَ عَنْهُ كَيْدَهُنَّ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ**﴾ (يوسف : 33-34)، وكذلك دعا ربه أن يثبته ويحسن ختامه بقوله ﴿**تَوَفَّنِي مُسْلِمًا وَأَلْحِقْنِي بِالصَّالِحِينَ**﴾ (يوسف: 101).

7- التوكل على الله تعالى :

إن التوكل على الله يعد قوة نفسية لها فاعليتها، تدفع المؤمن إلى فعل ما يريده دون تردد، والتوكل لا يكون ذا فاعلية أو أثر في حياة المسلم إلا إذا سبقه إيمان بالحق والخير، وعزم وتصميم على تنفيذ الإيمان[2].

ولعظم أهمية التوكل أمر الله نبيه بالتوكل في جميع أحواله فقال تعالى : ﴿**وَتَوَكَّلْ عَلَى الْحَيِّ الَّذِي لَا يَمُوتُ**﴾ (الفرقان : 58).

يقول ابن كثير في تفسيره لهذه الآية : ﴿**وَتَوَكَّلْ عَلَى الْحَيِّ الَّذِي لَا يَمُوتُ**) أي في أمورك كلها كن متوكلاً على الله الحي الذي لا يموت أبداً، الذي هو ﴿**الْأَوَّلُ وَالْآخِرُ وَالظَّاهِرُ وَالْبَاطِنُ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ**) (الحديد: 3) الدائم الباقي السرمدي الأبدي، الحي القيوم رب كل شيء ومليكه، اجعله ذخرك وملجأك، وهو الذي يتوكل عليه ويفزع إليه، فإنه كافيك وناصرك ومؤيدك ومظفرك"[3].

وأمر الله عباده المؤمنين بالتوكل عليه سبحانه فقال تعالى : ﴿**وَعَلَى اللّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ**﴾ (التوبة : 51).

---

(1) تفسير القرآن العظيم : لابن كثير، 343/1.

(2) انظر من مفاهيم القرآن في العقيدة والسلوك : د. محمد البهي، ص 164-166، مكتبة وهبة، الطبعة الأولى، 1393هـ-1973م.

(3) تفسير القرآن العظيم : لابن كثير، 420/3، تحقيق أنس الشامي، محمد سعيد محمد، دار البيان العربي، 2006م.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

وقدوتنا ونبينا محمد ﷺ كان يأخذ بأسباب النصر لكي يكون متوكلاً على الله حق التوكل، فعندما أراد الهجرة جاء إلى أبي بكر في وقت الظهيرة، وهذا الوقت يقل فيه الناس لشدة الحر فيه، وكان متقنعاً حتى لا يعرفه أحد، ثم إنه أمر أبا بكر الصديق أن يُخرج من عنده في البيت حتى يكون الأمر سراً بينه وبين صاحبه، وعند مغادرة منزل أبي بكر، غادره من باب خلفي حتى لا يلفت الأنظار إليه.

وكذلك سلك طريقاً مخالفاً للطريق الذي سَتجِّد قريش في طلبه منه، حتى وصل إلى غار ثور وهو موجود في جبل شامخ، وعر الطريق، صعب المرتقى، ذا أحجار كثيرة وشق ذلك على رسول الله ﷺ حتى بلغ الغار بمساعدة أبي بكر الصديق رضي الله عنه فاختبأ فيه هو وصاحبه حتى لا يراه الكفار.

وكان عبد الله بن أبي بكر يصبح في مكة حتى إذا أظلم الليل ذهب إلى رسول الله ﷺ وصاحبه يأتي لهما بأخبار قريش. وكان عامر بن فهيرة مولى أبي بكر الصديق، يرعى غنماً فيسقي الرسول ﷺ وأبا بكر الصديق من الحليب، ويتبع بغنمه أثر عبد الله بن أبي بكر بعد ذهابه إلى مكة، حتى لا يراه المشركون، وبعد ثلاثة أيام ذهبا إلى المدينة من طريق لم يألفه أحد، وعندما لقيهم في الطريق رجلاً سأل أبا بكر من هذا ؟ فقال له : هذا رجل يهديني الطريق[1].

فهذا كله عملاً بأسباب التوكل، وأخذاً بالسرية والحيطة التامة من قِبل الرسول ﷺ ليعلمنا عليه الصلاة والسلام كيف يكون المسلم متوكلاً حقاً وليعلم الأمة بأكملها درساً عظيماً من دروس التوكل على الله تعالى وهو النبي المرسل، وهكذا كان في باقي معاركه مع الكفار يأخذ بأسباب التوكل فيتحقق فيه قول الله تعالى : ﴿**إِن يَنصُرْكُمُ اللّهُ فَلاَ غَالِبَ لَكُمْ وَإِن يَخْذُلْكُمْ فَمَن ذَا الَّذِي يَنصُرُكُم مِّن بَعْدِهِ وَعَلَى اللّهِ فَلْيَتَوَكِّلِ الْمُؤْمِنُونَ**﴾ (آل عمران : 160). فإذا توكل المؤمنون على الله فهو الناصر وحده لهم.

يقول الشيخ السعدي في تفسيره لهذه الآية[2] : "إن يمددكم الله بنصره ومعونته (فلا غالب لكم) ولو اجتمع عليكم من في أقطارها وما عندهم من العدد والعدة، لأن الله لا مغالب له، وقد قهر العباد، وأخذ بنواصيهم، فلا تتحرك دابة إلا بإذنه، ولا تسكن إلا بإذنه (وإن يخذلكم) ويكلكم إلى أنفسكم (فمن ذا الذي ينصركم من بعده) فلا بد أن تتخذلوا ولو أعانكم جميع الخلق.

---

(1) انظر الرحيق المختوم : للمباركفوري، ص 180-187.

(2) تيسير الكريم الرحمن : للشيخ السعدي، ص 84.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

وقد ضمن ذلك الأمر بالاستنصار بالله، والاعتماد عليه، والبراءة من الحول والقوة، ولهذا قال : (وعلى الله فليتوكل المؤمنون) وتقدم المعمول يؤذن بالحصر، أي توكلوا على الله، لا غيره، لأنه قد علم أنه هو الناصر وحده، فالاعتماد عليه توحيد محصل للمقصود، والاعتماد على غيره شرك غير نافع لصاحبه، بل ضار. وفي هذه الآية الأمر بالتوكل على الله وحده، وأنه بحسب إيمان العبد يكون توكله". وبقدر التوكل على الله يكون الانتصار على الأعداء.

ولقد توكل سيدنا يعقوب عليه السلام حق التوكل على الله سبحانه وتعالى، فكانت النتيجة سعادته برجوع أبنائه إليه، ومنهم أحبهم إلى قلبه يوسف عليه السلام. قال تعالى : ﴿**إِنِ الْحُكْمُ إِلاَّ لِلّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَعَلَيْهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُتَوَكِّلُونَ**﴾ (يوسف : 67).

8- الإعداد الجيد :

ينبغي على المسلمين أن يعدوا الإعداد الجيد في معركتهم مع عدوهم الذي يتربص بهم في كل وقت وحين لقول الله تعالى : ﴿**وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا اسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدْوَّ اللّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَآخَرِينَ مِن دُونِهِمْ لاَ تَعْلَمُونَهُمُ اللّهُ يَعْلَمُهُمْ وَمَا تُنفِقُواْ مِن شَيْءٍ فِي سَبِيلِ اللّهِ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنتُمْ لاَ تُظْلَمُونَ**﴾ (الأنفال : 60).

فالله عز وجل يأمر المسلمين أن يعدوا لأعدائهم الكفار كل ما يقدرون عليه من قوة عقلية وبدنية ومادية، ومن أنواع الأسلحة مما يعين على قتالهم، ويدخل في ذلك جميع أنواع الصناعات التي يُعمل فيها أصناف الأسلحة، والآلات من مدافع، ورشاشات، وبنادق، وطائرات جوية، ومراكب برية وبحرية، وقلاع وخنادق، وآلات الدفاع، والرأي والسياسة التي يتقدم المسلمون بها، ويندفع شر أعدائهم به، وتعلم الرماية، والشجاعة والتدبير، والقاعدة تقول "ما لا يتم الواجب إلا به فهو واجب" ويفهم من ذلك إن كان يوجد أشياء أكثر إرهاباً للعدو والتي يكون النكاية بالعدو فيها أشد وجب على المسلمين الاستعداد بها والسعي لإيجادها حتى لو كان ذلك بتعلم صناعتها.

والله عز وجل أمر المؤمنين بالإنفاق في سبيله؛ لأن هذه النفقات تعين على جهاد الكفار والانتصار عليهم، ومن ينفق يضاعف له الله تعالى الأجر أضعافاً مضاعفة إلى سبعمائة ضعف ولن ينقص من الأجر والثواب شيئاً[1] لقوله تعالى : ﴿**مَّثَلُ الَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ فِي كُلِّ سُنبُلَةٍ مِّئَةُ حَبَّةٍ وَاللّهُ يُضَاعِفُ لِمَن يَشَاء وَاللّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ**﴾ (البقرة : 261).

---

(1) انظر الكريم الرحمن : للشيخ السعدي، ص 218.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

ولننظر لحال صلاح الدين الأيوبي كيف كان قبل انتصاره في معركة حطين فقد "كان حديث الجهاد يشغله دائماً، ويستولي على قلبه وجوانحه استيلاءً عظيماً بحيث لم يكن له حديث إلا عنه، ولم يكن له نظر إلا في وسائله، أو اهتمام إلا برجاله، ولا ميل إلا إلى ذكره ... وكان ينتقل أثناء المعركة من صف إلى صف للتأكد من سلامة الخيل وصلاحية السلاح، وعدد الجنود، واستعراض ملابسهم وزينتهم .. كما اهتم بصناعة الأسلحة، وبناء السفن، وعمل المفرقعات، وتركيب الألغام والمجانيق وما إليها من أدوات القتال[1].

"وقد عني صلاح الدين بالأسطول، فأنشأ له ديواناً خاصاً به، يختص بموارده وطرق صرفها، وإدارة شؤون الأسطول، وأطلق على رئيس الأسطول "أمير البحر أو أمير الماء"[2].

ونلاحظ أن صلاح الدين الأيوبي قد عمل بأسباب النصر فأعد الجيش معنوياً ومادياً، فكانت النتيجة النصر المؤزر الذي أحيا الأمة من بعد سبات عميق.

9- الوحدة وتآلف القلوب :

قال تعالى : ﴿**هُوَ الَّذِيَ أَيَّدَكَ بِنَصْرِهِ وَبِالْمُؤْمِنِينَ * وَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ لَوْ أَنفَقْتَ مَا فِي الأَرْضِ جَمِيعاً مَّا أَلَّفَتْ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ وَلَـكِنَّ اللّهَ أَلَّفَ بَيْنَهُمْ إِنَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ**﴾ (الأنفال : 62-63).

فالألفة التي يجدها المؤمن لأخيه المؤمن هي من رحمة الله تعالى بعباده المؤمنين، فبالألفة تدوم الوحدة وتزداد القوة والتعاون على الخير، قال تعالى : ﴿**وَتَعَاوَنُواْ عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى وَلاَ تَعَاوَنُواْ عَلَى الإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ**﴾ (المائدة : 2).

والمؤمن من شدة قربه لأخيه فقد وصفه القرآن بأنه وليّ لأخيه المؤمن، قال تعالى: ﴿**وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاء بَعْضٍ**﴾ (التوبة: 71) أي يتناصرون ويتعاضدون ويُقَوِّي أحدهم الآخر[3].

قال رسول الله ﷺ : [إن المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضاً][4].

كذلك المؤمن وأخيه من شدة حبهما لبعضهما ومودة كل منهما للآخر، فهم كالجسد الواحد، لقوله ﷺ: [ترى المؤمنين في تراحمهم وتوادهم وتعاطفهم كمثل الجسد إذا اشتكى عضواً،

---

(1) صلاح الدين الأيوبي : عبد الله ناصح علوان، ص 110-111.

(2) المصدر السابق، ص 110-111.

(3) تفسير القرآن العظيم : لابن كثير، 474/2.

(4) صحيح البخاري، 102/1، كتاب الصلاة، باب تشبيك الأصابع في المسجد، حديث رقم (481).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى][1]. وهذا يعتبر مصدراً للقوة الحقيقية والتي بواسطتها يستطيع المسلمون أن يباهوا بها أعداءهم وينتصروا عليهم في معارك العز والشرف والبطولة.

10- الولاء والبراء :

والولاية هي : "النصرة والمحبة والإكرام والاحترام والكون مع المحبوب ظاهراً وباطناً، قال تعالى : ﴿**اللّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ آمَنُواْ يُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَالَّذِينَ كَفَرُواْ أَوْلِيَآؤُهُمُ الطَّاغُوتُ**﴾ (البقرة : 257)[2].

والبراء : "هو البعد والخلاص والعداوة بعد الإعذار والإنذار"[3].

إن من عوامل النصر أن يكون المؤمن موالياً لله ولرسوله وللمؤمنين، فهو يحب الله ورسوله والمؤمنين ويعمل في ظل الدعوة الإسلامية، ومع الجماعة المؤمنة الصادقة والتي تريد أن تُعلي من شأن هذه الأمة.

وفي نفس الوقت المؤمن الحق يُعادي أعداء الأمة، وأعداء الله ورسوله والمؤمنين ولا يميل إليهم ولا يواليهم على حساب دينه وأمته وعقيدته.

فالله تعالى يقول : ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ لاَ تَتَّخِذُواْ الْيَهُودَ وَالنَّصَارَى أَوْلِيَاء بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاء بَعْضٍ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ إِنَّ اللّهَ لاَ يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ**﴾ (المائدة : 51). في هذه الآية ينهى الله تعالى عن موالاة اليهود والنصارى لأنهم هم الأعداء على الحقيقة، ولا يبالون بضر المؤمنين، ولا يدخرون من مجهودهم شيئاً على إضلالهم، فلا يتولاهم إلا من هو منهم، لأن التولي التام لهم، يقتضي الانتقال إلى دينهم، والتولي القليل يجعل الذي يواليهم يتدرج شيئاً فشيئاً حتى يكون منهم في نهاية المطاف[4]. وهذا هو حال العملاء، فإنهم عندما ينفذون ما يعتبرونه أمراً يسيراً من أوامر اليهود فإنهم ما يلبثون أن يتدرجوا في حبائلهم الشيطانية حتى يكونوا من أكبر أعداء الله بعد ذلك ويعادون أبناء أمتهم؛ لأنهم والوا الأعداء وساروا في نفس مسلكهم، وبذلك ينسلخون من عقيدتهم ودينهم، ويصبحون سوساً ينخر في الأمة وبالتالي يسبب لها الهزيمة أمام أعدائها.

لقد نفى الله عز وجل نفياً قاطعاً عن المؤمنين بالله واليوم الآخر الود لأعداء الإسلام ولو كانوا أقرب المقربين إليهم. قال تعالى : ﴿**لا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ**

---

(1) صحيح البخاري، 1210/3، كتاب الأدب، باب رحمة الناس والبهائم، حديث رقم (6011).

(2) شرح العقيدة الإسلامية : د. نسيم ياسين، ص 226.

(3) المصدر السابق، ص 227.

(4) انظر تيسير الكريم الرحمن : للشيخ السعدي، ص 146.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آبَاءهُمْ أَوْ أَبْنَاءهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ أُوْلَئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الْإِيمَانَ وَأَيَّدَهُم بِرُوحٍ مِّنْهُ وَيُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ أُوْلَئِكَ حِزْبُ اللَّهِ أَلَا إِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ (المجادلة : 22).

هذه الآية تحدد مدى قوة الشخصية المؤمنة، حيث إنها من شدة إيمانها بالله وموالاتها لله ولرسوله وللمؤمنين تعتبر رباط العقيدة هو الذي يحدد علاقتها مع أقرب المقربين إليها من جهة قرابة الدم، وهذه الفئة المؤمنة يثبتها الله ويقويها بنور يقذفه في قلوبهم أو بالقرآن[1]، ويدخلهم الجنة ويرضى عنهم ويصفهم بأنهم هم حزب الله وأنهم هم المفلحون.

يقول سيد قطب في تفسيره لهذه الآية : "وهكذا تنقسم البشرية إلى حزبين اثنين حزب الله وحزب الشيطان، وإلى رايتين : راية الحق، وراية الباطل. فإما أن يكون الفرد من حزب الله فهو واقف تحت راية الحق، وإما أن يكون من حزب الشيطان فهو واقف تحت راية الباطل، وهما صفان متميزان لا يختلطان ولا يتميعان، لا نسب ولا صهر، ولا أهل ولا قرابة، ولا وطن ولا جنس، ولا عصبية ولا قومية، إنما هي العقيدة، والعقيدة وحدها، فمن انحاز إلى حزب الله ووقف تحت راية الحق فهو وجميع الواقفين تحت هذه الراية إخوة في الله، تختلف ألوانهم وتختلف أوطانهم وتختلف عشائرهم وتختلف أسرهم، ولكنهم يلتقون في الرابطة التي تؤلف حزب الله، فتذوب الفوارق كلها تحت الراية الواحدة ومن استحوذ عليه الشيطان فوقف تحت راية الباطل، فلن تربطه بأحد من حزب الله رابطة"[2].

والمسلم الحق يجب أن يفكر دائماً مع من يقف، هل هو مع حزب الله أم مع حزب الشيطان؟ فإن وجد نفسه مع الفئة المؤمنة فليحمد الله وليساهم معها في رفع شأن هذه الأمة، والعمل مع إخوانه بأسباب النصر ورفع راية الحق عالية خفاقة.

وإن وجد نفسه مع أهل الباطل وحزب الشيطان فليرجع إلى صوابه، ويتوب إلى الله قبل أن يخزيه الله في الدنيا قبل الآخرة، لأنه إن بقي كما هو عليه فهو يساهم في هزيمة هذه الأمة أمام أعدائها. وسيدنا يوسف عليه السلام والى آبائه إبراهيم وإسحاق ويعقوب وترك الأقوام الأخرى التي لا تؤمن بالله قال تعالى على لسان سيدنا يوسف : ﴿ **إِنِّي تَرَكْتُ مِلَّةَ قَوْمٍ لاَّ يُؤْمِنُونَ بِاللّهِ وَهُم بِالآخِرَةِ هُمْ كَافِرُونَ * وَاتَّبَعْتُ مِلَّةَ آبَآئِي إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَقَ وَيَعْقُوبَ**﴾ (يوسف : 37-38).

---

(1) انظر قرآن كريم تفسير وبيان : د. محمد الحمصي، ص 545.

(2) في ظلال القرآن : سيد قطب، 3516/6.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

وبهذا يتبين بأنه لن تنتصر الأمة على عدوها إلا بإتيان عوامل النصر من عقيدة راسخة، وإخلاص في الجهاد في سبيل الله، وصبر وتقوى ودعاء وتوكل وأخذ بأسباب القوة من إعداد لكل شيء ممكن مع الولاء لله ولرسوله وللمؤمنين والبراءة من المشركين وأعداء الإسلام.

المطلب الرابع : عوامل الهزيمة :

إن هزيمة الأمة الإسلامية لا تأتي من فراغ فكما أن للنصر عوامل وأسباب فإن للهزيمة عوامل لابد للأمة أن تتخلص منها حتى تحقق النصر المبين وترفع راية التوحيد، ومن هذه العوامل:

1- عدم التمسك بالعقيدة الإسلامية :

إن التمسك بالعقيدة الإسلامية هو مصدر العز والنصر والتأييد من الله عز وجل ولذا حذر الله رسوله عليه الصلاة والسلام من أعدائه، وأنهم لن يرضوا عنه حتى يتبع دينهم وعقيدتهم، وقد بين له بأن مجرد الميل إليهم ولأهوائهم فإنه لن ينصره الله عز وجل، قال تعالى: **﴿وَلَن تَرْضَى عَنكَ الْيَهُودُ وَلاَ النَّصَارَى حَتَّى تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ قُلْ إِنَّ هُدَى اللّهِ هُوَ الْهُدَى وَلَئِنِ اتَّبَعْتَ أَهْوَاءهُم بَعْدَ الَّذِي جَاءكَ مِنَ الْعِلْمِ مَا لَكَ مِنَ اللّهِ مِن وَلِيٍّ وَلاَ نَصِيرٍ﴾** (البقرة : 120).

يقول ابن كثير في تفسيره لهذه الآية : "وليست اليهود يا محمد ولا النصارى براضية عنك أبداً فدع ما يرضيهم ويوافقهم، وأقبل على طلب رضاء الله في دعائهم إلى ما بعثك الله به من الحق وقوله تعالى **﴿قُلْ إِنَّ هُدَى اللّهِ هُوَ الْهُدَى﴾** أي قل يا محمد إن هدى الله الذي بعثني به هو الهدى يعني هو الدين المستقيم الصحيح الكامل الشامل ... **﴿وَلَئِنِ اتَّبَعْتَ أَهْوَاءهُم بَعْدَ الَّذِي جَاءكَ مِنَ الْعِلْمِ مَا لَكَ مِنَ اللّهِ مِن وَلِيٍّ وَلاَ نَصِيرٍ﴾** فيه تهديد ووعيد شديد للأمة عن اتباع طرائق اليهود والنصارى بعدما علموا من القرآن والسنة عياذاً بالله من ذلك، فإن الخطاب مع الرسول ﷺ والأمر لأمته، وقد استدل كثير من الفقهاء بقوله (حتى تتبع ملتهم) حيث أفرد الملة على أن الكفر كله ملة واحدة"[1].

فالمسلم يثق بأن في كتاب الله تعالى وسنة رسوله ﷺ من عقيدة وإيمان بالله ما يغنيه عن اتباع ملة غير دين الإسلام، وأن عقيدة الإسلام هي العقيدة الوحيدة التي لم تتغير ولم تتبدل على مر العصور كما تغيرت عقائد اليهود والنصارى فوجب على المسلم التمسك بها لأنه بدونها لا يساوي شيئاً فضلاً عن أن ينتصر على عدوه.

---

(1) تفسير القرآن العظيم : لابن كثير، 163/1.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

يقول سيد قطب رحمه الله في تفسيره : "إنها العقيدة الدائمة التي نرى مصداقها في كل زمان ومكان .. هذه حقيقة المعركة التي يشنها اليهود والنصارى في كل أرض، وفي كل وقت ضد الجماعة المسلمة ... إنها معركة العقيدة في صميمها وحقيقتها، ولكن المعسكرين العريقين في العداوة للإسلام والمسلمين يلونانها بألوان شتى، ويرفعان عليها أعلاماً شتى، في خبث ومكر وتورية، إنهم قد جربوا حماسة المسلمين لدينهم وعقيدتهم حين واجهوهم تحت راية العقيدة، ومن ثم استدار الأعداء ... فغيروا أعلام المعركة، لم يعلنوها حرباً باسم العقيدة – على حقيقتها – خوفاً من حماسة العقيدة وجيشانها، إنما أعلنوها باسم الأرض، والاقتصاد والسياسة والمراكز العسكرية وما إليها، وألقوا في روع المخدوعين الغافلين منا، أن حكاية العقيدة قد صارت قديمة لا معنى لها، ولا يجوز رفع رايتها، وخوض المعركة باسمها فهذه سمة المتخلفين المتعصبين! ذلك كي يأمنوا جَيَشان العقيدة وحماستها، بينما هم في قرارة نفوسهم : الصهيونية العالمية والصليبية العالمية – بإضافة الشيوعية العالمية – جميعاً يخوضون المعركة أولاً وقبل كل شيء لتحطيم هذه الصخرة العاتية التي نطحوها طويلاً فأدمتهم جميعاً، إنها معركة العقيدة"[1].

فالمسلم الذي يقاتل عن عقيدة قوية دائماً هو المنتصر في النهاية والعكس بالعكس، إن من تخلى عن دينه وعقيدته أصبح لقمة سائغة في فم أعدائه يلوكونها في أي وقت شاءوا.

ولقد رفض الرسول ﷺ أن يُدخل مشركاً في الجيش يوم بدر حتى لا يكون سبباً في هزيمة الجيش بأكمله، ولأنه لا يستعين بمشرك على مشركين فقد ورد [عن عائشة زوج النبيﷺ، أنها قالت: خرج رسول الله ﷺ قِبل بدر، فلما كان بحرة[2] الوبرة أدركه رجل، قد كان يّذكر منه جرأة ونجدة، ففرح أصحاب رسول الله ﷺ حين رأوه : فلما أدركه قال لرسول الله ﷺ جئت لأتبعك وأصيب معك، قال له رسول الله ﷺ : تؤمن بالله ورسوله ؟ قال : لا، قال : فارجع فلن أستعين بمشرك، قالت : ثم مضى حتى إذا كنا بالشجرة أدركه الرجل : فقال له كما قال أول مرة فقال له النبي ﷺ كما قال له أول مرة قال : فارجع فلن أستعين بمشرك، قال : ثم رجع فأدركه بالبيداء، فقال له كما قال أول: تؤمن بالله ورسوله قال: نعم، فقال له رسول الله ﷺ : فانطلق][3].

ونلاحظ أن الرسول ﷺ لم يسمح لهذا المشرك بأن يدخل جيش المسلمين برغم جرأته ونجدته إلا بعد أن أسلم، لأنه بالعقيدة الصحيحة تنتصر الجيوش، فنحن قوم أعزنا الله بهذا الإسلام العظيم، فمهما ابتغينا العزة بغيره فلن تعلو لنا راية، ولن يُحقق لنا هدف.

---

(1) في ظلال القرآن : سيد قطب، 108/1.

(2) حرة الوبرة : وهو موضع على نحو من أربعة أميال من المدينة. (صحيح مسلم، بشرح النووي، 154/12، كتاب الجهاد والسير، باب كراهة الاستعانة في الغزو بكافر).

(3) صحيح مسلم، ص 728، كتاب الجهاد والسير، باب كراهة الاستعانة في الغزو بكافر، حديث رقم (1817).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

2- كثرة الذنوب والمعاصي :

كلما كانت ذنوبنا كثيرة كلما كنا أكثر بعداً عن النصر، فالواجب علينا كمسلمين أن نراجع أنفسنا وننقيها من الذنوب ونتوب إلى الله تعالى توبة نصوحاً لكي نقترب شيئاً فشيئاً من النصر، فالذنوب والمعاصي هي التي تدمر الإنسان وتهلك أصحابها وتُنزل من قدرهم.

فالله عز وجل أنزل سيدنا آدم عليه السلام من الجنة بسبب ذنب واحد ارتكبه فكيف بالذنوب الكثيرة المتراكمة، قال تعالى : ﴿**وَقُلْنَا يَا آدَمُ اسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ وَكُلاَ مِنْهَا رَغَداً حَيْثُ شِئْتُمَا وَلاَ تَقْرَبَا هَـذِهِ الشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ الْظَّالِمِينَ* فَأَزَلَّهُمَا الشَّيْطَانُ عَنْهَا فَأَخْرَجَهُمَا مِمَّا كَانَا فِيهِ وَقُلْنَا اهْبِطُواْ بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ وَلَكُمْ فِي الأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَاعٌ إِلَى حِينٍ**﴾ (البقرة: 35-36).

كذلك الذنوب كانت سبباً لإغراق من لم يؤمن من قوم سيدنا نوح عليه السلام وسبباً في تسليط الريح العقيم على قوم عاد، قال تعالى: ﴿**فَأَمَّا ثَمُودُ فَأُهْلِكُوا بِالطَّاغِيَةِ* وَأَمَّا عَادٌ فَأُهْلِكُوا بِرِيحٍ صَرْصَرٍ عَاتِيَةٍ* سَخَّرَهَا عَلَيْهِمْ سَبْعَ لَيَالٍ وَثَمَانِيَةَ أَيَّامٍ حُسُوماً فَتَرَى الْقَوْمَ فِيهَا صَرْعَى كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ خَاوِيَةٍ* فَهَلْ تَرَى لَهُم مِّن بَاقِيَةٍ**﴾ (الحاقة : 5-8)، وكذلك إغراق فرعون وأتباعه وباقي الأمم[1].

ولقد كان معصية بعض الصحابة للرسول ﷺ وعدم التزامهم أوامره في غزوة أحد سبباً رئيساً من أسباب الهزيمة، فقد أمرهم بأن يثبتوا في أماكنهم مهما حدث ولكنهم لم يطبقوا كلامه فتحول النصر إلى هزيمة.

ففي الرحيق المختوم : "وبينما كان الجيش الإسلامي الصغير يسجل مرة أخرى نصراً ساحقاً على مكة لم يكن أقل روعة من النصر الذي اكتسبه يوم بدر، وقعت من أغلبية فصيلة الرماة غلطة فظيعة قلبت الوضع تماماً، وأدت إلى إلحاق الخسائر الفادحة بالمسلمين، وكادت تكون سبباً في مقتل النبي ﷺ، وقد تركت أسوأ أثر على سمعتهم، والتي كانوا يتمتعون بها بعد بدر"[2].

وعند التأمل في مدة الحرب التي كانت بين المسلمين وأعدائهم في هذه الغزوة يتضح أنها تنقسم إلى شطرين :

الشطر الأول : عندما التزم المسلمون أماكنهم وأطاعوا نبيهم عليه الصلاة والسلام كان نتيجة ذلك أن سارع النصر إلى المسلمين، وسارعت الهزيمة إلى صفوف المشركين، وقد أخذوا يولون الأدبار بعد أن سيطر الرعب على قلوبهم وفي ذلك قال تعالى : ﴿**وَلَقَدْ صَدَقَكُمُ اللّهُ وَعْدَهُ إِذْ تَحُسُّونَهُم بِإِذْنِهِ**﴾ (آل عمران : 152).

---

(1) انظر أثر الذنوب في هدم الأمم والشعوب: محمد محمود الصواف، ص 28، دار الاعتصام، دون طبعة أو تاريخ.

(2) الرحيق المختوم : للمباركفوري، ص 293-294.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

والشطر الثاني : حينما انطلق المسلمون ليأخذوا الغنائم والأسلاب[1]، ونزل الرماة من فوق الجبل حيث لم يلتزموا بما وصاهم الرسول ﷺ به، فهذا مما حول الرعب الذي داهم أفئدة المشركين إلى استبسال جديد في القتال، وقد أصبح الرعب يغزو قلوب المسلمين وهذا ما تحدثت عنه الآية في قوله تعالى: ﴿**حَتَّى إِذَا فَشِلْتُمْ وَتَنَازَعْتُمْ فِي الأَمْرِ وَعَصَيْتُم مِّن بَعْدِ مَا أَرَاكُم مَّا تُحِبُّونَ مِنكُم مَّن يُرِيدُ الدُّنْيَا وَمِنكُم مَّن يُرِيدُ الآخِرَةَ ثُمَّ صَرَفَكُمْ عَنْهُمْ لِيَبْتَلِيَكُمْ**﴾ (آل عمران: 152).

وكان الوبال عظيماً بحيث لم ينج منه حتى رسول الله ﷺ وهو أحب الخلق إلى الله عز وجل وهذه من سنن الله في الكون بأن المعصية لا تولد إلا الهزيمة[2].

3- التنازع والاختلاف :

قال تعالى : ﴿**وَأَطِيعُواْ اللّهَ وَرَسُولَهُ وَلاَ تَنَازَعُواْ فَتَفْشَلُواْ وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ وَاصْبِرُواْ إِنَّ اللّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ**﴾ (الأنفال : 46).

يأمر الله عز وجل عباده الصالحين بطاعة الله ورسوله وذلك باتباع أوامرهما فاتباع الله ورسوله مما ينصرهم على أعدائهم، وينهاهم عن التنازع لأنه يشتت القلوب ويفرقها، ويحل عزائمهم، ويفرق قوتهم، ويرفع ما وعدهم الله من النصر على الأعداء بسبب هذا التنازع[3].

وقد أوصى الله عباده المؤمنين بالصبر في آخر الآية وكأنه سبحانه وتعالى حدد لهم الدواء الشافي لكي يتوحدوا وينتصروا على أعدائهم وهو الصبر، وذلك بعد أن أمرهم بطاعة الله وطاعة رسوله، فالصبر على الطاعة مطلوب، كما أن الصبر على تعامل المسلم مع أخيه المسلم مطلوب أيضاً، حتى ينال رضى الله عز وجل ومحبته وهذه هي غاية كل مسلم في حياته.

ومن الحري قوله أن نتيجة التنازع والاختلاف في الأمة هو عدم توحد كلمتهم الآن، فتلكأوا في نصرة أهل فلسطين وإنقاذ القدس والمسجد الأقصى من أيدي الصهاينة العابثين، فضلاً عن تواطؤ الحكومات العربية ووقوفها بجانب أمريكا وإسرائيل في حربها ضد العراق وفلسطين وأفغانستان والشيشان وباقي البلاد الإسلامية المستعمرة.

---

(1) الأسلاب : جمع سلب، وكل شيء على الإنسان من لباس يسمى سلب. (انظر المصباح المنير : أحمد المقرئ، ص 171، كتاب السين).

(2) انظر فقه السيرة : محمد سعيد البوطي، ص 245-246.

(3) انظر تيسير الكريم الرحمن : للشيخ السعدي، ص 216.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

4- اليأس :

إن من أعظم الأمراض خطراً على الأمة أن يسيطر على أبنائها .. روح اليأس والقنوط، وأن تسيطر عليهم روح الهزيمة والانكسار، والحقيقة أن اليأس داء خبيث إذا انتشر في أمة أهلكها، وما تفشى في جسد إلا أنهكه[1].

ولنا في وصية سيدنا يعقوب عليه السلام لأبنائه خير مثل على التفاؤل والأمل وعدم اليأس، قال تعالى على لسان سيدنا يعقوب عليه السلام : ﴿**يَا بَنِيَّ اذْهَبُواْ فَتَحَسَّسُواْ مِن يُوسُفَ وَأَخِيهِ وَلاَ تَيْأَسُواْ مِن رَّوْحِ اللّهِ إِنَّهُ لاَ يَيْأَسُ مِن رَّوْحِ اللّهِ إِلاَّ الْقَوْمُ الْكَافِرُونَ**﴾ (يوسف : 87).

فاليأس من رحمة الله تعالى من صفات الكافرين، والمؤمن ينأى بنفسه عن ذلك، "يقول علماء النفس : إن المجتمعات إذا ساد أفرادها روح التفاؤل والرضا، فإنها تكون أقوى بنياناً وأكثر إنتاجاً، وأقدر على مواجهة الأحداث والنوازل ولذلك تلجأ الأمم الناهضة إلى بث روح الاستبشار والرضا والأمن والاطمئنان بين الأفراد والجماعات لما لهذه الروح من بعث للنشاط وتقوية لمعنويات الأمة"[2].

ولنا في سيرة رسولنا عليه الصلاة والسلام خير مثال على التفاؤل وعدم اليأس، ففي أشد الظروف حلكة وهو في غار ثور مختبئاً من أعدائه الذين يلاحقونه من كل جانب وعندما لحق به سراقة بن مالك كتب له كتاباً وهو لا يملك عند ذلك شيئاً إلا إيمانه بالله عز وجل يقول ابن القيم رحمه الله : "فقال أبو بكر : يا رسول الله هذا سراقة ابن مالك قد رهقنا، فدعا عليه رسول الله ﷺ فساخت يدا فرسه في الأرض، فقال : قد علمت أن الذي أصابني بدعائكما، فادعو الله لي، ولكما عليّ أن أرد الناس عنكما، فدعا له رسول الله، فأطلق، وسأل رسول الله ﷺ أن يكتب له كتاباً فكتب له أبو بكر بأمره في أديم[3]. وكان الكتاب معه إلى يوم فتح مكة، فجاءه بالكتاب، فوفاه له رسول الله ﷺ، وقال : يوم وفاء وبر"[4].

---

(1) انظر التمكين للأمة الإسلامية في ضوء القرآن الكريم : محمد السيد يوسف، ص 260، دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع والترجمة، الطبعة الأولى، 1418هـ-1997م.

(2) مفاهيم تربوية، دستور النصر والهزيمة : محمد عبد الله الخطيب، 75/1، دار المنار الحديثة، الطبعة الثانية، 1411هـ-1990م.

(3) الأديم : جمع أَدَمْ والأَدَمَة باطن الجلد الذي يلي اللحم والبشرة ظاهرها. (انظر مختار الصحاح : للرازي، ص 10، باب الهمزة).

(4) زاد المعاد في هدي خير العباد : لابن قيم الجوزية، 75/2، تحقيق العلامة ناصر الدين الألباني، مكتبة الصفا، الطبعة الأولى، 1425هـ-2004م.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

وفي غزوة الخندق كان الرسول ﷺ من أشد الناس تفاؤلاً فعندما عرضت للصحابة رضي الله عنهم صخرة، اشتكوا إلى رسول الله ﷺ ذلك فأخذ المعول فقال بسم الله ثم ضرب ضربة، وقال الله أكبر أعطيت مفتاح الشام والله إني لأنظر قصورها الحمر الساعة، ثم ضرب ضربة، وقال : الله أكبر، أعطيت فارس والله إني لأبصر قصر المدائن الأبيض الآن، ثم ضرب الثالثة : فقال: بسم الله، فقطع بقية الحجر، فقال: الله أكبر، أعطيت مفاتيح اليمن والله إني لأبصر أبواب صنعاء من مكاني[1].

هكذا هو حال النبي عليه الصلاة والسلام لم يدب اليأس في قلبه لحظة واحدة إلى أن بنى دولة الإسلام العظيم التي شهد لها العالم كله بعظمتها وعدلها.

5- الغرور والرياء :

والغرور معناه : "سكون النفس إلى ما يوافق الهوى، ويميل إليه الطبع"[2].

والرياء هو : "ترك الإخلاص في العمل بملاحظة غير الله فيه"[3].

لقد نهى الله عز وجل المؤمنين أن يخرجوا بطراً ورياءً تشبهاً بأعداء الأمة الذين هدفهم هو الفساد والصد عن سبيل الله.

قال تعالى : ﴿**وَلاَ تَكُونُواْ كَالَّذِينَ خَرَجُواْ مِن دِيَارِهِم بَطَرًا وَرِئَاء النَّاسِ وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ اللّهِ وَاللّهُ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطٌ**﴾ (الأنفال : 47).

يوجه الله عز وجل كلامه إلى أوليائه قائلاً لهم: "فليكن قصدكم في خروجكم وجه الله، وإعلاء دين الله، والصد عن الطريق الموصلة إلى سخط الله وعقابه، وجذب الناس إلى السبيل القويم، الموصل لجنات النعيم"[4].

ولقد أُعجب المؤمنون بكثرة عددهم في غزوة حنين، فذكّرهم الله تعالى بأن هذه الكثرة لم تغنِ عنهم شيئاً في جانب قوة الله تعالى وعظمته. قال تعالى : ﴿**لَقَدْ نَصَرَكُمُ اللّهُ فِي مَوَاطِنَ كَثِيرَةٍ وَيَوْمَ حُنَيْنٍ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ فَلَمْ تُغْنِ عَنكُمْ شَيْئًا وَضَاقَتْ عَلَيْكُمُ الأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ ثُمَّ وَلَّيْتُم مُّدْبِرِينَ * ثُمَّ أَنزَلَ اللّهُ سَكِينَتَهُ عَلَى رَسُولِهِ وَعَلَى الْمُؤْمِنِينَ وَأَنزَلَ جُنُودًا لَّمْ تَرَوْهَا وَعَذَّبَ الَّذِينَ كَفَرُواْ وَذَلِكَ جَزَاء الْكَافِرِينَ * ثُمَّ يَتُوبُ اللّهُ مِن بَعْدِ ذَلِكَ عَلَى مَن يَشَاء وَاللّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ**﴾ (التوبة : 25-27).

---

(1) انظر الرحيق المختوم : للمباركفوري، ص 342.

(2) التعريفات : للجرجاني، ص 262، باب العين.

(3) المصدر السابق، ص 189، باب الراء.

(4) تيسير الكريم الرحمن : للشيخ السعدي، ص 216.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

"يذكر تعالى للمؤمنين فضله عليهم وإحسانه لديهم في نصره إياهم في مواطن كثيرة من غزواتهم مع رسوله، وأن ذلك من عنده تعالى وبتأييده وتقديره، لا بِعددهم ولا بعُددهم، ونبههم على أن النصر من عنده سواء قل الجمع أو كثر، فإن يوم حنين أعجبتهم كثرتهم، ومع هذا ما أجدى ذلك عنهم شيئاً فولوا مدبرين إلا القليل منهم مع رسول الله ﷺ، ثم أنزل نصره وتأييده على رسوله وعلى المؤمنين الذين معه"[1].

فالله عز وجل رحيم بعباده فبعد أن يتوب عليهم يؤيدهم بنصره وقوته، وينزل الملائكة تدافع معهم.

ويقول سيد قطب رحمه الله في تفسيره لنفس الآية عن حال المسلمين عندما أعجبتهم كثرتهم : "فمن انفعال الإعجاب بالكثرة، إلى زلزلة الهزيمة الروحية، إلى انفعال الضيق والحرج حتى لكأن الأرض كلها تضيق بهم، وتشتد عليهم إلى حركة الهزيمة الحسية وتولية الأدبار والنكوص على الأعقاب"[2].

وكأن الهزيمة في أول المعركة كانت عقاباً للمسلمين، وفي نفس الوقت تربية لهم، لكي لا يغتروا بأنفسهم وبكثرتهم مرة أخرى، ولكي يعترفوا بضعفهم رغم كثرتهم، وأنه إن لم ينصرهم الله تعالى، فلا ناصر لهم ولا مؤيد غيره سبحانه.

وبهذا يتبين أن الأمة إذا أرادت النصر فلا بد لها من تجنب عوامل الهزيمة من ضعف العقيدة، واختلاف، وفرقة، وذنوب ومعاصي، وغرور ورياء، ويأس وخور، وذلك حتى تنهض من كبوتها وتستعيد مجدها التليد الذي سلب منها عندما ضعفت واستكانت وتكالبت عليها الأمم المعتدية من كل صوب وحدب، قال تعالى : ﴿**وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ الْمُؤْمِنِينَ**﴾ (الروم : 47).

---

(1) تفسير القرآن العظيم : لابن كثير، 343/2.

(2) في ظلال القرآن : سيد قطب، 1617/3.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

المبحث الثاني

دور العقيدة في التمكين للأمة الإسلامية

المطلب الأول : التمكين ومقوماته.

المطلب الثاني : عوائق التمكين.

المطلب الثالث : سنن ربانية على طريق التمكين.

المطلب الرابع : مبشرات النصر والتمكين.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

المبحث الثاني

دور العقيدة في التمكين للأمة الإسلامية

المطلب الأول : التمكين ومقوماته :

أولاً : التمكين :

إن من الواجب على الأمة اليوم أن تسعى ليّمكن لها في الأرض حتى ترفع عن كاهلها لباس الذل والهوان وتسعى في طريق النور والإيمان.

أ- معنى التمكين لغة :

جاء في المصباح المنير : "مكنته من الشيء جعلت له عليه سلطاناً وقدرة، متمكن منه واستمكن : قدر عليه، وله مَكِنَة أي قوة وشدة"[1].

ب- التمكين اصطلاحاً :

"هو السعي الجاد من أجل رجوع الأمة إلى ما كانت عليه من السلطة والنفوذ والمكانة في دنيا الناس"[2].

ثانياً : مقومات التمكين :

ويقصد بمقومات التمكين أي "ما يقوم به التمكين ويعتمد عليه اعتماداً أساسياً"[3].

لقد ذكر الله عز وجل مقومات التمكين الأساسية في كتابه العزيز، وهي :

1- الإيمان :

إن الإيمان هو أهم مقومات التمكين، وهو عمودها الأساس والذي لا يصلح غيره بدونه، قال تعالى: ﴿**وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُم فِي الأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّن بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي لا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا وَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ**﴾ (النور : 55).

"هذا من وعوده الصادقة التي شوهد تأويلها ومخبرها، فإنه وعد من قام بالإيمان والعمل الصالح من هذه الأمة، أن يستخلفهم في الأرض، فيكونوا هم الخلفاء فيها، المتصرفين في تدبيرها، وأن يمكن لهم دينهم الذي ارتضى لهم، وهو دين الإسلام الذي فاق الأديان كلها،

---

(1) المصباح المنير : أحمد المقرئ، ص 343، كتاب الميم.

(2) فقه التمكين في القرآن الكريم : د. علي الصلابي، ص 16، دار الوفاء، الطبعة الأولى، 1412هـ-2001م.

(3) التمكين للأمة الإسلامية في ضوء القرآن الكريم : محمد السيد يوسف، ص 27.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

ارتضاه لهذه الأمة لفضلها وشرفها ونعمته عليها، بأن يتمكنوا من إقامته، وإقامة شرائعه الظاهرة والباطنة في أنفسهم وفي غيرهم، وفي كون غيرهم من أهل الأديان، وسائر الكفار، مغلوبين ذليلين، وأنه يبدلهم أمناً من بعد خوفهم، حيث كان الواحد منهم لا يتمكن من إظهار دينه، وما هو عليه، إلا بأذى كثير من الكفار، وكون جماعة المسلمين قليلين جداً، بالنسبة إلى غيرهم، وقد رماهم أهل الأرض، عن قوس واحدة"[1].

وقد وعد الله المسلمين الاستخلاف في الأرض والتمكين والأمن وقت نزول الآية، ولكنه تحقق ذلك بعدما تحقق من الإيمان والعمل الصالح ما يفوق غيرهم فمكنهم من العباد والبلاد، وفتحت مشارق الأرض ومغاربها وحدث الأمن التام والتمكين التام.

وهذا الأمر يحدث كلما قام المسلمون بالإيمان والعمل الصالح إلى قيام الساعة، وقد يبتلى المسلمون في أوقات بتسليط الكفار والمنافقين عليهم وهذا يكون بسبب إخلالهم بهذين الأمرين الأساسيين وهما الإيمان والعمل[2].

يقول سيد قطب رحمه الله في تفسيره للآية السابقة : "إن حقيقة الإيمان التي يتحقق بها وعد الله حقيقة ضخمة تستغرق النشاط الإنساني كله، وتوجه النشاط الإنساني كله، فما تكاد تستقر في القلب حتى تعلن عن نفسها في صورة عمل ونشاط وبناء، وإنشاء موجه كله إلى الله، لا يبتغي صاحبه إلا وجه الله، وهي طاعة الله واستسلام لأمره في الصغيرة والكبيرة، لا يبقى معها هوى في النفس، ولا شهوة في القلب ولا ميل في الفطرة إلا وهو تبع لما جاء به رسول اللهﷺ من عند الله"[3].

فالإيمان بالله هو الذي يحرك الإنسان في طريقه إلى الله، ويجعله يسير وفق منهج الله ووفق شريعته لكي يطبقها أولاً على نفسه، ومن ثم على غيره، وبذلك يكون له تأثيره الحقيقي في تحقيق وعد الله تعالى بالتمكين في الأرض.

2- العمل الصالح :

يأتي العمل الصالح في مرتبة تلي الإيمان في مقومات التمكين وهو من المقومات الأساسية له كما جاء في قوله تعالى: ﴿**وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُم فِي الأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ**﴾ (النور : 55).

---

(1) تيسير الكريم الرحمن : للشيخ السعدي، ص 411.

(2) انظر المصدر السابق، ص 411.

(3) في ظلال القرآن : سيد قطب، 2528/4.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

معنى العمل : "أعمله عملاً صنعته"[1].

معنى الصالح : "أصلح أتى بالصلاح وهو الخير والصواب"[2].

إن الإيمان والعمل الصالح أمران متلازمان، ولا يكاد يذكر أحدهما إلا ويذكر الآخر وذلك لأن العمل ثمرة من ثمرات الإيمان بالله تعالى وهو الترجمة العملية له، قال تعالى : ﴿**وَالْعَصْرِ * إِنَّ الإِنسَانَ لَفِي خُسْرٍ * إِلاَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ**﴾ (العصر : 1-3).

فقد أقسم الله عز وجل بالزمان بأن الإنسان في خسارة وهلاك إلا الذين آمنوا بقلوبهم وعملوا الصالحات بجوارحهم وتواصوا بالطاعات وصبروا على المصائب والأقدار[3].

يقول سيد قطب في تفسيره : "والعمل الصالح وهو الثمرة الطبيعية للإيمان، والحركة الذاتية التي تبدأ في ذات اللحظة التي تستقر فيها حقيقة الإيمان في القلب، فالإيمان حقيقة إيجابية متحركة، ما إن تستقر في الضمير حتى تسعى بذاتها إلى تحقيق ذاتها في الخارج في صورة عمل صالح، هذا هو الإيمان الإسلامي، لا يمكن أن يظل خامداً لا يتحرك، كامناً لا يتبدى في صورة حية خارج ذات المؤمن، فإن لم يتحرك هذه الحركة الطبيعية فهو مزيف أو ميت"[4].

حقاً إن الإيمان الحقيقي هو الذي يُفضي إلى العمل الصالح وبالتالي يدفع إلى التمكين في الأرض كما أراد الله عز وجل.

3- العبادة :

إن عبادة الله عز وجل كما أمر سبحانه هي من مقومات التمكين الهامة والتي تتفرع عن العمل الصالح، قال تعالى : ﴿**يَعْبُدُونَنِي لا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا**﴾ (النور : 55)، وقال تعالى: ﴿**إِنِ الْحُكْمُ إِلاَّ لِلّهِ أَمَرَ أَلاَّ تَعْبُدُواْ إِلاَّ إِيَّاهُ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَـكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لاَ يَعْلَمُونَ**﴾ (يوسف: 40).

وللعبادة أهمية كبرى في الحياة، ومن أهميتها :

أ- تثبيت الاعتقاد :

"إن روح العبادة هو إشراب القلب حب الله تعالى وهيبته، وخشيته، والشعور الغامر بأنه رب الكون ومليكه، والتوجه دائماً بما شرع من شعائر ونسك باعتبارها مظهراً دائباً لصدق

---

(1) المصباح المنير : أحمد المقرئ، ص 255، كتاب العين.

(2) المصدر السابق، ص 207، كتاب الصاد.

(3) انظر تفسير القرآن العظيم : لابن كثير، 548/4.

(4) في ظلال القرآن : سيد قطب، 3967/6.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

الإنسان في دعوى الإيمان وتذكيراً مستمراً بسلطان الإله الأعلى، إلهاباً متجرداً لجذوة اليقين في الله، ورجاء فضله وثوابه"[1].

ب- تثبيت القيم الاجتماعية :

فالذي يعبد الله حق العبادة فإنه يترجم ذلك إلى معاملة وأخلاق وقيم ومبادئ يسير عليها طوال حياته، فمثلاً : الصلاة تُعود المسلم الالتزام بالمواعيد، والزكاة تطهر النفس من أدرانها وتزكيها، قال تعالى : ﴿**خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِم بِهَا وَصَلِّ عَلَيْهِمْ إِنَّ صَلاَتَكَ سَكَنٌ لَّهُمْ**﴾ (التوبة : 103)، والصوم يعمل على تربية الإرادة الإنسانية ويعود النفس على الصبر وضبط النفس والقدرة على تغيير العادات السيئة.

ج- إصلاح الجانب الاجتماعي :

ويظهر ذلك في صلاة الجماعة التي تعمل على تأليف القلوب وتوحيدها، وكذلك الحج الذي يعمل على تعارف المسلمين واجتماعهم من جميع أنحاء العالم ليشهدوا منافع لهم، قال تعالى: ﴿**وَأَذِّن فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالًا وَعَلَى كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِن كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ* لِيَشْهَدُوا مَنَافِعَ لَهُمْ وَيَذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ فِي أَيَّامٍ مَّعْلُومَاتٍ**﴾ (الحج : 27-28).

والمنافع التي يشهدها المسلمون كثيرة جداً منها المنافع الروحية والمادية والاجتماعية والثقافية والسياسية والاقتصادية[2].

فالمسلم إذا حقق الغاية من عبادته لله تعالى فإنه سيكون قد ساهم في التمكين لهذا الدين في الأرض كلها، بمعنى ثاني إذا تحققت صفة العبودية لله من المسلمين فإنهم يستحقون التمكين لهم في الأرض.

4- محاربة الشرك :

إن محاربة الشرك من مقومات التمكين المهمة وذلك حتى يتحقق التوحيد لله عز وجل وبالتالي تعلو راية الحق.

قال تعالى : ﴿**يَعْبُدُونَنِي لا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا**﴾ (النور : 55)، وقال تعالى على لسان سيدنا يوسف عليه السلام : ﴿**وَاتَّبَعْتُ مِلَّةَ آبَآئِي إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَقَ وَيَعْقُوبَ مَا كَانَ لَنَا أَن نُّشْرِكَ بِاللّهِ مِن شَيْءٍ ذَلِكَ مِن فَضْلِ اللّهِ عَلَيْنَا وَعَلَى النَّاسِ وَلَـكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لاَ يَشْكُرُونَ**﴾ (يوسف : 38).

---

(1) فقه التمكين في القرآن الكريم : علي الصلابي، ص 185.

(2) انظر المرجع السابق، ص 189.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

ومعنى الشرك :

"أن تجعل لله نداً وهو خلقك، وتعبد معه غيره من حجر أو بشر أو شمس أو قمر أو نبي أو شيخ أو جني أو نجم أو ملك أو غير ذلك"[1]. أي أن يجعل الإنسان نداً لله في ربوبيته وإلهيته[2].

والشرك نوعان :

أ- شرك أكبر : "وهو أن يتخذ من دون الله نداً يحبه كما يحب الله وهو الشرك الذي تضمن تسوية آلهة المشركين برب العالمين، قال تعالى : ﴿**تَاللَّهِ إِن كُنَّا لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ * إِذْ نُسَوِّيكُم بِرَبِّ الْعَالَمِينَ**﴾ (الشعراء : 97-98)، مع إقرارهم بأن الله وحده خالق كل شيء، وربه ومليكه، وأن آلهتهم لا تخلق ولا ترزق، ولا تحيي ولا تميت، وإنما كان هذه التسوية في المحبة والتعظيم والعبادة"[3].

ب- شرك أصغر: مثل الحلف بغير الله. وهو كاليسير من الرياء والتصنع للخلق، والنذر لغير الله، والتوكل على غير الله وابتغاء الرزق من عند غيره، ومنه طلب الحوائج من الموتى والاستغاثة بهم[4].

والله عز وجل يغفر الذنوب جميعها إلا الشرك به، قال تعالى : ﴿**إِنَّ اللّهَ لاَ يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَن يَشَاء**﴾ (النساء : 48).

"يخبر تعالى : أنه لا يغفر لمن أشرك به أحداً من المخلوقين، ويغفر ما دون ذلك من الذنوب، صغائرها وكبائرها، وذلك عند مشيئته مغفرة ذلك، إذا اقتضت حكمته مغفرته"[5].

"فالذنوب التي دون الشرك قد جعل الله لمعرفتها أسباباً كثيرة كالحسنات الماحية، والمصائب المكفرة في الدنيا والبرزخ، ويوم القيامة، وكدعاء المؤمنين بعضهم لبعض، وبشفاعة الشافعين، ومن دون ذلك كله رحمته التي أحق بها أهل الإيمان والتوحيد وهذا بخلاف الشرك فإن المشرك قد سد على نفسه أبواب المغفرة، وأغلق دونه أبواب الرحمة، فلا تنفعه الطاعات من دون التوحيد، ولا تفيده المصائب شيئاً"[6]. فتوحيد الله تعالى أصل لجميع العبادات والأعمال، فهي من دونه ليس لها أي قيمة تُذكر.

---

(1) الكبائر : للإمام شمس الدين محمد الذهبي، ص 9، حققه وخرج أحاديثه : بشير محمد عيون، مكتبة دار البيان، الطبعة الرابعة، 1412هـ-1991م.

(2) انظر التوحيد: للشيخ صالح الفوزان، ص 9، طبع على نفقة مؤسسة الحرمين الخيرية، المملكة العربية السعودية.

(3) مدارج السالكين : للإمام ابن قيم الجوزية، 339/1.

(4) انظر المرجع السابق، 344/1.

(5) تيسير الكريم الرحمن : للشيخ السعدي، ص 104.

(6) المصدر السابق، ص 104.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

وقد حذر الرسول ﷺ من الشرك بقوله : [من مات يشرك بالله شيئاً دخل النار][1].

وقد بشر ﷺ من لا يشرك به بألا يعذبهم فقد ورد [عن معاذ بن جبل قال : كنت ردف النبي ﷺ، ليس بيني وبينه إلا مؤخرة الرَّحل فقال : يا معاذ بن جبل، قلت : لبيك رسول الله وسعديك، ثم سار ساعة، ثم قال : يا معاذ بن جبل، قلت : لبيك رسول الله وسعديك، قال : هل تدري ما حق الله على العباد؟ قال : قلت : الله ورسوله أعلم، قال: فإن حق الله على العباد أن يعبدوه ولا يشركوا به شيئاً، ثم سار ساعة، ثم قال : يا معاذ بن جبل، قلت : لبيك رسول الله وسعديك، قال : هل تدري ما حق العباد على الله إذا فعلوا ذلك؟ قال: قلت : الله ورسوله أعلم. قال : أن لا يعذبهم][2].

وللشرك آثار سيئة جداً على الفرد والجماعة، ومن هذه الآثار :

أ- إطفاء نور الفطرة :

قال تعالى : ﴿**وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِن بَنِي آدَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَى أَنفُسِهِمْ أَلَسْتَ بِرَبِّكُمْ قَالُواْ بَلَى شَهِدْنَا**﴾ (الأعراف : 172).

فالشرك نقض للميثاق الذي أخذه الله على بني آدم وهم في عالم الذر أن الله عز وجل هو ربهم وبذلك يكونوا قد انحرفوا عن العبادة التي خلقوا من أجلها، قال تعالى : ﴿**وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالإِنسَ إِلا لِيَعْبُدُونِ**﴾ (الذاريات : 56)، فالمؤمن يستمد من توحيده لله تعالى النور الذي يسير به في حياته، ولكنه إذا أشرك بالله تصبح أعماله كالسراب، وتصبح أعماله مظلمة معتمة، قال تعالى : ﴿**وَمَن لَّمْ يَجْعَلِ اللَّهُ لَهُ نُورًا فَمَا لَهُ مِن نُّورٍ**﴾ (النور : 40).

ب- القضاء على مطالب النفس الشريفة :

فالنفس المؤمنة الموحدة لله تعالى دائماً تطمح لرضى الله عز وجل وللغايات النبيلة، ولكن النفوس التي اهتزت فيها حقيقة التوحيد، وأشركت بربها فإنها تنشغل بمطالب وأهواء النفس الخسيسة، وتنحط إلى الحضيض لأنها تجاهد في سبيل متاع زائل، وشهوة دنيئة، قال تعالى : ﴿**وَمَن يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنَ السَّمَاء فَتَخْطَفُهُ الطَّيْرُ أَوْ تَهْوِي بِهِ الرِّيحُ فِي مَكَانٍ سَحِيقٍ**﴾ (الحج : 31).

---

(1) صحيح مسلم، ص 54، كتاب الإيمان، باب من مات لا يشرك بالله شيئاً دخل الجنة، ومن مات مشركاً دخل النار، حديث رقم (92).

(2) صحيح مسلم، ص 37، كتاب الإيمان، باب الدليل على أن من مات على التوحيد دخل الجنة قطعاً، حديث رقم (30).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

ج- القضاء على عزة النفس :

فالعزة الحقيقية تستمد من الإيمان بالله عز وجل، قال تعالى : ﴿**وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ**﴾ (المنافقون : 8).

والمشرك لا يعرف العزة، لأنه يقع عبد ذليل لمن عبده من دون الله تعالى سواء كان الذي عبده شهوة أو مال أو سلطان أو أشخاص.

د- تمزيق وحدة النفس البشرية :

إن الشرك يشتت النفس البشرية ويمزقها لأنه يسعى لإرضاء أكثر من واحد، فإذا أراد إرضاء واحد من الشركاء فإن الآخر لا يرضى بذلك، فتبقى نفسه مضطربة، لا تهدأ ولا تطمئن بأي حال من الأحوال إلا إذا عادت إلى رشدها وعبدت ربها بحق بدون أن تشرك به شيئاً قال تعالى : ﴿**ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا رَّجُلًا فِيهِ شُرَكَاء مُتَشَاكِسُونَ وَرَجُلًا سَلَمًا لِّرَجُلٍ هَلْ يَسْتَوِيَانِ مَثَلًا الْحَمْدُ لِلَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ**﴾ (الزمر : 29).

هـ- إحباط العمل :

فالمشرك عمله لا يقبل عند الله عز وجل، قال تعالى : ﴿**وَلَقَدْ أُوحِيَ إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ**﴾ (الزمر : 65)[1].

فينبغي على كل مسلم تجريد توحيده لله وأن يعادي المشركين، ويتقرب إلى الله بمقتهم، وأن يتخذ الله وحده ولياً وإلهاً ومعبوداً، ويجرد حبه وخوفه ورجاءه وذله وتوكله واستعانته والتجائه واستغاثته وإخلاصه لله عز وجل، ويتبع أمره، ويبتغي مرضاته، وإذا سأل، سأل الله تعالى وإذا استعان استعان بالله تعالى وإذا عمل أي عمل فينبغي أن يكون لله وحده عز وجل[2]، فهذا مما يساعد على التمكين للمسلمين في الأرض.

5- العلم :

معناه لغة : اليقين والمعرفة[3].

اصطلاحاً : ويعني "نقل صورة المعلوم من الخارج وإثباتها في النفس"[4].

وأشرف أنواع العلم هو العلم بالله تعالى وأسمائه وصفاته وأفعاله وكتبه وأمره ونهيه[5].

---

(1) انظر فقه التمكين في ضوء القرآن الكريم : د. علي الصلابي، ص 196-198.

(2) انظر مدارج السالكين، للإمام ابن قيم الجوزية، 1/346-347.

(3) انظر المصباح المنير : أحمد المقرئ، ص 254، كتاب العين.

(4) الفوائد : للإمام ابن قيم الجوزي، ص 104.

(5) انظر المصدر السابق، ص 104.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

والعلم من أهم : مقومات التمكين والتي هي فرع عن العمل الصالح، فالأمة الجاهلة لا تستطيع أن تبني مجداً أو تشيد عزاً.

ولقد اتضح كيف أن الله مكن لسيدنا يوسف عليه السلام بعد أن علمه من تأويل الأحاديث وآتاه علماً وحكماً، قال تعالى : ﴿**وَكَذَلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِي الأَرْضِ وَلِنُعَلِّمَهُ مِن تَأْوِيلِ الأَحَادِيثِ وَاللَّهُ غَالِبٌ عَلَى أَمْرِهِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لاَ يَعْلَمُونَ * وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُ آتَيْنَاهُ حُكْمًا وَعِلْمًا وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ**﴾ (يوسف : 21-22). فكان العلم سبباً في الرفعة في الدنيا والآخرة.

قال تعالى : ﴿**يَرْفَعِ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ**﴾ (المجادلة : 11).

بين الله تعالى في هذه الآية أنه يرفع أهل العلم والإيمان درجات كل حسب ما خُص به من العلم والإيمان، وفي هذه الآية بيان لفضيلة العلم وأن من ثمراته التأدب والعمل بمقتضاه[1].

ولقد قرر الله تعالى أنه لا يتساوى من عنده علم مع الذي ليس عنده علم، قال تعالى: ﴿**قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لا يَعْلَمُونَ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُوْلُوا الأَلْبَابِ**﴾ (الزمر : 9).

وقد مكن الله عز وجل لذي القرنين في المشرق والمغرب وكان عامل العلم من الأسباب الرئيسية لهذا التمكين، قال تعالى: ﴿**إِنَّا مَكَّنَّا لَهُ فِي الْأَرْضِ وَآتَيْنَاهُ مِن كُلِّ شَيْءٍ سَبَبًا**﴾ (الكهف: 84). وسبباً أي "علماً"[2]، وقيل : كان يعلم لغات الأقوام الذين يغزوهم، فلا يغزو قوماً إلا كلمهم بلسانهم[3]. وهذا من شدة العلم الذي تمتع به ذي القرنين.

يقول ابن القيم رحمه الله : "أفضل ما تكسبه النفوس وحصلته القلوب، ونال بها العبد الرفعة في الدنيا والآخرة هو العلم والإيمان، ولهذا قرن بينهما سبحانه في قوله ﴿**وَقَالَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ وَالْإِيمَانَ لَقَدْ لَبِثْتُمْ فِي كِتَابِ اللَّهِ إِلَى يَوْمِ الْبَعْثِ**﴾ (الروم : 56)، وقوله ﴿**يَرْفَعِ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ**﴾ (المجادلة : 11)[4].

وقد بوب البخاري في صحيحه باباً في كتاب العلم أسماه باب العلم قبل القول والعمل لقول الله تعالى : ﴿**فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ**﴾، فقال فيه بأن الله تعالى: "بدأ بالعلم، وأن العلماء

---

(1) انظر تفسير القرآن العظيم : لابن كثير، 326/4؛ وانظر تيسير الكريم الرحمن : للشيخ السعدي، 622.

(2) تفسير القرآن العظيم : لابن كثير، 101/3.

(3) انظر المصدر السابق، 101/3.

(4) الفوائد : لابن القيم، ص 125.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

ورثة الأنبياء، ورَّثوا العلم، من أخذه أخذ بحظ وافر، ومن سلك طريقاً يطلب به علماً سهل الله له طريقاً إلى الجنة، وقال جل ذكره : ﴿**إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ**﴾ (فاطر : 28)، وقال : ﴿**وَمَا يَعْقِلُهَا إِلا الْعَالِمُونَ**﴾ (العنكبوت : 43)، وقال : ﴿**وَقَالُوا لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ مَا كُنَّا فِي أَصْحَابِ السَّعِيرِ**﴾ (الملك: 10)، وقال: ﴿**هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لا يَعْلَمُونَ**﴾ (الزمر: 9)، وقال النبي ﷺ : [من يرد الله به خيراً يفقهه في الدين، وإنما العلم بالتعلم][1].

وقد أورد الفخر الرازي رحمه الله عدة مناقب للعلماء والتي أوردها الله تعالى في كتابه العزيز :

أ- الإيمان، وقد جاء في قوله تعالى: ﴿**وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ**﴾ (آل عمران: 7).

ب- توحيد الله تعالى والشهادة له بذلك، وذلك في قوله تعالى : ﴿**شَهِدَ اللّهُ أَنَّهُ لاَ إِلَـهَ إِلاَّ هُوَ وَالْمَلاَئِكَةُ وَأُوْلُواْ الْعِلْمِ قَآئِمَاً بِالْقِسْطِ لاَ إِلَـهَ إِلاَّ هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ**﴾ (آل عمران : 18).

ت- الخشوع في سجودهم والبكاء، قال تعالى: ﴿**إِنَّ الَّذِينَ أُوتُواْ الْعِلْمَ مِن قَبْلِهِ إِذَا يُتْلَى عَلَيْهِمْ يَخِرُّونَ لِلأَذْقَانِ سُجَّدًا * وَيَقُولُونَ سُبْحَانَ رَبِّنَا إِن كَانَ وَعْدُ رَبِّنَا لَمَفْعُولاً * وَيَخِرُّونَ لِلأَذْقَانِ يَبْكُونَ وَيَزِيدُهُمْ خُشُوعًا**﴾ (الإسراء : 107-109).

ث- الخشية من الله، قال تعالى : ﴿**إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ**﴾ (فاطر : 28)[2].

فالعلماء بهذه الصفات التي ذكرها الله عز وجل هم الذين يقودون الأمة إلى كل خير ونصر وتمكين.

وإذا أراد العالم الإسلامي أن يطمح للقيادة والاستقلال والتمكين فلا بد من الاستقلال التعليمي والزعامة العلمية، وهذا يحتاج إلى تفكير عميق، وحركة تدوين، وتأليف واسعة، وخبرة إلى درجة التحقق، والنقد بعلوم العصر، مع التشبع بروح الإسلام والإيمان الراسخ[3].

وبذا يتبين لمن أراد أن ترجع للأمة سيادتها وكرامتها وعزتها، وأن يمكن لها في الأرض أن رأس الأمر كله، وملاكه الإيمان، والعمل الصالح بجميع أنواعه، من عبادة، ومحاربة للشرك، وتعلم للعلم، والذي يرفع من قيمة هذه الأمة، ويصل بها إلى بر الأمان، والتمكين لها في الأرض على باقي الأمم.

---

(1) صحيح البخاري، 22/1، كتاب العلم، باب العلم قبل القول والعمل لقول الله -تعالى- (فاعلم أنه لا إله إلا الله)، بدون رقم حديث.

(2) انظر التفسير الكبير : للرازي، 601/1.

(3) انظر ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين : أبو الحسن الندوي، ص 391، مكتبة السنة، طبعة جديدة، 1410هـ-1990م.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

المطلب الثاني : عوائق التمكين :

إن الصراع بين الحق والباطل سنة من سنن الله في الكون منذ خلق آدم عليه السلام وإلى أن يرث الله الأرض ومن عليها، وأعداء الإسلام لم يُبقوا وسيلة إلا استخدموها للكيد للإسلام والمسلمين، لذا فمعوقات التمكين لهذا الدين كثيرة ومتنوعة، ومنها ما هو داخلي، ومنها ما هو خارجي.

أولاً : العوائق الداخلية :

للتمكين عوائق داخلية أي راجعة إلى المسلمين أنفسهم وليس لعدوهم تأثير مباشر لها، وإنما التأثير عن بُعد بواسطة المعوقات الخارجية التي ستتحدث الباحثة عن بعضها.

ومن العوائق الداخلية :

1- تعطيل الشريعة الإسلامية :

الشريعة في اللغة : مشرعة الماء وهي موارد الشاربة، والشريعة : ما شرع الله لعباده من الدين. و(شَرَع) لهم : أي سنَّ، و(الشارع) : الطريق الأعظم و(الشِرْعَة): الشريعة[1]، قال تعالى : ﴿**لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا**﴾ (المائدة : 48).

الشريعة اصطلاحاً : هي "الائتمار بالتزام العبودية"[2].

والتزام العبودية لله عز وجل يقوم على الالتزام بما شرعه الله عز وجل لعباده من العقائد والعبادات والأخلاق والمعاملات حتى تتحقق لهم السعادة في الدنيا والآخرة[3].

فالله عز وجل الذي خلق الخلق هو الذي يعلم ما يناسبهم في دينهم ودنياهم، قال تعالى : ﴿**أَلا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ**﴾ (الملك : 14).

والإنسان المؤمن لا يكون مؤمناً بحق إلا إذا اتبع في كل حياته شريعة الله ومنهجه في الحكم لقوله تعالى : ﴿**فَلاَ وَرَبِّكَ لاَ يُؤْمِنُونَ حَتَّىَ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لاَ يَجِدُواْ فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُواْ تَسْلِيمًا**﴾ (النساء : 65).

فالله عز وجل يقسم أنه لا يؤمن أحد حتى يُحكم الرسول ﷺ في جميع أموره، لأن ما يحكم به عليه الصلاة والسلام هو الحق الذي يجب الانقياد له باطناً وظاهراً، ويسلموا لذلك الحكم تسليماً كلياً من غير ممانعة أو مدافعة أو منازعة[4].

---

(1) انظر مختار الصحاح : للرازي، ص 335، باب الشين.
(2) التعريفات : للجرجاني، ص 210.
(3) انظر التمكين للأمة الإسلامية في ضوء القرآن الكريم : محمد يوسف، ص 152.
(4) انظر تفسير القرآن العظيم : لابن كثير، 684/1.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

وفي سبب نزول هذه الآية فقد ورد عن "عروة قال : خاصم الزبير رجلاً من الأنصار، فقال النبي ﷺ : يا زبير اسق، ثم أرسل فقال الأنصاري : إنه ابن عمتك، فقال ﷺ : اسق يا زبير حتى يبلغ الماء الجُدْرُ، ثم أمسك، فقال الزبير : فأحسب هذه الآية نزلت في ذلك ﴿**فَلاَ وَرَبِّكَ لاَ يُؤْمِنُونَ حَتَّىَ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ**﴾ (النساء : 56)" [1]. فهذا الأنصاري شك في مدى صدق تحكيم الرسول ﷺ بينه وبين الزبير، فنزلت هذه الآية لترده إلى الصواب من أمره، وتجعله يتبين بأن حكم الله ورسوله وتطبيقه يتعلق بأصل الإيمان والعقيدة، فالمؤمن الحق هو من ارتضى حكم الله وحكم رسوله "في كل شيء يحصل فيه اختلاف، بخلاف مسائل الإجماع، فإنها لا تكون إلا مستندة للكتاب والسنة، ثم لا يكفي هذا التحكيم حتى ينفي الحرج من قلوبهم والضيق، وكونهم يحكمونه على وجه الإغماض، ثم لا يكفي هذا التحكيم حتى يسلموا لحكمه تسليماً بانشراح صدر، وطمأنينة قلب، وانقياد بالظاهر والباطن.

فالتحكيم في مقام الإسلام، وانتفاء الحرج في مقام الإيمان، والتسليم في مقام الإحسان فمن استكمل هذه المراتب، وكملها فقد استكمل مراتب الدين كلها، ومن ترك هذا التحكيم المذكور، غير ملتزم له، فهو كافر، ومن تركه – مع التزامه – فله حكم أمثاله من العاصين"[2].

إذن هذه الآية تمثل قاعدة أساسية في هذا الدين، بحيث لا يكون بدونها إيمان ولا إسلام، وهي قضية المسلم الكبرى منذ نزل هذا القرآن الكريم، وهي قضيته الأساسية والكبرى في كل زمان، وفي عصرنا الحالي[3]، فالله عز وجل صنف الذين لم يحكموا بما أنزله تعالى إلى ثلاثة أصناف، حسب نوع الذنب، فمنهم من حكم عليه بالكفر، قال تعالى : ﴿**وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَا أَنزَلَ اللّهُ فَأُوْلَـئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ**﴾ (المائدة : 44)، ومنهم من حكم عليه بأنه ظالم، قال تعالى: ﴿**وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَا أَنزَلَ اللّهُ فَأُوْلَـئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ**﴾ (المائدة : 45)، ومنهم من حكم عليه بأنه فاسق، قال تعالى : ﴿**وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَا أَنزَلَ اللّهُ فَأُوْلَـئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ**﴾ (المائدة : 47).

يقول الدكتور عبد الله عزام رحمه الله عن آية "فلا وربك ..." : "إن التحاكم إلى الكتاب والسنة هو الإسلام فحسب، ولذا فقد جاءت هذه الآية بهذا القسم المزلزل الذي ترتعش حياله الأوصال وترتجف عند سماعه الأعضاء، وهذه الحقيقة بديهية، ومن المفروض ألا تغيب عن بال البشر، وذلك لأننا عبيد لله، نعيش في ملك الله، ونحن خلق من خلقه، ولذا يجب أن ينفذ فينا شرعه، ويطبق علينا حكمه، وإلا فهو تمرد على خالق الأرض والإنسان، وهو تصرف بغير إذن المالك ...

---

(1) صحيح البخاري، 463/2، كتاب المساقاة، باب شرب الأعلى قبل الأسفل، حديث رقم (2361).

(2) تيسير الكريم الرحمن : للشيخ السعدي، ص 107.

(3) انظر العقيدة وأثرها في بناء الجيل : د. عبد الله عزام، ص 57.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

فدين الله هو : أوامره ونواهيه، وهي في جوانب العقيدة، كما أنها تتمثل في إقامة الشعائر – بالعبادات وغيرها – وأخيراً فهي تكون في جانب الشرائع والقوانين، وهذه الجوانب كلها متكاملة، إذا غاب أي جزء من هذه الأجزاء، فقد تخلف هذا الدين عن الوجود"[1].

فالدين الإسلامي كل متكامل، لا يقبل التجزئة، فمن أراد الحق، فليتبعه كله، ويرضى به كله، لأن ذلك الرضا من تمام الإيمان، قال تعالى: ﴿**وَأَنِ احْكُم بَيْنَهُم بِمَآ أَنزَلَ اللّهُ وَلاَ تَتَّبِعْ أَهْوَاءهُمْ وَاحْذَرْهُمْ أَن يَفْتِنُوكَ عَن بَعْضِ مَا أَنزَلَ اللّهُ إِلَيْكَ**﴾ (المائدة : 49). والمتبع لشريعة الله عز وجل يفوز بالسعادة في الدارين، الدنيا والآخرة، وأما المعرض عنها، فإنه هو الخاسر في جميع الأحوال، قال تعالى : ﴿**قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُمْ بِالْأَخْسَرِينَ أَعْمَالًا * الَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا**﴾ (الكهف : 103–104)، وقال تعالى : ﴿**وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى* قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِي أَعْمَى وَقَدْ كُنتُ بَصِيرًا* قَالَ كَذَلِكَ أَتَتْكَ آيَاتُنَا فَنَسِيتَهَا وَكَذَلِكَ الْيَوْمَ تُنسَى**﴾ (طه : 124–126).

2– غياب القيادة الراشدة :

إن من أكبر عوائق التمكين عدم وجود قيادة راشدة واعية تحكم المسلمين جميعاً بشريعة الإسلام، وتقودهم إلى كل خير، فتصلح ما تراه يريد إصلاحاً، وتزيل ما تراه فاسداً، وذلك كله وفق ما جاء في كتاب الله وسنة رسوله ﷺ.

فالقيادة بمثابة الرأس من الجسد، إذا صلحت صلحت الأمة بأكملها، وإن فسدت فسدت الأمة جميعها.

ومن شدة عظَمْ ما يحمل القائد من مسئولية أمام الله تعالى فقد ذُكر الإمام العادل في حديث السبعة الذين يظلهم في ظله، أول هؤلاء السبعة، فقد ورد "عن أبي هريرة، عن النبي ﷺ قال : سبعة يظلهم الله في ظله، يوم لا يظل إلا ظله : الإمام العادل ..."[2].

وقد بشر الرسول ﷺ الإمام المقسط العادل بأنه سيكون يوم القيامة على منابر من نور، فقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: إن المقسطين على منابر من نور عن يمين الرحمن عز وجل وكلتا يديه يمين، الذين يعدلون في حكمهم وأهليهم وما وَلُوا"[3].

---

(1) العقيدة وأثرها في بناء الجيل : د. عبد الله عزام، ص 57.

(2) صحيح مسلم، ص 370، كتاب الزكاة، باب فضل إخفاء الصدقة، حديث رقم (1031).

(3) صحيح مسلم، ص 732، كتاب الإمارة، باب فضيلة الإمام العادل وعقوبة الجائر، حديث رقم (1827).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

وأنه من مات غاشاً لرعيته فقد حرم الله تعالى عليه الجنة، فقد قال رسول الله ﷺ : "ما من عبد يسترعيه الله رعية، يموت يوم يموت وهو غاشٌ لرعيته، إلا حرم الله عليه الجنة"[1].

ولقد كان الرسول ﷺ أعظم قائد عرفته البشرية، وقد ربى صحابته على توحيد الله عز وجل، وأن يكونوا من بعده أئمة عظماء يعدلون في رعيتهم. وقد عاشت الأمة الإسلامية زمناً كبيراً في ظل القيادة الراشدة، وهي آمنة مطمئنة وقد ساد العدل والإخاء كل جوانبها، لدرجة أنه لما تولى القضاء عمر بن الخطاب رضي الله عنه في زمن الخليفة الراشد، أبي بكر الصديق رضي الله عنه ظل عاماً كاملاً لم يختصم إليه اثنان، وقد انعدم الفقر من المجتمع الإسلامي في عهد الخليفة الراشد عمر بن عبد العزيز[2] بحيث لم يجد الخليفة فقيراً واحداً ليعطيه الصدقة، فاشترى في المال عبيداً وأعتقهم، وكتب عمر إلى واليه في العراق حتى يخرج للناس أعطياتهم، فكتب إليه الوالي، أنه قد بقي مالاً في بيت المسلمين بعد أن أعطى الناس، فكتب إليه عمر أن يزوج من كان بكراً ويدفع عنه الصداق[3].

ولترَ حال عمر بن الخطاب رضي الله عنه عندما كان خليفة للمسلمين وهو يتحدث بنفسه : "لا يحل لي من مال الله إلا حلتان، حلة للشتاء، وحلة للصيف، وقوت أهلي كرجل من قريش، ليس بأغناهم، ثم أنا رجل من المسلمين"[4].

---

(1) صحيح مسلم، ص 733، كتاب الإمارة، باب فضيلة الإمام العادل وعقوبة الجائر، حديث رقم (142).

(2) عمر بن عبد العزيز : ولد سنة تسع وخمسين أو إحدى وستين أو ثلاث وستين، الله أعلم، وهو عمر بن عبد العزيز بن مروان بن الحكم بن أبي العاص بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف أو حفص القرشي الأموي، المعروف بأمير المؤمنين، وأمه : هي أم عاصم ليلى بنت عاصم بن عمر بن الخطاب رضي الله عنهما، ويقال له : أشج بني مروان، وكان عمر من التابعين الأجلاء، وقد روى عن أنس بن مالك، والسائب بن يزيد وغيرهم، وروى هو عن خلق من التابعين، قال عنه الإمام أحمد بن حنبل : لا أرى قول أحد من التابعين حجة إلا قول عمر بن عبد العزيز، له إخوة كُثر، ولكن الذين هم من أبويه هم : أبو بكر وعاصم ومحمد. وكان عمر حريصاً على العلم، راغباً في الأدب، جمع القرآن وهو غلام صغير، وكان مؤدبه هو صالح بن كيسان، وقد طلب من والده أن يرحل إلى المدينة حتى يتعلم على أيدي مشايخها، فقعد مع مشايخ قريش، وتجنب شبابهم، ولما مات أبوه، زوجه عمه عبد الملك بن مروان ابنته فاطمة، ولما وليّ أمر المسلمين كان من أحسن الناس معاشرة، وأعدلهم سيرة، وكان يشاور الفقهاء إذا وقع له أمر، وكان زاهداً عابداً، وقد رد المظالم إلى أهلها، توفي ولم يوصِ لأحد من أبنائه بشيء من المال، وكان عمره حين توفي تسعاً وثلاثين سنة وأشهر، وكانت خلافته تقريباً سنتان ونصف. (انظر : البداية والنهاية : لابن كثير، 209/9 وما بعدها).

(3) انظر التمكين للأمة والإسلامية في ضوء القرآن الكريم : محمد يوسف، ص 184.

(4) البداية والنهاية : لابن كثير، 145/7.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

وكان عمر إذا استعمل أحد العمال، كتب له عهداً وأشهد عليه جماعة من المهاجرين واشترط عليه ألا يركب برذوناً، ولا يأكل نقياً، ولا يلبس لباساً رقيقاً، ولا يغلق بابه في وجه ذوي الحاجات، فإن فعل شيئاً من ذلك، جعل عليه عقوبة(1).

وكان رضي الله عنه في عام الرمادة لا يتناول إلا الخبز والزيت حتى اسود جلده، وكان يقول : "بئس الوالي أنا إن شبعت والناس جياع"(2)، وكان في وجهه خطان أسودان من كثرة البكاء، وكان يسمع الآية من القرآن فيغشى عليه فيحمل إلى منزله ويعاد بعد ذلك أياماً وذلك من شدة خوفه من الله(3).

هؤلاء هم الحكام المسلمون الذين مكن الله لهم في الأرض، ففتحوا البلاد، وعدلوا بين الرعية، ومن صفاتهم أنهم يخافون الله تعالى ويتقونه في رعيتهم، كما أنهم لا يعتدون على حقوق الغير، وأنهم يقيمون حدود الله، ويقفون عند ما حرم الله عز وجل، يسهرون من أجل رعيتهم، غايتهم مرضاة ربهم، ومن صفاتهم أيضاً العلم والحلم والزهد والورع، والدفاع عن كرامة المسلمين، وغايتهم السامية رفع راية التوحيد، والتمكين لدولة الإسلام حتى يكون الدين كله لله(4)، فما أحوج أمتنا اليوم لأمثالهم.

3- تخلف الأمة الإسلامية في مجالات الحياة :

إن تخلف الأمة الإسلامية في المجالات المختلفة من الحياة، من أكبر عوائق التمكين الداخلية، فالأمة المتخلفة لا تملك من زمام أمرها شيئاً، إلا أن تنهض من كبوتها من جديد، وتسير في ركب الحضارة والعلم، وتستقل من الناحية الاقتصادية، ولا يتحقق ذلك إلا بتسخير جميع الثروات التي منحها الله للأمة في البلاد الإسلامية والعربية، ثم استغلالها أفضل استغلال، وقد أمرنا الله عز وجل أن نسير في الأرض ونعمرها، قال تعالى : ﴿**هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الأَرْضَ ذَلُولاً فَامْشُوا فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا مِن رِّزْقِهِ وَإِلَيْهِ النُّشُورُ**﴾ (الملك : 15)، أي أن الله تعالى أمر المسلمين بالسفر في أقطار الأرض وأقاليمها، وأرجائها الواسعة، لتحقيق الرزق في أنواع الكسب والتجارات، وهذا السعي لا يُجدي شيئاً إلا بتيسير الله تعالى ذلك لعباده، قال تعالى : ﴿**اللَّهُ الَّذِي سخَّرَ لَكُمُ الْبَحْرَ لِتَجْرِيَ الْفُلْكُ فِيهِ بِأَمْرِهِ وَلِتَبْتَغُوا مِن فَضْلِهِ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ** *

(1) البداية والنهاية : لابن كثير، 7/145-146.

(2) المصدر السابق، 7/146.

(3) انظر المصدر نفسه، 7/146.

(4) انظر التمكين للأمة الإسلامية في ضوء القرآن الكريم : محمد يوسف، ص 188-189.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

وَسَخَّرَ لَكُم مَّا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مِّنْهُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾ (الجاثية: 12-13).

في هاتين الآيتين يذكر الله تعالى نعمه العظيمة وآلاءه الجسيمة فيما سخر لعباده من سفن تجري في البحر بأمره تعالى، فهو سبحانه أمر البحر بحملها في المتاجر والمكاسب، لعل الناس يشكرون على جلب المنافع من الأماكن النائية والآفاق القاصية.

كما أنه سبحانه سخر الكواكب، والجبال، والبحار، والأنهار، وجميع ما ينتفع به العباد من فضله وإحسانه وامتنانه، فكل شيء من عنده تعالى وحده، لا شريك له[1].

ومن جميل كرم الله تعالى تسخيره الليل والنهار والشمس والقمر أيضاً، قال تعالى: ﴿**وَسَخَّرَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ**﴾ (النحل : 12)، وهذا التسخير يدلل على أنه يجب أن يكون المسلم سيداً لا مسوداً في هذا الكون، يعبد الله ويطيعه ويستخدم كل ما في الكون لطاعته وكذلك يكون هو القائد المرشد لغيره من البشر لا أن تسيطر عليه القوى الأخرى لأنها فاقت عليه في علمها، بل العكس، هو الذي يجب أن يكون متفوقاً في كل شيء. قال تعالى: ﴿**هُوَ أَنشَأَكُم مِّنَ الْأَرْضِ وَاسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا**﴾ (هود : 61). أي خلقكم من الأرض واستخلفكم فيها، وتفضل عليكم بالنعم الكثيرة، الظاهرة منها والباطنة، ومكنكم في الأرض، لكي تبنوا وتغرسوا وتزرعوا وتنتفعوا بمنافعها، وتستغلوا مصالحها[2].

وهذه هي الغاية من خلق الإنسان، أن يكون خليفة في الأرض مستغلاً لكل الطاقات الموجودة في هذا الكون سواءً كانت في البر أو البحر أو الجو.

فإذا أراد العالم الإسلامي أن ينهض، ويملك قيادة العالم، فعليه بالاستعداد التام في العلوم، والصناعة، والتجارة، وفن الحرب، وأن يستغني عن الغرب في كل ناحية من نواحي الحياة، وفي كل حاجة من حاجاته، يقوت ويكسو نفسه بنفسه، ويصنع سلاحه بيده، وينظم شئون حياته، ويستخرج كنوز أرضه، ويستغلها أفضل استغلال، ويدير حكوماته برجاله وماله الخاص، ويمخر عباب البحر، والمحيط بسفنه الخاصة وأساطيله، ويحارب العدو بدباباته وأسلحة بلاده، ولا يحتاج للاستدانة من الغرب ولا يلجأ إلى حمل رايته، أو الانضمام إلى معسكره[3].

---

(1) انظر تفسير القرآن العظيم : لابن كثير، 187/4.

(2) انظر تيسير الكريم الرحمن : للشيخ السعدي، ص 265.

(3) انظر ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين : أبو الحسن الندوي، ص 385-386.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

ولكن إذا ظل "العالم الإسلامي خاضعاً للغرب في العلم والسياسة والصناعة والتجارة، يمتص الغرب دمه، ويحفر أرضه فيستخرج منها ماء الحياة، وتغزو بضائعه أسواق العالم الإسلامي وبيوته، وجيوبه، كل يوم فتستخرج منها كل شيء، وما دام العالم الإسلامي يستدين من الغرب الأموال، ويستعير منه الرجال، ليديروا حكومته، ويشغلوا الوظائف الخطيرة، ويدربوا جيوشه ويستورد منه البضائع، ويجلب منه الصنائع، وينظر إليه كأستاذ، ومرب، وسيد، ورب، لا يبرم أمراً إلا بإذنه، ولا يصدر إلا عن رأيه، فلا يستطيع أن يواجه الغرب فضلاً عن أن يناهضه ويغالبه"[1].

فالمسلم خُلق ليقود العالم إلى الخير والهداية والنور، لا أن يقوده غيره، وبالتالي يصبح تبعاً له في دينه، ودنياه، فهذا مما يبعد المسلمين عن تحقيق التمكين لهم في الأرض. وبهذا يُنَبَه أنه من الواجب على الأمة الآن أن تصحو من غفلتها، وأن تواكب العلم وتصبح من السباقين في كل مجالات الحياة، وذلك من أجل تحقيق التمكين في الأرض، والتقدم في الحياة في جميع النواحي، وأن تسابق الزمن حتى تغطي فترة التخلف الماضية، حتى تصل قبل أن يستمكن الغرب من قيادة الدنيا إلى الهاوية[2].

ثانياً : العوائق الخارجية :

وهذه العوائق كثيرة ولكن أخطرها :

1- مكايد اليهود العالمية :

يُعد اليهود من أشد الناس عداوة للذين آمنوا، ويشهد بذلك قوله تعالى : ﴿**لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ النَّاسِ عَدَاوَةً لِّلَّذِينَ آمَنُواْ الْيَهُودَ وَالَّذِينَ أَشْرَكُواْ**﴾ (المائدة: 82)، ولذلك فهم يكيدون دائماً للإسلام والمسلمين. ونجد أن الله ذكر أن أكثر الناس عداوة وبغضاً للمؤمنين في الدرجة الأولى اليهود، ثم بعدهم المشركين، وهذا دليل واضح على الحقد الأسود الذي يحمله اليهود لأهل الإيمان، ولأهل هذا الدين العظيم.

يقول ابن كثير في تفسيره لهذه الآية : "وما ذاك إلا أن كفر اليهود كفر عناد، وجحود ومباهتة للحق وغمط للناس، وتنقص بحملة العلم، ولهذا قتلوا كثيراً من الأنبياء، حتى هموا بقتل رسول الله ﷺ غير مرة، وسموه وسحروه، وألّبوا[3] عليه أشباههم من المشركين"[4].

---

(1) انظر ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين : أبو الحسن الندوي، ص 386.

(2) انظر ركائز الإيمان بين العقل والقلب : محمد الغزالي، ص 212، دار الشعب، دون طبعة أو تاريخ.

(3) ألّبوا : جَمَعوا. (انظر : المصباح المنير : أحمد المقرئ، ص 17، كتاب الألف).

(4) تفسير القرآن العظيم : لابن كثير، 116/2.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

فاليهود والمشركون هم على الإطلاق أكثر الناس عداوة للإسلام والمسلمين، وأكثر الناس سعياً في إيصال الضرر إليهم، وذلك لشدة الكراهية والبغض لهم، بغياً وحسداً وعناداً وكفراً[1].

يقول سيد قطب رحمه الله في تفسيره : "لقد واجه اليهود الإسلام بالعداء منذ اللحظة الأولى التي قامت فيها دولة الإسلام بالمدينة، وكادوا للأمة المسلمة منذ اليوم الأول الذي أصبحت فيه أمة، وتضمن القرآن الكريم من التقريرات والإرشادات عن هذا العداء، وهذا الكيد ما يكفي وحده لتصوير تلك الحرب المريرة التي شنها اليهود على الإسلام وعلى رسول الإسلامﷺ وعلى الأمة المسلمة في تاريخها الطويل، والتي لم تخب لحظة واحدة قرابة أربعة عشر قرناً، وما تزال حتى اللحظة تسعر أوارها في أرجاء الأرض جميعاً"[2].

وقد استخدم اليهود كل الأسلحة والوسائل، والمكر، لإبادة الإسلام والمسلمين ومع أن الإسلام قد نظم حياتهم في ظل الدولة الإسلامية، وعاشوا فيها بسلام وأمان، إلا أن الحقد اليهودي، والكيد للإسلام جعلهم يردون الجميل بأفظع الكيد وأقبحه، فقد ألبوا كل قوى الجزيرة العربية على المسلمين، وراحوا يجمعون القبائل لتحارب الجماعة المسلمة ﴿**وَيَقُولُونَ لِلَّذِينَ كَفَرُواْ هَؤُلاء أَهْدَى مِنَ الَّذِينَ آمَنُواْ سَبِيلاً**﴾ (النساء : 51). ولما غلبهم الإسلام لأنه على الحق، راحوا يكيدون له ويحاربونه بدس المفتريات في كتبه، ولم يسلم من ذلك إلا كتاب الله تعالى الذي تكفل الله عز وجل بحفظه، قال تعالى: ﴿**إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ**﴾ (الحجر : 9).

كذلك كانوا يثيرون الفتنة عن طريق حديثي العهد بالإسلام أو من كانوا جاهلين بالإسلام وذلك في جميع أنحاء العالم، حتى انتهى بهم الأمر، بأن يكونوا في هذا العصر، يقودون المعركة ضد الإسلام في كل شبر على وجه الأرض، ويألبون الصليبيين والوثنيين ليحاربوا كل جذر من جذور هذا الدين.

ولو بحثنا عن أي حرب أو أي فتنة ضد المسلمين، سواء اليوم أو في العصور السابقة، لوجدنا أن أصلها وسببها هم اليهود، فالذي ألب الأحزاب على الدولة المسلمة في المدينة هم اليهود، وكذلك الذي أطلق الشائعات في فتنة مقتل عثمان رضي الله عنه وما بعدها هم اليهود، والذي كان وراء إثارة النعرات القومية في دولة الخلافة العثمانية الأخيرة هم اليهود، وهم أيضاً

---

(1) انظر تيسير الكريم الرحمن : للشيخ السعدي، ص 151.

(2) في ظلال القرآن : سيد قطب، 960/1.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

وراء فصل الدين عن الدولة في عهد السلطان عبد الحميد[1] والذي انتهى بإلغاء الخلافة الإسلامية على يد أتاتورك اليهودي.

وما بعد ذلك من حرب معلنة، على المسلمين في كل مكان على وجه الأرض وراءه اليهود، كما أن النزعة المادية والإلحادية والنزعة الحيوانية الجنسية، وكذلك النظريات الهدامة وراء ذلك كله اليهود[2].

ومن أساليب اليهود في الوصول لأهدافهم[3] :

أ- السيطرة على الاقتصاد في العالم كله.

ب- التدخل في أنظمة الحكم في جميع دول العالم.

ج- هدم جميع الأديان وإشاعة الإلحاد والمبادئ الهدامة.

د- السيطرة على وسائل الإعلام ودور النشر والتوزيع في جميع أنحاء العالم.

ه- إشعال الحروب وتأجيجها بين الدول، حيث إن مبدأهم هو "فرق تسد" أي اتخاذ التفرقة وسيلة للسيطرة على الشعوب وإخضاعهم لمبادئهم وأهدافهم.

و- عمل التنظيمات والاجتماعات السرية لتحقيق أهدافهم في السيطرة العالمية والتخطيط لفعل ذلك بجميع الوسائل.

وبذا نجد أن اليهود هم أخطر معوقات التمكين على الإطلاق، ولكن ثقتنا بالله تعالى كبيرة أن تأتي اللحظة التي تنتهي فيها دولتهم في سنوات قليلة، وما ذلك على الله ببعيد، فهم إلى

---

(1) السلطان عبد الحميد الثاني : ولد في يوم 16 شعبان 1258هـ، 22 أيلول 1842م، وهو الثاني من أولاد السلطان مراد الخامس، وأمه "تيريموجكان قادين" وهي شركسية وهي من جواري السلطان عبد الحميد الأول، تميز السلطان عبد الحميد بالفطنة والذكاء، وكان مقتصداً في مصاريفه، وهو لم يصرف أمواله على لهو، اضطر لترك الخلافة الإسلامية نتيجة للضغط والتهديد الذي تعرض له من رؤساء جمعية الاتحاد المعروفة باسم "جون تورك" وقد أصروا عليه أن يصادق على تأسيس وطن قومي لليهود في أرض فلسطين، وهو لم يقبل بذلك، وقد وعدوا بتقديم مائة وخمسين مليون ليرة إنجليزية ذهبية، فرفض وأجابهم : إنكم لو دفعتم ملء الدنيا ذهباً فلن أقبل بتكليفكم هذا بوجه قطعي، لقد خدمت الملة الإسلامية والأمة المحمدية ما يزيد عن ثلاثين سنة، فلن أسود صحائف المسلمين آبائي وأجدادي من السلاطين والخلفاء العثمانيين، لهذا لن أقبل بتكليفكم بوجه قطعي أيضاً. (انظر : أسباب خلع السلطان عبد الحميد الثاني : يوسف عمر، ص 9 وما بعدها، دار الكتاب للطباعة والنشر والتوزيع، الأردن، 1421هـ-2001م).

(2) انظر في ظلال القرآن : سيد قطب، 2/960-961.

(3) انظر التمكين للأمة الإسلامية في ضوء القرآن الكريم : محمد يوسف، ص 132-133؛ وانظر أساليب الغزو الفكري للعالم الإسلامي : د. علي جريشة، محمد الزيبق، ص 170 وما بعدها، دار الاعتصام، الطبعة الثانية، 1398هـ-1978م.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

زوال، ودولتهم إلى زوال بإذن الله تعالى، قال تعالى : ﴿**إِنَّهُمْ يَكِيدُونَ كَيْدًا * وَأَكِيدُ كَيْدًا * فَمَهِّلِ الْكَافِرِينَ أَمْهِلْهُمْ رُوَيْدًا**﴾ (الطارق : 15-17).

2- مكايد الصليبية العالمية :

إن المكايد الصليبية للإسلام والمسلمين لا تقل خطراً عن المكايد اليهودية وهما يصبّان في خندق واحد وغاية واحدة وهو الطعن والكيد للإسلام وأهله.

والصليبية : هي حركة قامت في غرب أوروبا زمن العصور الوسطى، وبلغ نشاطها في أواخر القرن الحادي عشر الميلادي (الخامس الهجري)، وكان هدف هذه الحركة هو بسط النفوذ الأوروبي المسيحي على العالم الإسلامي، وذلك باستخدام الشعور الديني المسيحي شعاراً لها، والقوة العسكرية وسيلة للحصول على أغراضها.

والصليب هو الخشبة التي يعتقد النصارى أن سيدنا عيسى عليه السلام صُلب عليها. وسميت بالصليبية : لأنها كانت تقوم باسم الدين النصراني، ولأن من كان يشترك في الحرب كان عليه أن يضع صليباً فوق ثيابه[1].

وكانت الحروب الصليبية لها دوافع مختلفة، ولكن أهم هذه الدوافع هو الدافع الديني والذي أول من دعا إليه البابا سلفستر الثاني (1002م) ، وقد كان يبث الحماس الديني الشديد، والتعصب البغيض للديانة النصرانية، حتى يكون هدفهم الأول والأخير هو الحقد الدائم على الإسلام والمسلمين[2] وردهم عن دينهم، قال تعالى: ﴿**وَدَّ كَثِيرٌ مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يَرُدُّونَكُم مِّن بَعْدِ إِيمَانِكُمْ كُفَّاراً حَسَدًا مِّنْ عِندِ أَنفُسِهِم**﴾ (البقرة: 109).

ففي هذه الآية يحذر الله تعالى المؤمنين من سلوك طريق أهل الكفر من أهل الكتاب، ويخبر بعداوتهم للإسلام والمسلمين في الظاهر والباطن، وأنهم يحسدون المؤمنين مع علمهم بفضلهم وفضل نبيهم على باقي الأنبياء[3].

وقال تعالى : ﴿**وَلَن تَرْضَى عَنكَ الْيَهُودُ وَلاَ النَّصَارَى حَتَّى تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ**﴾ (البقرة : 120).

وقال تعالى : ﴿**وَلاَ يَزَالُونَ يُقَاتِلُونَكُمْ حَتَّىَ يَرُدُّوكُمْ عَن دِينِكُمْ إِنِ اسْتَطَاعُواْ**﴾ (البقرة : 217).

---

(1) انظر حاضر العالم الإسلامي: د. صالح الرقب، ص 25، مكتبة الأمل التجارية، فرع الجامعة الإسلامية، غزة، الطبعة الثالثة، 1422هـ-2000م؛ وانظر التمكين للأمة الإسلامية في ضوء القرآن الكريم: محمد يوسف، ص 135.

(2) انظر حاضر العالم الإسلامي : د. صالح الرقب، ص 28؛ وانظر : التمكين للأمة الإسلامية في ضوء القرآن الكريم : محمد يوسف، ص 136.

(3) انظر تفسير القرآن الكريم : لابن كثير، 198/1.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

ولكن الأمة انتفضت لما رأت الصليب فوق ثياب أعدائها، وذلك لمحاربة أعداء الله وأعدائها بكل وسيلة، واسترخصت كل شيء في سبيل الله، وتعجلت لقاء الله ومحبته، فأعطاها الله الحسنيين النصر والجنة، وارتدت الحملات الصليبية على أعقابها بعد خسارتها في المعارك الطاحنة التي استمرت قرنين كاملين، وقد برز نور الدين الشهيد محمود بن زنكي التركي، ثم صلاح الدين الأيوبي الكردي وغيرهما ممن قادوا الأمة إلى النصر، لتثبت عالمية هذه الدعوة، وقد حرروا أرض الإسلام من حشود الصليبيين الحاقدة، وأيقن الغرب المسيحي الصليبي، أنه مهما ضعف المسلمون إلا أنهم لا يستطيعون النيل منهم، ومن أمتهم، فكان أن فكروا بغزو من نوع آخر لبلاد المسلمين وهو الغزو الفكري[1].

3- الغزو الفكري :

وهو من أخطر الأسلحة التي يواجه بها أعداء الإسلام، الأمة الإسلامية، لطمس هويتها وخلعها من جذورها، وإبعادها عن دينها، وقد بين سبحانه أن الغزو الفكري أشد فتكاً من السيف، قال تعالى : ﴿**وَالْفِتْنَةُ أَشَدُّ مِنَ الْقَتْلِ**﴾ (البقرة : 191)[2].

وسائل الغزو الفكري[3] :

أ- استخدام الأجراء والمندسين والمغفلين، وأصحاب الأهواء والمنحرفين، وذلك لتحريف عقائد المسلمين وأفكارهم.

ب-الاستدراج لممارسة السلوك الذي يراد الغزو به من خلال الرفقة والشهوات والغمس في البيئات الفاسدة، وعرض القصص والتمثيليات والمسرحيات الهابطة.

ت-استخدام المنافقين وذلك بإدخالهم في صفوف المسلمين متظاهرين بالإسلام، حتى يفسدوا أحوال المسلمين عقيدة وفكراً وسلوكاً.

ث-التدرج وخاصة في تحريف مفاهيم الإسلام شيئاً فشيئاً على فترات زمنية متباعدة.

أهداف الغزو الفكري :

1- ضرب الإسلام من داخله بإضعاف فاعليته وعزله عن التأثير في حياة المسلمين.

2- وقف المد الإسلامي، وحصره داخل حدود لا يتجاوزها حتى لا يدخل فيه أحد من الغرب.

---

(1) انظر أساليب الغزو الفكري للعالم الإسلامي : د. علي جريشة، ص 17-18.

(2) التمكين للأمة الإسلامية في ضوء القرآن الكريم : محمد يوسف، ص 139.

(3) انظر أجنحة المكر الثلاثة : عبد الرحمن الميداني، ص 47 وما بعدها، دار القلم، دمشق، الطبعة الثامنة، 1420هـ-2000م.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

3- تجزئة المسلمين أرضاً وفكراً وأمة، وتشويه صورتهم في نظر العالم كلـــه للحيلولـــة دون دخول أحد في الإسلام[1].

4- أن يظل المسلمون تابعين للغرب تبعية كاملة، ويأخذوا أسلوبهم كاملاً متجاهلين مـــنهجهم الرباني[2].

5- تشويه عقائد المسلمين وأفكارهم وسائر أحكام الإسلام وشرائعه وأخلاقه، وكل ما يتعلـــق بتاريخ المسلمين وأمجادهم، حتى ينفروا المسلمين من دينهم.

6- طمس علوم اللغة العربية وآدابها، ليصرفوا المسلمين عن مصادر التشريع الإسلامي.

7- إحياء القوميات القديمة ذات التاريخ الجاهلي، لمزاحمة الإسلام، وتفتيت الشعوب المسلمة[3].

وللغزو الفكري صور كثيرة ولكن أخطرها :

أ) التبشير :

وهو "التنصير الرامي إلى زعزعة العقيدة الإسلامية في قلوب المسلمين وتشكيكهم فيها، وبالتالي إخراجهم من الإسلام"[4].

وهو "تعبير أطلقه رجال الكنيسة النصرانية على الأعمال التي يقومـــون بهـــا لتنـــصير الشعوب غير النصرانية ولا سيما المسلمون"[5].

وقد تحول هدف التبشير إلى إخراج المسلمين من دينهم إلى الإلحاد والكفـــر بكـــل ديـــن. والمبشرون : هم الذين يوظفون أنفسهم للقيام بمهمة التبشير سواء كانوا من العاملين أو العاملات في الكنيسة، أو المتطوعين والمتطوعات من أصحاب الاختصاصات الأخرى، وذلك عن طريق الدعوة إلى النصرانية صراحة أو التعليم المنهجي أو التثقيف العام أو الخدمات الصحية أو الاجتماعية.

ولقد زين المبشرون اسمهم حتى يجذبوا الناس إليهم، حيث إن كلمة التبشير مـــن ناحيـــة لغوية تحمل معنى البشرى، وقد جمعوا طاقاتهم، وتناسوا خلافاتهم المذهبية العنيفـــة مـــن أجـــل محاربة الإسلام وهدم دعائمه وتحويل المسلمين عن عقيدتهم[6].

---

(1) انظر حاضر العالم الإسلامي : د. صالح الرقب، ص 39.

(2) انظر التمكين للأمة الإسلامية في ضوء القرآن الكريم : محمد يوسف، ص 141.

(3) انظر أجنحة المكر الثلاثة : عبد الرحمن الميداني، ص 47.

(4) حاضر العالم الإسلامي : د. صالح الرقب، ص 39.

(5) المرجع السابق، ص 53.

(6) انظر أجنحة المكر الثلاثة : عبد الرحمن الميداني (ص 53 وما بعدها).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

أهداف التبشير :

هي نفسها أهداف الغزو الفكري بالإضافة إلى ما يلي :

أ- تنصير المسلمين.

ب- إخراج المسلمين من الإسلام أو التذبذب في ذلك بحيث يصبح المسلم خالي القلب والعقل من العقيدة الإسلامية، وأن يكون بعيداً عن دينه وأخلاقه وعاداته وثقافته.

ج- إخضاع العالم الإسلامي لسيطرة الغرب، والتحكم في مقدراته وإمكاناته وخيراته[1].

د- هزيمة المسلمين من الناحية النفسية[2].

ه- "تحسين صورة الغرب الصليبي"[3].

أساليب التبشير :

للتبشير أساليب كثيرة منها :

أ- الطب والخدمات الاجتماعية.

ب-البعثات الجامعية والمنح والقروض للطلبة الفقراء.

ت-الدعوة لمؤتمرات الأديان المشتركة.

ث-إنشاء المدارس والجمعيات الأجنبية والروضات، والنوادي والجمعيات.

ج- المطبوعات والنشرات والمكتبات ووسائل الإعلام.

ح- الأندية الرياضية ودور الخدمة الاجتماعية ودور العجزة.

خ-مساعدة الفقراء والمحتاجين[4].

وبهذا يتبين أن المبشرين لم يتركوا وسيلة أو أسلوب إلا استخدموه للصد عن هذا الدين، ولكن مهما كادوا للإسلام ودبروا فإن الله عز وجل سيجعل كيدهم في نحورهم ولا يستطيعون تحقيق ما خططوا له ودبروا، قال تعالى: ﴿**إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُواْ يُنفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ لِيَصُدُّواْ عَن سَبِيلِ اللّهِ فَسَيُنفِقُونَهَا ثُمَّ تَكُونُ عَلَيْهِمْ حَسْرَةً ثُمَّ يُغْلَبُونَ وَالَّذِينَ كَفَرُواْ إِلَى جَهَنَّمَ يُحْشَرُونَ**﴾ (الأنفال: 36).

---

(1) انظر حاضر العالم الإسلامي : د. صالح الرقب، ص 41-42.

(2) انظر التمكين للأمة الإسلامية : د. محمد يوسف، ص 143.

(3) رسالة ماجستير للطالب فضل سعيفان بعنوان (أنور الجدي وموقفه من الفكر الغربي الوافد) إشراف د. محمد بخيت، ص 107.

(4) انظر حاضر العالم الإسلامي : د. صالح الرقب، ص 43 وما بعدها؛ وانظر : التمكين للأمة الإسلامية : محمد يوسف، ص 144.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

ب) الاستشراق :

وهو حركة دراسة للعلوم والآداب والحضارة الإسلامية، وذلك بهدف معرفة العقلية الإسلامية، وأفكارها واتجاهها، وأسباب تقدم المسلمين وقوتهم لضرب هذه القوة، والاستفادة من علوم المسلمين، والتمهيد للاستعمار النصراني العسكري والفكري لجميع الدول الإسلامية، حتى تخضع في النهاية لنفوذه وسلطانه[1].

أهداف الاستشراق :

أهداف الاستشراق هي نفس أهداف الغزو الفكري وأهداف التبشير، بالإضافة إلى :

أ- تقليل قيمة الفقه الإسلامي والادعاء بأنه مستمد من الفقه الروماني.

ب- تأييد الغزو الاستعماري للبلاد الإسلامية.

ج- صرف أنظار المسلمين عن الجهاد في سبيل الله[2].

وسائل الاستشراق :

للاستشراق وسائل كثيرة منها :

أ- تأليف الكتب المشحونة بالأكاذيب، والمليئة بالطعون والشبهات والشكوك للإسلام.

ب- إصدار الموسوعات والمعاجم واعتبارها مرجعاً لطلاب الدراسات العربية والإسلامية، منها دائرة المعارف الإسلامية، والمعجم العربي، والمعجم المفهرس لألفاظ الحديث النبوي.

ت- إلقاء المحاضرات والندوات في الجامعات والمؤسسات العلمية في العالم الإسلامي، والتدريس في الجامعات الأوروبية والأمريكية وخاصة في أقسام الدراسات العربية والإسلامية التي أنشأت في بلاد الغرب لاستقبال أبناء المسلمين.

ث- نشر بحوثهم من خلال إصدار مجلات خاصة حول الإسلام والمسلمين.

ج- عمل فهرسة للمخطوطات ونشر الكثير منها، وخاصة ما ينشُر الأفكار الضالة والعقائد المنحلة وقد بلغت المخطوطات إلى عشرات الآلاف.

ح- ترجمة المؤلفات والكتب الإسلامية إلى اللغات الأوروبية ومنها القرآن الكريم.

خ- عقد المؤتمرات الخاصة بالاستشراق، والتي تدرس وسائل الاستشراق وأهدافه.

د- تربية عدد من أبناء الإسلام على أفكارهم الهدامة المعادية للإسلام والمسلمين، وذلك لاستخدامهم في ضرب الإسلام من الداخل[3].

---

(1) انظر التمكين للأمة الإسلامية : محمد يوسف، ص 146.

(2) انظر الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب : د. مانع الجهني، 691/2؛ وانظر : أساليب الغزو الفكري: د. علي جريشة، ص 22.

(3) انظر حاضر العالم الإسلامي : د. صالح الرقب، ص 54-55.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

لقد تقاسم التبشير والاستشراق والاستعمار الأدوار في خطة مدروسة لغزو العالم الإسلامي، ثقافة، وعقيدة وشريعة وفكراً، وأمة، وأرضاً، وعملوا جميعاً على إضعاف الروح المعنوية في نفوس المسلمين، فالتبشير كان دوره من خلال المدارس ورياض الأطفال، والمستشفيات ودور العجزة والنوادي الرياضية والاجتماعية، وحمل الاستشراق دوره في ميدان المعرفة والعلم عن طريق التأليف والكتابة، وإلقاء المحاضرات والندوات، وإصدار المجلات والموسوعات، والاستعمار أعان كليهما من ناحية مادية ومعنوية، ليقوم كل منهما بدوره، وهو مطمئن على إنجاح خطته، واستطاعوا إلى حد ما إيجاد أجيال متعاقبة من المسلمين لا تفقه من الإسلام شيئاً، ولا تعرف عنه إلا القليل، فتنكرت لدينها وهويتها الإسلامية، وعملت ضد مصلحة الإسلام، وسخرت أقلامها وأموالها للنيل من الإسلام، وعلومه، وحضارته، ويوجد من الوقائع التاريخية ما يؤكد على أن الاستشراق والتبشير قد سُخرا لخدمة اليهودية والنصرانية، ويوجد في أمريكا وأوروبا الآلاف من القساوسة والرهبان، ومئات المنظمات الكنسية العاملة من أجل دعم دولة إسرائيل من ناحية، مادية ومعنوية، وكلها تشجع اليهود على هدم المسجد الأقصى وبناء الهيكل المزعوم على أنقاضه[1].

وبهذا يتبين من أن اليهود والنصارى وأعوانهم من المبشرين والمستشرقين من عوائق التمكين الخطيرة، والتي من الواجب على المسلمين اليوم أن يعرفوا مقداره، وبالتالي يخططوا في الاتجاه الذي يضمن إفشال هذه المخططات التي تدبر ضد الإسلام وأهله. والحمد لله أن الصحوة الإسلامية ظهرت وبقوة في جميع أنحاء البلاد الإسلامية والعربية والأوروبية وباقي دول العالم وهي تمثل لطمة قوية في وجه كل من تسول له نفسه بالعمل ضد الإسلام والمسلمين، والله تعالى يقول عن الكفار : ﴿**وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ اللّهُ وَاللّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ**﴾ (الأنفال : 30)، وقال تعالى : ﴿**وَقَدْ مَكَرَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَلِلّهِ الْمَكْرُ جَمِيعًا يَعْلَمُ مَا تَكْسِبُ كُلُّ نَفْسٍ وَسَيَعْلَمُ الْكُفَّارُ لِمَنْ عُقْبَى الدَّارِ**﴾ (الرعد : 42).

فالله لن يخيب المؤمنين المخلصين، إن ساروا في طريق الحق وتمسكوا بدينهم وعقيدتهم.

(1) انظر حاضر العالم الإسلامي : د. صالح الرقب، ص 62.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

المطلب الثالث : سنن ربانية على طريق التمكين :

معنى سنن لغة :

مفردها سُنة، وهي الطريقة، والسُنة أيضاً : السيرة الحسنة أو السيئة[1].

والسنة في الشريعة هي : الطريقة المسلوكة في الدين من غير فرض ولا وجوب"[2].

الربانية لغة :

الرب في الأصل هو التربية، وهو إنشاء الشيء حالاً إلى حد التمام ولا يقال الرَبُّ مطلقاً إلا لله تعالى فهو المتكفل بمصلحة المخلوقات جميعها.

والرباني : هو المنسوب إلى الرب أي إلى الله تعالى[3].

ويطلق على الشخص أنه رباني، إذا كان وثيق الصلة بالله تعالى، عالماً بدينه وكتاب ربه، ويعلمه لغيره، قال تعالى: ﴿**وَلَـكِن كُونُواْ رَبَّانِيِّينَ بِمَا كُنتُمْ تُعَلِّمُونَ الْكِتَابَ وَبِمَا كُنتُمْ تَدْرُسُونَ**﴾ (آل عمران : 79).

فالسنن الربانية : هي أحكام الله تعالى وقوانينه المطردة في الكون، والإنسان وهي التي تحكم الحركة التاريخية والاجتماعية والنفسية[4] وكل ذلك يحدث بتقدير الله تعالى قال تعالى : ﴿**وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلاَّ عِندَنَا خَزَائِنُهُ وَمَا نُنَزِّلُهُ إِلاَّ بِقَدَرٍ مَّعْلُومٍ**﴾ (الحجر : 21).

إن هذا الكون يسير وفق سنن وضعها الله عز وجل، فالتمكين في الأرض للمسلمين لا يأتي عن طريق الخوارق، وإنما إن سار أهل الإيمان والتقوى وفق هذه السنن وعملوا بالأسباب، تحقق لهم النصر والتمكين بإذن الله تعالى، وإن تقاعسوا عن العمل بالأسباب فإن التمكين سيتأخر، وهذا شيء طبيعي، قال تعالى : ﴿**قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِكُمْ سُنَنٌ فَسِيرُواْ فِي الأَرْضِ فَانْظُرُواْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ* هَـذَا بَيَانٌ لِّلنَّاسِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةٌ لِّلْمُتَّقِينَ**﴾ (آل عمران: 137-138).

فالقرآن الكريم يرد المسلمين إلى سنن الله في الأرض، وهي الأصول التي تجري وفقها الأمور، فالقوانين التي جعلها الله تسير وفقها الحياة لا تتخلف، والأمور لا تمضي جزافاً، إنما يسيرها الله تعالى وفق هذه القوانين والسنن، ولله في ذلك الحكمة البالغة، فالواجب على المسلمين

---

(1) انظر المصباح المنير : أحمد المقرئ، ص 176، كتاب السين.

(2) التعريفات : للجرجاني، ص 204.

(3) انظر المفردات في غريب القرآن : للأصفهاني، ص 184، كتاب الراء.

(4) انظر التمكين للأمة الإسلامية في ضوء القرآن الكريم : محمد يوسف، ص 207؛ وانظر كيف نتعامل مع القرآن : محمد الغزالي في مُدارسة أجراها الأستاذ عمر حسنة، ص 117، دار الوفاء للطباعة والنشر والتوزيع، الطبعة الأولى، 1412هـ-1992م.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

ألا يعتمدوا على مجرد كونهم مسلمين، لينالوا النصر والتمكين، ولكن عليهم الأخذ بالأسباب ثم التوكل على الله تعالى لكي يحققوا ما يريدون[1]، وكذلك يتعرفوا على سنن الله في كونه والتي منها :

1- سنة الأخذ بالأسباب :

والسبب في اللغة : "الحبل وكل شيء يُتوصل به إلى غيره"[2].

وهو أيضاً : "ما يُتوصل به إلى الاستعلاء، ثم استعير لكل شيء يتوصل به إلى أمر من الأمور فقيل هذا سبب هذا، وهذا مُسَبَبَ عن هذا"[3].

ولقد دل القرآن الكريم على أن كل شيء في هذا الكون يحدث بسبب، وهذا الأمر يتعلق بالجماد، والنبات والإنسان والظواهر الكونية المختلفة على السواء.

فقانون السببية والذي هو ربط الأسباب بمسبباتها، والنتائج بمقدماتها : عام وشامل لكل ما في العالم من أشياء، ولكل ما يحدث للإنسان سواء في الدنيا أو الآخرة[4]، والله عز وجل فطر العباد على الأخذ بالأسباب، وهذا من باب الرحمة بهم.

قال ابن القيم رحمه الله : "فطر الله سبحانه عباده على الحرص على الأسباب التي بها مرام معاشهم، ومصالحهم الدنيوية، بل فطر الله على ذلك سائر الحيوانات، فهكذا الأسباب التي بها مصالحهم الأخروية في معادهم، فإنه سبحانه رب الدنيا والآخرة، وهو الحكيم بما نصبه من الأسباب في المعاش والمعاد"[5].

فقد جعل الله تعالى نزول المطر سبباً لإخراج الثمر، قال تعالى: ﴿**وَأَنزَلَ مِنَ السَّمَاء مَاء فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقًا لَّكُمْ**﴾ (البقرة : 22)، وجعل التقوى سبباً للخروج من الضيق، قال تعالى : ﴿**وَمَن يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَل لَّهُ مَخْرَجًا**﴾ (الطلاق: 2)، وجعل الزواج سبباً للذرية.

وقد أوقف الله عز وجل الدين كله ومعرفته سبحانه على سنة الأخذ بالأسباب، قال ابن القيم رحمه الله : "الدين هو إثبات الأسباب، والوقوف معها، والنظر إليها، والالتفات إليها، وإنه لا دين إلا

---

(1) انظر في ظلال القرآن : سيد قطب، 478/1.

(2) مختار الصحاح : للرازي، 281، باب السين.

(3) المصباح المنير : أحمد المقرئ، ص 159، كتاب السين.

(4) انظر السنن الإلهية في الأمم والجماعات والأفراد : د. عبد الكريم زيدان، ص 21-22، مؤسسة الرسالة، الطبعة الثالثة، 1423هـ-2002م.

(5) شفاء العليل : لابن قيم الجوزية (77/1-78).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

بذلك، كما لا حقيقة إلا به، فالحقيقة والشريعة : مبناها على إثباتها لا على محوها، ولا ننكر الوقوف معها، فإن الوقوف معها فرض على كل مسلم، لا يتم إسلامه وإيمانه إلا بذلك، والله تعالى أمرنا بالوقوف معها، بمعنى أن نثبت الحكم إذا وجدت، وننفيه إذا عدمت، ونستدل بها على حكمه الكوني. فوقوفنا معها – بهذا الاعتبار – هو مقتضى الحقيقة والشريعة.

وهل يمكن حيواناً يعيش في هذه الدنيا إلا بوقوفه مع الأسباب، فينتجع مساقط غيثها، ومواقع قطرها، ويرعى في خصبها دون جدبها، ويسالمها ولا يحار بها، فكيف وتنفسه في الهواء بها، وسعادته وفلاحه بها، وضلاله وشقاؤه بالإعراض عنها وإلغائها، فأسعد الناس في الدارين : أقومهم بالأسباب الموصلة إلى مصالحها، وأشقاهم في الدارين : أشد تعطيلاً لأسبابها، فالأسباب محل الأمر، والنهي، والثواب، والعقاب، والنجاح، والخسران، وبالأسباب عُرف الله، وبها عُبد الله، وبها أُطيع الله، وبها تقرب إليه المتقربون، وبها نال أولياؤه رضاه، وجواره في جنته، وبها نصر حزبه ودينه، وأقاموا دعوته، وبها أرسل رسله، وشرع شرائعه، وبها انقسم الناس إلى سعيد وشقي، ومهتد وغوي"[1].

وإن كان الأمر كذلك وهو أن الدين كله، ومعرفته سبحانه متوقف على الأخذ بالأسباب، فالأجدر بنا أن نعمل بأسباب التمكين ونتوكل على الله تعالى حتى لا يتخلف عنا، فإنه إن عملنا بأسبابه مُكِّنا في الأرض بإذنه تعالى، وذلك لأن "السبب إنما يستوجب مسببه، إذا توفرت شروطه، أي إذا تحققت شروط عمل هذا السبب وفعاليته واستدعائه لمسببه، كما لا بد من انتفاء موانعه، أي انتفاء الموانع التي تعيق عمل هذا السبب أو تسلبه فعاليته"[2].

قال تعالى : ﴿**سُنَّةَ اللَّهِ الَّتِي قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلُ وَلَن تَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَبْدِيلًا**﴾ (الفتح : 23).

2- سنة التغيير :

معنى التغيير لغة : "غيرت الشيء تغييراً أزلته عما كان عليه فتغير"[3]. وتغايرت الأشياء : اختلفت"[4].

قال تعالى : ﴿**إِنَّ اللّهَ لاَ يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُواْ مَا بِأَنْفُسِهِمْ**﴾ (الرعد : 11).

---

(1) مدارج السالكين : لابن قيم الجوزية، 3/407-408.

(2) السنن الإلهية في الأمم والجماعات والأفراد : د. عبد الكريم زيدان، ص 28.

(3) المصباح المنير : أحمد المقرئ، ص 273، كتاب الغين.

(4) مختار الصحاح : للرازي، ص 486، باب الغين.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

فقد اقتضت سنة الله عز وجل في البشر، أنه لا يتغير حالهم من حال إلى حال آخر مختلف عنه تماماً إلا بعد أن يتغير ما في داخلهم، فهو سبحانه لا يغير النعمة والإحسان والعيش الرغيد لقوم من الأقوام، أو جماعة من الجماعات، أو لأمة من الأمم إلا إذا انتقلت وتحولت من الإيمان إلى الكفر، ومن طاعة الله وتقواه إلى معصيته ومخالفة أمره، ومن شكر النعم إلى البطر بها، فعند ذلك يسلب الله تعالى هذه النعم من أصحابها بسبب تغير ما في نفوسهم وقلوبهم، والعكس صحيح، إذا غير العباد ما في نفوسهم من معصية الله تعالى ومخالفة أمره ونواهيه، فتحولوا إلى طاعة لله وأعمال صالحة تُرضي الله، غيّر الله حالهم من الشقاء إلى السعادة والسرور والغبطة، فإن إرادة الله تعالى نافذة، لا أحد يستطيع منعه منها، ولا أحد يتولى أمور العباد، فيجلب لهم الخير، ويدفع عنهم الشر غيره سبحانه[1].

وهو سبحانه يتعقب عباده بالحفظة من أمره، ليراقبوا ما يحدثونه من تغيير في أنفسهم وأحوالهم فيرتب تعالى بعد ذلك تصرفه بهم، فهو لا يغير نعمة أو عز أو ذل أو مكانة أو مهانة إلا بعد أن يغير الناس مشاعرهم، وأعمالهم، وواقع حياتهم، وبالتالي يغير الله ما بهم وفق ما صارت إليه نفوسهم وأعمالهم، وإن كان الله تعالى يعلم ما سيكون منهم قبل أن يكون، ولكن اقتضت حكمته وعدله أن يرتب ما يقع عليهم حسب ما يكون منهم، ويجيء لاحقاً له في الزمان[2].

يقول سيد قطب رحمه الله : "وإنها لحقيقة تُلْقِي على البشر تبعة ثقيلة؛ فقد قضت مشيئة الله وجرت بها سنته، أن تترتب مشيئة الله بالبشر على تصرف هؤلاء البشر؛ وأن تُنفذ فيهم سنته بناء على تعرضهم لهذه السنة بسلوكهم وهو ... دليل التكريم لهذا المخلوق الذي اقتضت مشيئة الله أن يكون هو بعمله أداة التنفيذ لمشيئة الله فيه"[3].

وهذه السنة يلاحظها المؤمن في نفسه، فإن هو ثبت على طاعة الله تعالى وتزود بصالح الأعمال فإن الله تعالى يكافئه على ذلك بالراحة النفسية والطمأنينة، قال تعالى : ﴿**أَلاَ بِذِكْرِ اللّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ**﴾ (الرعد: 28). ولكن إن غيّر وبدل وبدأ بعمل المعاصي والذنوب، فإن هذا الحال يتغير إلى العكس لقوله تعالى: ﴿**وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنكًا**﴾ (طه: 124) وهكذا هو حال الدول والشعوب، حيث إن سنة الله فيهم جارية إلى يوم القيامة إن فعلوا الذنوب والمعاصي يحل بهم عقاب الله سواء عاجلاً أم آجلاً، قال تعالى : ﴿**فَكُلًّا أَخَذْنَا بِذَنبِهِ فَمِنْهُم مَّنْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِ حَاصِبًا وَمِنْهُم مَّنْ أَخَذَتْهُ الصَّيْحَةُ وَمِنْهُم مَّنْ خَسَفْنَا بِهِ الْأَرْضَ وَمِنْهُم مَّنْ أَغْرَقْنَا وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلَكِن كَانُوا أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ**﴾ (العنكبوت : 40).

---

(1) انظر تيسير الكريم الرحمن : للشيخ السعدي، ص 288.

(2) انظر في ظلال القرآن : سيد قطب، 2049/4.

(3) المرجع السابق، 2049/4-2050.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

"والآية على ما فيها من إيجاز بليغ، يندرج تحتها كل من أهلكهم الله من الماضين، ومن سيهلكهم من اللاحقين، إما بصورة جماعية أو حالات فردية كل حسب ذنبه، وبما يتلاءم مع طبيعته وفق ما يقضي به الله سبحانه بحكمته"[1]، ومن الأمثلة على ذلك آل فرعون والذين ذكرهم الله في كتابه، قال تعالى : ﴿**ذَلِكَ بِأَنَّ اللّهَ لَمْ يَكُ مُغَيِّرًا نِّعْمَةً أَنْعَمَهَا عَلَى قَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُواْ مَا بِأَنفُسِهِمْ وَأَنَّ اللّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ * كَدَأْبِ آلِ فِرْعَوْنَ وَالَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ كَذَّبُواْ بِآيَاتِ رَبِّهِمْ فَأَهْلَكْنَاهُم بِذُنُوبِهِمْ وَأَغْرَقْنَا آلَ فِرْعَونَ وَكُلٌّ كَانُواْ ظَالِمِينَ**﴾ (الأنفال : 53).

يخبر الله تعالى عن تمام عدله في حكمه بأنه لا يغير النعمة التي ينعمها على أحد من خلقه إلا إذا ارتكب ذنباً، ومثال ذلك آل فرعون وأمثالهم، عندما كذبوا بآيات الله وكفروا بها، أهلكهم الله بسبب ذنوبهم ومعاصيهم، وسلبهم النعم التي أسداها إليهم، وقد كانوا يتمتعون بالجنات والعيون والفاكهة والكنوز والقصور، والله عز وجل لم يظلمهم بذلك[2]، ولكنها سنة الله في خلقه، إن حافظوا على النعم وشكروها فإنها تدوم بل تزداد، ولكن العكس إن كفروها فإنها تزول لأنهم لم يحافظوا عليها، قال تعالى: ﴿**لَئِن شَكَرْتُمْ لأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِن كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ**﴾ (إبراهيم: 7).

"وسنة الله في تغيير النعم تجري على الجماعة المسلمة، فما دامت مستمسكة بشرع الله في عملها، وبالاعتصام بحبل الله في وحدتها، فإن نعم الله عليها بالتأييد والنصر، ودفع الأذى عنها باقية فإذا غيرت ذلك فلم تتقيد بشرع الله في عملها، وفرطت في وحدتها، فإنها تسلب من نعم الله بالتأييد لها بقدر ما ضيعته من موجبات هذه النعم"[3].

والواجب على كل فرد في هذه الأمة أن يراجع نفسه، ويغير ما يجده من نفسه من أمور سلبية لا ترضي الله تعالى حتى يتغير حاله إلى الأفضل والأحسن وبالتالي يتغير حال الأمة بأكملها بتغير أفرادها، ويكون الأمل كبيراً في النصر والتمكين.

يقول د. يوسف القرضاوي : "وهذه السنة تمنحنا نحن المسلمين الأمل في التغيير وتحسين الأحوال، فقد رأينا الكثير من المسلمين في عصر الصحوة الإسلامية، يتغيرون تغيراً جذرياً من الإعراض عن الإسلام إلى الإقبال عليه، من الجهل بأحكامه، إلى الحرص على التفقه فيه، من التسيب والشرود عن تعاليمه إلى الالتزام بها، من انشغال الفرد بخاصة نفسه وعدم الاهتمام بأمر أمته، إلى حمل هموم الأمة، والمشاركة في قضاياها بإخلاص وإيجابية، من

---

(1) الزلازل من مرصد الإسلام : الزهراء فاطمة بنت عبد الله، 35/1، دون دار للطباعة أو تاريخ.

(2) انظر تفسير القرآن العظيم : لابن كثير، 412/2.

(3) السنن الإلهية في الأمم والجماعات والأفراد : د. عبد الكريم زيدان، ص 203.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

الجري وراء اللذات واتباع الشهوات إلى إحياء الدعوة، وتبني الجهاد للدفاع عن الدين وحرماته، من التكشف والتعري عند النساء إلى الالتزام بالحجاب، من البعد عن المساجد إلى عمارتها بالصلوات والدروس، وكل هذه الأعمال والآثار تشعرنا أن الأمة قد تغيرت إلى حد كبير، ومقتضى عدل الله وسنته ألا يتخلى عنها، وأن يكافئها على هذا التغير النفسي والسلوكي العميق بأن يغير ما بها ويحولها إلى حال أفضل"[1].

فما على أبناء هذه الدعوة الغراء إلا أن يتوكلوا على الله تعالى ويسيروا على طريق ذات الشوكة حتى يغير الله بهم هذه الأمة إلى الأفضل، ومن ثم تغيير الكون كله حتى يدين بالإسلام، قال تعالى : ﴿**وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ إِنَّ اللَّهَ بَالِغُ أَمْرِهِ قَدْ جَعَلَ اللَّهُ لِكُلِّ شَيْءٍ قَدْرًا**﴾ (الطلاق : 3).

3- سنة التدرج :

إن سنة التدرج من سنن الله في هذا الكون، وهي من السنن المهمة التي يجب أن تراعيها الأمة لكي تغير من نفسها عندما تريد العمل للتمكين في هذه الدنيا.

ومعنى التدرج لغة : درج الصبي دروجاً يعني مشى قليلاً في أوّل مشيه، ودرجته إلى الأمر تدريجياً، فتدرج، واستدرجته : أي أخذته قليلاً قليلاً، واستدرجه : أي أدناه منه[2].

فالتدرج هو : الابتداء بعمل الشيء خطوة خطوة وليس مرة واحدة، وهذا يحتاج إلى وقت وصبر.

ومراعاة سنة التدرج في العمل للتمكين يعني : "أن تتدرج الأمة في عملها للتمكين من السهل إلى الصعب، ومن الصعب إلى الأصعب، ومن الهدف القريب إلى الهدف البعيد، ومن الخطة الجزئية إلى الخطة الكلية ... وهكذا"[3].

فالله عز وجل خلق السماوات والأرض في ستة أيام، قال تعالى : ﴿**وَلَقَدْ خَلَقْنَا السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ**﴾ (ق : 38) وهو قادر سبحانه أن يخلقهما بكلمة كن فيكون، ولكن حكمة الله تعالى في خلقه اقتضت سير الأمور في الكون تدريجياً حتى نتعلم سنة التدرج.

---

(1) المبشرات بانتصار الإسلام: د. يوسف القرضاوي، ص 99، المكتب الإسلامي، الطبعة الثانية، 1418هـ-1998م.

(2) انظر المصباح المنير : أحمد المقرئ، ص 116-117، كتاب الدال؛ وانظر مختار الصحاح : للرازي، ص 202، باب الدال.

(3) التمكين للأمة الإسلامية في ضوء القرآن الكريم : محمد يوسف، ص 226.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

والرسول ﷺ بدأ بدعوته تدريجياً، فكانت أول الأمر سراً، ثم لما قويت شوكة المسلمين، قام عليه الصلاة والسلام بتبليغ الدعوة جهراً، يقول المباركفوري : "مرت ثلاث سنين والدعوة لم تزل سرية وفردية، وخلال هذه الفترة تكونت جماعة من المؤمنين تقوم على الأخوة والتعاون، وتبليغ الرسالة وتمكينها من مقامها، ثم تنزل الوحي يكلف رسول الله ﷺ بمعالنته قومه، ومجابهة باطلهم، ومهاجمة أصنامهم"[1].

وبهذا كانت الدعوة تدريجية والله تعالى كان قادراً على أن يحمي دعوته، وقادر على أن يأمر سيدنا محمد ﷺ منذ اللحظة الأولى أن ينشر هذه الدعوة جهراً، ولكنها سنة الله في هذا الكون، والتي تجعل الأمور تسير بأمر الله، في الوقت الذي يقدره تعالى، قال تعالى : ﴿**إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ**﴾ (القمر : 49) وهذا شامل لجميع المخلوقات، فالله تعالى خلقها وحده سبحانه لا خالق لها سواه، ولم يشاركه في ذلك أحد، وقد خلقها بقضاء، سبق به علمه، وجرى عليها قلمه، بوقتها ومقدارها وجميع ما اشتملت عليه من الصفات[2].

والتشريع الإسلامي نزل متدرجاً، وهذا من رحمة الله بعباده، فلو أنه نزل مرة واحدة لكان شاقاً على النفوس، وربما لم يستجب له أحد، ولكن الله خبير بنفوس عباده، وبما يصلح شؤونهم، قال تعالى : ﴿**أَلا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ**﴾ (الملك : 14)، فعندما حرم الله الخمر، لم يحرمها مرة واحدة، ولكن جاء هذا التحريم بالتدريج، وعن ذلك ورد عن أم المؤمنين السيدة عائشة رضي الله عنها : "إنما أول ما نزل منه سورة من المفصل فيها ذكر الجنة والنار، حتى إذا ثاب[3] الناس إلى الإسلام، نزل الحلال والحرام، ولو نزل أول شيء لا تشربوا الخمر لقالوا لا ندع الخمر أبداً، ولو نزل لا تزنوا لقالوا : لا ندع الزنا أبداً"[4].

فجدير بالعاملين في حقل الدعوة الإسلامية أن يفهموا هذه السنة، حتى يعملوا بها لكي يصلوا إلى هدفهم المنشود من إقامة هذا الدين، والتمكين له في الأرض، والأمر يحتاج إلى صبر شديد، وإصلاح النفوس يأخذ من الجهد والوقت الكثير الكثير، المهم ألا ييأس الداعية، قال تعالى: ﴿**إِنَّهُ لاَ يَيْأَسُ مِن رَّوْحِ اللّهِ إِلاَّ الْقَوْمُ الْكَافِرُونَ**﴾ (يوسف : 87).

---

(1) السيرة النبوية : للمباركفوري، ص 88.
(2) انظر تيسير الكريم الرحمن : للشيخ السعدي، ص 608.
(3) ثاب : رجع. (المصباح المنير : أحمد المقرئ، ص 57، كتاب الثاء).
(4) صحيح البخاري، 1034/3، كتاب الفضائل القرآن، باب تأليف القرآن، حديث رقم (4993).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

4- سنة التدافع :

التدافع لغة : "تدافع القوم : دفع بعضهم بعضاً، ودفعت القول رددته بالحجة، ودفعت الوديعة إلى صاحبها رددتها إليه"[1].

فالتدافع يكون من جهتين، أحدهما يدفع الآخر بقوة أكبر.

يقول الرازي رحمه الله : "المدافعة مفاعلة، وهي عبارة عن كون كل واحد من المدافعين دافعاً لصاحبه، ومانعاً له من فعله"[2].

وسنة التدافع من السنن الهامة على طريق التمكين، وقد ذكرها الله عز وجل في كتابه العزيز في قوله تعالى : ﴿**وَلَوْلاَ دَفْعُ اللّهِ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لَّفَسَدَتِ الأَرْضُ وَلَـكِنَّ اللّـهَ ذُو فَضْلٍ عَلَى الْعَالَمِينَ**﴾ (البقرة : 251).

والتدافع نوعان :

أ- والتدافع إما يكون بين باطل وباطل، وذلك "بأن أهل الشر يدفع بعضهم بعضاً، ولولا ذلك لتغلب أهل الفساد .. وأحدثوا الشرور التي تهلك الحرث والنسل"[3].

وهذا نراه جلياً وواضحاً عندما كانت أقوى دولتين في العالم وهما أمريكا والاتحاد السوفيتي تصارع إحداهما الأخرى، وقد ضعفت قوة الاتحاد السوفيتي وسقطت الشيوعية بفضل سنة التدافع التي أوجدها الله تعالى بينها وبين أمريكا.

يقول محمد الغزالي : "هذه السنة الاجتماعية التي تحكم التجمعات البشرية، يلمح الإنسان أثرها الفاعل في كل زمان ومكان، حيث يسلط الله الظالمين بعضهم على بعض، وتكون بذلك فرصة للمستضعفين ونمو الخير وحماية أهله"[4].

ب-تدافع بين الحق والباطل : أي أن الله تعالى يدفع بالمؤمنين شر الكافرين، وهذه نعمة منه سبحانه وفضل[5]، قال تعالى: ﴿**وَلَوْلا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّهُـدِّمَتْ صَـوَامِعُ وَبِيَعٌ وَصَلَوَاتٌ وَمَسَاجِدُ يُذْكَرُ فِيهَا اسْمُ اللَّهِ كَثِيرًا**﴾ (الحج : 40).

---

(1) المصباح المنير : أحمد المقرئ، ص 119، كتاب الدال.

(2) التفسير الكبير : للرازي، 190/5.

(3) فتح القدير : للشوكاني، 395/1.

(4) كيف نتعامل مع القرآن : محمد الغزالي، ص 127.

(5) الجامع لأحكام القرآن : للقرطبي، 170/2، دار الكتب العلمية، الطبعة الأولى، 1408هـ-1988م.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

يقول القرطبي في تفسيره لهذه الآية : "لولا ما شرعه الله تعالى للأنبياء والمؤمنين من قتال الأعداء لاستولى أهل الشرك، وعطّلوا ما بينه أرباب الديانات من مواضع العبادات، ولكنه دفع، بأن أوجب القتال ليتفرغ أهل الدين للعبادة، فالجهاد متقدم في الأمم، وبه صلحت الشرائع واجتمعت المتعبدات، فكأنه قال : أذن في القتال، فليقاتل المؤمنون، ثم قوي هذا الأمر في القتال بقوله ﴿**وَلَوْلا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ**﴾ أي لولا القتال والجهاد لتُغُلِّب على الحق في كل أمة"[1].

فسنة التدافع تحفظ على المؤمنين دينهم وإيمانهم، وهي تكون من خلال الجهاد في سبيل الله، والله تعالى يدفع بالمجاهدين في سبيله ضرر الكافرين، فلا تهدم أماكن العبادة التي يّذكر فيها اسم الله، وتتلى فيها كتبه، ولولا هذا الدفع لاستولى الكفار على المسلمين، وخربوا أماكن عبادتهم، وفتنوهم عن دينهم[2].

فسنة التدافع تنشط أجهزة الإيمان وتجعل قواه الداخلية جميعها تتحرك، وهذا يكون سبباً في إمداده بحياة جديدة، وقوى الكفر تحاول فرض نفسها بالضغط على قوى الإيمان إلا أن قوى الإيمان بهذه السنة تنشط لكي تبقى، ويبقى معها الإيمان، وهذا التدافع الحضاري جزء من الاختبار الإلهي، وهو جزء من تمكين الخير، حتى تزداد صلابته في مواجهة الشر، حيث تُستنهض الأمة، وتواجه ظروفها وعدوها، وتكون في تحدٍ مع الباطل، وهذه الفترة خير للأمة حتى تعيد إليها شبابها ونهضتها وعزتها[3].

يقول سيد قطب رحمه الله في تفسيره : "لقد كانت الحياة تأسن وتتعفن، لولا دفع الله الناس بعضهم ببعض، ولولا أن في طبيعة الناس التي فطرهم الله عليها، أن تتعارض مصالحهم واتجاهاتهم الظاهرية القريبة، لتنطلق الطاقات كلها تتزاحم، وتتغالب، وتتدافع، فتنفض عنها الكسل والخمول، وتستجيش ما فيها من مكنونات مدخورة، وتظل أبداً يقظة عاملة ... وفي النهاية يكون الصلاح والخير والنماء، يكون بقيام الجماعة الخيرة المهتدية المتجردة، تعرف الحق الذي بينه الله لها، وتعرف طريقها إليه واضحاً، وتعرف أنها مكلفة بدفع الباطل وإقرار الحق في الأرض، وتعرف أن لا نجاة لها من عذاب الله إلا أن تنهض بهذا الدور النبيل، وإلا أن تحتمل في سبيله ما تحتمل في الأرض طاعة لله وابتغاء مرضاته، وهنا يُمضي الله أمره، وينفذ قدره، ويجعل كلمة الحق والخير والصلاح هي العليا، ويجعل حصيلة الصراع والتنافس والتدافع

---

(1) انظر الجامع لأحكام القرآن : للقرطبي، 47/12.

(2) انظر تيسير الكريم الرحمن : للشيخ السعدي، ص 385.

(3) انظر كيف نتعامل مع القرآن : للغزالي، ص 128.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

في يد القوة الخيرة البانية، التي استجاش الصراع أنبل ما فيها، وأكرمه، وأبلغها أقصى درجات الكمال المقدر لها في الحياة، ومن هنا كانت الفئة القليلة المؤمنة الواثقة بالله، تغلب في النهاية وتنتصر،ذلك أنها تمثل إرادة الله العليا في دفع الفساد عن الأرض وتمكين الصلاح في الحياة"[1].

فواجب أهل الحق ألا يقعدوا كسالى ينتظرون سنة الله بلا عمل منهم أو تعب، فإنهم عند ذلك لا يمثلون الحق ولا يكونون له أهلاً، حيث إن الحق لا يتمثل إلا في أمة تقوم لتقر حاكمية الله في الأرض[2].

فلا بد من العمل الجاد في هذا الوقت، فإنه "إذا أحسن المسلم اليوم التعامل مع سنن المدافعة، يمكن أن يحقق كسباً وإنجازاً هاماً للقضية الإسلامية،على الرغم من الضعف والتبعثر، والحكمة هنا في التحرك هي : حسن اختيار الموقع الفاعل"[3].

قال تعالى : ﴿**بَلْ نَقْذِفُ بِالْحَقِّ عَلَى الْبَاطِلِ فَيَدْمَغُهُ فَإِذَا هُوَ زَاهِقٌ**﴾ (الأنبياء : 18)، فالباطل مضمحل ذاهب بإذن الله تعالى وذلك بقوة الحق المبين، الذي تحمله القلوب النقية الطاهرة المؤمنة.

5- سنة الابتلاء :

الابتلاء لغة : الامتحان.

والبلاء جمعه بلايا، وبلاه يعني جربه، واختبره، والبلاء يكون بالخير والشر[4]، قال تعالى: ﴿**وَنَبْلُوكُم بِالشَّرِّ وَالْخَيْرِ فِتْنَةً**﴾ (الأنبياء : 35)، فالابتلاء معناه لغة : الامتحان والاختبار.

ومن الألفاظ التي تستخدم في معنى الابتلاء "المحنة" كما في قوله تعالى : ﴿**أُولَئِكَ الَّذِينَ امْتَحَنَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ لِلتَّقْوَى**﴾ (الحجرات : 3).

كما يستخدم القرآن الكريم لفظ "الفتنة" بمعنى الابتلاء، قال تعالى : ﴿**أَحَسِبَ النَّاسُ أَن يُتْرَكُوا أَن يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لا يُفْتَنُونَ * وَلَقَدْ فَتَنَّا الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ**﴾ (العنكبوت : 2-3).

---

(1) في ظلال القرآن : سيد قطب، 270/2-271.

(2) انظر المرجع السابق، 1092/2.

(3) كيف نتعامل مع القرآن : محمد الغزالي، ص 127.

(4) انظر المصباح المنير: أحمد المقرئ، ص 42، كتاب الباء؛ وانظر مختار الصحاح: للرازي، ص 65، باب الباء.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

والابتلاء سنة من سنن الله تعالى في خلقه، وهذا واضح من تقريرات القرآن الكريم، قال تعالى : ﴿**الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا**﴾ (الملك : 2).

وقال تعالى : ﴿**وَهُوَ الَّذِي جَعَلَكُمْ خَلَائِفَ الْأَرْضِ وَرَفَعَ بَعْضَكُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ لِّيَبْلُوَكُمْ فِي مَا آتَاكُمْ**﴾ (الأنعام : 165)[1].

أي أن الله تعالى جعل الناس يعمرون الأرض جيلاً بعد جيل، وقرناً بعد قرن، وخلفاً يتلوه سلف، كما أنه سبحانه فاوت بين الناس في أرزاقهم، وأخلاقهم، ومحاسنهم ومساوئهم، وأشكالهم وألوانهم، وفي ذلك حكمة بالغة من الله عز وجل حتى يبتلي الجميع ويمتحنهم، فيختبر الغني في غناه هل يشكر ربه أم لا، والفقير هل يصبر أم لا[2]، فقد ورد "عن أبي سعيد الخدري، عن النبي ﷺ قال : "إن الدنيا حلوة خضرة، وإن الله مستخلفكم فيها، فينظر كيف تعملون، فاتقوا الدنيا واتقوا النساء، فإن أول فتنة بني إسرائيل كانت في النساء"[3].

والابتلاء ينقسم إلى قسمين :

أ- ابتلاء بالخير : مثل الصحة والمال والملك والتمكين.

ويذكر الله تعالى مثال لمن لم ينجحوا عندما مكن الله لهم، فلم يشكروا النعمة فكان مصيرهم الهلاك، قال تعالى : ﴿**أَلَمْ يَرَوْا كَمْ أَهْلَكْنَا مِن قَبْلِهِم مِّن قَرْنٍ مَّكَّنَّاهُمْ فِي الْأَرْضِ مَا لَمْ نُمَكِّن لَّكُمْ وَأَرْسَلْنَا السَّمَاءَ عَلَيْهِم مِّدْرَارًا وَجَعَلْنَا الْأَنْهَارَ تَجْرِي مِن تَحْتِهِمْ فَأَهْلَكْنَاهُم بِذُنُوبِهِمْ وَأَنْشَأْنَا مِن بَعْدِهِمْ قَرْنًا آخَرِينَ**﴾ (الأنعام : 6).

فهؤلاء القوم قبل أن يهلكهم، مكن لهم من الأموال والأولاد والرفاهية، وكانت الأنهار تجري في بساتينهم، وتنبت لهم ما شاء الله تعالى من زرع وثمار يتمتعون بها، ويتناولون ما يشتهون منها، ولكنهم لم يقابلوا تلك النعمة بالشكر، بل جحدوها، وأقبلوا على شهواتهم وملذاتهم وجاءتهم الرسل فكذبوهم وردوا الحق الذي بعثهم الله من أجله، فكانت العاقبة بعد ذلك كله إهلاك الله لهم، وإنشاء أناس آخرين. وهذه هي سنة الله ودأبه في الأمم السابقة واللاحقة، فالواجب أخذ العبرة من ذلك[4].

وأداء حق النعمة من الشكر هو الطاعة لله عز وجل، قال تعالى : ﴿**وَاشْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ**﴾ (النحل : 114) فالعبودية الحقة لله تتطلب من المؤمن شكر الله على نعمه.

---

(1) انظر التمكين للأمة الإسلامية في ضوء القرآن الكريم : محمد يوسف، ص 234.

(2) انظر تفسير القرآن العظيم : لابن كثير، 2/261-262.

(3) صحيح مسلم، ص 1051، كتاب الرقاق، باب أكثر أهل الجنة الفقراء، وأكثر أهل النار النساء وبيان الفتنة بالنساء، حديث رقم (2742).

(4) انظر تيسير الكريم الرحمن : للشيخ السعدي، ص 158.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

يقول ابن القيم رحمه الله : "وكما أن تلك النعم منه، ومن مجرد فضله فذكرها وشكرها، لا ينال إلا بتوفيقه، والذنوب من خذلانه، وتخليته بينه وبين نفسه، وإن لم يكشف ذلك عن عبده، فلا سبيل إلى كشفه عن نفسه، فإذا هو مضطر إلى التضرع والابتهال إليه أن يدفع عنه أسبابها حتى لا تصدر منه، وإذا وقعت بحكم المقادير، ومقتضى البشرية فهو مضطر إلى التضرع والدعاء أن يدفع عنه موجباتها وعقوباته، فلا ينفك العبد عن ضرورته إلى هذه الأصول الثلاثة ولا فلاح إلا بها : الشكر وطلب العافية والتوبة النصوح"[1].

ومما سبق يتبين أن ابن القيم ينبه إلى أن المؤمن يقع طوال حياته بين ثلاثة أشياء وهي الشكر على النعمة، وطلب العافية من الذنوب والمعاصي حتى لا تزول النعمة، فإن وقع فيها بتقدير الله تعالى لجأ إلى الله بالدعاء والتضرع كي يغفر له ويرحمه ويتوب عليه.

ب- الابتلاء بالشر : مثل الأمراض ونقص الأموال والأنفس والثمرات، قال تعالى : ﴿**وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ بِشَيْءٍ مِّنَ الْخَوفْ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ الأَمَوَالِ وَالأنفُسِ وَالثَّمَرَاتِ وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ * الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُم مُّصِيبَةٌ قَالُواْ إِنَّا لِلّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعونَ * أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ**﴾ (البقرة : 155-157).

وقد يبتلى المرء بفقد أحد أعضائه، كذهاب بصره، أو سمعه، أو رجله، أو يده ولكن الله تعالى بشّر مَنْ يصبر على فقد عينيه بأن له الجنة، فقد ورد "عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال : سمعت النبي ﷺ يقول : إن الله قال : إذا ابتليت عبدي بحبيبتيه[2] فصبر، عوضته عنهما الجنة"[3]. هذا على مستوى الفرد.

أما على مستوى الجماعة المسلمة، فإن ابتلاء المؤمنين قبل التمكين أمر لا بد منه، وذلك من أجل التمحيص، ليقوم أمرهم بعد ذلك على تمكن ورسوخ، وهذا الابتلاء للفئة المؤمنة ابتلاء رحمة، لا ابتلاء عذاب، وذلك حتى يكونوا بعد ذلك قادرين على تحمل المسئولية كاملة عندما يمكن لهم، ويصبحوا أقوياء للمعركة التي تنتظرهم، والتي تكون بين أهل الحق والإيمان وأهل الباطل والطغيان، والنتيجة المطلوبة في النهاية ليست مجرد النصر فقط، وإنما هو إقرار المنهج الرباني في الأرض، بكل المعاني والقيم التي يُقرها ذلك المنهج، وحمل الأمانة بعد الانتصار على الباطل لا يستطيعه كل الناس، وإنما الذي يقدر عليه، وهم قوم اختارهم الله لذلك، وقد أعدهم إعداداً خاصاً ليُخلصوا في القيام بواجبهم على أتم وجه[4].

---

(1) الفوائد : لابن قيم الجوزية، ص 228.

(2) حبيبتيه : عينيه، صحيح البخاري، 1153/3.

(3) صحيح البخاري، 1153/3، كتاب المرضى، باب فضل من ذهب بصره، حديث رقم (5653).

(4) انظر التمكين للأمة الإسلامية في ضوء القرآن الكريم : محمد يوسف، ص 235.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

فلا بد من حصول الألم لكل نفس سواء آمنت أم كفرت، لكن المؤمن يحصل له الألم في الدنيا ابتداء،ثم تكون له العاقبة في الدنيا والآخرة، والكافر تحصل له النعمة ابتداءً ثم يصير إلى الألم.

سأل رجل الشافعي فقال : يا أبا عبد الله، أيما أفضل للرجل : أن يمكن أو يبتلى؟ فقال الشافعي لا يُمكن حتى يبتلى، فإن الله ابتلى نوحاً وإبراهيم وموسى وعيسى ومحمداً صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين، فلما صبروا مكنهم، فلا يظن أحد أنه يخلص من الألم البتة"[1].

وهاهو قائد البشرية وأفضل الخلق عند الله تعالى لم يسلم من الابتلاء فكان الرسولﷺ من أشد الناس بلاء، وكان يوعك كما يوعك الرجلان، فقد ورد "عن عبد الله قال : دخلتُ على رسول الله ﷺ وهو يوعك، فقلت يا رسول الله، إنك لتوعك وعكاً شديداً، قال : أجل، إني أوعك كما يوعك رجلان منكم، قلت : ذلك بأن لك أجرين، قال : أجل، ذلك كذلك، ما من مسلم يصيبه أذى شوكة فما فوقها إلا كفر الله بها سيئاته كما تحط الشجرة ورقها"[2].

وللابتلاء فوائد عظيمة، سواء منها على مستوى الفرد، أو الجماعة :

أولاً : على مستوى الفرد :

أ- رفع منزلة المبتلى عند الله، وتكفير خطاياه، فقد ورد "عن عائشة قالت : قال رسول اللهﷺ: ما يصيب المؤمن من شوكة فما فوقها، إلا رفعه الله بها درجة، أو حط بها خطيئة"[3].

ب- إخلاص النفوس لله تعالى حتى تنقى من كل شائبة تكدر صفو الإيمان.

ت- إظهار صدق إيمان الناس،فإنه من السهل ادعاء الإيمان، فالابتلاء يكشف عن حقيقة ادعاء الإيمان.

ث- إعداد المؤمن إعداداً جيداً ليكون جندياً قوياً في دعوة الله، وهذا الإعداد لا يكون إلا من خلال المعاناة والصبر.

ج- الاقتداء بالصابرين، فعندما يبتلى المؤمنون يكونوا قدوة صالحة لغيرهم ممن يأتي بعدهم.

ح- تحقيق العبودية لله عز وجل في السراء والضراء.

خ- زيادة الثقة بنصر الله، وذلك لأن المبتلى عندما تنقطع به السبل المادية، فلا يبقى إلا الاتجاه إلى الله تعالى حتى يخفف عنه البلاء، ويثبته ويصبره ويدعوه سبحانه بأن يهزم عدوه.

د- الابتلاء سبب في دخول المؤمن الجنة، لقوله تعالى : ﴿**أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُواْ الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَعْلَمِ اللّهُ الَّذِينَ جَاهَدُواْ مِنكُمْ وَيَعْلَمَ الصَّابِرِينَ**﴾ (آل عمران : 142)[4].

---

(1) الفوائد : لابن قيم الجوزية، ص 233.

(2) صحيح البخاري، 1152/3، كتاب المرضى، باب أشد الناس بلاءً الأنبياء ثم الأول فالأول، حديث رقم (5648).

(3) صحيح مسلم، ص 998، كتاب البر والصلة والآداب، باب ثواب فيما يصيبه من مرض أو حزن، حديث رقم (2572).

(4) انظر الابتلاء والمحن في الدعوات : د. محمد أبو فارس، ص 37-39، دار الفرقان، الطبعة الأولى، 1407هـ-1986م.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

ثانياً : على مستوى الجماعة :

أ- معرفة الجماعة المسلمة وزن قوتها الحقيقية، فالوزن الحقيقي هو وزن الذين ظهر صدقهم وإخلاصهم وثباتهم.

ب- تنقية الصف المسلم، ومعرفة الخبيث من الطيب، قال تعالى : ﴿**مَّا كَانَ اللّهُ لِيَذَرَ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى مَآ أَنتُمْ عَلَيْهِ حَتَّىَ يَمِيزَ الْخَبِيثَ مِنَ الطَّيِّبِ**﴾ (آل عمران : 179).

ت- تعميق المحبة بين أفراد الجماعة المسلمة، فمن الطبيعي أن الابتلاء الذي يصيب جماعة من الناس، يجعلهم يشعرون بنفس الشعور، وبالتالي تزداد محبتهم لبعضهم البعض، ونرى ذلك جلياً بين السجناء، فهم يرتبطون ببعضهم ارتباطاً وثيقاً، لأن المحنة التي يعانونها واحدة، وهي ليست بالسهلة، وقد تصاحب سيدنا يوسف عليه السلام مع من معه في السجن مخاطباً إياهم ﴿ **يَا صَاحِبَيِ السِّجْنِ**﴾ (يوسف : 39).

ث- تقوية الصف المسلم، بلفظه العناصر ضعيفة النفوس والإيمان، والتي لم تنجح في ابتلائها.

ج- إن صبر الجماعة المسلمة واحتسابها ما تلقى من عنت ومشقة في سبيل الله، يغيظ أعداءها، لأنها خرجت من المحنة أصلب عوداً، وأقوى على تحمل أعباء الدعوة فيما بعد[1].

يقول سيد قطب رحمه الله : "هذه هي سنة الله القديمة في تمحيص المؤمنين، وإعدادهم ليدخلوا الجنة، وليكونوا أهلاً لها : أن يدافع أصحاب العقيدة عن عقيدتهم، وأن يلقوا في سبيلها العنت، والألم، والشدة، والضر، وأن يتراوحوا بين النصر والهزيمة، حتى إذا ثبتوا على عقيدتهم، لم تزعزعهم شدة، ولم ترهبهم قوة، ولم يهنوا تحت مطارق المحنة والفتنة استحقوا نصر الله، لأنهم يومئذٍ أمناء على دين الله، مأمونون على ما ائتمنوا عليه، صالحون لصيانته، والذود عنه، واستحقوا الجنة لأن أرواحهم قد تحررت من الخوف، وتحررت من الذل، وتحررت من الحرص على الدنيا، أو على الدعة والرخاء ... هذا هو الطريق، إيمان وجهاد، ومحنة، وابتلاء، وصبر وثبات، وتوجه إلى الله وحده ثم يجيء النصر، ثم يجيء النعيم"[2].

هكذا يتبين أن سنة الابتلاء لها من الفوائد الجليلة والتي لا بد منها، حتى يحمل الراية أناس أقوياء الإيمان والعقيدة، يتحملون مشاق الطريق، ولا يبالون بالأشواك التي توضع أمامهم، والعراقيل التي تقف في طريقهم، وليوقنوا أنه كلما ادلهمت الخطوب، وزاد البلاء، إنما هو بشرى بقرب طلوع الفجر، وبزوغ شمس الحرية والانتصار، قال تعالى : ﴿**حَتَّى إِذَا اسْتَيْأَسَ الرُّسُلُ وَظَنُّواْ أَنَّهُمْ قَدْ كُذِبُواْ جَاءهُمْ نَصْرُنَا فَنُجِّيَ مَن نَّشَاء وَلاَ يُرَدُّ بَأْسُنَا عَنِ الْقَوْمِ الْمُجْرِمِينَ**﴾ (يوسف : 110).

---

(1) انظر السنن الإلهية في الأمم والجماعات والأفراد : د. عبد الكريم زيدان، ص 97-99، وانظر الابتلاء والمحن في الدعوات : د. محمد أبو فارس، ص 137-138.

(2) في ظلال القرآن : سيد قطب، 1/218-219، عند تفسيره للآية 214 من سورة البقرة.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

المطلب الرابع : مبشرات النصر والتمكين :

أولاً : تعريف المبشرات :

أ- لغة :

استبشر : إذا وجد ما يبشره بالفرج، ويقال للخبر السار بشارة وبشرى، قال تعالى : ﴿**لَهُمُ الْبُشْرَى فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا**﴾، والبشير يكون في الخير أكثر من الشر، والبشرى عند إطلاقها تختص بالخير. والمبشرات : الرياح التي تبشر بالمطر[1].

المبشرات لغة أي : الأشياء التي تبشر بالخير وتدل على قرب حدوثه.

ب- اصطلاحاً :

مبشرات النصر والتمكين : هي ما وعد الله تعالى عباده الصالحين، وبشرهم به في القرآن الكريم وسنة نبيه ﷺ، من أن النصر والتمكين سيحدث لهذه الأمة، وهي أيضاً الظواهر الموجودة حالياً في معظم بلاد العالم والتي تدل على قرب وقوع النصر والتمكين[2].

ونجد في القرآن الكريم الكثير من الآيات التي تدل على أن البشرى تكون للمؤمنين في الدنيا كما تكون لهم في الآخرة، قال تعالى : ﴿**الَّذِينَ آمَنُواْ وَكَانُواْ يَتَّقُونَ * لَهُمُ الْبُشْرَى فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الآخِرَةِ**﴾ (يونس : 63-64)، وأن الهدف الأساسي من بعثة سيدنا محمد ﷺ هو التبشير بالخير، قال تعالى : ﴿**إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ بِالْحَقِّ بَشِيرًا وَنَذِيرًا**﴾ (البقرة : 119)، وقال تعالى : ﴿**يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا * وَدَاعِيًا إِلَى اللَّهِ بِإِذْنِهِ وَسِرَاجًا مُنِيرًا * وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ بِأَنَّ لَهُم مِّنَ اللَّهِ فَضْلًا كَبِيرًا**﴾ (الأحزاب : 45-47)[3].

ثانياً : مبشرات النصر والتمكين من القرآن الكريم :

لقد جاءت بشريات النصر والتمكين في آيات كثيرة من القرآن، ومن ذلك :

1- البشارة بإتمام نور الله وظهور الدين الإسلامي على باقي الأديان :

قال تعالى : ﴿**يُرِيدُونَ أَن يُطْفِؤُواْ نُورَ اللّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَيَأْبَى اللّهُ إِلاَّ أَن يُتِمَّ نُورَهُ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ * هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ**﴾ (التوبة : 32-33).

---

(1) انظر المفردات في غريب القرآن : للأصفهاني، ص 48؛ وانظر المصباح المنير : لأحمد المقرئ، ص 35، كتاب الباء؛ وانظر مختار الصحاح : للرازي، ص 53، باب الباء.

(2) انظر التمكين للأمة الإسلامية في ضوء القرآن الكريم : محمد يوسف، ص 259.

(3) انظر التمكين للأمة الإسلامية في ضوء القرآن الكريم : محمد يوسف ، ص 259-260.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

فالكفار من المشركين وأهل الكتاب يريدون إطفاء الهدى ودين الحق بجدالهم وافترائهم، وهم كمن يريد إطفاء شعاع الشمس أو نور القمر، وهذا مستحيل، وهكذا دين الله عز وجل لا بد أن يتم ويظهر ولا أحد يستطيع منعه أو الوقوف في وجهه، وقد أرسل الله رسوله محمد ﷺ بالأخبار الصادقة والإيمان الصحيح والعلم النافع في الدنيا والآخرة، وأنه سبحانه سيظهر هذا الدين على سائر الأديان[1].

وقال تعالى: ﴿**يُرِيدُونَ لِيُطْفِؤُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَاللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ* هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ**﴾ (الصف: 8-9).

والملاحظ قول الله تعالى في سورة الصف "والله متم نوره" وهذا فيه تأكيد بأن الله تعالى سينصر الإسلام والمسلمين ويظهر هذا الدين على باقي الأديان، رغم أنف الكافرين والمشركين من اليهود والنصارى.

ولقد تحقق نصر الله وتمكينه لدينه زمن الرسول ﷺ، وزمن خلفائه، ومن جاء بعدهم لفترة طويلة من الزمن، وكان هو الأظهر على باقي الأديان، وإن شاء الله سيتحقق هذا الوعد الرباني، وفق سنن الله التي لا تتغير، ولا تتحول، وما على المسلمين المؤمنين بهذه الآيات، إلا أن ينهضوا لحمل راية التوحيد، والمضي قُدماً مقتفين بذلك خطا النبي محمد ﷺ المباركة[2].

2- مبشرات وعد الله تعالى للمؤمنين بالنصر والغلبة والتمكين :

قال تعالى : ﴿**وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ الْمُؤْمِنِينَ**﴾ (الروم : 47).

أي أن نصر الله للمؤمنين حقاً أوجبه الله عز وجل على نفسه العلية تكرماً منه وفضلاً[3]، وقال تعالى : ﴿**وَلَقَدْ سَبَقَتْ كَلِمَتُنَا لِعِبَادِنَا الْمُرْسَلِينَ * إِنَّهُمْ لَهُمُ الْمَنصُورُونَ * وَإِنَّ جُندَنَا لَهُمُ الْغَالِبُونَ**﴾ (الصافات : 171-173).

لقد "سبقت كلمة الله تعالى التي لا مرد لها، ولا مخالف لها لعباده المرسلين، وجنده المفلحين، أنهم الغالبون لغيرهم، المنصورون من ربهم، نصراً عزيزاً يتمكنون فيه من إقامة دينهم، وهذه بشارة عظيمة لمن اتصف بأنه من جند الله، بأن كانت أحواله مستقيمة وقاتل من أمر بقتالهم، أنه غالب منصور"[4].

---

(1) انظر تفسير القرآن العظيم : لابن كثير، 450/2.
(2) انظر حاضر العالم الإسلامي : د. صالح الرقب، ص 321.
(3) انظر تفسير القرآن العظيم : لابن كثير، 559/3.
(4) تيسير الكريم الرحمن : للشيخ السعدي، ص 517.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

وقال تعالى : ﴿**وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُم فِي الأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّن بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي لا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا وَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ**﴾ (النور : 55).

في هذه الآيات بشارة يعد الله تعالى فيها المؤمنين العاملين بما في كتاب الله وسنة رسوله ﷺ أن يستخلفهم في الأرض، ويمكن لهم دينهم الإسلامي العظيم الذي اختاره لهم، وأن يبدل خوفهم أمناً، وهذا الوعد حق وواقع بإذن الله ولن يخلف الله وعده.

والاستخلاف يكون لتحقيق منهج الله تعالى وتقرير العدل، والسير في البشرية طريق الكمال المقدر لها إلى يوم القيامة.

والتمكين للدين : بتمكينه في القلوب، كما يتم بتمكينه في تصريف الحياة وتدبيرها[1].

3- الإخبار من الله تعالى بأن الكفار سيُغلبون في الدنيا :

قال تعالى : ﴿**إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُواْ يُنفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ لِيَصُدُّواْ عَن سَبِيلِ اللّهِ فَسَيُنفِقُونَهَا ثُمَّ تَكُونُ عَلَيْهِمْ حَسْرَةً ثُمَّ يُغْلَبُونَ وَالَّذِينَ كَفَرُواْ إِلَى جَهَنَّمَ يُحْشَرُونَ**﴾ (الأنفال : 36).

هذه الآية تحمل في طياتها بشارة عظيمة للمؤمنين، فالله يخبر عن حال الكفار في الدنيا، أنهم ينفقون أموالهم في الباطل، ليصدوا الناس عن اتباع طريق الحق والهدى، فسيفعلون ذلك، ولكن سيُفاجئون بأن إنفاقهم للأموال الطائلة هنا وهناك سيذهب سدى أدراج الرياح، وسينقلب عليهم فعلهم هذا حسرة وندامة، لأنهم لن يبلغوا مرادهم من الكيد للإسلام والمسلمين، فقد أرادوا إطفاء نور الله تعالى وإظهار كلمتهم على كلمة الحق والتوحيد، ولكن خابوا وخسروا، لأن الله سيظهر دينه وينصره، ويتم نوره، ويعلن كلمته، فهذا من خزي الله لهم في الدنيا، ولهم العقاب الأليم في الآخرة، فمن يعش منهم سيرى بأم عينه ويسمع بأذنه ما يسوءه، ومن قتل منهم أو مات فإلى جهنم وبئس المصير[2].

ومهما يكيد أعداء الإسلام للإسلام وأهله، إلا أن الله بعظمته وقوته وجبروته سيضعف كيدهم ومكرهم، قال تعالى : ﴿**ذَلِكُمْ وَأَنَّ اللّهَ مُوهِنُ كَيْدِ الْكَافِرِينَ**﴾ (الأنفال : 18)، كذلك فالله هو مولى المؤمنين، وأما الكافرين ليس لهم مولى ولا كافي، فمن سنته فيهم أن يدمرهم كما دمر أمثالهم من الكافرين، قال تعالى : ﴿**أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ دَمَّرَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَلِلْكَافِرِينَ أَمْثَالُهَا * ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ مَوْلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَأَنَّ الْكَافِرِينَ لَا مَوْلَى لَهُمْ**﴾ (محمد : 10-11).

---

(1) انظر في ظلال القرآن : سيد قطب، 2528/4-2529.

(2) انظر تفسير القرآن العظيم : لابن كثير، 396/2.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

فالمكذبون للنبي عليه الصلاة والسلام والكافرون إذا نظروا إلى عاقبة الذين كفروا قبلهم، فإنهم سيجدونها شر عاقبة، ولا يلتفتوا يمنة ولا يسرة إلا وجدوا من كان قبلهم قد بادوا وهلكوا، واستأصلهم الله بسبب تكذيبهم وكفرهم بهذا الدين، فخمدوا، ودمر الله عليهم أموالهم وديارهم، بل دمر أيضاً أعمالهم ومكرهم، وللكافرين في كل زمان ومكان مثل هذه العواقب الوخيمة الذميمة.

وأما المؤمنون فينجيهم الله تعالى من العذاب، ويجزل لهم الثواب، فهو يتولاهم برحمته، ويخرجهم من الظلمات إلى النور، ويتولى جزاءهم ونصرهم، وأما الكافرون بالله تعالى فقد قطعوا عن أنفسهم ولاية ربهم، وسدوا على أنفسهم رحمته تعالى، فهم أولياؤهم الطاغوت يخرجهم من النور إلى الظلمات[1].

ثالثاً : المبشرات بالنصر والتمكين من السنة النبوية الشريفة :

لقد بشر النبي ﷺ المسلمين بانتصار الإسلام والتمكين له وذلك في عدة أحاديث منها :

1- البشرى بأن الإسلام سينتصر في النهاية وسينتشر في مشارق الأرض ومغاربها :

قال رسول الله ﷺ : "إن الله زوى[2] لي الأرض، فرأيت مشارقها ومغاربها، وإن أمتي سيبلغ ملكها ما زوي لي منها، وأعطيت الكنزين : الأحمر والأبيض"[3].

ففي هذا الحديث معجزات ظاهرة، وقد وقعت كلها كما أخبر بها ﷺ، قال النووي في شرحه لهذا الحديث : "قال العلماء : المراد بالكنزين الذهب والفضة، والمراد كنزي كسرى وقيصر ملكي العراق والشام، فيه إشارة أن ملك هذه الأمة يكون معظم امتداده في جهتي المشرق والمغرب، وهكذا وقع، وأما في جهتي الجنوب والشمال فقليل بالنسبة إلى المشرق والمغرب، وصلوات الله وسلامه على رسوله الصادق الذي لا ينطق عن الهوى، إن هو إلا وحي يوحى"[4].

وهذه السُنة باقية إذا عمل المسلمون بالسبب من الطاعة والإيمان والعمل الصالح، فإنه سيتحقق ذلك مرة أخرى بإذن الله تعالى في أي وقت أراده الله عز وجل.

---

(1) انظر تيسير الكريم الرحمن : للشيخ السعدي، ص 578.

(2) زوى : جَمَعَ. (صحيح مسلم بشرح النووي، 13/18).

(3) صحيح مسلم، ص 1106-1107، كتاب الفتن وأشراط الساعة، باب هلاك هذه الأمة بعضهم ببعض، حديث رقم (2889).

(4) صحيح مسلم بشرح النووي، 13/18، كتاب الفتن وأشراط الساعة، باب هلاك هذه الأمة بعضهم ببعض، حديث رقم (2889).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

تحقق الأمن للمسلمين :

وقال ﷺ : "يا عدي هل رأيت الحيرة؟ قلت : لم أرها، وقد أنبئتُ عنها، قال : فإن طالت بك حياة لترين الظعينة ترتحل من الحيرة حتى تطوف بالكعبة لا تخاف أحداً إلا الله"[1]. وهذه من الأمور التي حدثت حيث "قال عديّ : فرأيت الظعينة[2] ترتحل من الحيرة حتى تطوف بالكعبة لا تخاف إلا الله، وكنت فيمن افتتح كنوز كسرى بن هرمز"[3].

وكذلك مما يدل على سعة انتشار الإسلام، وزيادة ملك المسلمين، قول الرسول ﷺ "وإني قد أعطيت خزائن مفاتيح الأرض"[4]، وقوله ﷺ : "والله ليتمن هذا الأمر حتى يسير الراكب من صنعاء إلى حضرموت لا يخاف إلا الله، أو الذئب على غنمه، ولكنكم تستعجلون"[5].

2- البشرى بالرخاء والأمن وفيض المال :

قال رسول الله ﷺ : "لا تقوم الساعة حتى يكثر المال ويفيض، حتى يخرج الرجل بزكاة ماله، فلا يجد أحد يقبلها منه، وحتى تعود أرض العرب مروجاً وأنهاراً"[6].

وهذا دليل على شدة الرخاء ورغد العيش، وزوال الفقر من المجتمع الإسلامي، فلا يوجد فقير حينذاك يستحق الصدقة أو يقبلها، وهذا دليل أيضاً على عفة النفوس المؤمنة وبركات عدل الإسلام، وأثر الإيمان والتقوى في الحياة الإسلامية، كما قال تعالى : ﴿**وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَى آمَنُواْ وَاتَّقَواْ لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَاتٍ مِّنَ السَّمَاء وَالأَرْضِ**﴾ (الأعراف : 96)[7].

3- البشرى بانتصار المسلمين على اليهود :

فقد ورد "عن أبي هريرة رضي الله عنه، عن رسول الله ﷺ قال : لا تقوم الساعة حتى تقاتلوا اليهود، حتى يقول الحجر وراءه اليهودي، يا مسلم، هذا يهودي ورائي فاقتله"[8].

هذا الحديث يدل دلالة واضحة أنه سيكون بين المسلمين وبين اليهود قتال، ويقاتل الحجر مع المسلم حيث يكون من جند الله في ذاك الوقت، وهذه كرامة يجعلها الله للعبد المؤمن وهو نطق

---

(1) صحيح البخاري، 721/2، كتاب المناقب، باب علامات النبوة في الإسلام، حديث رقم (3595).
(2) الظعينة : المرأة عندما تكون في الهودج. (انظر مختار الصحاح : للرازي، ص 404، باب الظاء).
(3) صحيح البخاري، 721/2.
(4) صحيح البخاري، 721/2، كتاب المناقب، باب علامات النبوة في الإسلام، حديث رقم (3596).
(5) صحيح البخاري، 724/2، كتاب المناقب، باب علامات النبوة في الإسلام، حديث رقم (3612).
(6) صحيح مسلم، ص 363، كتاب الزكاة، باب الترغيب في الصدقة قبل أن لا يوجد من يقبلها، حديث رقم (1012).
(7) انظر المبشرات بانتصار الإسلام : د. يوسف القرضاوي، ص 37.
(8) صحيح البخاري، 589/2، كتاب الجهاد والسير، باب قتال اليهود، حديث رقم (2926).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

الحجر الأصم، فهو يسانده بأمر من الله عز وجل حتى ينتصر على عدو البشرية وهم اليهود. واليهود يؤمنون بصحة هذا الحديث، وهم يعملون على الإكثار من زراعة شجر الغرقد التي لا تدل عليهم[1].

يقول د. صالح الرقب : "وليعلم أبناء الإسلام أن الاستعلاء اليهودي اليوم هو استعلاء مؤقت، وتمكين الله تعالى اليهود في الأرض لن يدوم، إن وعد الله تعالى سيتحقق، وأن المعركة الفاصلة التي أخبر عنها الرسول ﷺ بين المسلمين واليهود ستُنهي الفترة الاستثنائية التي مكن فيها اليهود ﴿**بِحَبْلٍ مِّنْ اللّهِ وَحَبْلٍ مِّنَ النَّاسِ**﴾ (آل عمران : 112)، وسيعود اليهود إلى وضعهم الطبيعي الذي كتبه الله تعالى : ﴿**وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذِّلَّةُ وَالْمَسْكَنَةُ وَبَآؤُوْاْ بِغَضَبٍ مِّنَ اللّهِ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُواْ يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللّهِ وَيَقْتُلُونَ النَّبِيِّينَ بِغَيْرِ الْحَقِّ ذَلِكَ بِمَا عَصَواْ وَّكَانُواْ يَعْتَدُونَ**﴾ (البقرة : 61)"[2].

4- البشرى بوجود الطائفة المنصورة في الشام عامة، وعند بيت المقدس خاصة :

قال رسول الله ﷺ : "لا يزال من أمتي أمة قائمة بأمر الله، لا يضرهم من خذلهم ولا من خالفهم، حتى يأتيهم أمر الله وهم على ذلك" قال عمير : فقال مالك بن يخامر: قال معاذ "وهم بالشام" فقال معاوية : هذا مالك يزعم أنه سمع معاذاً يقول : "وهم بالشأم"[3].

وفي رواية أخرى "لا تزال عصابة من أمتي يقاتلون على أبواب دمشق وما حولها، وعلى أبواب بيت المقدس وما حوله، لا يضرهم خذلان من خذلهم ظاهرين إلى يوم القيامة"[4].

وقال رسول الله ﷺ : "لا تزال عصابة[5] من أمتي يقاتلون على أمر الله، قاهرين[6] لعدوهم، لا يضرهم من خالفهم، حتى تأتيهم الساعة وهم على ذلك"[7].

هذه الأحاديث تدل على أن النصر يكون لهذه الطائفة التي تقاتل أعداءها وهي على الحق، وتقاتل عن عقيدة، وتكون غالبة لعدوها، ولا أحد تنطبق عليه هذه الصفات في وقتنا الحالي غير

---

(1) انظر حاضر العالم الإسلامي : د. صالح الرقب، ص 325.
(2) المرجع السابق، ص 325.
(3) صحيح البخاري، 729/2، كتاب المناقب، باب (28)، حديث رقم (3641).
(4) مجمع الزوائد ومنبع الفوائد : نور الدين علي بن أبي بكر الهيثمي، 41/10، حديث رقم (16662)، وقال عنه الهيثمي : رواه أبو يعلى ورجاله ثقات، دار الفكر، بيروت، 1412هـ.
(5) العصابة : جماعة من الناس. (انظر المصباح المنير : أحمد المقرئ، ص 246، كتاب العين).
(6) قاهرين : غالبين. (انظر مختار الصحيح : للرازي، ص 554، باب القاف).
(7) صحيح مسلم، ص 765، كتاب الإمارة، باب قوله ﷺ "لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين على الحق، لا يضرهم من خالفهم"، حديث رقم (1924).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

المجاهدين الموجودين الآن في فلسطين، فهم في الشام، وعند بيت المقدس، وهم قاهرون لعدوهم كما ذكرت الأحاديث النبوية الشريفة، وندعو الله أن يتم لهم التمكن التام بعد هلاك يهود، ودولتهم، التي من شدة ضعفها لم تستطع منذ سنتين أو أكثر أن تعرف مكان جندي من جنودها أسرته المقاومة الفلسطينية[1] بالرغم من طائراتها ودباباتها، وكثرة جنودها وإمكاناتها والتي تفوق الكثير من دول العالم، وهذا هو القهر بعينه لهذا العدو اللعين من خلال العصابة المجاهدة، والتي ترابط في بيت المقدس، وأكناف بيت المقدس.

رابعاً : المبشرات من طبيعة الدين الموافقة للفطرة البشرية :

قال تعالى : ﴿**فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَةَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لا يَعْلَمُونَ**﴾ (الروم : 30).

وفي هذه الآية يخاطب الله تعالى سيدنا محمد ﷺ يأمره بتسديد وجهه، والاستمرار على الدين الذي شرعه الله له، ولأمته من الحنيفية السمحة، ملة سيدنا إبراهيم عليه السلام حيث إن الله هداه لها، وكملها له غاية الكمال، ومع ذلك فهو ملازم لفطرته السليمة التي فطره الله عليها وجميع الخلق، فهو سبحانه خلقه على معرفته، وتوحيده، وأنه لا إله غيره، قال تعالى : ﴿**وَأَشْهَدَهُمْ عَلَى أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُواْ بَلَى**﴾ (الأعراف : 172)[2].

وقال رسول الله ﷺ في الحديث القدسي : "وإني خلقتُ عبادي حنفاء كلهم، وإنهم أتتهم الشياطين فاجتالتهم عن دينهم"[3].

فالناس مفطورون على الإيمان بهذا الدين، وتوحيد الله، وهذا مما يجعلهم أقرب إلى الدين الإسلامي الحنيف من جميع الأديان الأخرى والتي حُرفت على مر الزمن، ولم يحفظ الله تعالى من التحريف إلا القرآن، وهو قد تعهد بذلك، قال تعالى : ﴿**إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ**﴾ (الحجر : 9).

يقول سيد قطب في تفسيره لقوله تعالى ﴿**فِطْرَةَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ**﴾ (الروم : 3)، "وبهذا يربط بين فطرة النفس البشرية وطبيعة هذا الدين، وكلاهما من الله تعالى، وكلاهما موافق لناموس الوجود، وكلاهما متناسق مع الآخر في طبيعته واتجاهه.

---

(1) تم أسر الجندي الإسرائيلي جلعاد شليط بتاريخ 25 حزيران 2006م خلال عملية فدائية قامت بها كتائب الشهيد عز الدين القسام وجيش الإسلام وألوية الناصر صلاح الدين.

(2) انظر تفسير القرآن العظيم : لابن كثير، 554/3.

(3) صحيح مسلم، ص 1098، كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها، باب الصفات التي يعرف بها في الدنيا أهل الجنة وأهل النار، حديث رقم (2865).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

والله الذي خلق القلب البشري هو الذي أنزل هذا الدين ليحكمه ... ويقومه من الانحراف، وهو أعلم بمن خلق وهو اللطيف الخبير، والفطرة ثابتة والدين ثابت : ﴿**لا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ**﴾ فإذا انحرفت النفوس عن الفطرة لم يردها إليها إلا هذا الدين المتناسق مع الفطرة، فطرة البشر، وفطرة الوجود"[1].

وهذا يوضح السبب الذي نجد فيه أعداداً متزايدة تدخل في الدين الإسلامي يومياً في جميع أنحاء العالم، فهو دين الفطرة السليمة الموافقة للنفس البشرية، قال تعالى : ﴿**أَلا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ**﴾ (الملك : 14).

خامساً : المبشرات من التاريخ :

إن المبشرات بانتصار الإسلام لا تقتصر على نصوص القرآن الكريم، والأحاديث الشريفة، والتي تملأ القلب ثقة بأن المستقبل لهذا الدين العظيم، بل وقائع التاريخ وأحداث الماضي، فيها ما يملأ القلب أملاً وثقة أيضاً، بأن النصر والتمكين للإسلام والمسلمين بالرغم مما يقف في وجهه من عقبات، وما يعوق صحوته من عوائق كثيرة من صنع أعدائه في الداخل، وخصومه من الخارج.

ويكفينا من مبشرات التاريخ عامة، ومن تاريخ الإسلام والمسلمين خاصة والذي يبدأ بسيرة الرسول ﷺ حقيقتان ذات أهمية كبرى[2]:

الحقيقة الأولى : نزول النصر وهو أحوج ما تكون الأمة إليه :

فعندما يبرأ المسلمون من حولهم وقوتهم ويلجأون إلى الله – القوي العظيم – ويستعينون به سبحانه على كشف الضر، فإنه يأتيهم النصر في هذا الوقت، الذي تشتد فيه الأزمة وتضيق بهم السبل، ويُذلون رقابهم ونفوسهم لله عز وجل حينها يغيثهم الله، وينزل نصره وهم أحوج ما يكونون إليه[3].

قال تعالى : ﴿**حَتَّى إِذَا اسْتَيْأَسَ الرُّسُلُ وَظَنُّواْ أَنَّهُمْ قَدْ كُذِبُواْ جَاءهُمْ نَصْرُنَا فَنُجِّيَ مَن نَّشَاء وَلاَ يُرَدُّ بَأْسُنَا عَنِ الْقَوْمِ الْمُجْرِمِينَ**﴾ (يوسف : 110).

في هذه الآية يخبر الله تعالى بأن نصره ينزل على رسله صلوات الله وسلامه عليهم عندما يضيق الحال، وينتظروا الفرج من الله في أحوج الأوقات كما في قوله تعالى: ﴿**وَزُلْزِلُواْ حَتَّى يَقُولَ**

---

(1) في ظلال القرآن : سيد قطب، 2767/5.
(2) انظر المبشرات بانتصار الإسلام : د. يوسف القرضاوي، ص 46.
(3) انظر المرجع السابق، ص 47.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

الرَّسُولُ وَالَّذِينَ آمَنُواْ مَعَهُ مَتَى نَصْرُ اللّهِ أَلا إِنَّ نَصْرَ اللّهِ قَرِيبٌ﴾ (البقرة : 214)، وفي قوله تعالى: ﴿**كذبوا**﴾ قراءتان إحداهما بالتشديد وقد كانت عائشة رضي الله عنها تقرأ بها[1].

فقد ورد عن "عروة[2] بن الزبير، عن عائشة رضي الله عنها قالت له وهو يسألها عن قول الله تعالى ﴿**حَتَّى إِذَا اسْتَيْأَسَ الرُّسُلُ**﴾ قال : قلت أكُذِبُوا أم كُذِّبوا ؟ قالت عائشة : كُذِّبوا. قلت : فقد استيقنوا أن قومهم كذَّبوهم، فما هو الظن؟ قالت : أجل لعمري، لقد استيقنوا بذلك. فقلت لها : وظنوا أنهم قد كُذِبوا ؟ قالت معاذ الله، لم تكن الرسل تظن ذلك بربها. قلت : فما هذه الآية؟ قالت : هم أتباع الرسل الذين آمنوا بربهم وصدقوهم، فطال عليهم البلاء واستأخر عنهم النصر، حتى إذا استيأس الرسل ممّن كذَّبهم من قومهم، وظنت الرسل أن أتباعهم قد كذَّبوهم، جاءهم نصر الله عند ذلك"[3].

ففي غزوة الخندق عندما اشتد الكرب على المسلمين، وغزاهم المشركون في عقر دارهم، وحاصروهم حصاراً شديداً، وحفروا الخندق ليحميهم من المشركين، وقد غدر بهم اليهود، وانضموا إلى أعدائهم، وقد وصف القرآن حالهم بدقة في هذا الوقت العصيب[4]، قال تعالى: ﴿**إِذْ جَاؤُوكُم مِّن فَوْقِكُمْ وَمِنْ أَسْفَلَ مِنكُمْ وَإِذْ زَاغَتْ الْأَبْصَارُ وَبَلَغَتِ الْقُلُوبُ الْحَنَاجِرَ وَتَظُنُّونَ بِاللَّهِ الظُّنُونَا * هُنَالِكَ ابْتُلِيَ الْمُؤْمِنُونَ وَزُلْزِلُوا زِلْزَالًا شَدِيدًا**﴾ (الأحزاب : 10-11)، ففي هذا الوقت جاءهم النصر من الله عز وجل قال تعالى : ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَاءتْكُمْ جُنُودٌ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا وَجُنُودًا لَّمْ تَرَوْهَا وَكَانَ اللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرًا**﴾ (الأحزاب : 9)، وقال تعالى : ﴿**وَرَدَّ اللَّهُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِغَيْظِهِمْ لَمْ يَنَالُوا خَيْرًا وَكَفَى اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ الْقِتَالَ وَكَانَ اللَّهُ قَوِيًّا عَزِيزًا**﴾ (الأحزاب : 25).

فقد كفى الله المؤمنين قتال المشركين بإرسال الريح والملائكة التي تدافع عن المؤمنين وهكذا جاءهم النصر وهم في أشد الحاجة إليه.

---

(1) انظر تفسير القرآن الكريم : لابن كثير، 631/2.

(2) عروة بن الزبير : ولد سنة ثلاث وعشرين من الهجرة وهو عروة بن الزبير بن العوام القرشي الأسدي، أبو عبد الله المدني، وهو تابعي جليل، أمه أسماء وخالته أم المؤمنين عائشة، روى عن أبيه الزبير وعن العبادلة ومعاوية والمغيرة وأبي هريرة وأمه وخالته وأم سلمة، وروى عنه جماعة من التابعين، وهو من فقهاء المدينة المعدودين، وهو رجل صالح، لم يدخل في أي فتنة، وكان فقيهاً عالماً ثبتاً حجة عالماً بالسير، وهو أول من صنف في المغازي، توفي سنة أربع وتسعين هجري على المشهور. (انظر البداية والنهاية : لابن كثير، 114/9).

(3) صحيح البخاري، 943/3، كتاب التفسير، باب (حتى إذا استيأس الرسل)، حديث رقم (4695).

(4) المبشرات بانتصار الإسلام : د. يوسف القرضاوي، ص 50.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

الحقيقة الثانية : أن قوة الأمة تكون عند الشدائد :

إن التاريخ يحدثنا أن الأمة مهما بلغت من الضعف إلا أن إيمانها بالله عز وجل يوقظها من سباتها، فتستنهض الهمم، وتظهر القوة الذاتية الموجودة في الإسلام، والتي لا تظهر إلا عند الشدائد والمحن والأزمات، فتكون الأمة أصلب ما تكون عوداً، وأعظم ما تكون صموداً، وأشد ما تكون من القوة، وتفجير الطاقات المكنونة.

ففي غزوة بدر كان المسلمون قلة مستضعفين ولكن الله عز وجل امتن عليهم بالنصر[1]. قال تعالى: ﴿**وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ اللّهُ بِبَدْرٍ وَأَنتُمْ أَذِلَّةٌ فَاتَّقُواْ اللّهَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ**﴾ (آل عمران: 123)، وقال تعالى : ﴿**وَاذْكُرُواْ إِذْ أَنتُمْ قَلِيلٌ مُّسْتَضْعَفُونَ فِي الأَرْضِ تَخَافُونَ أَن يَتَخَطَّفَكُمُ النَّاسُ فَآوَاكُمْ وَأَيَّدَكُم بِنَصْرِهِ وَرَزَقَكُم مِّنَ الطَّيِّبَاتِ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ**﴾ (الأنفال : 26).

سادساً : المبشرات من الواقع :

وهذه المبشرات يجدها المسلم من ناحيتين :

1- انهيار الأنظمة الجاهلية :

إن الأنظمة الجاهلية لا تكاد تصمد في حلبة التاريخ إلا سويعات قليلة، ثم لا تلبث أن تندحر وتزول كالاتحاد السوفيتي الذي هو رأس الشيوعية، وكذلك بداية انهيار النظام الرأسمالي بقيادة أمريكا والتي تشكو اليوم من انهيار ميزانيتها واقتصادها، وهي تفقد كل يوم قتلى في العراق، وكذلك ضعف دولة الكيان الصهيوني، وكثرة قتلاها نتيجة للعمليات الاستشهادية البطولية، وهذه هي سنة الله في الكفرة والمشركين والظالمين، قال تعالى : ﴿**لاَ يَغُرَّنَّكَ تَقَلُّبُ الَّذِينَ كَفَرُواْ فِي الْبِلاَدِ * مَتَاعٌ قَلِيلٌ ثُمَّ مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمِهَادُ**﴾ (آل عمران : 196-197).

يقول ابن كثير رحمه الله في تفسيره لهاتين الآيتين : "لا تنظروا إلى هؤلاء الكفار وما هم مترفين به من النعمة والغبطة والسرور، فعما قليل يزول هذا كله عنهم، ويصبحون مرتهنين بأعمالهم السيئة، فإنما نمد لهم فيما هم فيه استدراجاً[2]، وجميع ما هم فيه ﴿**مَتَاعٌ قَلِيلٌ ثُمَّ مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمِهَادُ**﴾ وهذه الآية كقوله تعالى : ﴿**إِنَّ الَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى اللّهِ الْكَذِبَ لاَ يُفْلِحُونَ * مَتَاعٌ فِي الدُّنْيَا ثُمَّ إِلَيْنَا مَرْجِعُهُمْ ثُمَّ نُذِيقُهُمُ الْعَذَابَ الشَّدِيدَ بِمَا كَانُواْ يَكْفُرُونَ**﴾ (يونس : 69-70)،

---

(1) انظر المبشرات بانتصار الإسلام : د. يوسف القرضاوي، ص 52-53.

(2) الاستدراج : هو ألا يؤخذ العاصي بمعصيته فوراً، وإنما يمده الله بالأموال والأولاد والأرزاق، ثم يمهله، ولكنه بدلاً من شكر النعمة يزيد في طغيانه وكفره وجحوده، عند ذلك يأخذه الله أخذ عزيز مقتدر. (انظر تيسير الكريم الرحمن : للسعدي، ص 646؛ وانظر تفسير القرآن العظيم : لابن كثير، 177/2).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

وقال تعالى: ﴿**نُمَتِّعُهُمْ قَلِيلًا ثُمَّ نَضْطَرُّهُمْ إِلَى عَذَابٍ غَلِيظٍ**﴾ (لقمان: 24)، وقال تعالى: ﴿**فَمَهِّلِ الْكَافِرِينَ أَمْهِلْهُمْ رُوَيْدًا**﴾ (الطارق : 17)، وقال تعالى : ﴿**أَفَمَن وَعَدْنَاهُ وَعْدًا حَسَنًا فَهُوَ لَاقِيهِ كَمَن مَّتَّعْنَاهُ مَتَاعَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ثُمَّ هُوَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مِنَ الْمُحْضَرِينَ**﴾ (القصص : 61)"[1]. فمتاع الكفار في هذه الدنيا زائل لا محالة وهذا ما تؤكده الآيات السابقة.

كذلك فإن لهم عذاب في الدنيا قبل عذابهم في الآخرة ولا أحد ينصرهم من دون الله – تعالى، قال تعالى : ﴿ **فَأَمَّا الَّذِينَ كَفَرُواْ فَأُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ وَمَا لَهُم مِّن نَّاصِرِينَ**﴾ (آل عمران : 56). وهذه بشارة للمؤمنين بأن الله سيعذب الكافرين في الدنيا، ولن ينصرهم أبداً.

والناظر اليوم لحال اليهود وكيانهم المسخ، فإنهم وإن تظاهروا بالقوة، فإن الخوف يعشعش في داخلهم، حتى غدت الأمراض النفسية مستشرية في جنودهم، وقد طالب عدد كبير منهم بالإعفاء من الخدمة العسكرية بسبب هاجس الخوف من ضربات المقاومين وكذا الحال في العراق وأفغانستان.

ولعل سائل يسأل لماذا لم يهلك الله تعالى الأمريكان مرة واحدة بالرغم من ظلمهم وطغيانهم الشديد؟

ويرد ابن القيم[2] رحمه الله في حديثه عن الأمم السابقة التي أهلكها الله عز وجل: "فإذا أراد إهلاكهم ولا بد، أحدث سبباً آخر يتحتم معه الهلاك، ألا ترى أن ثموداً لم يهلكهم بكفرهم السابق حتى أخرج لهم الناقة فعقروها فأهلكوا حينئذ. وقوم فرعون لم يهلكهم بكفرهم السابق بموسى حتى أراهم الآيات المتتابعات، واستحكم بغيهم وعنادهم فحينئذٍ أهلكوا.

وكذلك قوم لوط لما أراد هلاكهم أرسل الملائكة إلى لوط في صورة الأضياف فقصدوهم بالفاحشة، ونالوا من لوط وتواعدوه، وكذلك سائر الأمم إذا أراد الله هلاكها أحدث لها بغياً وعدواناً يأخذها على أثره.

وهذه سنته سبحانه وتعالى مع عباده عموماً وخصوصاً، فيعصيه العبد وهو يحلم عنه، ولا يعاجله حتى إذا أراد أخذه قيض له عملاً يأخذه به مضافاً إلى أعماله الأولى، فيظن الظان أنه أخذه بذلك العمل وحده، وليس كذلك، بل حق عليه القول بذلك، وكان قبل ذلك لم يحق عليه

---

(1) تفسير القرآن العظيم : لابن كثير، 576/1-577 (بتصرف بسيط).

(2) شفاء العليل : لابن قيم الجوزية، 143/1-144 (بتصرف بسيط).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

القول بأعماله الأولى، حيث عمل ما يقتضي ثبوت الحق عليه، ولكنه لم يحكم به أحكم الحاكمين ولم يُمضِ الحكم، فإذا عمل بعد ذلك ما يقرر غضب الرب عليه أمضى حكمه عليه، وأنفذه، قال تعالى : ﴿**فَلَمَّا آسَفُونَا انتَقَمْنَا مِنْهُمْ**﴾ (الزخرف : 55)، وقد كانوا قبل ذلك أغضبوه بمعصية رسوله، ولكن لم يكن غضبه سبحانه قد استقر واستحكم عليهم إذ كان بصدد أن يزول بإيمانهم، فلما أيِسَ من إيمانهم تقرر الغضب واستحكم فحلّت العقوبة".

قال رسول الله ﷺ : "إن الله ليملي للظالم، حتى إذا أخذه لم يفلته" قال : ثم قرأ : ﴿**وَكَذَلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَا أَخَذَ الْقُرَى وَهِيَ ظَالِمَةٌ إِنَّ أَخْذَهُ أَلِيمٌ شَدِيدٌ**﴾ (هود : 102)"[1].

وهذه بشارة للمسلمين عامة ولأهل فلسطين خاصة بأن الله سيهلك اليهود، ويُسقط دولتهم، وكذلك يسقط من والاها من الأمريكان وهم الذين يمدون دولة الصهاينة بكل شيء، فالباطل وأعوانه إلى زوال بإذن الله تعالى.

2- المبشرات من الصحوة الإسلامية :

والصحوة الإسلامية تعني : "العودة الصحيحة إلى الله تعالى عقيدة وعبادة ومنهجاً وحكماً، والعودة إلى ما كان عليه السلف الصالح، بعيداً عن الانحرافات المذهبية والشطحات العقدية والخلافات السياسية"[2].

فالصحوة الإسلامية بدأت تعم جميع بلاد العالم، ومن مظاهرها :

1- كثرة الملتزمات، المرتديات للحجاب الإسلامي، وكذلك كثرة المنتقبات.
2- انتشار الأشرطة الإسلامية بين الشباب سواء الخطب الدينية أو الأناشيد الإسلامية.
3- وجود القنوات الفضائية الإسلامية بكثرة بعد أن لم تكن من قبل عدة سنوات.
4- وجود المواقع الإسلامية بكثرة على الإنترنت واستخدامها في نشر الإسلام في جميع أنحاء العالم.
5- الإقبال الشديد على المساجد سواء من الرجال أو النساء.
6- تعلق الناس بحفظ القرآن الكريم وتزايد الحلقات والبرامج الخاصة بذلك والتي تُوجت هذا العام بتخريج آلاف الحافظين، والحافظات لكتاب الله تعالى خلال شهرين، والذي لم يحدث قبل ذلك في أي زمن من الأزمان.
7- ظاهرة حب الشهادة والاستشهاد بين شباب المسلمين وهذا لم يكن قبل سنوات عدة.

---

(1) صحيح البخاري، 941/3، كتاب التفسير، باب : "**كَذَلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَا أَخَذَ الْقُرَى وَهِيَ ظَالِمَةٌ إِنَّ أَخْذَهُ أَلِيمٌ شَدِيدٌ**"، حديث رقم (4686).

(2) التمكين للأمة الإسلامية في ضوء القرآن الكريم : محمد يوسف، ص 288.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

8- كثرة الخنساوات وخاصة في فلسطين، واللواتي يربين أبناءهن على حب الجهاد والاستشهاد ومنهن من تستقبل خبر استشهاد ابنها بالزغاريد، وتتمنى استشهاد جميع أبنائها في سبيل الله.

9- وجود جيل إسلامي يلتزم الإسلام عقيدة ومنهجاً وسلوكاً ودعوة وجهاداً، وهذا الجيل ينمو ويزداد، يوماً بعد يوم في أنحاء العالم الإسلامي.

10- امتداد الزحف الإسلامي إلى داخل بلاد الكفر وانتشاره هناك[1].

11- انتشار الدعوة الإسلامية في صفوف المثقفين من الأطباء والمهندسين والمحامين والمعلمين، ومن طلاب الجامعات في جميع التخصصات.

12- عودة الكثير من الشباب إلى الإسلام وخاصة ممن كانوا ينضمون للأحزاب الشيوعية والقومية، وانضمامهم للحركة الإسلامية كما يرى في الجزء المحتل من فلسطين عام 1948م.

13- وكذلك من مظاهر الصحوة الإسلامية الفوز الساحق الذي تحققه الحركة الإسلامية في النقابات المهنية، ومجالس الطلبة في الجامعات والمعاهد في كثير من بلاد الإسلام، رغم ما تتخذه الأنظمة الحاكمة من إجراءات سلبية ضد رجال الدعوة الإسلامية وشبابها.

14- مظاهر الحياة الإسلامية في الأفراح والأحزان.

15- رواج الكتاب الإسلامي أكثر من غيره من الكتب في الأسواق، وكساد غيره من الكتب والقصص الهابطة.

16- كثرة الحجاج والمعتمرين إلى بيت الله الحرام وخاصة من الشباب بعد أن كان الحج والعمرة مقتصراً على كبار السن فقط.

17- توبة عدد كبير من الممثلين والممثلات، والمغنين والمغنيات وعودتهم إلى الإسلام.

18- أن الكثير من الشباب الذين يتعلمون في الخارج خاصة في البلاد الأجنبية -أوروبا وأمريكا- عادوا إلى الإسلام فهماً وعملاً ودعوة، ولم يتأثروا بالحضارة الغربية اللادينية، وكونوا اتحاد الطلبة المسلمين في أمريكا، الذي يتشكل من عشرات الآلاف من الشباب المسلم وقد بدأ سنة 1965م بثلاثة عشر طالباً[2].

19- تحرير قطاع غزة وحكمها بالإسلام.

وهكذا يتبين أن المبشرات بالنصر والتمكين كثيرة في القرآن الكريم والسنة النبوية، ومن خلال الفطرة والتاريخ والواقع وهذا مما يحفز المسلمين على الاستمرار في الطريق الصحيح من الالتزام بشريعة الله، والثبات على ذلك والاستزادة من الخير، والتنقية من الشوائب حتى يبقى الصف المسلم قوياً، ويتحقق ما وعد الله به ورسولهﷺ، من النصر والتمكين والذي كانت أوائل بشائره في غزة هاشم.

---

(1) التمكين للأمة الإسلامية في ضوء القرآن الكريم : محمد يوسف ، ص 294.

(2) انظر حاضر العالم الإسلامي : د. صالح الرقب، ص 336.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

الخاتمة

أحمد الله تعالى حمداً كثيراً، كما ينبغي لجلال وجهه وعظيم سلطانه لما وفقني إليه من إتمام هذا البحث المتواضع ﴿**وَمَا تَوْفِيقِي إِلاَّ بِاللّهِ**﴾ (هود : 88)، وما كان من تقصير فمن، نفسي والشيطان وأرجو من الله المغفرة، والقبولَ والسداد، وأسأله تعالى أن يجعل هذا العمل خالصاً لوجهه الكريم، وأن ينفعني به في يوم لا ينفع فيه مال ولا بنون، إلا من أتى الله بقلب سليم.

وفي ختام هذا البحث تشير الباحثة إلى أهم النتائج التي توصلت إليها :

- إن قصة يوسف عليه السلام هي من أحسن القصص في القرآن الكريم لاحتوائها على درر ثمينة، وكنوز عظيمة تظهر لمن قرأها وتمعن فيها، وأخلص النية لله تعالى عند تلاوتها، وهي مليئة بالدروس التربوية والاجتماعية والروحية والتشريعية والاقتصادية والسياسية والدعوية.
- الغاية العليا من بناء النفس هو تحقيق رضا الله تعالى، وهي غاية شاملة لجميع الغايات لقوله تعالى حكاية عن موسى عليه السلام : ﴿**وَعَجِلْتُ إِلَيْكَ رَبِّ لِتَرْضَى**﴾ (طه : 84)، وهذه الغاية مرتبطة ارتباطاً وثيقاً بتوحيد الله عز وجل في الأرض وعدم الإشراك به.
- لقد نالت وسائل الهدم من ديننا وعقيدتنا، ودخلت في أمور كثيرة غير متوقعة حتى وصلت إلى لباس الأطفال عدا عن لباس النساء، وهذا كله بالتخطيط التام بوسائل مقصودة، بحيث أينما يتوجه المسلم، فإنه إن لم ينتبه، فإنه سيقع فيما يضعه الأعداء ويُحكمون التخطيط له.
- الشخصية المسلمة: هي الشخصية التي جعلت الأنبياء وخاتمهم محمداً ﷺ قدوتُها في كل شيء، وهي الشخصية الوحيدة التي تُوسم بأنها سوية في صفاتها وخصائصها وطبائعها واختيارها وموازينها، بحيث لم تُمْسَخْ فِطْرَتُها، ولم تُشوه جبلتها، وهي تسعى لتكون كما أرادها الله تعالى.
- إن قوة الإيمان بالله، وقوة العقيدة عند الإنسان هي التي تجعله يصبر على الآلام ويحتمل كل ما يواجهه في دروب حياته، وهذا واضحاً بيناً في سورة يوسف.
- الصبر الجميل هو الصبر المُطَمئن، الذي لا يصاحبه السخط، ولا القلق ولا الشك في صدق الوعد، صبر الواثق من العاقبة، الراضي بقدر الله تعالى، الشاعر بحكمته من وراء الابتلاء، الموصول بالله، المحتسب كل شيء عنده سبحانه وتعالى وهذا الصبر جدير بالدعاة إلى الله التحلي به، قال تعالى: ﴿**إِنَّمَا يُوَفَّى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُم بِغَيْرِ حِسَابٍ**﴾ (الزمر: 10).
- إن الثقة بالله والتوكل عليه شيئان مترابطان معاً برباط وثيق، فكلما ازدادت الثقة بالله في نفس المؤمن كلما ازداد توكله على الله، والعكس صحيح، كلما قلت الثقة كان التوكل على الله ضعيفاً.
- إن ثقة سيدنا يعقوب عليه السلام بربه جعلته يوقن بأن ابنه يوسف عليه السلام حياً يرزق بالرغم من السنين الطوال التي غابها عن ناظره، وهذا واضح من قوله ﴿**اذْهَبُواْ فَتَحَسَّسُواْ مِن يُوسُفَ**

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

وَأَخِيهِ﴾ (يوسف : 87)، وأن صدق توكله عليه السلام جعل النهاية محمودة، بحيث التقى بابنه يوسف عليه السلام، بعد أن رد الله إليه بصره بواسطة القميص المعجزة، وكذلك أصلح الله له أبناءه فقد طلبوا منه المسامحة، قال تعالى على لسانهم : ﴿**يَا أَبَانَا اسْتَغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا إِنَّا كُنَّا خَاطِئِينَ**﴾ (يوسف : 97).

- رجحت الباحثة الرأي القائل بأن إخوة يوسف عليه السلام ليسوا بأنبياء، نتيجة للأعمال التي قاموا بها من حسد وإقدام على القتل والكذب، وإلقاء أخاهم يوسف عليه السلام في البئر، فالقول بأنهم أنبياء مع هذه الأمور كلها غير مقبول، حيث إن سيرة الأنبياء التي أُثرت عنهم قبل نبواتهم تشهد بأنهم من أبعد الناس عن المعاصي سواء كبائرها أو صغائرها.
- رجحت الباحثة نوع الوحي المقصود في قوله تعالى : ﴿**وَأَوْحَيْنَآ إِلَيْهِ لَتُنَبِّئَنَّهُم بِأَمْرِهِمْ هَـذَا وَهُمْ لاَ يَشْعُرُونَ**﴾ (يوسف : 15) بأنه وحي إلهام وليس وحي نبوة ورسالة، حيث إن الوحي من نوع النبوة والرسالة يقتضي التكليف بالدعوة وحينها لم يكن سيدنا يوسف عليه السلام غير قادر على ذلك، كونه طفلاً، محبوساً في بئر، منقطع عن البشر.
- إن هم يوسف عليه السلام الوارد في قوله تعالى : ﴿**وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِ وَهَمَّ بِهَا**﴾ (يوسف : 24) إنما هو هم نفس وليس هم فعل والفرق بينهما كبير.
- سيدنا يوسف عليه السلام ابتلي بجميع أنواع الابتلاء من حسد إخوته وإلقائه في البئر، وبيعه رقيقاً وانقطاعه عن أهله ووطنه، كذلك فتنة زوجة العزيز، وصويحباتها، وإيداعه السجن ظلماً وعدواناً، ثم صبره على نعمة التمكين والملك، صبر العفيف النقي الطاهر ودعائه بالثبات على الدين بعد نجاحه في الاختبار، ليسطر أروع آيات الصبر والعظمة وقوة الشخصية المستمدة من الإيمان الراسخ والعقيدة الصحيحة.
- لا يكون المؤمن تقياً إلا بالصبر، ولا محسناً إلا بالتقوى ولا بهم جميعاً إلا بالإيمان القوي والتوحيد الخالص لله تعالى ولا يتحلى بهذه الصفات جميعاً إلا من اختصهم الله بفضله ورحمته ﴿**قُلْ بِفَضْلِ اللّهِ وَبِرَحْمَتِهِ فَبِذَلِكَ فَلْيَفْرَحُواْ هُوَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ**﴾ (يونس : 58).
- النصر لا يأتي إلا من عند الله تعالى وليس من قِبل أمريكا أو السلام مع العدو الغاصب، وأنه لا بد من العمل بأسبابه من رجوع لله وطاعة له سبحانه، وجهاد في سبيله، وتَوَحُد على كتاب الله وسنة رسوله ﷺ وتقوى الله، والولاء لله ولرسوله وللمؤمنين، ثم التخلص من أسباب الهزيمة من ذنوب ومعاصي، وفُرقة وغرور ورياء وتعاون مع العدو، وموالاة أعداء الله، وبعد عن الدين.
- إن مبشرات النصر والتمكين كثيرة، ومنها ما هو في كتاب الله تعالى، ومنها ما هو في أحاديث الرسول ﷺ، ومنها ما هو من التاريخ والفطرة والواقع، وما على المسلم إلا أن يزيد في عمله، وطاعته، وجده واجتهاده في سبيل إعلاء كلمة (لا إله إلا الله محمد رسول الله) حتى يلقى الله تعالى وهو راضٍ عنه.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

توصيات الباحثة :

1- أوصي كل مسلم ببناء شخصيته من خلال التمسك بالعقيدة الإسلامية، وعمل الطاعات، وترك المنكرات، والتزام جماعة المسلمين المتمسكة بكتاب الله وسنة رسوله ﷺ.

2- العنايةُ التامة بدراسة قَصَص الأنبياء دراسة متأنية، وعمل البحوث في قصة كل نبي على حدة، بتحليلها والاستفادة منها في الواقع المعاصر، وذلك للاقتداء بهم، ويستعان في ذلك بكتب التفسير مع تجنب ما هو موضوع ومكذوب، وكذلك الاستعانة بالأحاديث الصحيحة عن الرسول ﷺ.

3- الإكثار من عمل الدروس والمحاضرات المبشرة بالنصر والتمكين، وتعريف المسلمين بسنن الله في هذا الكون، ليكونوا على دراية تامة بما يحدث من أمور مبشرة بالخير بإذن الله تعالى.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

المصادر والمراجع

- **القرآن الكريم.**

أولاً : الكتب :

1- الابتلاء والمحن في الدعوات : د. محمد أبو فارس، دار الفرقان، الطبعة الأولى، 1407هـ-1986م.

2- إتحاف السادة المتقين بشرح إحياء علوم الدين : محمد الحسيني الزبيدي الشهير بمرتضى، دار الكتب العربية، بيروت، لبنان، 1409هـ-1989م.

3- أثر الذنوب في هدم الأمم والشعوب : محمد محمود الصواف، دار الاعتصام، دون طبعة أو تاريخ.

4- أجنحة المكر الثلاثة : عبد الرحمن حبنكة الميداني، دار القلم، دمشق، الطبعة الثامنة، 1420هـ-2000م.

5- أحسن القصص دروس وعبر : عبد العظيم الخلفي، دار ابن رجب، الطبعة الأولى، 1421هـ-2001م.

6- أحكام القرآن : لأبي بكر محمد بن عبد الله المعروف بابن العربي، تحقيق علي البيجاوي، دار الفكر (بدون طبعة أو تاريخ).

7- إحياء علوم الدين : للإمام أبي حامد الغزالي، دار الشعب، دون طبعة أو تاريخ.

8- الأخلاق الإسلامية وأسسها : عبد الرحمن الميداني، دار القلم، دمشق، الطبعة الثالثة، 1413هـ-1992م.

9- أساليب الغزو الفكري للعالم الإسلامي : د. علي جريشة، محمد الزيبق، دار الاعتصام، الطبعة الثانية، 1398هـ-1978م.

10- أسباب النزول : للإمام أبي الحسن علي الواحدي، تحقيق : أيمن شعبان، دار الحديث، القاهرة، 1424هـ-2003م.

11- أسد الغابة في معرفة الصحابة : لابن الأثير الجزري، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، طبعة مجددة، 1423هـ-2003م.

12- الأسلوب التربوي للدعوة إلى الله في العصر الحاضر : خالد الخياط، دار المجتمع للنشر والتوزيع، الطبعة الأولى، 1412هـ-1991م.

13- أسماء الله الحسنى : د. وجيه يعقوب السيد، المؤسسة العربية الحديثة للطبع والنشر والتوزيع، دون رقم طبعة أو تاريخ.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

14- الأسماء والصفات : لابن تيمية، تحقيق مصطفى عطا، منشورات محمد بيضون، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، 1418هـ-1998م.
15- أصول الدين : لأبي منصور عبد القاهر البغدادي، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، الطبعة الثالثة، 1401هـ-1981م.
16- الأهداف الرئيسية للدعاة إلى الله : إشراف : أحمد القطان، جاسم المهلهل، دار الدعوة، الكويت، الطبعة الأولى، 1409هـ-1989م.
17- الإيمان (أركانه، حقيقته، نواقضه) : د. محمد ياسين، مكتبة السنة، الطبعة الأولى، 1412هـ-1991م.
18- الإيمان طريقنا إلى النصر : محمد نمر الخطيب، دون دار للطبع، الطبعة الثانية، 1390هـ-1970م.
19- البداية والنهاية : للإمام الحافظ إسماعيل بن كثير الدمشقي، تحقيق حامد الطاهر، دار الفجر للتراث، القاهرة، الطبعة الأولى، 1424هـ-2003م.
20- تاريخ المذاهب الإسلامية : للإمام محمد أبو زهرة، دار الفكر التربوي.
21- التبيان شرح أركان الإيمان : د. سعد عاشور، مكتبة المنارة، غزة، الطبعة الأولى، 1426هـ-2006م.
22- التحرير والتنوير : للإمام محمد الطاهر ابن عاشور، دار سحنون للنشر والتوزيع، تونس، دون طبعة أو تاريخ.
23- التعريفات : علي بن محمد الحسيني الجرجاني الحنفي، تحقيق : نصر الدين التونسي، شركة القدس للتصدير، الطبعة الأولى، 2007م.
24- تفسير البحر المحيط : لأبي حيان الأندلسي، دراسة وتحقيق : عادل عبد المقصود، عادل معوض، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، 1413هـ-1993م.
25- تفسير الخازن المسمى لباب التأويل في معاني التنزيل : لعلاء الدين علي بن محمد بن إبراهيم البغدادي الشهير بالخازن، دار الفكر، 1399هـ-1979م.
26- تفسير القرآن الحكيم : محمد رشيد رضا، دار المعرفة للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، الطبعة الثانية، دون تاريخ.
27- تفسير القرآن العظيم : للإمام الحافظ إسماعيل ابن كثير، دار الفكر، 1401هـ-1981م.
28- تفسير القرآن العظيم : للإمام الحافظ إسماعيل ابن كثير، طبعة ثانية، تحقيق : أنس الشامي، محمد محمد، دار البيان العربي، 2006م.
29- تفسير القرآن الكريم : د. عبد الله شحاتة، دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع، بدون طبعة أو تاريخ.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

30- التفسير القرآني للقرآن : عبد الكريم الخطيب، دار الفكر العربي.
31- التفسير الكبير : للإمام أحمد بن عبد الحليم بن تيمية، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.
32- التفسير الكبير : للإمام فخر الدين الرازي، دار الكتب العلمية، لبنان، الطبعة الثانية.
33- تفسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان : للشيخ عبد الرحمن السعدي، دار الفكر، الطبعة الأولى، 1423هـ-2002م.
34- التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج : وهبة الزحيلي، دار الفكر بدمشق، الطبعة الثانية، 1424هـ2003م.
35- التمكين للأمة الإسلامية في ضوء القرآن الكريم : محمد السيد يوسف، دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع والترجمة، الطبعة الأولى، 1418هـ-1997م.
36- تهذيب مدارج السالكين : لابن قيم الجوزية هذبة، عبد المنعم العزي، دون دار طبع أو تاريخ.
37- التوحيد : للشيخ صالح الفوزان، طبع على نفقة مؤسسة الحرمين الخيرية، المملكة العربية السعودية.
38- ثلاث كلمات في الإخلاص والإحسان والالتزام بالشريعة : عبد المحسن العباد، مكتبة التوعية الإسلامية للطباعة والنشر والتوزيع، الطبعة الأولى، 1408هـ.
39- جامع البيان في تفسير القرآن : لأبي جعفر بن جرير الطبري، ضبط وتوثيق : صدقي العطار، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، ط1، 1421هـ-2001م.
40- جامع العلوم والحكم : لأبي الفرج الحنبلي البغدادي، دار التربية، بغداد، الطبعة الأولى، 1421هـ-2001م.
41- الجامع لأحكام القرآن : لأبي عبد الله القرطبي، تحقيق : أبو إسحاق اطفيش، (دون دار للطباعة)، الطبعة الثانية، شعبان 1376هـ-1957م.
42- الجامع لأحكام القرآن : لأبي عبد الله القرطبي، دار الكتب العلمية، الطبعة الأولى، 1408هـ-1988م.
43- الجامع لأسماء الله الحسنى (لابن قيم الجوزية - القرطبي) : حامد الطاهر، دار الفجر للتراث، الطبعة الأولى، 1422هـ-2002م.
44- حادي الأرواح إلى بلاد الأفراح : للإمام شمس الدين محمد بن أبي بكر ابن قيم الجوزية، دار الحديث، القاهرة، 1425هـ-2004م.
45- حقيقة التقوى وطرق الوصول إليها على ضوء القرآن الكريم والسنة الصحيحة : محمود الأطرش، دار الإيمان، دون طبعة أو تاريخ.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

46- حلية الأولياء : لأبي نعيم الأصفهاني، دار الكتاب العربي، بيروت، الطبعة الرابعة، 1405هـ.
47- خلق المسلم : محمد الغزالي، دار القلم، دمشق، بيروت، طبعة دار القلم الثانية، 1400هـ-1980م.
48- دراسات في الفرق : د. صابر طعيمة، مكتبة المعارف، الرياض، الطبعة الثانية، 1404هـ-1983م.
49- دراسات في القصص القرآني : د. عبد المنعم القصاص، دار الطباعة المحمدية، الطبعة الأولى، 1413هـ-1992م.
50- دعوة الرسل إلى الله تعالى : محمد أحمد العدوي، دار المعرفة، بيروت، لبنان، 1418هـ-1997م.
51- الرحيق المختوم : للشيخ صفي الرحمن المباركفوري، دار إحياء التراث، دون طبعة أو تاريخ.
52- ركائز الإيمان بين العقل والقلب : محمد الغزالي، دار الشعب، دون طبعة أو تاريخ.
53- روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني : العلامة أبي الفضل شهاب الدين السيد محمود الألوسي البغدادي، ضبطه وصححه : علي عطية، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، 1415هـ-1994م.
54- روضة المحبين ونزهة المشتاقين : لابن قيم الجوزية، دار الكتب العلمية، بيروت، 1412هـ-1992م.
55- زاد المرابطين : دون مؤلف أو دار للطبع، الطبعة الأولى، 1425هـ-2004م.
56- زاد المسير في علم التفسير : للإمام أبي الفرج عبد الرحمن ابن الجوزي، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، 1422هـ-2001م.
57- زاد المعاد في هدي خير العباد : لابن قيم الجوزية، تحقيق : العلامة ناصر الدين الألباني، مكتبة الصفا، ط1، 1425هـ-2004م.
58- الزلازال من مرصد الإسلام : الزهراء فاطمة بنت عبد الله، دون دار للطباعة أو تاريخ.
59- سنن أبي داود : للإمام الحافظ أبي داود سليمان السجستاني الأزدي، حكم على أحاديثه : محمد ناصر الدين الألباني، الطبعة الأولى، بدون تاريخ.
60- السنن الإلهية في الأمم والجماعات والأفراد : د. عبد الكريم زيدان، مؤسسة الرسالة، الطبعة الثالثة، 1423هـ-2002م.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

61- سنن الترمذي : للإمام الحافظ محمد بن عيسى الترمذي، حكم على أحاديثه : العلامة محمد ناصر الدين الألباني، مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، الرياض، الطبعة الأولى، دون تاريخ.
62- سورة يوسف دراسة تحليلية : د. أحمد نوفل، دار الفرقان للنشر والتوزيع، الطبعة الثانية، 1420هـ-1999م.
63- سير أعلام النبلاء : للإمام الذهبي، تحقيق : شعيب الأرنؤوط، محمد العرقوسي، مؤسسة الرسالة، الطبعة الحادية عشرة، 1422هـ-2001م.
64- السيرة النبوية : لابن هشام، تحقيق : مصطفى السقا، إبراهيم الأبياري، عبد الحفيظ شلبي، بدون طبعة أو تاريخ.
65- الشباب المسلم في مواجهة التحديات : د. عبد الله علوان، دار القلم بدمشق، الطبعة الرابعة، 1423هـ-2002م.
66- شخصية المسلم كما يصوغها الإسلام في الكتاب والسنة : د. محمد الهاشمي، الاتحاد العالمي الإسلامي للمنظمات الطلابية، 1413هـ-1993م.
67- شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة : للإمام أبي القاسم هبة الله اللالكائي، تحقيق : سيد عمران، دار الحديث، القاهرة، 1425هـ-2004م.
68- شرح أصول العقيدة الإسلامية : د. نسيم ياسين، مكتبة ومطبعة المنارة، الطبعة الرابعة، 1425هـ-2005م.
69- شرح العقيدة الطحاوية : حققها وراجعها جماعة من العلماء، خرج أحاديثها محمد ناصر الدين الألباني، المكتب الإسلامي، الطبعة الثامنة، 1404هـ-1984م.
70- شرح رياض الصالحين : للإمام يحيى بن شرف النووي، شرحه الشيخ محمد بن صالح العثيمين، طبعة محققة ومخرجة الأحاديث، وعليها تعليقات الشيخ الألباني على الأحاديث، مكتبة الإيمان، دون تاريخ.
71- الشريعة : للإمام أبي بكر محمد بن الحسين الآجري، تحقيق : محمد الفقي، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، 1403هـ-1983م.
72- شفاء العليل في مسائل القضاء والقدر والحكمة والتعليل : لابن قيم الجوزية، مكتبة السوادي للتوزيع، الطبعة الثانية، 1415هـ-1995م.
73- الصبر في القرآن : د. يوسف القرضاوي، طبع على نفقة أحد المحسنين بالتعاون مع جمعية قطر الخيرية، 1995م.
74- الصحوة الإسلامية منطلق الأصالة وإعادة بناء الأمة على طريق الله : أنور الجندي، دار الاعتصام، دون طبعة أو تاريخ.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

75- صحيح البخاري : للإمام عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري، حققه على نسخة مخطوطة كاملة وعلق عليه : د. محمد محمد تامر، دار البيان العربي، الطبعة الأولى، 1426هـ-2005م.
76- صحيح قصص القرآن : حامد البسيوني، دار الحديث، القاهرة، 1426هـ-2005م.
77- صحيح مسلم : للإمام أبي الحسين مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، طبعة كاملة لونان، الطبعة الأولى، 1421هـ2001م.
78- صحيح مسلم بشرح النووي : للإمام محيي الدين أبي زكريا يحيى بن شرف النووي، خرج أحاديثه : محمد بن عبد الحليم، مكتبة الصفا، الطبعة الأولى، 1424هـ-2003م.
79- صفوة إحياء الغزالي : محمود قراعة، دون دار نشر، 1353هـ-1935م.
80- صفوة التفاسير : محمد علي الصابوني، دار الصابوني للطباعة والنشر والتوزيع، الطبعة التاسعة، بدون تاريخ.
81- صفوة التفاسير بعد تجريده من البيان للصابوني : جرده : عبد الله الأنصاري، دار الصابوني، دون طبعة أو تاريخ.
82- صلاح الدين الأيوبي : عبد الله علوان، دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع والترجمة، الطبعة السابعة، 1408هـ-1987م.
83- صلاح الدين الأيوبي : عبد الله علوان، دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع والترجمة، الطبعة السابعة، 1408هـ-1987م.
84- طريق الدعوة في ظلال القرآن : أحمد فايز، مؤسسة الرسالة، دون رقم طبعة، 1400هـ-1980م.
85- الطريق إلى الله (التوكل) : د. يوسف القرضاوي، مكتبة وهبة، الطبعة الخامسة، 1425هـ-2004م.
86- العبادة في الإسلام : د. يوسف القرضاوي، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة الثالثة، 1393هـ-1973م.
87- عدة الصابرين : للإمام ابن قيم الجوزية، تحقيق : محمد إسماعيل، دار إحياء الكتب العربية، فيصل عيسى الحلبي، دون طبعة أو تاريخ.
88- العقائد : للإمام حسن البنا، الاتحاد العالمي للمنظمات الإسلامية، 1404هـ-1984م.
89- العقيدة الإسلامية وأسسها : عبد الرحمن حبنكة الميداني، دار القلم، دمشق، الطبعة الثانية، 1399هـ-1979م.
90- عقيدة المؤمن : أبي بكر الجزائري، مكتبة العلوم والحكم، المدينة المنورة، الطبعة الأولى، 1420هـ-1999م.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

91- العقيدة في الله : د. عمر الأشقر، دار النفائس للنشر والتوزيع، الأردن، 1422هـ-2001م.
92- العقيدة وأثرها في بناء الجيل : د. عبد الله عزام، منشورات دار الحديث الشريف بالقدس، دون طبعة أو تاريخ.
93- علم النفس بين الشخصية والفكر : كامل عويضة، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، 1416هـ-1996م.
94- علماء العقيدة في الإسلام : أحمد حميد، دار السلام، الطبعة الأولى، 1424هـ-2003م.
95- عوامل النصر : د. أحمد بحر، دون دار للنشر أو رقم طبعة، 1424هـ-2003م.
96- غايات البناء والهدم: د. عبد الله الأهدل، دار ابن حزم، الطبعة الأولى، 1425هـ-2005م.
97- فتح الباري بشرح صحيح البخاري : للإمام أحمد بن حجر العسقلاني، مكتبة الصفا، الطبعة الأولى، 1424هـ-2003.
98- فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير : محمد بن علي الشوكاني، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، دون رقم طبعة أو تاريخ.
99- فقه التمكين في القرآن الكريم : د. علي الصلابي، دار الوفاء، الطبعة الأولى، 1421هـ-2001م.
100- فقه السيرة : محمد سعيد رمضان البوطي، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، 1410هـ-1990م.
101- الفوائد : للإمام ابن قيم الجوزية، تحقيق : طه سعد، دار إحياء الكتب العلمية، فيصل عيسى الحلبي، دون تاريخ.
102- في ظلال القرآن : سيد قطب، (المجلد الأول والثاني)، دار الشروق، الطبعة الشرعية الخامسة عشرة، 1408هـ-1988م.
(المجلد الثالث والرابع والخامس)، دار الشروق، الطبعة الثانية عشرة، 1406هـ-1986م.
(المجلد السادس)، دار الشروق، بيروت، دون طبعة أو تاريخ.
103- في موكب النبيين (دراسة تحليلية هادفة لسير الأنبياء) : سيد الكيلاني، دار القلم، الكويت، الطبعة الأولى، 1404هـ-1984.
104- القاموس المحيط : مجد الدين الفيروز آبادي، دار الجيل، بيروت، دون طبعة أو تاريخ.
105- قبس من نور القرآن الكريم (دراسة تحليلية موسعة بأهداف ومقاصد السور الكريمة) : محمد علي الصابوني، دار القلم، دمشق، الطبعة الأولى، 1409هـ-1988م.
106- قرآن كريم تفسير وبيان مع أسباب النزول للسيوطي : د. محمد حسن الحمصي، دار الرشيد، دمشق، بيروت، دون طبعة أو تاريخ.
107- القصة في القرآن الكريم : د. محمد سيد طنطاوي، نهضة مصر للطباعة والنشر، 2001م.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

108- قصص الأنبياء : للإمام إسماعيل بن كثير، تحقيق : سيد رجب، دار ابن رجب، الطبعة الأولى، 1422هـ-2002م.
109- قصص الأنبياء : للشيخ عبد الرحمن بن ناصر السعدي، تحقيق : أبي محمد أشرف عبد المقصود، أضواء السلف، الطبعة الأولى، 1422هـ-2002م.
110- الكبائر : للإمام شمس الدين محمد الذهبي، حققه وخرج أحاديثه : بشير محمد عيون، مكتبة دار البيان، الطبعة الأولى، 1422هـ-1991م.
111- كتاب العين : أبي عبد الرحمن الفراهيدي، تحقيق : د. مهدي المخزومي، د. إبراهيم السامرائي، دار مكتبة الهلال، دون طبعة أو تاريخ.
112- كيف نتعامل مع القرآن : محمد الغزالي في مُدارسة أجراها : الأستاذ عمر حسنة، دار الوفاء للطباعة والنشر والتوزيع، الطبعة الأولى، 1412هـ-1992م.
113- لباب النقول في أسباب النزول : للإمام السيوطي، تحقيق : د. محمد تامر، دار العنان، الطبعة الأولى، دون تاريخ.
114- لسان العرب : جمال الدين ابن منظور، دار المعارف، دون طبعة أو تاريخ.
لسان العرب : جمال الدين ابن منظور، دار صادر، بيروت، دون طبعة أو تاريخ.
115- لمعة الاعتقاد : لابن قدامة المقدسي، المكتب الإسلامي، الطبعة الرابعة، 1391هـ.
116- ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين : لأبي الحسن الندوي، مكتبة السنة، طبعة جديدة، 1410هـ-1990م.
117- المبشرات بانتصار الإسلام : د. يوسف القرضاوي، المكتب الإسلامي، الطبعة الثانية، 1418هـ-1998م.
118- مجمل أصول أهل السنة والجماعة في العقيدة : د. ناصر العقل، دار الوطن للنشر، الطبعة الأولى، شوال 1411هـ.
119- مجموع الفتاوي : لابن تيمية، اعتنى بها وخرج أحاديثها : عامر الجزار، أنور الباز، دار الوفاء، دار الحديث، القاهرة، الطبعة الثانية، 1421هـ-2001م.
120- محاضرات إسلامية هادفة : د. عمر الأشقر، دار النفائس للنشر والتوزيع، الطبعة الأولى، 1418هـ-1997م.
121- مختار الصحاح : محمد أبي بكر الرازي، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، طبعة حديثة منقحة، 1403هـ-1983م.
122- مختصر تفسير القرآن العظيم : للإمام الحافظ إسماعيل ابن كثير، اختصره : محمد عبد الحليم، مكتبة الصفا، الطبعة الأولى، 1424هـ-2003م.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

123- مختصر شعب الإيمان للبيهقي : عمر عبد الرحمن القزويني، تحقيق : عبد القادر الأرناؤوط، دار ابن كثير، دمشق، الطبعة الثانية، 1405هـ.
124- مختصر منهاج القاصدين : للإمام أحمد بن قدامة المقدسي، مكتبة دار البيان، 1403هـ-1982م.
125- مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين : للإمام ابن قيم الجوزية، تحقيق : محمد الفقي، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان، الطبعة الثانية، 1393هـ-1973م.
126- مدرسة الأنبياء عبر وأضواء : محمد بسام رشدي الزين، دار الفكر المعاصر، إعادة، 1422م-2001م.
127- المرأة في القصص القرآني : د. أحمد الشرقاوي، دار السلام، الطبعة الثانية، 1424هـ-2003م.
128- المستخلص في تزكية الأنفس : سعيد حوى، دار الأرقم، عمان، دار القبس، بيروت، الطبعة الأولى، 1403هـ-1983م.
129- المصباح المنير : أحمد المقرئ، دار الحديث، الطبعة الأولى، 1421هـ-2000م.
130- المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم : محمد فؤاد عبد الباقي، دار الحديث، القاهرة، الطبعة الأولى، 1417هـ-1997م.
131- معجم مقاييس اللغة : لأبي الحسين أحمد بن فارس بن زكريا، دار الجيل، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، 1411هـ-1991م.
132- مفاهيم تربوية - دستور النصر والهزيمة : محمد عبد الله الخطيب، دار المنار الحديثة، الطبعة الثانية، 1411هـ-1990م.
133- مقالات الإسلاميين : لأبي الحسن الأشعري، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، الطبعة الثانية، 1389هـ-1969م.
134- مقدمة في أصول الدعوة (شرح حديث جبريل -عليه السلام- الإسلام والإيمان والإحسان) : أحمد سلام، دار ابن حزم للطباعة والنشر والتوزيع، الطبعة الثانية، 1415هـ-1994م.
135- من مفاهيم القرآن في العقيدة والسلوك : د. محمد البهي، مكتبة وهبة، الطبعة الأولى، 1393هـ-1973م.
136- المواقف في علم الكلام : للقاضي عضد الدين الإيجي، مكتبة المتنبي، القاهرة.
137- موسوعة الأخلاق الإسلامية : سعد الدين يوسف عزيز، المكتبة التوفيقية، القاهرة، مصر، بدون طبعة أو تاريخ.
138- الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب والأحزاب المعاصرة : د. مانع الجهني، دار الندوة العالمية للطباعة والنشر والتوزيع، الطبعة الخامسة، 1424هـ-2003م.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

139- نزهة المتقين شرح رياض الصالحين للإمام النووي : د. مصطفى الخـــن، د. مـــصطفى البُغا، مؤسسة الرسالة، الطبعة التاسعة عشر، 1412هـــ-1991م.
140- النية والإخلاص : د. يوسف القرضاوي، دار الفرقان، الطبعة الأولى، 1417هـــ-1996م.
141- واقعنا المعاصر والغزو الفكري : د. صالح الرقب، مكتبة الطالب الجـــامعي، الجامعـــة الإسلامية، غزة، الطبعة الخامسة، 1423هـــ-2003م.
142- وسائل البناء : د. عبد الله الأهدل، دار ابن حزم، الطبعة الأولى، 1425هـــ-2005م.
143- وسائل الهدم والنتائج: د.عبد الله الأهدل، دار ابن حزم، الطبعة الأولى، 1425هـــ-2005م.
144- وسطية القرآن في العقائد (أركان الإيمان الستة) : د. علي محمد الصلابي، مكتبة الإيمان بالمنصورة، الطبعة الأولى، دون تاريخ.
145- يوسف عليه السلام (عبرة وعظة) : عمرو خالد، أريج للنشر والتوزيع، الطبعة الأولـــى، 1424هـــ-2003م.
146- اليوم الآخر "القيامة الكبرى" : د. عمر الأشقر، دار النفائس للنـــشر والتوزيـــع، الأردن، الطبعة الثالثة عشرة، 1423هـــ-2002م.

ثانياً : المجلات :

147- مجلة الدعوة صوت الحق والقوة والحرية، العدد22، السنة الـــسابعة والعـــشرون، غـــرة ربيع الثاني، 1398هـــ-1978م.
148- مجلة جنات، العدد التاسع والثلاثون، ربيع أول 1428هـــ2007م.

ثالثاً : شبكة المعلومات الدولية (إنترنت) :

149- الابتلاء وطريق السلامة : أ.د. ناصر العمـــر، 2007/3/10م، الهيئـــة نـــت : الموقـــع الرسمي لهيئة علماء المسلمين.
150- أهمية التربية في الجهاد : إسلام أون لاين نت
www.islamonline.net
151- تلخيص شريط بناء النفس للشيخ عبد الرحمن العابد، تلخيص عبد الله الجوابرة 1428/4/28
www.saaid.net
152- الثقة : للأستاذ عبد الجليل صكنيضي
www.islamonline.net
153- الثقة بالله تعالى وأثرها في العمل الإسلامي، 1428/5/3هـــ
www.islammemo.cc
154- شبكة المشكاة الإسلامية : معالم شخصية المرأة المسلمة وتميزها 1428/5/12هـــ

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

www.meshkat.net

155- في ظلال الثقة : لأمير المدري، 1428/4/28هـ

said.net/doat/ameer/12.htm

156- مئة فائدة من سورة يوسف عليه السلام : للشيخ محمد بن صالح المنجد

www.khayma.com

157- مجلة أفق الثقافية – براعة الاستهلال في سورة محمد : د. طارق سعد شلبي، 1 يوليو 2002، الموضوع : أقواس

www.ofonq.com/today/modules

158- مقال بدءاً بالطفولة كيف نبني الشخصية المتوازنة للإنسان المسلم : زكية حسين، 1428/4/20هـ

www.itf.org.ir/arabic/altahirah

159- مقال لعلكم تتقون : عمر عبيد حسنة، 1428/4/20هـ

www.islamicfinder.org

160- من كتاباته الإسلامية : الشيخ الشعراوي، صلاة الخاشعين، والاستعانة بالصبر والصلاة 1428/8/7هـ

www.khayma.com/alsharawi.htm/kotob2/14.htm

161- موقع ابن الإسلام

www.ibnalislam.com

رابعاً : الرسائل :

162- رسالة دكتوراه بعنوان (أفعال العباد بين الجبر والاختيار دراسة تحليلية في العقيدة الإسلامية) : د. محمد بخيت، إشراف أ.د. محجوب الكردي، 1417هـ-1997، جامعة القرآن الكريم والعلوم الإسلامية، السودان.

163- رسالة ماجستير بعنوان (الإحسان في ضوء القرآن الكريم والسنة المطهرة) : د. رياض قاسم، إشراف : د. الطاهر عبد القادر، 1410هـ-1990م، جامعة أم درمان، السودان.

164- رسالة ماجستير بعنوان (الصراع بين الحق والباطل في قصة يوسف – عليه السلام) : للطالب تميم ضيف الله مزيد ضهير، إشراف : د. الشيخ جمعة سهل، 1407هـ-1987م، جامعة أم درمان، السودان.

165- رسالة ماجستير بعنوان (أنور الجندي وموقفه من الفكر الغربي الوافد) : للطالب فضل سعيفان، إشراف : د. محمد بخيت، 1427هـ-2006م، الجامعة الإسلامية، غزة.

المنارة للاستشارات

www.manaraa.com

فهرس المحتويات

الموضوع	الصفحة
الملخص الإنجليزي	ب
الإهداء	د
شكر وتقدير	هـ
المقدمة	1
التمهيد	6
أولاً : تعريف عام بسورة يوسف عليه السلام.....	7
ثانياً : تعريف "العقيدة، الإيمان".....	8
ثالثاً : البناء غايته ووسائله – الهدم غايته ووسائله.....	9
رابعاً : الشخصية المسلمة تعريفها، معالمها، وعلاقتها بغيرها.....	11
الفصل الأول **دور العقيدة في بناء شخصية سيدنا يعقوب عليه السلام**	36
المبحث الأول : دور العقيدة في ترسيخ خلق الصبر والاستعانة بالله تعالى عند سيدنا يعقوب عليه السلام	**37**
المطلب الأول : الصبر – حقيقته، أنواعه، آدابه.....	38
أولاً : تعريف الصبر	38
ثانياً : حقيقة الصبر	39
ثالثاً : أنواع الصبر	40
رابعاً : آداب الصبر	43
المطلب الثاني : صبر سيدنا يعقوب عليه السلام	45
المطلب الثالث : الاستعانة بالله عند سيدنا يعقوب عليه السلام	54
المبحث الثاني : دور العقيدة في بناء الثقة بالله عند سيدنا يعقوب عليه السلام	**61**
المطلب الأول: تعريف الثقة بالله– أنواعها، مصادرها، عوامل تقويتها، ثمارها....	62
أولاً : معنى الثقة بالله	62
ثانياً : أنواع الثقة	62
ثالثاً : مصادر الثقة بالله	64
رابعاً : ثمار الثقة بالله	68
المطلب الثاني : الثقة بالله عند سيدنا يعقوب عليه السلام.....	69

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

المبحث الثالث: عقيدة التوكل ودورها في بناء شخصية سيدنا يعقوب عليه السلام **78**
المطلب الأول : التوكل – حقيقته، أحواله، أعمال المتوكلين 79
أولاً : تعريف التوكل 79
ثانياً : حقيقة التوكل 80
ثالثاً : أحوال التوكل 81
رابعاً : أعمال المتوكلين 83
المطلب الثاني : التوكل عند سيدنا يعقوب عليه السلام 85

الفصل الثاني **92**
دور العقيدة في بناء شخصية سيدنا يوسف عليه السلام

المبحث الأول: دور العقيدة في ترسيخ خلق الصبر عند سيدنا يوسف عليه السلام **93**
المطلب الأول : صبره على الإساءة من إخوته 94
المطلب الثاني : صبر سيدنا يوسف عليه السلام على الظلم والسجن 101
المطلب الثالث : صبره على نعمة التمكين 108
المبحث الثاني: دور العقيدة في التحلي بالتقوى عند سيدنا يوسف عليه السلام **115**
المطلب الأول : صفات المتقين وطرق الوصول للتقوى 116
أولاً : تعريف التقوى 116
ثانياً : صفات المتقين 116
ثالثاً : طرق الوصول للتقوى 120
المطلب الثاني : تقوى سيدنا يوسف عليه السلام 123
المطلب الثالث : أجر المتقين 132
المبحث الثالث: دور العقيدة في تحقيق الإحسان في شخصية يوسف عليه السلام **142**
المطلب الأول : الإحسان – حقيقته، صفات المحسنين، مجالات الإحسان 143
أولاً : تعريف الإحسان 143
ثانياً : حقيقة الإحسان 144
ثالثاً : صفات المحسنين 145
رابعاً : مجالات الإحسان 148
المطلب الثاني : إحسان سيدنا يوسف عليه السلام 155
المطلب الثالث : جزاء الإحسان 162

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

الفصل الثالث

170 دور العقيدة في تحقيق النصر والتمكين للأمة الإسلامية في ضوء سورة يوسف عليه السلام

171 المبحث الأول : دور العقيدة في تحقيق النصر

172 المطلب الأول : النصر من الله وحده ....

177 المطلب الثاني : أوصاف المؤمنين المؤيدين بالنصر ....

181 المطلب الثالث : عوامل النصر ....

196 المطلب الرابع : عوامل الهزيمة ....

203 المبحث الثاني : دور العقيدة في التمكين للأمة الإسلامية

204 المطلب الأول : التمكين ومقوماته ....

204 أولاً : التمكـــين ....

204 ثانياً : مقومات التمكـين ....

213 المطلب الثاني : عوائق التمكين ....

213 أولاً : العوائق الداخلية ....

219 ثانياً : العوائق الخارجية ....

228 المطلب الثالث : سنن ربانية على طريق التمكين ....

242 المطلب الرابع : مبشرات النصر والتمكين ....

42 أولاً : تعريف المبشرات ....

242 ثانياً : مبشرات النصر والتمكين من القرآن الكريم ....

245 ثالثاً : المبشرات بالنصر والتمكين من السنة النبوية الشريفة ....

248 رابعاً : المبشرات من طبيعة الدين الموافقة للفطرة البشرية ....

249 خامساً : المبشرات من التاريخ ....

251 سادساً : المبشرات من الواقع ....

255 الخاتمـــة ....

257 توصيات الباحثة ....

258 المصادر والمراجع ....

269 فهرس الموضوعات ....

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com